من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنبلها وأسناها جامع للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة مرصعا بأحسن الاشارات مخرجا بأوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه ومآبه ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن أنتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التأويل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكته وأصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم أجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه أقرب الى تحصيل المراد فما أوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع وأحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه بغير علامة وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسند له انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من أحاديث وأتفق ألفاظ متغيرة فاعتمده فاني اجتهدت في تصحيح ما خرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب وأسهل على الطلاب وسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب و ينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شيء كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن نظم وتأليف أو اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت ﴿وسميته لباب التأويل * في معاني التنزيل﴾ والله تعالى أسأل التوفيق لاتمام ما قصدت واليه أرغب في تيسير ما أردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه أنيب وقبل أن أشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

﴿الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه﴾ (م) عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين وعن الحرث الاعور

بعد كل محدود الملك الذي طمست سبحات جلاله الابصار المنكر الذي أزاحت سطوات كبريائه الافكار القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان المتعالي عن مضاهاة الاجسام ومشابهة الانام القادر الذي لا يشار

قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحرث مقال (قوله هو الفصل) أي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أي هو جد كله ليس فيه شيء من الهزل والجبار في صفة الآدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله أي أهلكه (قوله هو حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الأمان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء أي لا يميل عن الحق ٭ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحافظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما أمر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجران يعني يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبي موسى الاشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد ٭ عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه ٭ عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذي ٭ عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ٭ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ٭ عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله

اليه بالتكييف القاهر الذي لا يسئل عن التحصيل والتكييف العليم الذي خلق الانسان وعلمه البيان الحكيم الذي نزل القرآن شفاء للارواح والابدان والصلاة والسلام على المستل من [illegible]وحة البلاغة والبراعة الحدّل

عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا أخرجه أبو داود ◉ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به معنى أذن في اللغة استمع ولا تحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه في ذلك وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن أي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الاول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

﴿الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ مباءة أي منزلا من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وماله وتابع هواه وهذا لا يخلو اما أن يكون عن علم أو لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك أما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن فيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي (قوله بئسما لاحدكم) أي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل أن الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها

في بحبوحة النصاحة والفصاحة محمد المبعوث الى خليقته الداعي الى الحق وطريقته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشيعته (قال) مولانا الشيخ الامام المعظم والحبر الهمام المقدم أستاذ أهل الارض محيي السنة والفرض كشاف حقائق

وهو الذي أنساه إياه وقيل أصل النسيان الترك فيكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه وقوله
فل نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده
القرآن وقوله أشد تفصيا أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل في عقلها أي تخلصا من العقال
وهو الحبل الذي تربط به ● عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبو داود الاجذم قيل هو مقطوع
اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام ● عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب
أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذي وقال
حديث غريب (ق) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن يناله بسوء أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله الى أرض
العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلا بأس من ذلك لان النبي
صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
● عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس أخرجه الترمذي
● عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذي وقال
ليس اسناده بالقوي ● عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن
كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

﴿الفصل الثاني في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف﴾ (خ) عن زيد بن
ثابت قال بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر ان عمر جاءني فقال ان القتل قد
استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن
كثير واني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في
ذلك الذي رأى عمر قال زيد فقال لي أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان
أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وفي رواية
فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأيا فا
فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع
خزيمة أو مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر براءة فالحقتها
في سورتها قال فكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند
حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف (خ) عن أنس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان
وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة
فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى
فارسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فأمر
زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم

فنسخوها

أسرار التنزيل مفتاح
أسرار حقائق التأويل
ترجمان كلام الرحمن
صاحب علم المعاني والبيان
الجامع بين الاصول والفروع
للرجوع اليه في المعقول
والمسموع حافظ الملة والدين
شيخ الاسلام والمسلمين

فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فالتمستها فوجدتها مع خزيمة ابن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في روايته قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش ☼ شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما (قوله بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة) أي لأوان قتلهم وأراد به الوقعة التي كانت باليمامة في زمن أبي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عمائر وهي في عداد أرض نجد (قوله استحر القتل) أي كثر واشتد بسبب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر بسعته وقبوله الخير (قوله فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع) جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدته لخفة (قوله يغازي أهل الشام) أي مع أهل الشام (في فتح ارمينية) بكسر الهمزة وتخفيف الياء الاخيرة سميت بارمين ابن لنطى بن لومن بن يافث بن نوح وهو أول من نزل بها فسميت باسمه (وأذربيجان) بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الانصاري) وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية اعلم أن المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو أبو خزيمة بن اوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من أبو زيد قال أحد عمومتي أخرجاه في الصحيحين اسم أبي زيد سعد بن عبيد وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة

وارث علوم الانبياء والمرسلين أكمل فحول المجتهدين قدوة قروم المحققين ذو السعادات والكرامات أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي نفع الله الاسلام والمسلمين بطول بقائه والمسلمين بمن

قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استحر القتل بقراء القرآن فثبت بمجموع
هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك
جمعه فى مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض
أحكامه فلم يجمع فى مصحف لانه واحد لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين
فحفظ الله كتابه فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم
وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما نزله الله عز وجل على رسوله صلى
الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيأ والذى حملهم على جمعه ما جاء مبينا فى الحديث وهو أنه
كان مفرقا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة
رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبى بكر فدعوه الى جمعه فرأى فى ذلك رأيهم فأمر بجمعه فى موضع
واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو أخروا
شيأ أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه
السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا
فثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ
على النحو الذى هو فى مصاحفنا الآن وقد صح فى حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان
يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان وانه عرضه فى العام الذى توفى فيه
مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل
عليه السلام وهى العرضة التى نسخ فيها ما نسخ وبقى فيها ما بقى ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت فى كتابة
المصحف وألزمه بها لانه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى توفى فيه مرتين فكان جمع القرآن
سببا لبقائه فى الامة ورحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده فى حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون واعلم أن الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا فى شهر
رمضان فى ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم مدة
رسالته عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما شاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه فى التلاوة
والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك
الذى خلق ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم المدثر ثم تبت يدا أبى لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح
اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات
ثم انا أعطيناك الكوثر ثم ألهاكم التكاثر ثم أرأيت الذى ثم قل يا أيها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله
أحد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة البروج ثم التين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة
ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن
ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم سورة بنى اسرائيل
ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم المؤمن
ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية
ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم قد أفلح المؤمنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور
ثم الملك ثم الحاقة ثم سأل سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء انشقت
ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا فى آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء

لقائمقد سألى من تعين اجابته كتابا وسطا فى التأويلات جامعا لوجوه الاعراب والقراآت متضمنا لدقائق علمى البديع والاشارات حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة خاليا

المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين * فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات وأما ما نزل بالمدينة ٣ فاحد وثلاثون سورة فأول ما نزل بها سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم اذا جاءك المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا في شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعه ان شاء الله تعالى

﴿فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك﴾ (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت بقراءتي التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه (قوله فكدت أساوره في الصلاة) أي أواثبه وأقاتله وحوف الصلاة والتربص التثبت (قوله فلببته رداءه) هو بتشديد الباء الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه) قال العلماء سبب انزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال أبو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهي أفصح لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل سبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين أسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع آيات وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم

٣ قوله فاحد وثلاثون فيه ان المعدود ثلاثون لا غير ثم سيذكر ان شورى نزلت بالمدينة على قول وعليه فهي أحد وثلاثون اه مصححه

وضيعها اجماع الصحابة وأتباعها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواترا وان هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فأما من قال ان المراد بالأحرف سبعة معان مختلفة كالأحكام والأمثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم أشار جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية أمثال بآية أحكام وقول من قال ان المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع بصير فاسد أيضا للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الأحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا أبي أرسل الي ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه أن هون على أمتي فرد الي الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت اليه أن هون على أمتي فرد الي الثالثة ان اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي وأخرت الثالثة ليوم ترغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية) معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومتشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستقر عليها الانسان لا يؤاخذ بها (قوله ضرب في صدري ففضت عرقا) قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيت له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنما أنظر الى الله تعالى فرقا) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما أزال عنه ذلك الخاطر (قوله تعالى ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا وأما باقي الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله أعلم * روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل في معناه الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما أنزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله أعلم

﴿فصل في معنى التفسير والتأويل﴾ فأما التفسير فأصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها

عن أباطيل أهل البدع والضلال ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر وأخذ السبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة وأتممته في مدة يسيرة ﴿وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل﴾ وهو الميسر

تفسيره وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها وأما التأويل فاشتقاقه من الأول وهو الرجوع الى الأصل يقال أولته فآل أي صرفته فانصرف وهو رد الشيء الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم ﴿القول في الاستعاذة﴾ ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ بالله التجئ اليه وامتنع به مما أخشاه من عاديعوق والشيطان أصله من شطن أي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية أشد الرجيم فعيل بمعنى فاعل أي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الاعلى وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسئلة الاولى) اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا وحكي عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة أو غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز (وأجيب) عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة وأجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها (المسئلة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة أو خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روي عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث أشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولابي داود والنسائي عن أبي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وأجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لنا ما تقدم من الادلة ﴿المسئلة الثالثة﴾ المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال أحمد الاولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث أبي سعيد

لكل عسير وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

﴿فاتحة الكتاب﴾

مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى أم القرآن لحديث قال عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بام القرآن ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله

وقال الثوري والاوزاعي الاولى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى ومن لطائف الاستعاذة ان قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد أيضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة الالتجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفاتحة﴾

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفا واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول أكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة أسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فأول ذلك) فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة (الثاني) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد (الثالث) أم القرآن وأم الكتاب سميت بذلك لانها أصل القرآن وأم كل شيء أصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور (الرابع) السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها أنزلت مرتين (الخامس) الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها

﴿فصل في ذكر فضلها﴾ (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله اني كنت أصلي فقال ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي لاعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له يا رسول الله ألم تقل لاعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ورواه مالك في الموطأ عنه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المعجمة أي صوتا كصوت فتح الباب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة انا أحيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين

فنصفها

عليه السلام حاكيا عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلاة وسورة الصلاة لما روي ولانها تكون واجبة أو فريضة وسورة الحمد والاساس فانها أساس القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالاساس وآيها سبع بالاتفاق

نصفها الى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وربما قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ماسأل (قوله فهى خداج) أى ناقصة (قوله فغمز ذراعى) أى كبس ساعدى بيده (قوله قسمت الصلاة) أراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من أركانها وجزء من أجزائها (قوله نصفين) حقيقة هذه القسمة في جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسألة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل (قوله حمدنى عبدى ومجدنى) أى أثنى على لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله وربما قال فوض الى عبدى) وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفى الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعى وجماعة وستأتى هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء فى بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبدأ باسم الله أو باسم الله أبدأ أو أقرأ وانما طولت الباء فى بسم الله وأسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما أسقطوا الالف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة ألا ترى أنه لما كتبت الالف فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى قيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوى والصحيح المختار أن الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشئ وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به فثبت بهذا أن الاسم غير المسمى وأيضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وأيضا قوله فادعوه بها أمر أن يدعى الله تعالى بأسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به وأجيب عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بأن المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم وأجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بأن معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشئ الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه أسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق

تثبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب أبى حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولهذا لا يجهر بها عندهم فى الصلاة وقراء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعى وأصحابه رحمهم الله ولهذا يجهرون بها فى (١٣) الصلاة وقالوا انها ثبتت فى المصحف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث أبى هريرة قال سمعت النبى عليه السلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة أى الفاتحة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ماسأل فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور فى صحاح المصابيح وما ذكروا مايضرنا لان التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام فى المبسوط وانما يرد علينا ان لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره فى الكافى وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لان الذى يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ فى فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وانما قدر المحذوف متأخرا لان

الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد
اختصاص اسم الله عزوجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل فى اقرأ باسم ربك لانها أول سورة نزلت فى قول وكان
الأمر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز أن يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم

ظاهر واختلفوا فى اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشئ ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهى العلامة فكأنه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه أوسام وأجمعوا على أن تصغيره سمى وجمعه أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعنى لا يقال لغيره الله وقيل هو مشتق من أله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويذرك وآلهتك أى وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولهون اليه أى يفزعون اليه فى حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم فى بلايا تنوبنى * فالفيتكم فيها كراما مخامد

وقيل أصله أله يقال ألهت الى فلان أى سكنت اليه فكأن الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل أصله ولاه فابدلت الواو همزة سمى بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتسخير أو بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيأ بقى الباقى يدل عليه فان حذفت الالف بقى لله وان حذفت اللام وأثبت الالف بقى اله وان حذفتهما بقى له وان حذفت الالف واللامين معا بقى هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقى الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا للقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق فى الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافى للمؤمنين فى الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هى ترك عقوبة من يستحق العقوبة واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق

﴿فصل فى حكم البسملة﴾ وفيه مسئلتان (الاولى) فى كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلماء فى ذلك فذهب الشافعى وجماعة من العلماء الى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى أولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبى هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد فى احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقى هذا القول عن على بن أبى طالب والزهرى والثورى ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعى ومالك وأبو حنيفة الى أن البسملة ليست آية من الفاتحة زاد أبو داود ولا من غيرها من السور وانما هى بعض آية فى سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها فى الصلاة المفروضة وللشافعى قول انها ليست من أوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المشهور المخرج فى

ولان يعطى ويمنع غير متعد الى مقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى بعده واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لانها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء التى سكنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا واذا وقعت فى الدرج لم يفتقر الى زيادة شئ ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمى وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه بالمسمى واشارة بذكره وحذفت الالف فى الخط هنا وأثبتت فى قوله اقرأ باسم ربك لانه اجتمع فيها أى فى التسمية مع أنها تسقط فى اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عن حذفها وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الاله ونظيره الناس أصله الاناس حذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف والاله من أسماء الاجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما أن النجم اسم لكل كوكب

الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولأن أول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في أوله فدل على أنها ليست منها قالوا ولأن محل القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والاستفاضة ولأن الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور ومنها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الإخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا ۞ وأما حجة من ذهب إلى إثباتها في أوائل السور من جهة النقل فقد صح عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما ابن خزيمة وغيره وروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله في مستدركه وقال فيه إنه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها قال الدارقطني في رجال إسناده كلهم ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الأعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم وأخرج مسلم في أفراده عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا في أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأنها من فواتح السور سوى سورة براءة ما روينا في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وأنهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بإسناده عن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه أنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن وفي أفراد البخاري من حديث أنس أنه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الأدلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فاجمع الصحابة على إثباتها في المصاحف وأنهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من أن يزيد فيه أو ينقص منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وإن كان قد ورد أنه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة

أو قلب على القربات وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لأنك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء الله
إلا تقول لشيء رجل وتقول الله واحد صمد ولأن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات لبقيت صفات غير
جارية على اسم موصوف بها وهذا لا يجوز ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل وقيل
معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير يتنظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم أله يأله إلاهة إذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أي معبود كقوله هذا خلق الله أي مخلوقه وتفخم لامه إذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترقق إذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الأول والرحمن فعلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لأن في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة
لأنه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لأنه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لأنه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وإن كان أبلغ والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى يقال فلان عالم ذو فنون نحرير لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ورحمة الله إنعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر في مسيلمة ۞ وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا ۞ فباب من تعنتهم في كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم أن الشرط انتفاء فعلانة إذ ليس له فعلانة ومن زعم أن الشرط وجود فعلى صرفه إذ ليس له فعلى والأول الوجه

من القرآن في أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

﴿المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار﴾ اذا ثبت بما تقدم من الادلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعكرمه وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك وحكي أيضا عن ابن المبارك وأبي ثور وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم أما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن أنس وهي في الصحيح وهي معللة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال أما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال ليس في رواته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك قال الشيخ أبو شامة أي لا يماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد ابن أبي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلو أن أقتدي بصلاة أبي وقال أبي ما آلو أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك وقال أنس بن مالك ما آلو أن أقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات قلت وفي الباب أحاديث وأدلة وايرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق قوله عز وجل (الحمد لله) لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر أي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح أخوان وقيل بينهما فرق وهو أن المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه وأما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على

(الحمد) الوصف بالجميل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء وأصله النصب وقد قرئ بإضمار فعله على انه من المصادر المعربة بأفعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لله) واللام متعلق بمحذوف أي واجب أو ثابت وقيل الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وحسبه وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال ❊ أفادتكم النعماء مني ثلاثة ❊ يدي ولساني والضمير المحجبا أي القلب والحمد باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد بالقلب وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الافضال والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لانه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسألة خلق الافعال وقد حققته في مواضع

علمه

عليه وكرمه والشكر لا يكون إلا على النعمة فالحمد أعم من الشكر إذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالأركان فعلا والحمد لله الألف واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني أنه المستحق للحمد لأنه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الإطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أي مالكه ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها إذا أصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والإنس ولا يقال للبهائم عالم لأنها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم ستمائة عالم في البحر وأربعمائة في البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وإنما سمي بذلك لأنه دال على الخالق سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فإن قلت قد سمي مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا * قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت إلى قولهم هذا فإن قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية قلت ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وأنه هو المتفضل بها على خلقه ۞ قوله تعالى (مالك يوم الدين) يعني أنه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى وقيل مالك أوسع من ملك لأنه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الأشياء ولأنه لا يكون مالكا لشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه وقيل ملك أولى لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه إلا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان أي قهرته فذل فإن قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها قلت لأن ملك الأملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ إلا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة ۞ قوله تعالى (إياك نعبد) رجع من الخبر إلى الخطاب وفائدة ذلك من أول السورة إلى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولى ومن قوله إياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء أولى وقيل فيه إضمار أي قولوا إياك نعبد والمعنى إياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد إياك نعبد معناه لا أعبد

(رب العالمين) الرب المالك ومنه قول صفوان لأبي سفيان لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده وهو في العبيد مع التقييد إنه ربي أحسن مثواي وقال ارجع إلى ربك وقال الواسطي هو الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الأعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الأجسام والجواهر والأعراض أو كل موجود سوى الله تعالى سمي به لأنه علم على وجوده وإنما جمع بالواو والنون مع أنه يختص بصفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام لما فيه من معنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم (الرحمن الرحيم) ذكرهما قدس وهو دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة إذ لو كانت منها لما أعادهما لخلو الإعادة عن الإفادة (مالك) عاصم وعلي ملك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الإضافة ولقوله لمن الملك اليوم ولأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولأن أمر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك أكثر ثوابا لأنه أكثر حروفا وقرأ أبو حنيفة والحسن رضي الله عنهما ملك (يوم الدين) أي يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع كقولهم * يا سارق الليلة أهل الدار * أي مالك الأمر كله في يوم الدين والتخصيص بيوم الدين لأن الأمر فيه لله وحده وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية لأنه أريد به الاستمرار فكانت الإضافة حقيقية فساغ أن يكون صفة للمعرفة وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا أي مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للأمر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه (إياك نعبد

وإياك نستعين) إيا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم أضيف إليه لانه يشبه المظهر لتقدمه في العمل والفاعل وقال الكوفيون إياك بكماله اسم وتقديم المعمول لقصد الاختصاص ولمعنى نخصك بالعبادة وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل عن الغيبة الى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر الارمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الاسود فجمعت في الابيات الثلاثة بين الالتفاتات والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ لاستلذاذ إصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق والعلماء الاحبار وقليل ما هم وما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه

تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب الى الاجابة أو لنظم الآي كما قدم الرحمن وان كان الابلغ لا يقدم وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادات ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا (اهدنا الصراط المستقيم) أي ثبتنا على المنهاج الواضح

أحد سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم وهي إيجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هدايته الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له (وإياك نستعين) أي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم أخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكروا فيه وجوها أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل ولا فرق بين التقديم والتأخير الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كأن العبد يقول شرعت في العبادة فانا أستعين بك على إتمامها فلا يمنعني من إتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال إياك نعبد حصل له الفخر [illegible] فحصل بسبب ذلك العجب فأردف ذلك بقوله وإياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة (اهدنا الصراط المستقيم) أي أرشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى أعود اليك ومعناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب أهل السنة والصراط الطريق قال جرير

أمير المؤمنين على صراط ❊ اذا اعوج الموارد مستقيم

أي على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة (صراط الذين أنعمت عليهم) هذا بدل من الاول أي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته (غير المغضوب عليهم) يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق المؤمنين

كقولك للقائم قم حتى أعود اليك أي اثبت على ما أنت عليه واهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهدى يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاما تعديه الى مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الآية وقد جاء متعديا باللام كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هداني ربي الى صراط مستقيم والسراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه كأنه يسرط السابلة اذا سلكوه والصاد من قلب السين صادا لتجانس الطاء في الاطباق لان الصاد والضاد والظاء والطاء من حروف الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي لان الزاي الى الطاء أقرب لانهما مجهوران وهي قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن وهي الاصل في الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش وهي الثابتة في المصحف الامام ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط وهو في حكم تكرير العامل وفائدته التأكيد والاشعار بان الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده وهم المؤمنون والانبياء عليهم السلام أو قوم موسى قبل أن يغيروا (غير المغضوب عليهم

ولا الضالين) بدل من الذين أنعمت عليهم يعني أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة للذين يعني أنهم جمعوا

للمطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال وإنما ساغ ووقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير

المؤمنين وإلحاقهم بالحق الكافرين (ولا الضالين) أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال أخرجه الترمذي وذلك لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله أعلم

﴿فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان﴾ ﴿الأولى﴾ السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال في القصر * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآفات (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري أن الإمام إذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص والقول الأول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ما تقدم من ذنبه) يعني تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه أن هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

﴿المسئلة الثانية في حكم الفاتحة﴾ اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء إلى وجوب الفاتحة وأنها متعينة في الصلاة ولا تجزئ إلا بها واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة إلى أن الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابي المسيء صلاته ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الأحاديث فإن قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدارقطني وقال إسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادي لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه أبو داود وأجيب عن حديث الأعرابي بأنه محمول على الفاتحة فإنها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

﴿تفسير سورة البقرة﴾

قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فإنها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة وإحدى

لا يتعرف بالإضافة لأنه إذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالإضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ولأن الذين قريب من النكرة لأنه لم يرد به قوم بأعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بإضافته فكل واحد منهما فيه إبهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الأولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله إرادة الانتقام من المكذبين وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويدا اسم لأمهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبني وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الأصل والمد إشباع الهمزة قال يا رب لا تسلبني حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * وقال عليه السلام لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف (سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست أو سبع وثمانون آية

...ف البسيطة التي هي مادة تركيب الكلام فالقاف تدل على أول حروف القرآن ... ونه وكذلك ما أشبهها والدليل على أنها أسماء أن كلا منها يدل على معنى في نفسه ... ما تقبل التكسير والتعريف والجمع والتصغير على ما عرف وإنما سكنت لكونها ... من ... وقيل إنها أسماء مسمية كالأصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على أنها أسماء السور وقال ابن عباس رضي الله عنهما قسم أقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضي الله عنه هي اسم الله الأعظم وقيل إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله وما سميت معجمة إلا لإعجامها وأسمائها وقيل إن ورودها ... الأسماء التي هي للتحدي كالإيقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر في أن ما تلي عليهم وقد عجزوا عنه عن (٢٠) آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط دونه ... تظاهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام الإلهي ليس من كلام البشر وأنه كلام عالم القوى والقدر وهذا القول من الثلاثة أقول بجزل وقيل إنما وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه مختص بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة وكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهل ... حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن صاحبهم في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوته واعلم أن المذكور في الفواتح ... فالألف ... حروف المعجم وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي مشتملة على أنصاف أجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ومن الر... نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الألف و... والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن ... الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة

وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف

(فصل في فضلها) (م) عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني أن البطلة السحرة (قوله اقرؤوا الزهراوين) سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر (قوله كأنهما غمامتان أو غيايتان) قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى أن ثوابهما يأتي ... (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران تحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة والمراد إظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث ... أصحاب إذ الباطل ... وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور وأنه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال إنما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الأول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة * و... رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الم) إن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وأورد على هذا القول بأنه لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يعلمون وأجيب عنه بأنه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فإنه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم ال... آخرون من أهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه ...

كثرة الاجناس المذكورة منها وقد علمت ان معظم الشيء ينزل منزلة كله فكان الله تعالى عدد على ... من بينها تركيب
كلامهم اشارة الى ما هو من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة على السور لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير
وصل الى الغرض وكذا كل تكرير يرد في القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره ولم تجئ على وتيرة واحدة بل اختلفت
اعداد حروفها مثل ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف
وحرفين وثلاثة واربعة وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام وكان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف وكذلك في انواع هذا
والم آية حيث وقعت وكذا المص آية والمر لم تعد آية وكذا الر لم تعد آية في سورها الحس وطسم آية في سورتها وطه
ويس آيتان وطس ليست
ما آية وحم آية في سورها
كلها وحم عسق آيتان
وكهيعص آية وص ون
وق ثلاثتها لم تعد آية وهذا
عند الكوفيين ومن
عداهم لم يعد شيئا منها آية
وهذا علم توقيفي لا مجال
للقياس فيه كمعرفة السور
ويوقف على جميعها وقف
التمام اذا حملت على معنى
مستقل غير محتاج الى ما
بعده وذلك اذا لم تحمل
أسماء للسور وينعق بها كما
ينعق بالاصوات أو حملت
وحدها أخبار ابتداء
محذوف كقوله الم الله أي
هذه الم ثم ابتدأ فقال الله
لا اله الا هو الحي القيوم
ولهذه الفواتح محل من
الاعراب فمن جعلها أسماء
للسور لانها عنده كسائر
الاسماء الاعلام وهو الرفع
على الابتداء أو النصب أو
الجر لصحة القسم بها وكونها
بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة (ذلك
الكتاب) أي ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام أو ذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه
مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير والتأنيث وان كان صفته
فانما الاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا ووجه
تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه أن
ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال
من مرضيات الخصال وان يكون الخبر مبتدأ محذوف أي هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك

فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام
لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريدها كما قال الراجز

قلت لها قفي فقالت قاف ۞ لا تحسبي انا نسينا الايجاف

أي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير قال ابن عباس الم أنا
الله أعلم وقيل هي أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم ألا ترى أنك تقول الر وحم
ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم تتهيأ تأليفها لنا وقيل أسماء السور وبه قال جماعة
من المحققين وقال ابن عباس هي أقسام وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه
المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها كما تقول قرأت الحمد لله
وتريد بذلك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت
في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله وفي آية بعشر سور مثله فعجزوا
عنه أنزل هذه الاحرف ومعناها ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وأنتم قادرون عليها فكان يجب
أن تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما أعرضوا عن سماع
القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى
ما يجيء به محمد فاذا أصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سبب ايمانهم وقيل ان الله تعالى حير
عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة
كنه حقيقة خطابه واعلم أن مجموع الاحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفا في تسع وعشرين
سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف
والنون وهي نصف حروف المعجم وسيأتي الكلام على باقيها في مواضعها ان شاء الله تعالى ۞ وقوله تعالى
(ذلك الكتاب) أي هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذي وعدتك به
وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما
أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به وقيل ان الله وعد بني اسرائيل أن ينزل كتابا
ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود
خلق كثير أنزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب أي هذا الكتاب الذي وعدت به على لسان
موسى ان أنزله على النبي الذي هو من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم
والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض

مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب الذي هو الكتاب الكامل (لاريب) لاشك وهو مصدر رابني اذا حصل فيه الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة أي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه والمنفي الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لان المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه لا ان أحدا لا يرتاب فيه والمعنى لا ريب فيه كما قال لا فيها غول لان المراد في ايلاء الريب حرف النفي في الريب نفيه واثبات انه حق لا باطل كما زعم الكفار ولو ولي الظرف لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها غول فيه تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا ونظيره قوله لا ضير ونقدره لا ريب فيه (فيه هدى) فيه باشباع كل هاء مكي ووافقه حفص في فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره ومن عنده وجب ان لا يقال فيه ٧ وقال سيبويه باشباع الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء والياء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والخفي قريب من الساكن والياء بعده والهدى مصدر على فعل كالبكاء وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى (للمتقين) والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة على ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ولانهم سماهم عند مشارفتهم لاكتساب لباس التقوى

(٢٢)

كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس رضي الله عنهما اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك

الكتاب اسم من أسماء القرآن (لاريب فيه) أي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب فيه قوم قلت معنى لا ريب فيه قلت معناه انه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك (هدى للمتقين) الهدى عبارة عن الدلالة وقيل دلالة وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هدى لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من اتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس عما يؤثم بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقي يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين العذاب وقال المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل

لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع ان فيه تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ولامها ياء واذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو ياء وأدغمتها في التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وفي الشريعة من يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو النصب على الحال من الهاء في فيه والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يقال ان قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه أولا على انه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المطلوب بألطف وجه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا ففيه اشعار بانه هدى لا يكتنه كنهه والايجاز في ذكر

متصل والاحسن ان الآية. وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وخص المتقين بالذكر
تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف فعرّف انهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقي فضل الا
قوله تعالى هدى للمتقين لكفاه. فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك
للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط
المستقيم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بالغيب وأصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما أنت
بمؤمن لنا أي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كماله
مرة ونقصه أخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا
الخلاف تظهر في مسئلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة
والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمنا أم لا فيه خلاف والمختار عند أهل السنة
انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان أو كمال
الايمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا
وقال المحققون من متكلمي أهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص
بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان
ونقصانه وبين أصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة
والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين أقوى وأثبت من ايمان غيرهم لانهم
لا تعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس
تصديق أبي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه
المناسب لانه من شرائعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء
شعبة من الايمان أخرجاه في الصحيحين البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة الطائفة من الشيء
واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحياء ممدود وهو انقباض النفس عن فعل
القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان
وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد
والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما
في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس
فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث
الآخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة
المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها اذا ولدت
الامة ربها فذاك من أشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها واذا تطاول رعاء
البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه

للمتقين كأنه قيل (الذين) في موضع رفع أو نصب على المدح أي هم الذين يؤمنون أو أعني الذين يؤمنون أو هو مبتدأ وخبره أولئك على هدى أو جر على انه صفة للمتقين وهي صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لان اشتماله على ما أسست عليه حال المتقين من الايمان الذي هو أساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى أن النبي عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين أو صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيآت (يؤمنون) يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم آمنه أي صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقر واعترف (بالغيب) بما غاب عنهم مما أنبأهم به النبي عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب والايمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل في الايمان

(ويقيمون الصلاة) أي يؤدونها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع وا[لسجود]
والتسبيح لوجوده فيها أو أراد بمداومة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود إذا قومه والدوام عليها والمحافظة عليها من قامت السوق
إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه والصلاة فعلة من
كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقته على حرك الصلوين أي الأليتين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده
للداعي مصل تشبيها له في (٢٤) تخشعه بالراكع والساجد (ومما رزقناهم) أعطيناهم وما بمعنى الذي (ينفقون)

ادخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه وقدم المعمول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التي هي أختها أو هي وغيرها من الصدقات في سبل الخير لمجيئه مطلقة وأنفق الشيء وأنفده أخوان كنفق الشيء ونفد وكل ما جاء فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة (والذين يؤمنون) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا
في جملة المتقين وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين
يؤمنون بما أنزل إليك أو المراد به وصف الأولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وقوله إلى الملك القرم
وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة في المزدحم والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل إليك) يعني القرآن والمراد
القرآن لا القدر الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم لأن الإيمان بالجميع واجب وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه [illegible]
على تغليب الموجود ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل

وسلم ردوا علي هذا الرجل فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل
ليعلم الناس دينهم وفي رواية مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام
على معنى الإيمان والإسلام وبقي أشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارزا أي ظاهرا وقوله أن تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء وقيل في الجمع بين
وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فإن اللقاء يحصل بمجرد الانتقال إلى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو
بعد قيام الساعة وفي تقييده بالآخر وجه آخر وهو أن خروجه إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه
القبر إلى الآخرة بعث آخر قوله ما الإحسان هو هنا الإخلاص في العمل وهو شرط في صحة الإيمان و[illegible]
لأن من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسنا وقيل أراد بالإحسان المرا[قبة] [illegible]
الطاعة أن من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأشراط [illegible]
التي تظهر قبلها قوله إذا ولدت الأمة ربها يعني سيدها والمعنى أن الرجل تكون له الأ[مة] [illegible]
ذلك الولد ابنها وسيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء وإسكان الهاء من البهم وهي الصغار من
الضأن والمعنى أنه يبسط المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس
من أشراط الساعة والله أعلم قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل [illegible]
وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك
الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن [illegible]
بالآخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أ[صحاب]
صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه
والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه إلى قوله وأ[ولئك]
هم المفلحون (ويقيمون الصلاة) أي يداومون عليها في مواقيتها بحدودها وإتمام أركانها وحفظها من أن
يقع خلل في فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطى حقوقه والمراد بها
الخمس والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أي ادع لهم وأصلها من صليت العود إذا لينته لأن
المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود [illegible]
(ومما رزقناهم) أي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ
(ينفقون) أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه إنفاق الواجب كالز[كاة]
والنفقة والإنفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والإنفاق [illegible]
المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الإخوان وهذه كلها مما يمدح بها وأدخل من
للتبعيض صيانة لهم ونهاهم عن السرف والتبذير المنهي عنه في الإنفاق (والذين يؤمنون بما أنزل)

(وما أنزل من قبلك) يعني سائر الكتب المنزلة على النبيين (وبالآخرة) وهي تأنيث الآخر الذي هو ضد الأول وهي صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أولئك على هدى) الجملة في موضع الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ويجوز أن يجري الموصول الاول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى (من ربهم) أي أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أي هدى ونحوه لقد وقعت على لحم أي لحم (وأولئك هم المفلحون) أي الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح (٢٥) درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخوانه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي وجاء بالعاطف هنا بخلاف قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك فانظر كيف كرر الله عز وجل

٤ - (مارن) - اول) التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكرير ه ففيه تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله (ان الذين كفروا) الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا سمي الزراع كافرا وكذا الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة لبيان ذكر الكتاب لا لخبر عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه وان كان مبتدأ على حدة فهو كالجاري عليه والمراد بالذين كفروا أناس بأعيانهم علم الله انهم لا يؤمنون كأبي جهل وأبي لهب وأضرابهما

(وما أنزل من قبلك) أي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله (وبالآخرة) يعني وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا أو كونها بعدها (هم يوقنون) من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة (أولئك) أي الذين هذه صفتهم (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة (وأولئك هم المفلحون) أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب أي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر

لو كان حي مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم الفلاح الظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل * ان الحديد بالحديد يفلح * أي يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى (ان الذين كفروا) أي جحدوا وأنكروا وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر * في ليلة كفر النجوم غمامها * أي سترها والكفر على أربعة أضرب كفر انكار وهو أن لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعره

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله أن من جحد الله أو

{سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم} بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه أو يكون سواء خبرا مقدما وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء أي سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل مع انه خبر بلا تأويل لانه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي {لا يؤمنون} جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبر لان والجملة قبلها اعتراض أو خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم بالاصرار اقامة الحجة وليكون الارسال عاما وليثاب الرسول {ختم الله على قلوبهم} قال الزجاج الختم التغطية لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني ان الله طبع عليها بفعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه وعند المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة (٢٦) الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب فيقال بنى الامير المدينة لان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسئلة خلق الافعال {وعلى سمعهم} وحد السمع كما وحد البطن في قوله * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * لامن اللبس ولان السمع مصدر في أصله يقال سمعت الشيء سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل المضاف محذوف أي وعلى مواضع سمعهم وقرئ على اسماعهم {وعلى أبصارهم غشاوة} بالرفع خبر ومبتدأ والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي كما ان البصيرة نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة باضمار جعل وتكرير الجار في قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين قال الشيخ الامام أبو منصور بن علي رحمه الله الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لا بد له من صانع جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه أخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم أصلح لهم {ولهم عذاب عظيم} العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشيء اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير ان على أبصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله

أنكر وحدانيته أو أنكر شيئا مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود {سواء عليهم} أي متساو لديهم {أأنذرتهم} أي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا {أم لم تنذرهم لا يؤمنون} أي لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى {ختم الله على قلوبهم} أي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم {وعلى سمعهم} أي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانهم أعرضوا عنه وتصاموا عن الاصغاء اليه كأنها مستوثق منها بالختم أيضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع {وعلى أبصارهم غشاوة} هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده {ولهم عذاب عظيم} يعني في الآخرة وقيل الاسر والقتل

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوبا وألسنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا أنزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد أربع آيات من اول السورة في نعت المؤمنين وآيتان في ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانس وسموا به لظهورهم وانهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك تقول وزن قه أفعل وليس معك الا العين وهو من أسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفته كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وإنما خصوا الايمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع وانما سمي بالآخر لتأخره عن الاوقات المنقضية أو الوقت المحدود من الحشر الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانهم أوهموا بهذا المقال انهم أحاطوا بجانبي الايمان أوله وآخره وهذا لان حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالحشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة وفي (٢٧) تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وانما طابق قوله (وما هم بمؤمنين) وهو في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهو في ذكر شأن الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وآكده وهو اخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين نحو قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فهو أبلغ من قولك وما يخرجون منها وأطلق الايمان في الثاني بعد تقييده في الاول لانه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفي أصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور والآية تنفي قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير لانه نفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم وتؤيد قول أهل السنة انه اقرار اللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء في خبر ما المؤكدة للنفي لانه يستدل به السامع على الجحد اذا غفل عن أول الكلام ومن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظرا الى معناه (يخادعون الله) أي رسول الله فحذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله أبو علي رحمه الله وغيره أي يظهرون غير ما في أنفسهم فالخداع اظهار غير ما في النفس وقد رفع الله منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا بين اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف كأنه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما نفعهم في ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم في متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على بمؤمنين لانه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي الوصف كقولك ما هو برجل كاذب والمراد نفي الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيه يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالا من الضمير في بمؤمنين والعامل اسم الفاعل فيصير التقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يقف والوجه الاول (والذين آمنوا) أي يخادعون رسول الله

القتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويعنيه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير * قوله عز وجل (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر * وسميت انسانا لانك ناسي * وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله (وباليوم الآخر) أي آمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده لا حد له ولا آخر قال الله تعالى ردا على المنافقين (وما هم بمؤمنين) نفى عنهم الايمان بالكلية (يخادعون الله والذين آمنوا) أي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر وأصلها في اللغة الاخفاء والخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تكون في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة قلت

والمؤمنين باظهار الايمان واضمار الكفر (وما يخدعون الا أنفسهم) أى وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة الخادعين الا أنفسهم لان ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم يرجع اليهم وهو العذاب فى الآخرة يرجع اليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم وما يخادعون أبو عمرو ونافع ومكى وعذر الاولين ان خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لان النفس بهما والدم نفس لان قوام الدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالانفس هنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم (وما يشعرون) ان حاصل خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشئ علم حس من الشعار وهو ثوب يلى الجسد ومشاعر الانسان حواسه لانها آلات الشعور والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادى غفلتهم كالذى لا حس له (فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق لان الشاك مترددين الامرين والمنافق متردد فى الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولان المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد فى القلب (فزادهم الله مرضا) أى ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق فى حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف فى زيادة الايمان (ولهم عذاب أليم) فعيل بمعنى مفعل أى مؤلم (بما كانوا يكذبون) كوفى أى بكذبهم فى قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر فالمخفف من الكذب بمعنى الصدق والكذب الاخبار عن الشئ على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أى بتكذيبهم النبى عليه السلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة فى كذب كما بولغ فى صدق فقيل صدق ونظيرها بان الشئ وبين (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم (لا تفسدوا فى الارض) لكان صحيحا والفساد خروج الشئ عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد فى الارض هيج الحروب والفتن لان فى ذلك فساد ما فى الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وقيل فساد المنافقين فى الارض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدى الى هيج الفتن بينهم (قالوا انما نحن مصلحون) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعنى أن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب وما كافة لانها تكفها عن العمل (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) أنهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفى أفاد تحقيقا كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما فى ألا وان من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون

المفاعلة فيرد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن أن يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف قال يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشأنه وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم أظهروا للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ليعلموا حالهم ولتجرى عليهم أحكام الاسلام فى الظاهر وهم على خلافه فى الباطن (وما يخادعون الا أنفسهم) أى ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه ولا يكونون فى الحقيقة الا خادعين أنفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى والنفس ذات الشئ وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن (وما يشعرون) أى لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم (فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمى الشك فى الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) يعنى أن الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا (ولهم عذاب أليم) أى مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) أى بتكذيبهم الله ورسوله فى السر وقرئ بالتخفيف أى بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين (واذا قيل لهم) يعنى المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا فى الارض) أى بالكفر وصد الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (قالوا انما نحن مصلحون) يعنى يقولون كذبا (ألا) كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب (انهم هم المفسدون) يعنى فى الارض بالكفر وهو أشد الفساد (ولكن لا يشعرون) وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد

(وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) نصحوهم من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادي جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وإنما صح إسناد قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا مع أن إسناد الفعل إلى الفعل لا يصح لأنه إسناد إلى لفظ الفعل والممتنع إسناد الفعل إلى معنى الفعل فكأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما كافة كما في ربما أو مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف في كما في موضع النصب لأنه صفة مصدر محذوف أي إيمانا مثل إيمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام في أنؤمن للإنكار واللام في السفهاء مشار بها إلى الناس وإنما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم هم السفهاء وإنما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة أما الفساد في الأرض فأمر مبني على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبران وهم فصل أو مبتدأ والسفهاء خبره والجملة خبر إن (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وقرأ أبو حنيفة رحمه الله وإذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريبا منه الآية الأولى في بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم (وإذا خلوا إلى شياطينهم) خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه وبإلى أبلغ لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء أي إذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه أن نون الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه أنها زائدة واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير أو من شاط إذا بطل ومن أسمائه الباطل (قالوا إنا معكم) إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وإنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن لأنهم في خطابهم مع المؤمنين في ادعاء حدوث الإيمان منهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار وأما خطابهم مع إخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم رائجا عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد وقوله (إنما نحن مستهزؤن) تأكيد لقوله إنا معكم لأن معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزؤن رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم إنا معكم إن كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا إنما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان

وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب (وإذا قيل لهم) يعني المنافقين وقيل اليهود (آمنوا كما آمن الناس) يعني المهاجرين والأنصار وقيل عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب والمعنى أخلصوا في إيمانكم كما أخلص هؤلاء في إيمانهم لأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجهال فإن قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله (ألا إنهم هم السفهاء) يعني الجهال وأصل السفه خفة العقل ورقة الحلم وإنما سمى الله المنافقين سفهاء لأنهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء (ولكن لا يعلمون) يعني أنهم كذلك ۞ قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا) يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار (قالوا آمنا) كإيمانكم (وإذا خلوا) أي رجعوا وقيل هو من الخلوة (إلى) قيل بمعنى الباء أي (شياطينهم) وقيل بمعنى مع أي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الأشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم (قالوا إنا معكم) أي على دينكم (إنما نحن مستهزؤن) أي بمحمد وأصحابه بإظهارنا لهم الإسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي لأصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى
عليه فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى
حيث الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستئناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف في غاية الجزالة
والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل
والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله
انما نحن مستهزؤن (ويمدهم) اى يمهلهم عن الزجاج (في طغيانهم) في غلوهم في كفرهم (يعمهون) حال أي يتحيرون ويترددون
الآية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح (أولئك) مبتدأ خبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوها به واختاروها عليه وانما قال اشتروا
الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانها في قوم آمنوا ثم كفروا أو في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا
به أو جعلوا لتمكنهم منه كان الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا
الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى ذلك شراء فصار دليلا على أن من أخذ شيأ من غيره وترك عليه عوضه برضاه فهو
اشتراء وان لم يتكلم به
والضلالة الجور عن القصد
وفقد الاهتداء يقال ضل
منزله فاستعير للذهاب عن
الصواب في الدين (فما
ربحت تجارتهم) الربح
الفضل على رأس المال
والتجارة صناعة التاجر
وهو الذي يبيع ويشترى
للربح واسناد الربح الى
التجارة من الاسناد المجازي
ومعناه فما ربحوا في تجارتهم
اذ التجارة لا تربح ولما وقع
شراء الضلالة بالهدى مجازا
أتبعه ذكر الربح والتجارة
ترشيحا له كقوله
ولما رأيت النسر عز ابن
دأية * وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر الآخر
والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح
ويخسر والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم
الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين
صفة أولئك وفما ربحت تجارتهم الى آخر الآية في محل الرفع خبر أولئك (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب
المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب الامثال في ابراز خفيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك في
الكتب السماوية ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في أصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو
القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي
فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة

في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي
كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال
مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن أني
لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه
كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا (الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى
الجزاء باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار
(ويمدهم) أي يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتي المد في الشر والامداد في
الخير (في طغيانهم) أي في ضلالتهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد (يعمهون) أي يترددون
متحيرين (أولئك) يعني المنافقين (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوا الكفر بالايمان وانما
أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر فان
قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فلما
تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء (فما ربحت
تجارتهم) أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح الى التجارة لان الربح
فيها يكون (وما كانوا مهتدين) أي مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما أضاعوه
واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم ۞ قوله عز وجل (مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا) المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما

ووضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا أو لا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذى استوقد نارا على أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد أوقد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضىء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما أضاءت ما حوله) الاضاءة فرط الانارة ومصداقه قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهى فى الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء وجواب فلما (ذهب الله بنورهم) وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل اذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيئا ثابتا حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور أبلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم فى ظلمات) والظلمة عرض ينافى النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم فى ظلمات أصلهم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوى كأن الفعل غير متعد أصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد لانهم غب الاضاءة وقعوا فى ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط فى ظلمات الكفر أبدا ولكن المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم الى ظلمة العقاب السرمدى وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التى اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم (صم بكم عمى) أى هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا أن هذا فى الصفات وذلك فى الاسماء وما فى الآية تشبيه بليغ فى الاصح لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام

الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال فى كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة فى الكشف والبيان لانه يؤثر فى القلوب ما لا يؤثره وصف الشئ فى نفسه ولان المثل تشبيه الشئ الخفى بالجلى فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية فى الايضاح وشرطه أن يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذى استوقد نارا لينتفع بها (فلما أضاءت) يعنى النار (ما حوله) يعنى حول المستوقد (ذهب الله بنورهم) فان قلت كيف وحد أولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذى استوقد نارا (وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس نزلت فى المنافقين يقول مثلهم فى نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا فى ليلة مظلمة فى مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة حائرا متحيرا فكذلك حال المنافقين أظهروا كلمة الايمان فأمنوا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم فى الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم فى القبر أو على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور أن النور أبلغ الاشياء فى الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوك فى الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه فى الآخرة الا حيرة وفى ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احداها أن المستضىء بالنار مستضىء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقى هو فى ظلمته فكأنهم لما أقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار الثانية أن النار تحتاج فى دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال (صم) أى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه (بكم) أى خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه (عمى) أى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق

(فهم لا يرجعون) لا يعودون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التي اشتروها والرجوع إلى الشيء وعنه أو أراد أنهم متحيرون
جامدون في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) مثل الله سبحانه وتعالى
شأنهم بمثل آخر لما ذكر أولا ... والمثاني في التمثيل الأول المستوقد نارا وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء
النار وهنا شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد
بالرعد والبرق وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق المعنى أو كمثل ذوي صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوي
لدلالة يجعلون عليه وإذا ذكر قوم أحدهم السماء [...] أنه لم يصرح بذكر المشبهات كما
صرح في قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي بل جاء به مطويا ذكره على سنن الاستعارة والصحيح أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا
يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به [...] أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس
وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها الآية فالمراد تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين
من حمل أسفار الحكمة وجهل ما فيها [...] ولا يشعر من ذلك الاعتبار [...] وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا الخضر [...] فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط
بعض ببعض ومصيره شيئا واحدا فلا وكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة

شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والتمثيل الثاني أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ولذا أخروهم

والباطل فهو لا يبصره كمن لا بصر له فهو أعمى كأنه [...] ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا إليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهبت إدراكاتها كقول الشاعر

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

(فهم لا يرجعون) أي عن ضلالهم وسفاهتهم * قوله تعالى (أو كصيب) أي كأصحاب صيب وهو كل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب (من السماء) أي من السحاب لأن كل ما علاك فأظلك فهو سماء [...] وقيل من السماء [...] ذكر الله تعالى السماء وإن كان المطر لا ينزل إلا منها الرد على من زعم أن المطر ينعقد من أبخرة الأرض فأصل مذهب الحكماء بقوله من السماء [...] أن المطر ليس من أبخرة الأرض كما زعم الحكماء (فيه) أي الصيب (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) هو الصوت الذي يسمع من السحاب (وبرق) هي النار التي تخرج منه قال ابن عباس [...]

يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ وعطف أحد التمثيلين على الآخر بأو لأنها في [...] مثلك
أصلها للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فأطلقت للتساوي من غير شك كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان في
استصواب أن تجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي الآثم والكفور متساويان في وجوب العصيان فكذا هنا معناه أن كيفية
المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين وأن الكيفيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن
مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل من صاب يصوب ويقال للسحاب صيب أيضا وتنكير صيب لأنه نوع من المطر شديد
هائل كما نكرت النار في التمثيل الأول والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف والفائدة في ذكر السماء والصيب لا يكون إلا من السماء
أنه جاء بالسماء معرفة فأفاد أنه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء
ففي التعريف مبالغة كما في تنكير صيب وتركيبه [...] وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من زعم أنه يأخذ من البحر
ويرتفع ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لأنه قد قوي لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الأخفش وسيبويه
والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه أو ملك يسوق السحاب والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا
إذا لمع والضمير في فيه يعود إلى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فإن أريد به السحاب فظلماته إذا كان أسحم مطبقا ظلمة سحمته
وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة إظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا
للرعد والبرق على إرادة السحاب به ظاهر وكذا إن أريد به المطر لأنهما ملتبسان به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لأنهما مصدران في الأصل
يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا فروعي حكم الأصل بأن ترك جمعهما وتنكير هذه الأسماء لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه

داهية ورعد قاصف وبرق خاطف (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) الضمير لأصحاب الصيب وان كان محذوفا كما فى قوله أوهم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم فى آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف أبصارهم وانما ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤس الاصابع هى التى تجعل فى الآذان اتساعا كقوله فاقطعوا أيديهما والمراد الى الرسغ ولان فى ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل وانما لم يذكر الاصبع الخاص الذى تسد به الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم فى آذانهم والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت أجرامه وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو نصفها ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته فصعق أى مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق (حذر الموت) مفعول له والموت فساد بنية الحيوان أو عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة (والله محيط بالكافرين) يعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها (يكاد البرق يخطف أبصارهم) الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد (كلما أضاء لهم) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف أى كل وقت أضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو (مشوا فيه) أى فى ضوئه وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين كشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين وأضاء متعد أى كلما نور لهم مسلكا أخذوه والمفعول محذوف أو غير متعد أى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره والمشى جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعى فاذا ازداد فهو عدو (واذا أظلم عليهم) أظلم غير متعد وذكر مع أضاء كلما ومع أظلم اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشى فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف

ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهى البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (حذر الموت) أى مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) أى عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويهلكهم (يكاد البرق) أى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف أبصارهم) أى يختلسها والخطف استلاب الشئ بسرعة (كلما) أى متى ما جاء ٢ (أضاء لهم) يعنى البرق (مشوا فيه) أى فى اضاءته ونوره (واذا أظلم عليهم قاموا) أى وقفوا متحيرين وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون أصابعهم

٢ قوله أى متى ما جاء هكذا فى جميع النسخ التى بأيدينا ولم تظهر لنا فائدة جاء فلعلها زائدة وكذا قوله فيما بعد من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها ليس الظاهر من التعبير بكاد فى الآية اه مصححه

(قاموا) وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء إذا جمد (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) بقصيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق ومفعول
شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا
يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله * ولو شئت أن أبكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
لو أردنا أن نتخذ لهوا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا (إن الله على كل شيء قدير) أي إن الله قادر على كل شيء ولما عدد الله فرق المكلفين
المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل
بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال (يا أيها الناس) قال علقمة ما في القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لأهل مكة وما فيه يا أيها الذين
آمنوا فهو خطاب لأهل المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء البعيد وأي والهمزة للقريب ثم استعمل في مناداة من
سها وغفل وإن قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد وإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتوكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا وقول
الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من (٣٤) حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط
مع فرط التهالك على استجابة دعوته وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه يا أي والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أي من الإضافة وكثر النداء
في القرآن على هذه الطريقة لأن ما نادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب
جسام يجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ (اعبدوا ربكم)
قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القرآن فهو توحيد (الذي خلقكم) صفة موضحة مميزة لأنهم كانوا يسمون الآلهة أربابا
إيجاد المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة إيجاد الشيء على تقدير واستواء وهذا بناء على أن المعدوم شيء عندهم لأن الشيء ما صح أن
يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود خلقكم بالإدغام أبو عمرو (والذين من قبلكم) احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من
قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام (لعلكم تتقون) أي اعبدوا على رجاء أن
تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل للترجي والإطماع ولكنه إطماع من كريم فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيبويه وقال
قطرب هو بمعنى كي أي لكي تتقوا (الذي جعل لكم الأرض) أي صير والذي نصب على المدح أو رفع بإضمار هو (فراشا)
تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كرية إذ الافتراش ممكن على التقديرين
(والسماء بناء) سقفا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمي به المبني

في آذانهم يعني المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين
يعني لا ينفعهم الهرب لأن الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الإسلام تزعجهم إلى
النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما أضاء لهم يعني المنافقين وإضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان
مشوا فيه يعني على المسالمة بإظهار كلمة الإيمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا
وإذا أظلم عليهم قاموا يعني إذا رأوا شدة وبلاء تأخروا (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) أي
(وأبصارهم) بوميض البرق وقيل لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم
الباطنة (إن الله على كل شيء قدير) أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه * قوله عز وجل (يا أيها
الناس) قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لأهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة وهو
خطاب عام لسائر المكلفين (اعبدوا ربكم) قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة
فمعناه التوحيد وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال والإنعام
وهو الله تعالى (الذي خلقكم) أي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق (والذين من قبلكم) أي
وخلق الذين من قبلكم (لعلكم) لعل وعسى حرفا ترج وهما أي كل منهما من الله واجب (تتقون) أي
تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب
الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي خلق لكم الأرض
وطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الأرض (والسماء بناء) أي
مرفوعا قيل إذا تأمل الإنسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء مرفوعة
كالسقف والأرض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والإنسان كمالك البيت وفيه ضروب النعم
المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الإنسان المسخر له هذه الأشياء شكر

(وأنزل من السماء ماء) مطرا (فأخرج به) بالماء ثم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده ولكن جعل الماء سببا في خروجها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على انشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن في (من الثمرات) للتبعيض أو للبيان (رزقا) مفعول له ان كانت للتبعيض ومفعول به لأخرج ان كانت للبيان وانما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لان المراد جماعة الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية (لكم) صفة جارية على الرزق ان أريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم (فلا تجعلوا لله أندادا) هو متعلق بالامر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله أندادا لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل له ند ولا شريك ويجوز أن يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لان الكلام يتضمن الجزاء أي الذى حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه (وأنتم تعلمون) أنها لا تخلق شيأ ولا ترزق والله الخالق الرازق أو ومعمول تعلمون متروك أي وأنتم من أهل العلم وجعل الاصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير في فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك بخلقهم أحياء قادرين وخلق الارض التي هي مثواهم ومستقرهم وخلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الثمار رزقا لبني آدم فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيأ من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شيء منها عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر اعجاز القرآن فقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى (على عبدنا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون

الله تعالى عليها (وأنزل من السماء) يعني السحاب (ماء) يعني المطر (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات) يعني من ألوان الثمرات وأصناف النبات (رزقا لكم) أي وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله أندادا) يعني أمثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل (وأنتم تعلمون) يعني انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها أندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له ﴿ قوله تعالى (وان كنتم في ريب) أي ان كنتم في شك لان الله تعالى علم أنهم شاكون (مما نزلنا على عبدنا) أي محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند أتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى (فأتوا) أمر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن

أنزلنا لان المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيأ فشيأ لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بخطبه ضربة فلو أنزله الله لانزله جملة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذى وقع انزاله هكذا على تدريج (فأتوا بسورة) أي فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت أصلا فاما أن تسمى بسور المدينة وهو حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لانها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها واما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أيضا في نفسها مرتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وان كانت منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء وأما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فهي كثيرة ولذا أنزل الله تعالى التوراة والانجيل والزبور وسائر ما أوحاه الى أنبيائه مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم منها ان الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بابا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ومنه حديث أنس رضي

(من مثله) متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا أى بسورة كائنة من مثله يعنى فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم أو لعبدنا أى فأتوا ممن هو على حاله من كونه أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظيره هنالك ورد الضمير الى المنزل أولى لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن الكلام مع رد التعبير الى الله أحسن ترتيبا وذلك ان الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولأن هذا التفسير يلائم قوله (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة (من دون الله) أى غير الله شهداءكم أى ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق

(٣٦)

من يشهد لكم انه مثل القرآن (ان كنتم صادقين) ان ذلك مختلق وأنه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أى ان كنتم صادقين فى دعواكم فأتوا أنتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) لما أرشدهم الى الجهة التى منها يتعرفون صدق النبى عليه السلام قال لهم فاذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله

معلومة الاول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) أى مثل القرآن وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم أى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ... العلم عن أحد ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى التحدى وانما وقع الكلام فى المنزل ألا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على ان القرآن معجز ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة يأتى بالقصة فى اللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وانه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحيرت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمعذق وان أعلاه لمثمر (وادعوا شهداءكم من دون الله) أى استعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها فى ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون فى دعواكم انها آلهة وقيل معناه وادعوا ناسا يشهدون لكم (ان كنتم صادقين) ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه (فان لم تفعلوا) أى فيما مضى (ولن تفعلوا) فيما بقى وهذه الآية دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شىء منه وذلك ان النفوس الأبية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع فى الاتيان بمثل القرآن أو بمثل شىء منه ولو قدروا على ذلك لأتوا به فحيث لم يأتوا بشىء ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبى الذرارى وأخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى (فاتقوا النار) أى فآمنوا واتقوا بالايمان النار (التى وقودها) أى حطبها (الناس والحجارة) قال ابن عباس

ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم فجىء بان الذى للشك دون اذا الذى للوجوب وعبر عن الاتيان بالفعل لانه فعل من الافعال والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا اذ لو لم يعدل من لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانها جملة اعتراضية وحسن هذا الاعتراض لان الشرط للتردد فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا ولا ولن أختان فى نفى المستقبل الا ان فى لن تأكيدا وعن الخليل أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفى المستقبل واعلم انه اخبار عن الغيب على ما هو به حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عددا من الذابين عنه وشرط فى اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله لانهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول واذا صح عندهم صدقه

لزموا العناد وأبوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد ووضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهي من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن والوقود ما ترفع به النار وهو الحطب وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح وصلة الذي والتي يجب أن تكون معلومة للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لان تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه أولا ومعنى قوله تعالى وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس والحجارة وهي حجارة الكبريت فهي أشد توقدا وأبطأ خمودا وأنتن رائحة وألصق بالبدن أو الاصنام المعبودة فهي أشد تحسرا وانما قرن الناس بالحجارة لانهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أندادا ونحوه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي حطبها فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم (أعدت للكافرين) هيئت لهم وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافا لما يقوله جهم سنة الله في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لانه يؤذن بأن الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد باحساني اليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال أخبرني مكان بشرني عتقوا جميعا لانهم أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه

عباس هي حجارة الكبريت لانها أكثر التهابا وقيل بجميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل أراد بها الاصنام لان أكثر أصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم (أعدت) أي هيئت (للكافرين) قوله عز وجل (وبشر الذين آمنوا) أي أخبر المؤمنين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشيء وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله فبشرهم بعذاب أليم ولكن هو في السرور والخير أغلب (وعملوا الصالحات) أي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات أي أخلصوا الاعمال يعني عن الرياء (أن لهم جنات) جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها ومساكنها (الانهار) أي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بأمرهم وفي الحديث ان أنهار

وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس والآية حجة على من جعل الاعمال ايمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال انكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال الصالحة بالايمان ولا يحصل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل تثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أن لهم جنات) أي بأن لهم جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب بنزع الخافض عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير في التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (تجري من تحتها الانهار) الجملة في موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وأنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والانهار في خلالها مطردة والجري الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار مجازي وانما عرف الانهار لانه يحتمل ان يراد بها أنهارها

فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها
من ماء غير آسن الآية والماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على
نعوتها (كلما رزقوا) صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك
جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا
انه (منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى) أى كلما رزقوا من الجنات أى من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا
الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره أن تقول رزقني
فيقال لك من ابن فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو
العنقة وانما المراد نوع من أنواع الثمار (رزقا) أى رزقناه فحذف العائد (من قبل) أى من قبل هذا فلما قطع عن الاضافة بنى والمعنى هذا مثل
رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (٢٨) (وأتوا به متشابها) وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير فى
به يرجع الى المرزوق فى
الدنيا والآخرة جميعا لان
قوله هذا الذى رزقنا من
قبل انطوى تحته ذكر ما
رزقوه فى الدارين وانما
كان ثمار الجنة مثل ثمار
الدنيا ولم تكن أجناسا
أخر لان الانسان بالمألوف
آنس والى المعهود أميل
واذا رأى مالم يألفه نفر عنه
طبعه وعافته نفسه ولانه
اذا شاهد ما سلف له به عهد
ورأى فيه مزية ظاهرة
وتفاوتا بينا كان استعجابه
به أكثر واستغرابه أوفر
وتكريرهم هذا القول
عند كل ثمرة رزقوها
دليل على تناهى الامر
وتمادى الحال فى ظهور
المزية وعلى أن ذلك
التفاوت العظيم هو الذى
يستملى تعجبهم فى كل أوان أوان الرزق كأن هذا اشارة اليه والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى
نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون
والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذى نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى
مكانها مثلها فاذا أبصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك وقوله وأتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن
ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (ولهم فيها أزواج) أزواج مبتدأ ولهم الخبر
للاستقرار (مطهرة) من مساوى الاخلاق لا طمحات ولا مرحات أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص من
البول والغائط وسائر الاقذار والادناس ولم تجمع الصفة كالموصوف لانهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة أبلغ لا
للتكثير وفيها اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذلك الا الله عز وجل (وهم فيها خالدون) الخلد والخلود البقاء الدائم
بطلان قول الجهمية فانهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لانه تعالى وصف بانه الاول والآخر وتحقيق وصف الاولية بسبقه على الخلق

الجنة تجرى فى غير أخدود أى فى غير شق والخد الشق (كلما رزقوا) أى أطعموا (منها) أى من الجنة (من
ثمرة رزقا) أى طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) أى فى الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة فى اللون مختلفة
فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الاولى (وأتوا به) أى بالرزق (متشابها) قال ابن عباس
فى الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا فى الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم (م) عن جابر
ابن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون
ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح
المسك وفى رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أى يجرى على ألسنتهم كما يجرى
النفس فلا يشغلهم عن شئ كما أن النفس لا يشغل عن شئ قوله طعامهم جشاء يعنى أن فضول طعامهم تخرج
فى الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى (ولهم فيها) أى فى الجنات (أزواج) أى من الحور
العين (مطهرة) يعنى من البول والغائط والحيض والنفاس وسائر الاقذار وقيل هن عجائز كم الغمص الرمص
طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوى الاخلاق قيل فى الجنة جماع ما شئت ولا ولد (وهم فيها
خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذى لا انقطاع له (ق) عن أبى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على
أشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون أمشاطهم الذهب
ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة أبيهم آدم
ستون ذراعا فى السماء وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن
لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا (ق) عن أبى موسى
الاشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء
ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا عن أبى هريرة قال قلت يا رسول

فيجب تحقيق وصف الآخر بما يتأخر من سائر المخلوقات وإنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولأنه تعالى باق وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال قلنا الأول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده والآخر هو الذي لا انتهاء له وفي حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال وذا في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا ما قالوه وأنى يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود • فلما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة) أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها وأصل الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدي بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته عموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قال لا يستحيي أن يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين على أن ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت (فما فوقها) فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة أو فما زاد عليها في الحجم كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهو النهاية في الصغر لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبنيتهم خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس إسناده بذلك القوي • عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذي (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا • عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة وقيل قال المشركون إنا لا نعبد إلها يذكر هذه الأشياء وذلك لأن الكفار واليهود كانوا متفقين على إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى إن الله لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويلام عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا أصله في وصف الإنسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فإذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لأن لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه ذلك العمل القبيح ونهايته ترك ذلك العمل القبيح فإذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا أي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود قيل ما قيل ما صلة فيكون المعنى أن يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للإبهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى إن الجمل يموت من قرصه فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أحقر من ذرة وأجمع

مثلاً ما بعوضة (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق) الضمير للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب (من ربهم) في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) وفي قوله ماذا أراد الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجبا لابن عمرو هذا استحقارا له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيده وأنه لا محالة ذاهب قلت أما زيد فذاهب ولذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وأنه في معنى الشرط وفي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فهم يعلمون والذين كفروا فيقولون احماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما وأن تكون ذا مركبة مع ما جعلتا اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة فعلى الأول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته أي أراده محذوف وعلى الثاني منصوب المحل بأراد والتقدير أي شيء أراد الله والارادة مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند أهل السنة وقال معتزلة بغداد إذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وان فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة وأهل الهدى كثيرون في أنفسهم وانما يوصفون

بالقلة بالقياس الى أهل الضلال
ولأن القليل من المهتدين
كثير في الحقيقة وان قلوا
في الصورة * ان الكرام
كثير في البلاد وان * قلوا
كما غيرهم قل وان كثروا
والاضلال خلق فعل الضلال
في العبد والهداية خلق فعل

الاهتداء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة وسياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به كذلك وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ألا ترى ان الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل لذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر في الأمور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه الحق وان الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا وحكموا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وخشاش الارض فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من فراشة وآكل من السوس ومن البعوضة وأعز من مخ البعوض ولكن ديدن المحجوج المبهوت أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح (وما يضل به الا الفاسقين) هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد وفي الشريعة الخروج عن الأمر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله ان شاء الله (الذين ينقضون عهد الله) النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقو الكفار جميعا وعهد الله ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا

من علة وأطيش من ذبابة وآلح من ذبابة (فأما الذين آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فيعلمون أنه) يعني ضرب المثل (الحق) يعني الصدق (من ربهم) الثابت الذي لا يجوز انكاره لأن ضرب المثل من الأمور المستحسنة في العقل وعند العرب (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي بهذا المثل (يضل به كثيرا) أي من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدي به كثيرا) يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون أنه حق (وما يضل به الا الفاسقين) يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى (الذين ينقضون) أي يخالفون ويتركون وأصل النقض الفسخ وفك المركب (عهد الله) أي أمر الله وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) أي من بعد عقده وتوكيده ومعنى هذا العهد أقوال أحدها أنه

أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذى أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم الآية وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (من بعد ميثاقه) صلة من الوثاقة وهى احكام الشئ والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كالميعاد بمعنى الوعد أو لله تعالى أى من بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين أو قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاجتماع على الحق فى ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى وأن يوصل فى موضع جر بدل من الهاء أى وصله أو فى موضع رفع أى هو أن يوصل (ويفسدون فى الارض) بقطع السبيل والتعويق عن الايمان (أولئك) مبتدأ (هم) فصل والخبر (الخاسرون) (٢٧) أى المغبونون حيث استبدلوا النقض

أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى الثانى المراد به الذى أخذه على أحبار اليهود فى التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل فى كتابه من الآيات الدالة على توحيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعنى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل أراد به قطع الارحام التى أمر الله بوصلها (ويفسدون فى الارض) يعنى بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك هم الخاسرون) أى المغبونون وأصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركى العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعنى بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم أمواتا) يعنى نطفا فى أصلاب آبائكم (فأحياكم) يعنى فى الارحام والدنيا (ثم يميتكم) أى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعنى بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) أى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم ۞ قوله عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما فى الارض جميعا لتنتفعوا به فى مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر فى عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى الى السماء) أى قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفى رواية عنه صعد قال الزهرى معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله تعالى خلق الارض أولا ثم عمد الى خلق السماء فان قلت كيف الجمع بين هذه وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل أيضا لان قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا يقتضى ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه ألم أعطك ألم أرفع قدرك ألم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم

بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كيف تكفرون بالله) معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو فى (وكنتم أمواتا) نطفا فى أصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قول ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضا كقوله تعالى بلدة ميتا (فأحياكم) فى الارحام (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) تصيرون الى الجزاء أو ثم يحييكم فى قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وانما كان العطف

الاول بالفاء والبواقى بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بلا تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت ان أريد النشور وان أريد احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا متراخ عن النشور وانما أنكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولانها تشتمل على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر (هو الذى خلق لكم ما فى الارض) أى لاجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الاول فظاهر وأما الثانى فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد استدل الكرخى وأبو بكر الرازى والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الاشياء التى يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة فى الاصل (جميعا) نصب على الحال من ما (ثم استوى الى السماء) الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أى قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ ومنه قوله تعالى ثم استوى الى السماء أى أقبل وعمد الى خلق السموات بعد ما خلق ما فى الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شئ

أثر والمراد بالسماء جهة العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في (فسواهن) مبهم يفسره (سبع سموات) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لانها في معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو إتمام خلقهن وثم هاهنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منها السموات وأمسك الفهر في موضعه او بسط منها الارض فذلك قوله تعالى كانتا رتقا وهو الالتزاق (وهو بكل شيء) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم

(فسواهن سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتي ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو بكل شيء عليم) يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات ۞ قوله تعالى (واذ قال ربك) أي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا الحرف فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول أولى (للملائكة) جمع ملك وأصله مألك من المألكة والالوكة وهي لفظ البغوي وهي الرسالة وأراد الذين كانوا في الارض وذلك أن الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا الارض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم وأشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال الله له ولجنده (اني جاعل في الارض خليفة) أي اني خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح أنه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في أرضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) أي بالمعاصي (ويسفك الدماء) اي بغير حق كما فعل الجن فان قيل من أين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم أو قاسوا على الغائب وقيل انهم لما رأوا ان آدم خلق من أخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب فيتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم الى أنهم غير معصومين واستدل على ذلك منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا أجابهم بقوله اني أعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل (ونحن نسبح بحمدك) أي نقول سبحان

وأخواته مدني غير ورش وأبو عمرو وعلي جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد فهم يقولون في عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الارض أسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فأفسدت الجن في الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيه عليه السلام أن يذكر قصتهم فقال (واذ قال ربك للملائكة) اذ نصب باضمار اذكر والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع (اني جاعل) أي مصير من جعل الذي له مفعولان وهما (في الارض خليفة) وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة

والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف أو خلفاء لانه أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلفا يخلفكم فوحد ولان آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وانما أخبرهم بذلك ليسألوا عن ذلك ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم أو ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (ويسفك الدماء) أي يصب والواو في (ونحن نسبح) للحال كما تقول أتحسن الى فلان وأنا أحق منه بالاحسان (بحمدك) في موضع الحال أي نسبح حامدين لك أو متلبسين بحمدك

الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك (ونقدس لك) أصل التقديس التطهير أي نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك (قال اني أعلم ما لا تعلمون) قيل انه جواب لقول الملائكة أتجعل فيها فقال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني ويطيعني وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

﴿فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام﴾ قيل ان الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات * عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب * وأما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى الى الارض اني خالق منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار قالت الارض أتخلق مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلما أتاها ليقبض منها قالت أعوذ بعزة الله الذي أرسلك الي أن لا تأخذ مني شيأ فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت أن أقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فأتني بقبضة منها فلما أتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فأتني بقبضة من الارض فلما أتاها قالت له الارض أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن لا تأخذ مني شيأ فقال وأنا أعوذ بعزته أن أعصي له أمرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الارض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لأخلقن مما جئت به خلقا ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شاء الله ثم أخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا رأوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لأمر ما خلق هذا ثم نظر اليه فاذا هو أجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لئن فضل علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يا رب كيف أدخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى أن وصلت منخره فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي أول كلمة قالها فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى ركبتيه هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا وأحشاء وكسي لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل في جسده تسعة أبواب سبعة في رأسه وهي الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم

تعالى وقد دخلوا بالكفر أي دخلوا كافرين (ونقدس لك) ونطهر أنفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح في الارض وقدس فيها اذا ذهب فيها وأبعد (قال اني أعلم ما لا تعلمون) أي أعلم من الحكم في ذلك ما هو خفي عليكم يعني يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء وما بمعنى الذي وهو مفعول أعلم والعائد محذوف أي ما لا تعلمونه اني حجازي وأبو عمرو

(وعلم آدم) هو اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم آدم من أديم الأرض أو من [illegible]
[illegible] إدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس (الأسماء كلها) أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر
الأسماء لأن الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الأسماء على
أن الأسماء حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه

لأن التعليم تعلق بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء وأ[نبئهم] بقوله أنبئوني بأسماء هؤلاء وأنبئهم بأسمائهم ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما علمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة (ثم عرضهم على الملائكة) أي عرض المسميات وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت (فقال أنبئوني) أخبروني (بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا (قالوا سبحانك) تنزيها لك أن يخفى عليك شيء أو عن الاعتراض عليك في تدبيرك وأفادتنا الآية أن علم الأسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشريعة وانتصابه على المصدر وتقديره سبحت الله تسبيحا (لا علم لنا إلا ما علمتنا) وليس فيه علم الأسماء وما بمعنى الذي والعلم بمعنى المعلوم أي لا معلوم لنا إلا الذي علمتنا (إنك أنت العليم) غير المعلم (الحكيم) فيما قضيت والكاف اسم إن وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر إن أو أنت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما [illegible]) سمى كل شيء باسمه (قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) أي أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان وما يكون (وأعلم ما تبدون)

ثم جعل فيه لسانا يتكلم به والأسنان يطحن بها ما يأكله وجعل له معدة تطبخ ما يأكله وما بين في أسـ[فل] جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده وغيبته في رئته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك * عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه [وسلم] يقول إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه الترمذي وأبو داود قوله عز وجل (وعلم آدم الأسماء كلها) سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض وقيل لأنه كان آدم اللون و[كنيته] أبو محمد وقيل أبو البشر ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الأشياء كلها وذلك أن الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فأظهر [الله فضل] آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلا قال ابن [عباس] علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك و[علم آدم] أسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذا شاة حتى أتى على آخرها وقيل علم آدم أسماء الملائكة وأسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعني تلك الأشخاص وإنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والإناث بلفظ المذكر (على الملائكة فقال) يعني تعجيزا لهم (أنبئوني) أي أخبروني (بأسماء هؤلاء) تلك الأشخاص (إن كنتم صادقين) أي أني لم أخلق خلقا إلا كنتم أفضل منه وأعلم (قالوا) يعني الملائكة (سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا علم لنا إلا ما علمتنا) أي إنك أجل من أن نحيط بشيء من [علمك] إلا ما علمتنا (إنك أنت العليم) أي بخلقك وهو من أسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (ا[لحكيم]) أي في أمرك وله معنيان أحدهما أنه القاضي العدل والثاني المحكم للأمر كيلا يتطرق إليه الفساد (قال) يعني الله تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) يعني الله تعالى (ألم أقل لكم) يعني يا ملائكتي (إني أعلم [غيب] السموات والأرض) يعني ما كان وما سيكون وذلك أنه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن [يخلقه] قال لهم إني أعلم ما لا تعلمون (وأعلم ما تبدون) يعني قول الملائكة أتجعل فيها (وما كنتم تكتمون)

قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس أعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية ﴿ قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا سكان الارض والاصح أنه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس (فسجدوا) يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لامره والقول الثاني ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الانبياء على الملائكة (الا ابليس) سمي به لانه ابلس من رحمة الله أي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل أنه استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما أن آدم أصل الانس والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (أبى) أي امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى فانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار ﴿ قوله عز وجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي اتخذها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما أسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما لما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ آدم من نومه ورآها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الي وأسكن اليك واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل أنه لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع (وكلا منها رغدا) أي واسعا كثيرا (حيث شئتما) أي كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق

(وما كنتم تكتمون) تسرون (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أي اخضعوا له وأقروا له بالفضل ... أبي بن كعب وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح اذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه ابليس وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لاحد الا لله تعالى (فسجدوا الا ابليس) الاستثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه وطفا قال ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ولانه أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ولانه قال أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) تكبر عنه (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباءه واستكباره ورده الامر لا بترك العمل بالامر لان ترك السجود لا يخرج من الايمان ولا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج أو كان من الكافرين في علم الله أي وكان في علم الله أنه يكفر بعد ايمانه لانه كان كافرا أبدا في علم الله وهي مسئلة الموافاة (وقلنا يا آدم اسكن) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى اذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا (أنت) تأكيد للمستكن في اسكن ليصح عطف (وزوجك) عليه (الجنة) هي جنة الخلد التي وعدت للمتقين للنقل المشهور واللام للتعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها وأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد (وكلا منها) من ثمارها فحذف المضاف (رغدا) وصف للمصدر أي أكلا رغدا واسعا (حيث شئتما) شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المبهم أي أي مكان من

[illegible] (ولا تقربا هذه الشجرة) أى الحنطة وقد قيل كيف لا يعصى الانسان وقوته من شجرة العصيان أو الكرمة لانها أصل كل
أو التينة (فتكونا) جزم عطف على تقربا أو نصب جواب النهى (من الظالمين) من الذين ظلموا أنفسهم أو من الضارين أنفسهم (فأزلهما
الشيطان عنها) أى عن الشجرة أى حملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما

عنها أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما فأزالهما حمزة. وزلة آدم بالخطأ في التأويل اما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والاول الوجه وهذا دليل على انه يجوز اطلاق اسم الزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى فانه اسم لفعل يقع على خلاف الامر من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشى في الطين وقال مشايخ سمرقند لا نطلق اسم الزلة على أفعالهم كما لا نطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا عليه (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أو من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقد توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم لانه منع عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وروى انه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية

في الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهى عنه وهو قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) يعنى للاكل قيل انه
وقع هذا النهى عن جنس الشجرة وقيل عن شجرة مخصوصة قال ابن عباس هى السنبلة وقيل الكرم
وقيل هى شجرة التين وقيل هى شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على
التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعريف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه
(فتكونا من الظالمين) يعنى انكما ان أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على
الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية وأصل الظلم وضع الشئ في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حمل
على انه فعل ما كان الاولى أن لا يفعله وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف
الانبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم قلت لا يجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم * قوله عز وجل (فأزلهما
الشيطان) أى استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهى الخطيئة وسيأتى الكلام ان شاء الله تعالى على
عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى في سورة طه (عنها) أى عن
الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) يعنى من النعيم وذلك أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم
وحواء فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم
البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون
وقيل انما أتاهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما
ان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد
وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول
من ناح فقالا ما يبكيك قال أبكى عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك في
أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه
فقاسمهما بالله انى لكما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة
ثم ناولت آدم فأكل منها قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى
يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا
يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا نكدا فأهبط من الجنة وعلم
الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه
ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التى
نهى عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يارب زينته لى حواء قال فانى أعقبتها أن لا تحمل
الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك
والرنة الصوت فلما أكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة قوله
عز وجل (وقلنا اهبطوا) أى انزلوا الى الارض يعنى آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من
أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بجدة وابليس بالابلة من أعمال البصرة والحية بأصبهان
(بعضكم لبعض عدو) يعنى العداوة التى بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله
عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التى بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس

حتى دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى (وقلنا اهبطوا) الهبوط النزول الى الارض والخطاب لآدم وحواء وابليس ... رسول
وقيل والحية والصحيح لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا أصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس كلهم ويدل
تعالى قال اهبطا منها جميعا (بعضكم لبعض عدو) المراد به ما عليه الناس من التباغى والتعادى وتضليل بعضهم لبعض والجملة في موضع

رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الحيات كلها الا الجان الابيض الذي كأنه قضيب فضة م عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي رواية ان لهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيئا فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومتاع) أي بلغة ومستمتع (الى حين) أي الى وقت انقضاء آجالكم ﴿ قوله عز وجل (فتلقى آدم) أي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) أي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هي لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين وقيل قال آدم يارب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته على قبل أن تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لي وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما وقيل لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) أي فتجاوز عنه وغفر له وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حصلت التوبة وسيأتي بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان شاء الله تعالى (انه هو التواب) أي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ في قبول توبة عباده (الرحيم) أي بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم (قلنا اهبطوا منها جميعا) يعني هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتأكيد (فاما يأتينكم مني هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كأنه قال وان أهبطتكم من الجنة الى الارض فقد أنعمت عليكم بهدايتي التي تؤديكم الى الجنة مرة أخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل الخطاب هم ذرية آدم يعني يا ذرية آدم اما يأتينكم مني رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم)

الى الارض اهبطوا أي انتم بما اشتملتما عليه من ذريتكما بعضكم لبعض عدو (ولكم في الارض مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع) ما تتمتعون به من نباتها (الى حين) الى يوم القيامة أو الى الموت قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها ونصب آدم ورفع كلمات مكي على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعبرة وعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان أحب الكلام الى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في من روحك ألم تسبق رحمتك غضبك ألم تسكني جنتك وهو تعالى يقول بلى بلى قال فلم أخرجتني من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت أراجعي أنت اليها قال نعم (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لان حواء كانت تبعا له وقد طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك (انه هو التواب) الكثير القبول للتوبة (الرحيم) على عباده (قلنا اهبطوا منها جميعا) حال أي مجتمعين وكرر الامر بالهبوط للتأكيد أو لان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثاني من السماء الى الارض أو لما نيط به من زيادة قوله (فاما يأتينكم مني هدى) أي رسول أبعثه اليكم أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله (فمن تبع هداى) أي بالقبول والايمان به (فلا خوف عليهم) في

المستقبل (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا والشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول كقولك إن جئتني فإن قدرت
ما مسح في كل القرآن مقلوب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب النار) أي أهلها ومستحقوها وهو واقع
موضع ارتفع خبر المبتدأ أي والذين (هم فيها خالدون) (يا بني إسرائيل) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه في
أو عبد الله فإسرا هو العبد أو الصفوة

وإيل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة (اذكروا نعمتي
التي أنعمت عليكم) ذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما أنعم به عليهم من إدراك محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والإنجيل (وأوفوا) أدوا وافيا تاما يقال وفى له بالعهد فأوفى به ووفى له بالعهد فهو موف به والاختيار أوفى وبه نزل التنزيل (بعهدي) بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي أو من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعا وفي قوله فيما أنعم ولا تكفرون وقال أهل الإشارة أوفوا في دار محنتي على بساط خدمتي بحفظ حرمتي أوف في دار نعمتي على بساط كرامتي بسرور رؤيتي (وإياي فارهبون) فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيد رهبته وهو أوكد
في إفادة الاختصاص من إياك نعبد وإياي منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا إياي فارهبون وحذف الأول لأن الثاني
تدل عليه وإنما لم ينصب بقوله فارهبون لأنه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يعمل نصب زيدا في
ما ضربته الذي هو ظاهر (وآمنوا بما أنزلت) يعني القرآن (مصدقا) حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقا

نبي وما شرعه لهم (ولا هم يحزنون) أي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة (والذين
كفروا) أي جحدوا (وكذبوا بآياتنا) أي بالقرآن (أولئك أصحاب النار) أي يوم القيامة (
هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ۞ قوله عز وجل (يا بني إسرائيل) اتفق المفسرون
على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى إسرائيل
وقيل صفوة الله وقيل عبد الله والمعنى يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي اشكروا
وإنما عبر عنه بالذكر لأن في ذكر النعمة شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان ووحد النعمة لأنها اسم جنس النعمة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير ومعناه أن المنعم
لا يكون نعمة ولو فعل الإنسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة إذا لم يقصد بها الغير أن النعم
نعمة تفرد بها الله تعالى وهي إيجاد الإنسان ورزقه ونعمة وصلت إلى الإنسان بواسطة الغير لكن
من ذلك المنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للإنسان بسبب الطاعة وهي أيضا من الله
فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لأن أصول النعم كلها منه وأما النعم المختصة ببني إسرائيل فكثيرة لأنه
اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناه الجمع من النعم أن الله نجاهم من فرعون وفلق البحر لهم وأنجاهم
من فرعون وظللهم بالغمام وأنزل المن والسلوى في التيه عليهم وأنزل التوراة ونعم غير هذه كثيرة فإن
قيل هذه النعمة إنما كانت على المخاطبين بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة
يذكرونها قلت إنما ذكر المخاطبين بها لأن شرف الآباء شرف الأبناء ولأن الأبناء إذا سمعوا أن الله قد أنعم على
آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل إن هذه النعمة هي إدراك المخاطبين زمن النبي
صلى الله عليه وسلم وقد ترك الإيمان به (وأوفوا بعهدي) أي امتثلوا أمري (أوف بعهدكم) أي بالثواب
والثواب وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ومعناه هنا الموثق الذي يلزم مراعاته وقيل
أراد بالعهد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص بعض الأشكال دون بعض وقيل أراد به ما ذكر في
المائدة وهو قوله ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا إلى قوله لأكفرن
عنكم سيئاتكم فهذا قوله أوف بعهدكم وقيل هو قوله وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما آتيناكم بقوة يعني بما في التوراة وقيل هو قوله وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون
أراد بهذا العهد ما أثبته في كتب الأنبياء المتقدمين من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مبعوث في
آخر الزمان وذلك أن الله عهد إلى بني إسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام إني باعث من بني
إسماعيل نبيا أميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين وهو
وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم (وإياي
فارهبون) أي خافوني في نقضكم العهد (وآمنوا بما أنزلت) يعني بالقرآن (مصدقا لما معكم) يعني
القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالإيمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق بالتوراة لأن التوراة فيها الإشارة إلى نعت النبي صلى الله عليه وسلم

التوراة يعني في العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام (ولا تكونوا أول كافر به) أي أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير في به يعود الى القرآن (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بآياتي) بتغييرها وتحريفها (ثمنا قليلا) قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله (وإياي فاتقون) ثم فوني فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين وكذلك كل ياء محذوفة في الخط يعقوب (ولا تلبسوا الحق بالباطل) لبس الحق بالباطل خلطه والباء ان كانت صلة مثلها في (٤٩) قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه (وتكتموا الحق) هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهما أمران متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد أو حكم كذا (وأنتم تعلمون) في حال علمكم انكم لابسون وكاتمون وهو أقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي صلاة

المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم أي أسلموا واعملوا عمل أهل الاسلام وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا بالصلاة مع المصلين يعني في الجماعة أي صلوا مع المصلين لا منفردين والهمزة في (أتأمرون الناس) للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم (بالبر) أي بسعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها

نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولا تكونوا أول كافر به) الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود أول من كفر به فان قلت كيف جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب من أهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب أن تكونوا أول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا أول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولا تشتروا) أي ولا تستبدلوا (بآياتي) أي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيأ معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة وأصروا على الكفر (وإياي فاتقون) أي فخافون في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف ﴿ قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي أنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل أي بصفة الدجال وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه (وأقيموا الصلاة) يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها (وآتوا الزكاة) أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع ولهذا المعنى أعاده بعد قوله وأقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين في الجماعة ﴿ قوله عز وجل (أتأمرون الناس بالبر) الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم

جامع لجميع أعمال الخير والطاعات نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه
وحليفه من المسلمين اذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان أمره حق وقوله صدق
وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم
في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك لانهم
كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون
بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك (وتنسون أنفسكم) أي وتتركونها
فيه شيء والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون
محمدا صلى الله عليه وسلم (وأنتم تتلون الكتاب) يعني تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته وفيها أيضا الحث على الاعمال الحسنة والاعراض عن الاعمال القبيحة والاثم (أفلا تعقلون) يعني
حق فتتبعونه والعقل قوة تهيء لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل و
على بن أبي طالب

وان العقل عقلان * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع
اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

وأصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل
يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة * ومعنى الآية أن المقصود من الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس أ
من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله ال
فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله
ذلك سبب نفور القلوب عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله
وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار
ويجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر
كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه (قوله فتندلق) أي تخرج أقتاب بطنه أي أ
بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري
رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس
بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كا
يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل ان المخاطبين بهذا هم مؤمنون لان من ينكر
الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من
محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب
غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولأن اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير
المؤمنين فعلى هذا القول ان الله تعالى لما أمرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شر
الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك
هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الآية و
على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس

(وتنسون أنفسكم) تتركونها من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت أي تتلون التوراة
عليه السلام أوفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلاة) أي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة متحملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات والارض أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي اليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلاة الدعاء أي واستعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه

(وانها) الضمير للصلاة أو للاستعانة (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر (الا على الخاشعين) لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى الى قوله (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون أى يعلمون أنه لابد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف (وأنهم اليه راجعون) لايملك أمرهم فى الآخرة أحد سواه (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) التكرير للتأكيد (وأنى فضلتكم) نصب عطف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى (على العالمين) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة (واتقوا يوما) أى يوم القيامة وهو مفعول به لاظرف (لاتجزى نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيأ) أى لاتقضى عنها شيأ من الحقوق التى لزمتها وشيأ مفعول به أو مصدر أى قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة يوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره لاتجزى فيه (ولايقبل منها شفاعة) ولاتقبل بالتاء مكى وبصرى والضمير فى منها يرجع الى النفس المؤمنة أى لاتقبل منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتشبث المعتزلة بالآية فى نفى الشفاعة للعصاة مردود لان المنفى شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى من كذب بها لم ينلها (ولايؤخذ منها عدل) أى فدية لانها معادلة للمفدى (ولاهم ينصرون) يعانون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر لمعنى العباد أو الاناسى (واذ نجيناكم من آل فرعون) أصل آل أهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه ألفا وخص استعماله باولى الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس (يسومونكم) حال من آل فرعون أى يولونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما وأصله من سام السلعة اذا طلبها كأنها بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزايدة أو مطالبة وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر سىء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سىء أشده وأفظعه

عن اللذات وترك المعاصى وقيل بالصبر على أداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة أى اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أى اذا أهمه أمر لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نعى له أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعنى الصلاة وقيل الاستعانة (لكبيرة) أى ثقيلة (الا على الخاشعين) يعنى المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل فى الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لايرجو لها ثوابا ولايخاف على تركها عقابا فهى ثقيلة عليه وأما الخاشع الذى يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهى سهلة عليه (الذين يظنون) أى يستيقنون وقيل يعلمون (انهم ملاقو ربهم) يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى فى الآخرة (وأنهم اليه راجعون) يعنى بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم

قوله عز وجل (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) انما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وأنى فضلتكم على العالمين) يعنى على عالمى زمانكم وهذا التفضيل وان كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (واتقوا يوما) أى واخشوا عذاب يوم (لاتجزى) أى لاتقضى (نفس عن نفس شيأ) يعنى حقا لزمها وقيل معناه لاتغنى نفس عن نفس يوم القيامة ولاتدفع عنها شيأ مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه (ولاتقبل منها شفاعة) أى فى ذلك اليوم والمعنى لاتقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولاتقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لاتقضى عن العاصى ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لايقبل منها (ولايؤخذ منها عدل) أى فداء وهو مماثلة الشئ بالشئ (ولاهم ينصرون) أى لايمنعون من العذاب

قوله عز وجل (واذ نجيناكم) أى واذكروا اذ خلصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة أسلافهم (من آل فرعون) أى من اتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد ابن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) أى يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أى أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان

فرعون جعل بني اسرائيل خدماً وخولاً وصنفهم في الاعمال أصنافاً صنفاً يقطعون و يزرعون
يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا أصنافاً في أعمال فرعون فذووا
يسلخون السواري من الجبال حتى تقرحت أيديهم وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها
ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن و يطبخون الآجر وطائفة نجارون
وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس
قبل أن يؤدي ضريبته غلت يده الى عنقه شهراً والنساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسوموا
سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل (يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم) أي يتركونهن أحياء وذلك
ان فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي
ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاك
وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى
في طلب موسى اثني عشر ألفاً وقيل سبعين ألفاً وأسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤ
على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم و يموت كبارهم فيوشك أن يقع
العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة و يتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في
التي يذبح فيها (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي اختبار وامتحان والبلاء يطلق على
المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ر
عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة ۞ قوله عز
(واذ فرقنا بكم البحر) أي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر
بعد اتباعه

﴿ذكر سياق القصة﴾

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني اسرائيل من
بالليل فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وأن يستعيروا حلي القبط لتبقى
ليتبعوهم لأجل المال وأخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني اسرائيل الى بني اسرائيل وكل ولد
كان في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات
بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا أخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح
الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفاً لا يعدون ابن عشرين
ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انساناً ما بين رجل وامرأة
أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن
فقالوا ان يوسف لما حضره الموت أخذ على اخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم
انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين قبر
يوسف الا أخبرني به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولي فكان يمر بين الرجلين وهو ينادي فلا يسمع
حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك على قبره أتعطيني كل ما أسألك فأبى عليها وقال حتى أ
ربي فأمره أن يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا أستطيع المشي فاحملني معك وأخرجني من مصر هذا في الد
وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف
فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله أن يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ
يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه حتى
فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقتهم وهرون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في

(يذبحون أبناءكم) بيان
لقوله يسومونكم ولذا ترك
العطف (ويستحيون
نساءكم) يتركون بناتكم
أحياء للخدمة وانما
فعلوا بهم ذلك لان الكهنة
أنذروا فرعون بانه
يولد مولود يزول ملكه
بسببه كما أنذر نمرود فلم
يغن عنهما اجتهادهما في
التحفظ وكان ما شاء الله
(وفي ذلكم بلاء) محنة ان
أشير بذلكم الى صنيع
فرعون ونعمة ان أشير به
الى الانجاء (من ربكم)
صفة لبلاء (عظيم) صفة
ثانية (واذ فرقنا) فصلنا
بين بعضه وبعض حتى
صارت فيه مسالك لكم
وقرئ فرّقنا أي فصلنا يقال
فرق بين الشيئين وفرّق
بين الاشياء لان المسالك
كانت اثني عشر على عدد
الاسباط (بكم البحر) كانوا
يسلكونه ويتفرق الماء
عند سلوكهم فكانما فرق
بهم أو فرقناه بسببكم أو
فرقناه ملتبساً بكم فيكون
في موضع الحال روي ان
بني اسرائيل قالوا لموسى
عليه السلام أين أصحابنا
فنحن لا نرضى حتى نراهم
فأوحى الله اليه ان قل بعصاك
هكذا فقال بها على الحيطان
فصارت فيها كوى
فتراءوا وتسامعوا كلامهم

...وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة ألف حصان
...ق الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان
...ب ماشب ومائة ألف ألف حواب ومائة ألف ألف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى
...لجابة الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فاذاهم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين
...صر ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر أمامنا ان دخلناه
...رجا فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال
انفلق يا أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط منهم طريق
وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبساً وخاضت
بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا وقال كل
سبط منهم قد هلك اخواننا فأوحى الله الى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضاً ويسمع
بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (فأنجيناكم) يعني من فرعون
(وأغرقنا آل فرعون) وذلك أن فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقاً قال لقومه انظروا الى البحر كيف
انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوا وقيل قالوا له ان
كنت رباً فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى
فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر
في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئاً واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو
على فرس ويقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج
فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم
وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمرأى
من بني اسرائيل فذلك قوله (وأنتم تنظرون) يعني الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم
حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكراً لله تعالى ۞ قوله
عز وجل (واذ واعدنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجيء
الميقات (موسى) اسم عبري معرب فو شي بالعبرية الماء والشجر سمي موشى لانه أخذ من بين الماء والشجر
ثم قلبت الشين سيناً فسمي موسى (أربعين ليلة) أي انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من
ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة أقدم
من الضوء

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال العلماء لما أنجى الله بني اسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما
وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لآتيكم منه بكتاب فيه
بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه
الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئاً الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه
السامري وكان صائغاً اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل باجرا وقيل كرمان
وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقاً يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر
فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا لشأناً وقيل
رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه وألقي في روعه انه اذا ألقى في شيء حيي
فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة وأنزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت الالواح

(فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه وانما قال (واذ واعدنا موسى) لان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بمصر لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالي وأربعين مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لانه ليس معناه واعدناه في أربعين ليلة

من زبرجد وقربه نجيا وأسمعه صرير الأقلام وقيل إنه بقي أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من
وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين أرادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم
فأهلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري إن الحلي الذي استعرتم
من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه وقيل إن هرون
أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي أخذها السامري وصاغها عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذ
من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وصار له خوار وقيل
خور وعشي فقال لهم السامري هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنو إسرائيل
قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في
كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم
موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية آلاف رجل
وقيل عبده كلهم إلا هرون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح وذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل)
يعني إلها (من بعده) أي من بعد موسى (وأنتم ظالمون) أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية
ووضعتم العبادة في غير موضعها (ثم عفونا عنكم) أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) أي من
بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي إليكم
الشكر هو تصور النعمة وإظهارها وضده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة أضرب
شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح
النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة
العجز عن الشكر وحكي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال إلهي أنعمت علي النعم السوابغ وأمرتني
وإنما شكري إياك نعمة منك فأوحى الله تعالى إليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي
يعلم أن ما به من نعمة فهي مني وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد
شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يعصى الله
بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر
لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالإحسان والإفضال قوله عز وجل (وإذ آتينا موسى
الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال
والحرام والكفر والإيمان وقيل الفرقان هو النصر على الأعداء والواو أصلية (لعلكم تهتدون)
بالتوراة (وإذ قال موسى لقومه) يعني الذين عبدوا العجل (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم
العجل) يعني إلها تعبدونه فكأنهم قالوا فما نصنع قال (فتوبوا إلى بارئكم) أي ارجعوا إلى خالقكم بالتوبة
كيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) يعني ليقتل البريء منكم المجرم فإن قلت التوبة عبارة عن الندم
على الفعل القبيح والعزم على أن لا يعود إليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد
تفسير التوبة بالقتل بل بيان أن توبتهم لا تتم إلا بالقتل وإنما كان كذلك لأن الله أوحى إلى موسى عليه
والسلام أن توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل فإن قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل
من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضي أن يقتل التائب من
عاما في حق الكل أو خاصا في حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعني القتل
هذه الشدة لأن الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لأمر الله تعالى فجلسوا

(ثم اتخذتم العجل) أي إلها فحذف المفعول الثاني لاتخذتم وبابه الإظهار مكي وحفص (من بعده) من بعد مضيه
إلى الطور (وأنتم ظالمون) أي بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أي عبدتموه ظالمين (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم عنكم (من بعد ذلك) من بعد اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا (وإذ قال موسى لقومه) للذين عبدوا العجل (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) معبودا (فتوبوا إلى بارئكم) هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم أبرياء من التفاوت إلى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة (فاقتلوا أنفسكم) قيل هو على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا
وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) من الإصرار على

الحيوة

(فتاب عليكم انه هو التوّاب) المفضال بقبول التوبة وان كثرت (الرحيم) بعفو الحوبة وان كبرت والفاء الاولى للتسبب لأن الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) عيانا وانتصابها (٥٥) على المصدر كما ينصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال من نرى أي ذوي جهرة (فأخذتكم الصاعقة) أي الموت قيل هي نار جاءت من السماء فأحرقتهم روي ان السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة فقال موسى سألته ذلك فأباه علي فقالوا انك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية لأنه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت قلنا انما عوقبوا بكفرهم لأن قولهم انك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولأنهم امتنعوا عن الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم ولأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد (وأنتم تنظرون) اليها حين نزلت (ثم بعثناكم) أحييناكم وأصله الاثارة (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمة الموت بعد البعث (وظللنا عليكم الغمام) جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأنزلنا عليكم المنّ) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلوى)

الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلت القوم الخناجر والسيوف وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلا يمكنهم المضي لأمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه ﴿ فذلك قوله عز وجل (فتاب عليكم) أي فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التوّاب) أي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه ﴿ قوله عز وجل (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) أي عيانا وذلك ان الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى اني أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فأخذتكم الصاعقة) قيل هي الموت وفيه ضعف لأن قوله وأنتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فأحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل جنودا من الملائكة فسمعوا حسهم فخروا صعقين (وأنتم تنظرون) أي ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول الهي ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله رجلا بعد رجل بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) أي أحييناكم (من بعد موتكم) أي لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) ﴿ قوله عز وجل (وظللنا عليكم الغمام) يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه شيء يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما أبيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر (وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى) أي في التيه والأكثرون على أن المنّ هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وأصل المنّ هو ما يمن الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المنّ وماؤها شفاء

كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه وقلنا لهم (كلوا من طيبات) لذيذات
(ما رزقناكم وما ظلمونا) يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أنفسهم مفعول يظلمون
كان (وإذ قلنا) لهم بعد ما خرجوا من التيه (ادخلوا هذه القرية) أي بيت المقدس أو أريحاء والقرية المجتمع من قريب لأنها تجمع
أمروا بدخولها بعد التيه (فكلوا منها) من طعام القرية وثمارها (حيث شئتم رغدا) واسعا (وادخلوا الباب) باب القرية أو با
كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس (٥٦) في حياة موسى عليه السلام وإنما دخلوا التيه في حياته ودخلوا بيت المقدس بعده (

الثلج ومعنى الحديث أن الكمأة شيء أنبته الله من غير سعي أحد ولا مؤونة وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل على
بني إسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه أن يخلط مع الأدوية فينتفع به لا أنه يقطر ماؤها بحتا في
وقيل إن تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن [illegible]
أشجارهم في كل ليلة من وقت السحر إلى طلوع الشمس كالثلج لكل إنسان صاع فقالوا يا موسى
هذا المن حلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأرسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني وقيل
هو السماني بعينه فكان الرجل يأخذ ما يكفيه يوما وليلة فإذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه اليومين
يكن ينزل يوم السبت شيء (كلوا) أي وقلنا لهم كلوا (من طيبات) أي حلالات (ما رزقناكم)
ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى
زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير (وما ظلمونا) أي وما بخسوا حقنا (ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون) يعني بأخذهم أكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان [illegible]
بلا مؤونة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى ۞ قوله عز وجل (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) [illegible]
قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي أريحاء قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من [illegible]
العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحاء [illegible]
موسى لأن موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى إذا خرجتم
من التيه بعد مضي الأربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أي [illegible]
(وادخلوا الباب) فمن قال إن القرية أريحاء قال ادخلوا من أي باب كان من أبوابها وكان لها [illegible]
ومن قال إن القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) منحنين خضعا متواضعين كالراكع [illegible]
يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) أي حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار وقال ابن عباس [illegible]
لأنها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسألتنا (نغفر لكم خطاياكم) أي نسترها عليكم من الغفر
الستر لأن المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعني ثوابا (فبدل) أي فغير (الذين ظلموا قولا
الذي قيل لهم) أي قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطا سمقاثا
حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فأبوا
ودخلوا زحفا على أستاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول وبدلوه (ق) عن أبي هريرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا ودخلوا يزحفون
على أستاههم وقالوا حبة في شعرة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعني عذابا من
أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا (بما كانوا يفسقون) أي

حال وهو جمع ساجد أمروا
بالسجود عند الانتهاء إلى
الباب شكرا لله تعالى
وتواضعا (وقولوا حطة)
فعلة من الحط كالجلسة
وهي خبر مبتدأ محذوف
أي مسألتنا حطة أو أمرك
حطة والأصل النصب وقد
قرئ به بمعنى حط عنا
ذنوبنا حطة وإنما رفعت
لتعطي معنى الثبات وقيل
أمرنا حطة أي أن نحط في
هذه القرية ونستقر فيها
وعن علي رضي الله عنه
هو بسم الله الرحمن الرحيم
وعن عكرمة هو لا إله إلا
الله (نغفر لكم خطاياكم)
جمع خطيئة وهي الذنب
يغفر مدني تغفر شامي
(وسنزيد المحسنين) أي
من كان محسنا منكم
كانت تلك الكلمة سببا في
زيادة ثوابه ومن كان مسيئا
كانت له توبة ومغفرة
(فبدل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم) فيه
حذف وتقديره فبدل الذين
ظلموا بالذي قيل لهم قولا

غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر بالباء فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود [illegible]
يعني وضعوا مكان حطة قولا غيرها أي أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا
وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن [illegible]
ما يشتهون من أعراض الدنيا (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا) عذابا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن [illegible]
عليهم لظلمهم (من السماء) صفة لرجزا (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم روي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون [illegible]

يسمون ألفا (وإذ استسقى موسى لقومه) موضع إذ نصب كأنه قيل واذكروا إذ استسقى أي استدعى أن يسقي قومه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روي أنه حجر طوري حمله معه وكان مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أي سالت بكثرة أو فإن ضربت فقد انفجرت وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ (منه اثنتا عشرة (٥٧) عينا) على عدد الأسباط وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان وعينا تمييز (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التي يشربون منها وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من ماء العيون (من رزق الله) أي الكل مما رزقكم الله (ولا تعثوا في الأرض) لا تفسدوا فيها والعيث أشد الفساد (مفسدين) حال مؤكدة أي لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) هو ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك (فادع لنا ربك) سله وقل له أخرج لنا (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد (مما تنبت الأرض من بقلها) هو ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوها مما يأكله الناس (وقثائها) يعني الخيار (وفومها) هو الحنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها (وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى) أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار (بالذي هو خير) أرفع وأجل

ويخرجون عن أمر الله تعالى. قوله عز وجل (وإذ استسقى موسى لقومه) أي طلب السقيا لقومه وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل فأوحى الله إليه كما قال تعالى (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى (الحجر) قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أي حجر كان فيتفجر وماء لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل أنه عرفه بالألف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه في مخلاة فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان الحجر أربعة أوجه في كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي الحجارة الرخوة وقيل هو الحجر الذي وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فأتاه جبريل وقال إن الله يأمرك أن ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاة فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان إذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل إليهم في جدول وكان إذا أراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعني على عدد أسباط بني إسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست أي عرقت وانفجرت أي سالت (قد علم كل أناس مشربهم) أي موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) أي وقلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العيث أشد الفساد هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روي منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم لأنه انفجر الماء من بين أصابعه فروي منه الخلق الكثير لأن انفجار الماء من اللحم والدم أعظم من انفجاره من الحجر قوله عز وجل (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك أنهم سئموا من المن والسلوى وملوه واشتهوا غيره لأن المواظبة على الطعام الواحد سبب لنقصان الشهوة فإن قلت هما طعامان فلم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة ألوان يداوم عليها كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) أي فاسأل لنا ربك (يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم (وعدسها وبصلها) إنما طلبوا هذه الأنواع لأنها تعين على تقوية الشهوة أو لأنهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الأطعمة التي لا توجد إلا في البلاد وكان غرضهم الوصول إلى البلاد لا تلك الأطعمة (قال) يعني موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي الذي هو أخس وأردأ وهو الذي طلبوه (بالذي هو خير) يعني بالذي هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه

(اهبطوا مصرا) من الامصار أي انحدروا اليه من التيه بلاد ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ
أو مصر فرعون ... وجود التسمية ... الارادة البلد أو السكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف
كجمل) بها (ما سألتم) أي من الذي سألتم ... الاما ... (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي الهوان والفقر يعني
محيطة بهم مشتملة عليهم ... لا يكون ... من ضربت عليه ... حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين
... من أهل مسكنة وفقر اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية
... وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم أبو عمرو وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (وباؤا بغضب من
من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له أي صاروا أحقاء بغضب وعن الله
عليه ... (ذلك) اشارة
الى ما تقدم من ضرب الذلة
والمسكنة والخلافة بالغضب
(بأنهم كانوا يكفرون بآيات
الله ويقتلون النبيين)
بالمرة ... وكذا ... أي
ذلك بسبب كفرهم وقتلهم
الانبياء وقد قتلت اليهود
شعياء وزكريا ويحيى
صلوات الله عليهم والنبي
من السلالة بخبر عن الله
تعالى فعيل بمعنى مفعل أو
بمعنى مفعل أو من نبا أي
ارتفع والنبوة المكان
المرتفع (بغير الحق) عندهم
أيضا فانهم لو أنصفوا لم
يذكروا شيئا يستحقون
به القتل عندهم في التوراة
وهو في محل النصب على
الحال من الضمير في يقتلون
أي يقتلونهم مبطلين (ذلك)
تكرار للاشارة (بما عصوا
وكانوا يعتدون) بسبب
ارتكابهم أنواع المعاصي
واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم
في السبت ويجوز أن يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا فيه
تجسروا على جحود الآيات وقتلهم الانبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا (ان الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم
(والذين هادوا) تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) جمع نصران كندمان وندامى يقال
رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا نصارى لانهم نصروا المسيح (والصابئين) الخارجين
مشهور والى غيره من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤن الزبور

(اهبطوا مصرا) يعني ان أبيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا
الشوم بن عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول (فان لكم ما سألتم) يعني من نبات الارض
(وضربت عليهم الذلة) أي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والذلة الذل والهوان وقيل القلة ...
... اليهودية ... لانهم ... ضربت عليهم الجزية (والمسكنة) أي الفقر والفاقة وسمي
مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا أغنياء ... كأنهم فقراء فلا ترى
من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود (وباؤا) أي رجعوا ولا يقال باء الا بشر (بغضب من
الله) وغضب الله ارادة الانتقام من عصاه (ذلك) أي الغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي
محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن (ويقتلون النبيين)
النبي معناه المخبر من أنبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير
أي بغير جرم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل
تارة بالحق وهو ما أمر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف
للحكم لان الحكم ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار ...
بقلهم الى آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعياء وغيرهم من الانبياء (ذلك بما عصوا) أي ذلك
والكفر بما عصوا أمري (وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي
عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا) يعني اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك أي ملنا اليك
هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام (و
سموا بذلك لقول الحواريين نحن أنصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح
(والصابئين) أصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال ابن
عباس هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل
ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم بين اليهود
يحلقون أوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرؤن الله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة و
الكعبة أخذوا من كل دين شيأ والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان
خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هي التي

الله تعالى ولماذا كرهذه الوظائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال في أول الآية ان الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أولا ثم التخصيص آخرا قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان أحدهما أنه أراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم أجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة وأما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في أول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة فهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئون فكأنه تعالى قال هؤلاء المبطلون كل من آمن منهم الايمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله ان الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة في الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) أي في ايمانه (فلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي في الآخرة ۞ قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) أي عهدكم يا معشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) يعني الجبل العظيم قال ابن عباس أمر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمرهم أن يعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الاثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا أرسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) أي قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) أي ما أعطيناكم (بقوة) أي بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) أي ادرسوا ما فيه (لعلكم تتقون) أي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك ان لا مهرب لهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليتم) أي أعرضتم (من بعد ذلك) أي من بعد ما قبلتم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) أي بالامهال (لكنتم من الخاسرين) أي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى ۞ قوله عز وجل (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) أي جاوزوا الحد (في السبت) يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم وأصل السبت القطع

﴿ ذكر الاشارة الى القصة ﴾

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم

(من آمن بالله واليوم الآخر) من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا (وعمل صالحا فلهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومحل من آمن الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبران في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (واذ أخذنا ميثاقكم) بقبول ما في التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) أي الجبل حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقي عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب أي التوراة (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (من بعد ذلك) من بعد القبول (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتأخير العذاب عنكم أو بتوفيقكم للتوبة (لكنتم من الخاسرين) الهالكين في العذاب (ولقد علمتم) عرفتم فيتعدى الى مفعول واحد (الذين اعتدوا منكم في السبت) هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم

د كان لا يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم
ثم تحيلوا يوم السبت لأنهم من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الأحد (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) خبر كان أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعني المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه (لما بين يديها) لما قبلها (وما خلفها) وما بعدها من الأمم (٦٠)

لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين (وموعظة للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها (وإذ قال موسى لقومه) أي واذكروا إذ قال موسى وهو معطوف على نعمتي في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم كأنه قال اذكروا ذاك واذكروا إذ قال موسى وكذلك هذه الظروف التي مضت أي اذكروا وقت إنجائنا إياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتي واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه والظروف التي تأتي إلى قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه (إن الله يأمركم أن) أي بأن (تذبحوا بقرة) قال المفسرون أول القصة مؤخر في التلاوة وهو قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك أن رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا

فشرعوا يوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه إليها أنهارا فإذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان إلى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل إنهم كانوا ينصبون الحبائل والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤوا على الذنب وقالوا ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية أصنافا وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلث أمسك عن الصيد ونهى عن الاعتداء وصنف أمسك ولم ينه ولم يكونوا نواهي وصنف انتهكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعبروا على ذلك سنتين وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد فتحوا الباب فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الجدار فإذا هم جميع قردة لهم أذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير ومكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها) يعني عقوبتهم بالمسخ (نكالا) أي عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها أي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) أي المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم ۞ قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهي الأنثى وأصلها من البقر وهو الشق سميت بذلك لأنها تشق الأرض للحراثة

﴿ذكر الإشارة إلى القصة في ذلك﴾

قال علماء السير والأخبار إنه كان في زمن بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم القتل فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره أن يضربه ببعضها فقال لهم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) أي نحن نسألك أمر القتيل وأنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه (قال) يعني موسى (أعوذ بالله) أي أمتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب [illegible] السؤال فلما علموا أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوها ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك أنه

يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزوا) أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء هزوا بسكون الزاي والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص وبضمتين والهمزة غيرهما (قال أعوذ بالله) العياذ واللياذ من واد واحد (أن أكون من الجاهلين) لأن الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم أي أنتم جاهلون حيث نسبتموني إلى الاستهزاء

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها لأن ما وإن كانت سؤالا عن الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ما موقع كيف وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان وما هي خبر ومبتدأ (قال انه يقول انها بقرة لا فارض) مسنة وسميت فارضا لانها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لانه صفة لبقرة وقوله (ولا بكر) فتية عطف عليه (عوان) نصف (بين ذلك) بين الفارض (٦١) والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضى شيئين فصاعدا لانه أراد بين هذا المذكور وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله * فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق * ان أردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك (فافعلوا ما تؤمرون) أى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) موضع ما رفع لان معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا أى شئ لونها (قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفى ذكر اللون فائدة التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده (تسر الناظرين) لحسنها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبى عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم (ان البقر تشابه علينا) ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها أو الى ما خفى علينا من أمر القاتل وان شاء الله اعتراض بين اسم ان وخبرها وفى الحديث

صالح فى بنى اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بأمه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى أمه ثلثه فقالت له أمه يوما يا بنى ان أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق فأقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بأمه اركبنى فانه أهون عليك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بأمك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له أمه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بأمه وهو أعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا أمى فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى ورجع الفتى الى أمه فأخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاى فرجع بها الى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك فقال الفتى نعم انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة على رضاها فقال الملك انى أعطيتك اثنى عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت له أمه ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجربك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب الى أمك فقل لها أمسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا أى الجلد فأمسكتها وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة لذلك الفتى على بره بأمه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أى ما سنها (قال) يعنى موسى (انه يقول) يعنى الله عز وجل (انها بقرة لا فارض ولا بكر) أى لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التى لم تلد والبكر الفتية التى لم تلد (عوان) أى نصف (بين ذلك) أى بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) أى من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول أصح لانه يقال أصفر فاقع وأسود حالك (تسر الناظرين) أى يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أى سائمة أو عاملة (ان البقر تشابه علينا) أى التبس واشتبه أمرها علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون)

لم يسقوا الماء فهم آخر الابدأي لم يشتروها الى ماشاءالله (قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض) لاذلول صفة للبقرة بمعنى بقرة [illegible]
يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض (ولا تسقي الحرث) ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى نافية والثانية [illegible]
لتوكيد الاولى لان المعنى لاذلول تثير الارض أي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث على ان الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة
(مسلمة) عن العيوب وآثار العمل (لاشية فيها) لالمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها [illegible]
الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في أمرها [illegible]
بغير همز أبو عمرو (فذبحوها) فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها (وما كادوا يفعلون) لغلاء ثمنها أو لخوف الفضيحة [illegible]
في ظهور القاتل روي أنه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا [illegible]
البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت [illegible]

أي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر (انه يقول
انها بقرة لاذلول) أي ليست مذللة بالعمل (تثير الارض) أي تقلبها للزراعة (ولا تسقي الحرث) أي [illegible]
سانية والسانية هي التي تسقي الماء من البئر لسقي الارض (مسلمة) أي بريئة من العيوب (لاشية فيها)
أي لالون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) أي بالبيان التام الذي لااشكال فيه فطلبوها [illegible]
بقرة بكمال وصفها الابقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون)
قاربوا أن يفعلوا ما أمروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذا الاوصاف
قوله عز وجل (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) قال [ابن]
عباس أي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا (والله مخرج
ما كنتم تكتمون) أي مظهر ما كتمتم من أمر القتيل لامحالة ولا يتركه مكتوما (فقلنا اضربوه) يعني
القتيل (ببعضها) أي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو أصل [الاذن]
وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك
وانهم اذا ضربوه بأي جزء منها أجزأ وحصل المقصود وانه ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض
وذلك يقتضي التخيير وفي الآية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى وأوداجه [تشخب دما وقال]
قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ماورث قاتل بعد صاحب [البقرة]
(كذلك) أي كما أحيا الله عاميل صاحب البقرة (يحيي الله الموتى) يعني يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم
تعقلون) أي تمنعون أنفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة أن يقدم ذكر القتيل أولا ثم
ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصة
اسرائيل وما وجد منهم من خياناتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان
واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم
ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة
على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح أولا

اذ ذلك بثلاثة دنانير وكانوا
طلبوا البقرة الموصوفة أربعين
سنة وهذا البيان من قبيل
تقييد المطلق فكان نسخا
والنسخ قبل الفعل جائز
وكذا قبل التمكن منه
عندنا خلافا للمعتزلة (واذ
قتلتم نفسا) بتقدير واذكروا
خوطبت الجماعة لوجود
القتل فيهم (فادارأتم فيها)
فاختلفتم واختصمتم في
شأنها لان المتخاصمين
يدرأ بعضهم بعضا أي يدفع
أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها
بعضكم على بعض فيدفع
المطروح عليه الطارح أو
لان الطرح في نفسه دفع
وأصله تدارأتم ثم أرادوا
التخفيف فقلبوا التاء
دالا لتصير من جنس الدال
التي هي فاء الكلمة ليمكن
الادغام ثم سكنوا الدال اذ شرط الادغام أن يكون الاول ساكنا وزيدت همزة الوصل لانه
لا يمكن الابتداء بالساكن فادارأتم بغير همز أبو عمرو (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لامحالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه [مكتوما]
وأعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا في وقت التدارئ وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و(فقلنا)
في (اضربوه) يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان أو الى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون (ببعضها)
ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة (كذلك يحيي الله الموتى) عليه روي انهم لما ضربوه
قام باذن الله تعالى وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى
خطابا للمنكرين في زمن النبي عليه السلام واما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم
(ويريكم آياته) دلائله على انه قادر على كل شيء (لعلكم تعقلون) تعملون على قضية عقولكم وهي أن من قدر على احياء نفس [واحدة]

[illegible] فان [illegible] البقرة [illegible] أن [illegible] أن تكون [illegible] عليه السلام [illegible] البقرة [illegible] الكلام في البقرة [illegible] القرآن [illegible] (فصل في [illegible] في شريعة الاسلام [illegible]) [illegible] أن [illegible] على [illegible] صدق المدعى [illegible] وكلام [illegible] على [illegible] على [illegible] وان كان الاولياء جماعة [illegible] الايمان عليهم [illegible] المدعى [illegible] المدعى عليه [illegible] أكثر [illegible] عمر بن عبد العزيز [illegible] مالك وأحمد [illegible] لم يكن [illegible] المدعى عليه لان الاصل [illegible] القتل [illegible] والثاني أنه [illegible] القتيل [illegible] الامام [illegible] والدليل على أن [illegible] المدعى [illegible] ما روى عن سهل بن أبي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود [illegible] عبد الله بن سهل وهو [illegible] عبد الرحمن بن سهل [illegible] مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] عبد الرحمن [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وتستحقون [illegible] صاحبكم [illegible] كيف [illegible] قالوا كيف [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] رواية [illegible] على رجل [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الصدقة أخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] المدعى [illegible] لان اليمين [illegible] من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل [illegible] والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) أي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل [illegible] واسودت (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الدلالات [illegible] وقيل هي اشارة الى احياء القتيل [illegible]

[illegible] الى [illegible] (ثم قست قلوبكم) [illegible] القسوة (من بعد) [illegible] (ذلك)

... من الآيات المتقدمة (فهي كالحجارة) فهي في قسوتها مثل الحجارة
... [illegible] ... ليستقيما ...
أشد منها وهو الحديد مثلا ومن عرف شيئا شبهه بالحجارة أو ...

... (فهي) يعني في الغلظ والشدة (كالحجارة) أي كالـ...
(أو) قيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو أي و(أشد قسوة) فإن قلت لم شبهوا
وهي أشد من الحجارة ... قلت لأن الحديدة قابلة للين بالنار ... لان ...
... ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال (وإن من
الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه ...
والتفجر التفتح بالسعة والكثرة (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعني
دون الأنهار (وإن منها لما يهبط من خشية الله) أي ينزل من أعلى الجبل إلى ...
انقيادا لأمر الله وأنتم لا تسمع ... وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع ...
... فإن قلت كيف يعقل ... أن الله تعالى قادر على إفهام الحجر والجمادات ...
ومذهب أهل السنة أن الله تعالى أودع في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف ...
... ويدل عليه قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقوله تعالى والطير صافات كل
... على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ...
وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن ...
صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر إلا ...
يا رسول الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله قال كان ...
صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته ...
بالجذع فسمعنا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع ...
النخلة صياح الصبي فنزل صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين ...
الصبي ... قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر ...
... وذلك ... (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد ...
... وحافظ لأعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (أفتطمعون)
صلى الله عليه وسلم لأنه هو الداعي إلى الإيمان وأتى بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب ...
وسلم وأصحابه لأنهم كانوا يدعونهم إلى الإيمان ... أفتطمعون ... (أن يؤمنوا
لكم) يعني اليهود ... أن يؤمنوا لكم مع أنهم لم يؤمنوا ...
وكان هو السبب ... من الذل وظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم ...
قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام ...
... الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الأقرب لأن الضمير راجع إليهم في ...
لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لأنه يصح أن يقال لمن سمع التوراة ...
(ثم يحرفونه) أي يغيرون كلام الله ... فسر الفريق بالذين يسمعون كلام الله ...
مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في السبعين ...

... (وإن منها لما يشقق) أصله يتشقق ... (فيخرج منه الماء) ... (وإن منها لما يهبط) ... (من خشية الله) قيل هو مجاز ... [illegible]

... والتغيير ... أن يكون على نية مخصوصة عند أهل ... على هذا
قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية ... (وما الله بغافل عما تعملون) وبالياء مكي وهو وعيد (أ...
لرسول الله والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يؤمنوا لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى فآمن له لوط
... (يسمعون كلام الله) أي التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى ...

(من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون والمعنى أن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك (وإذا لقوا) أي المنافقون أو اليهود (الذين آمنوا) أي المخلصين من أصحاب محمد عليه السلام (قالوا) أي المنافقون (آمنا) بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به (وإذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (إلى بعض) إلى الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم) أي المؤمنين أصحاب محمد عليه السلام (بما فتح الله عليكم) بما بين الله لكم في التوراة (٦٥) من صفة محمد عليه السلام (ليحاجوكم

به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد وقيل هذا على إضمار المضاف أي عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة يقولون كفرتم به بعد أن وقفتم على صدقه (أفلا تعقلون) أن هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه (أو لا يعلمون أن الله يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان (ومنهم) ومن اليهود (أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لا يعلمون الكتاب) التوراة (إلا أماني) إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار إلا أياما معدودة أو إلا أكاذيب

مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمت أو إلا ما يقرءون من قوله ● تمنى كتاب الله أول ليلة ● وآخرها لاقى حمام المقادر أي لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وإنما يقرءون أشياء أخذوها من أحبارهم والاستثناء منقطع (وإن هم) وما هم (إلا يظنون) لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوتك بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم (فويل) في الحديث ويل واد في جهنم (للذين يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون منزلا

به وذلك لأنهم لما رجعوا إلى قومهم نقلوا ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فهذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة (من بعد ما عقلوه) أي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) أي فساد مخالفته ويعلمون أيضا أنهم كاذبون ﴿ قوله عز وجل (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما إن منافقي اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به وإن صاحبكم صادق وقوله حق وإنا نجد نعته وصفته في كتابنا (وإذا خلا بعضهم إلى بعض) يعني كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك و(قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني قص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) أي ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم ويقولون لكم قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك أن اليهود قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فإنه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) أي في الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا إخوان القردة والخنازير فقالوا من أخبر محمدا بهذا ما خرج هذا إلا منكم وقيل إن اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله (أفلا تعقلون) أي أن ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولا يعلمون) يعني اليهود (أن الله يعلم ما يسرون) أي ما يخفون (وما يعلنون) أي ما يبدون وما يظهرون ﴿ قوله عز وجل (ومنهم) أي من اليهود (أميون) أي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أمي وهو المنسوب إلى أمه كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب إلا أماني) جمع أمنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله أول ليلة ● تمنى داود الزبور على رسل

أي تلا كتاب الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الأماني الأحاديث الكاذبة المختلقة وهي الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم ثم أضافوها إلى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم (وإن هم إلا يظنون) أي ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة وأصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) تأكيد للكتابة

وذكر الايدي تأكيد وهو من مجاز التأكيد (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) عرضا يسيرا (فويل لهم مما
ايديهم وويل لهم مما يكسبون) من الرشا (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن
عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قل أتخذتم

عهدا اليكم أنه لا يعذبكم الا هذا المقدار (فلن يخلف الله عهده) متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أم اما أن تكون معادلة أي أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون أو منقطعة أي بل أتقولون على الله ما لا تعلمون (بلى) اثبات لما بعد النفي وهو لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهم (وأحاطت به خطيئته) وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه فأما اذا مات مؤمنا فأعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفض عنها

بالتوبة خطيئاته مدني (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل) الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد (لا تعبدون الا الله) اخبار في معنى
تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو أبلغ من صريح الامر والنهي لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء وهو
قراءة أبي لا تعبدوا وارادة القول وقولوا والقول مضمر لا يعبدون مكي وحمزة وعلي لان بني اسرائيل اسم ظاهر والاسماء الظاهرة

لانه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال بأيديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب
وذلك أن رؤساء اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم
فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة فغيروها وكانت
حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر
سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعني هذه الصفة التي
نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا فيكذبونه ويقولون
(ليشتروا به) أي بما كتبوا (ثمنا قليلا) أي المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من
تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) ﴿ قوله عز وجل (وقالوا) أي اليهود (لن
أي لن تصيبنا (النار الا أياما معدودة) أي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت
الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل أراد
بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم في أمر
ليعذبنهم أربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم (قل) أي يا محمد لليهود
عهدا) أي موثقا أن لا يعذبكم الا هذه المدة (فلن يخلف الله عهده) أي وعده (أم تقولون على الله ما لا
بلى) اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار أبدا (من كسب سيئة
اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس (وأحاطت به
خطيئته) أي أحدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل
أي أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة في هذه
الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخلود في النار
والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان
والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعده
تكرارا قلت أجاب بعضهم بأن الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا أن قوله آمنوا
الا أنه فعل فعلا واحدا من أفعال الايمان فلهذا حسن أن يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات
آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا أولا ثم داوموا
ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) قوله عز وجل (واذ أخذنا
ميثاق بني اسرائيل) يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد (لا تعبدون الا الله) أي أمرهم
فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا)
برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه
يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما أن يدعوهما الى
الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير
بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده أعظم النعم لانه هو الذي

أن لا يقيد وافقا حديث ان رفع (وبالوالدين احسانا) أي وأحسنوا اليهم على الأمر وهو قوله وقولوا عليه (وذى القربى) القرابة (واليتامى) جمع يتيم وهو الذي فقد أباه قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه السلام لا يتم بعد البلوغ (والمساكين) جمع مسكين وهو الذي أسكنته الحاجة (وقولوا للناس حسنا) قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه حسنا حمزة وعلى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم) عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض والتولية عن المواثيق (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أو دينا وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها أو وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تقتلون أنفسكم) صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبر أنتم (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) غير مراقبين ميثاق الله (تظاهرون عليهم) بالتخفيف كوفي أى تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف احدى التاءين ثم قيل هى الثانية لان الثقل بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم (بالاثم والعدوان) بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى تفادوهم) تفدوهم أبو عمرو وأسرى تفدوهم مكى وشامى أسرى تفدوهم حمزة أسارى تفادوهم على فدى وفادى بمعنى وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والضمير في

بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية أيضا فيجب شكرهما ثانيا (وذى القربى) أى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى مات أبوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور لصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو أن ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن أن ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان أحدهما أنه خطاب للحاضرين من اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا أمره قاله ابن عباس والوجه الثانى أن المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام وأخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين فى القول والمعاشرة وحسن الخلق (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموه أخبر عنهم أنهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتم) أى أعرضتم عن العهد (الا قليلا منكم) يعنى من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فانهم وفوا بالعهد (وأنتم معرضون) أى كاعراض آبائكم ﴿ قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم (لا تسفكون) أى لا تريقون (دماءكم) أى لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تعملوا شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم أقررتم) أى بهذا العهد أنه حق (وأنتم تشهدون) يعنى أنتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم أنتم هؤلاء) يعنى يا هؤلاء اليهود (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) أى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) أى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى) جمع أسير (تفدوهم) أى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم أى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبد أو أمة من بنى اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب أحد الفريقين أخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا أمرنا أن نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحى أن تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم أنتم هؤلاء تقتلون

(وهو محرم عليكم) للشأن أو هو ضمير مبهم تفسيره (اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب) [illegible]
بالقتال والاجلاء قال السدى أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء الاسير فاعرضوا عن كل
به الا الفداء (فما جزاء من يفعل ذلك) هو اشارة الى الايمان ببعض والكفر ببعض (منكم الا خزى) فضيحة وهوان (فى الحياة الدنيا
ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) وهو الذى لا روح فيه ولا فرح أو الى أشد من عذاب الدنيا (وما
الله بغافل عما تعملون) بالياء مكى ونافع وأبو بكر (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) اختاروها على الآخرة اختيار المشترى (فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة آتاه جملة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا أتبعه اياه يعنى وأرسلنا على اثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) هى بمعنى الخادم ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا لم يثبت فى الابنية البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
والاخبار بالمغيبات (وأيدناه بروح القدس) أى الطهارة وبالسكون حيث كان مكى أى بالروح المقدسة كما يقال
حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب أو بجبريل عليه السلام لانه يأتى بما فيه حياة القلوب وذلك لانه رفعه الى
قصد اليهود قتله أو بالانجيل كما قال فى القرآن روحا من أمرنا أو باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره (أفكلما جاءكم
[illegible] لاتهوى) تحب (أنفسكم استكبرتم) تعظمتم عن قبوله (ففريقا كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام

أنفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم
(وهو محرم عليكم اخراجهم) وان يأتوكم أسارى تفدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود
القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة من أعدائهم وفك أسراهم فاعرضوا عن الكل
عزوجل (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) معناه ان وجدتموهم فى يد غيركم فديتموهم
تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة أفعالهم لانهم
لانهم أتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يعنى يا معشر
(الا خزى فى الحياة الدنيا) أى عذاب وهوان فكان خزى بنى قريظة القتل والسبى وخزى بنى النضير
الاجلاء والنفى من منازلهم الى أريحاء وأذرعات من أرض الشام (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب)
يعنى عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (أولئك الذين اشتروا)
استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة) لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل
الدنيا فاتته لذات الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) أى فلا يهون عليهم (ولاهم ينصرون) أى يمنعون
من عذاب الله تعالى قوله عزوجل (ولقد آتينا) أى أعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة جملة
(وقفينا) أى وأتبعنا من التقفية وهو أن يقفو أثر الآخر (من بعده بالرسل) يعنى رسولا بعد رسول
الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم فى أثر بعض والشريعة واحدة
قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وأرمياء وحزقيل والياس و
وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى أن بعث الله تعالى عيسى عليه السلام
بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) أى
الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هى الانجيل
بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال (وأيدناه) أى
(بروح القدس) قيل أراد بالروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى اليه
تكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وأمة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله
الذى كان عيسى يحيى به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا
هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح
كما تقول عبد الله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا
الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل أولى لانه تعالى قال وا
قويناه بجبريل وذلك أنه أمر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى
فلما سمعت اليهود ذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من أخبار
فعلت فائتنا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (أفكلما جاءكم) يعنى يا معشر اليهود (رسول بما
لاتهوى أنفسكم استكبرتم) أى تعاظمتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم) يعنى مثل عيسى و

(وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى عليهم السلام وإنما لم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ولأن المراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم (وقالوا قلوبنا غلف) جمع أغلف أي هي خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن (بل لعنهم الله بكفرهم) رد لما قالوه والمعنى أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم أو أنها لم تأب قبوله لخلل فيها ولكن لأن الله تعالى لعنهم بكفرهم (فقليلا ما يؤمنون) فقليلا صفة مصدر محذوف أي فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره أو أوعية للعلوم فلو كان ما تبثت به حقا لقبلنا (ولما جاءهم) أي اليهود (كتاب من عند الله) أي القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه (وكانوا من قبل) يعني القرآن (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (فلما جاءهم ما عرفوا) ما موصولة أي ما عرفوه وهو فاعل جاء (كفروا) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولا أوليا وجواب لما الأولى مضمر وهو نحو كذبوا به أو أنكروه أو كفروا جواب الأولى والثانية لأن مقتضاهما واحد وما في (بئسما) نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس بئس شيئا (اشتروا به أنفسهم) أي باعوه والمخصوص بالذم (أن يكفروا بما أنزل الله) يعني القرآن (بغيا) مفعول به أي حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (أن ينزل الله) لأن ينزل أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله (من فضله) الذي هو الوحي (على من يشاء من عباده) وهو محمد عليه السلام (فباؤوا بغضب على غضب) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك (وللكافرين عذاب مهين) يراد به إذلالهم بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه (وإذا قيل لهم) لهؤلاء اليهود (آمنوا بما أنزل الله) يعني القرآن أو هو مطلق يتناول كل كتاب (قالوا

الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك أن اليهود كانوا إذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فإن تهيأ لهم قتله قتلوه وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعني اليهود (قلوبنا غلف) جمع أغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى أن قلوبنا أوعية للعلم فلا تحتاج إلى علمك وقيل أوعية من الوحي لا نسمع حديثا إلا وعته إلا حديثك فإنها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) أي طردهم وأبعدهم من كل خير وسبب كفرهم أنهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنهم أنكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) أي لم يؤمن منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين كان أكثر منهم ﴿ قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعني القرآن (مصدق لما معهم) يعني التوراة وهذا التصديق في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن نبوته وصفته ثابتة في التوراة (وكانوا) يعني اليهود (من قبل) أي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) أي يستنصرون به (على الذين كفروا) يعني مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا حزبهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (فلما جاءهم ما عرفوا) أي الذي عرفوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وأنه من غير بني إسرائيل (كفروا به) أي جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم) أي بئس شيء اشتروا به أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم (أن يكفروا بما أنزل الله) يعني القرآن (بغيا) أي حسدا (أن ينزل الله من فضله) يعني الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤوا) أي فرجعوا (بغضب على غضب) أي مع غضب قال ابن عباس الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل والثاني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل الأول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) يعني الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) أي يهانون فيه (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعني بالقرآن وقيل بكل ما أنزل الله (قالوا

تؤمن بما أنزل علينا) أى بالتوراة (ويكفرون بما وراءه) أى بما سواه ...
غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها (مصدقا) حال مؤكدة (قل فلم تقتلون أنبياء الله) أى فلم
فوضع المستقبل موضع الماضى ويدل عليه قوله (من قبل ان كنتم مؤمنين) أى من قبل محمد عليه السلام اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع
ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا فى يوم واحد ثلاثمائة نبى فى بيت المقدس (ولقد جاءكم موسى بالبينات)
التسع وأدغم الدال فى الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلى (ثم اتخذتم العجل) الها (من بعده) من بعد خروج موسى عليه السلام الى
(وأنتم ظالمون) هو حال أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها أو اعتراض أى وأنتم قوم عادتكم الظلم (واذ أخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الا

(واسمعوا) ما أمرتم به فى التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا اسمعنا ولكن لا سماع طاعة (وأشربوا فى قلوبهم العجل) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بكفرهم) بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) بالتوراة لانه ليس فى التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم (ان كنتم مؤمنين) تشكيك فى ايمانهم وقدح فى صحة دعواهم له (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة (عند
الله) ظرف ولكم خبر كان (خالصة) حال من الدار الآخرة أى سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعنى ان قلتم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا (من دون الناس) هو للجنس (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فيما تقولون لان من أيقن أنه من أهل
الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه (ولن
يتمنوه أبدا) هو نصب على الظرف أى لن يتمنوه ما عاشوا (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف
كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث (والله عليم
بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم

تؤمن بما أنزل علينا) يعنى التوراة وما أنزل على أنبيائهم (ويكفرون بما وراءه) أى بما سواه ...
وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقرآن (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا لما معهم) يعنى التوراة (قل
فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) انما أضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا الانبياء
لرضاهم بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها وأنكرها برئ منها ومن رضيها كان من أهلها (ان
كنتم مؤمنين) أى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء ۞ قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات)
أى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) أى من بعد موسى لما ذهب الى
الميقات (وأنتم ظالمون) انما كرره تبكيتا لهم وتأكيدا للحجة عليهم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أى استجيبوا وأطيعوا أى فيما أمرتم به (قالوا سمعنا) يعنى قولك
(وعصينا) يعنى أمرك وقيل انهم لم يقولوا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعصيان نسب ذلك
اليهم (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) أى تداخل حبه فى قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل
الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى أمر أن يبرد العجل ويذرى فى النهر وأمرهم أن يشربوا منه فمن بقى فى قلبه
شئ من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) أى بان تعبدوا العجل
والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) أى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما
أنزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك فى قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون
الناس) وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن أبناء
الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعنى الجنة
لكم دون الناس (فتمنوا الموت) أى فاطلبوه واسألوه لان من علم أن الجنة مأواه حن اليها ولا سبيل
الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمنى (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم ودعواكم روى ابن عباس
عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقى على وجه الارض يهودى
الامات قال الله تعالى (ولن يتمنوه أبدا) أى لعلمهم انهم فى دعواهم كاذبون (بما قدمت أيديهم) يعنى
من الاعمال السيئة وانما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جنايات الانسان تكون من يده (والله
عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه أعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل
ظالم كافرا فلهذا كان أعم وكانوا أولى به (ولتجدنهم) اللام لام القسم والنون لتوكيد تقديره

الناس) مذ بولا أحدهم وأحرص (على حياة) التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها من قراءة أبي على الحياة (ومن الذين أشركوا) هو محمول على المعنى لان معنى أحرص الناس أحرص من الناس نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة أو أريد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ وانما اراد

حرصهم على الذين أشركوا لانهم علموا انهم صائرون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك وقوله (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم زه هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف والذين أشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في (وما هو بمزحزحه من العذاب) لاحدهم وقوله (أن يعمر) فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز أن يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء قال في جامع العلوم

يا محمد يعني اليهود (أحرص الناس على حياة) أي حياة متطاولة والحرص أشد الطلب (ومن الذين أشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا فان قلت الذين أشركوا دخلوا تحت الناس في قوله أحرص الناس فلم أفردهم بالذكر قلت أفردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين أشركوا أناس (يود أحدهم) وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود أي يتمنى أحدهم (لو يعمر ألف سنة) أي تعمير ألف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال أي عش ألف سنة وألف نيروز وألف مهرجان وهذه تحيتهم والمعنى أن اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمزحزحه) أي بمبعده (من العذاب) أي النار (أن يعمر) أي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) أي لا يخفى عليه شئ من أعمالهم ۞ قوله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن صوريا حبرا من أحبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم من يهبط عليك بالوحي من السماء قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا وأشد ذلك علينا ان الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله أمره باهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى أي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الآية وقيل قالوا ان الله أمره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له أرض بأعلى المدينة وكان ممرها على مدراس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر ما في أصحاب محمد أحب الينا منك انا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لاني شاك في ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر أشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتني بعد ذلك في ديني أصلب من الحجر والاقرب ان سبب

يعمر بمعنى أن يعمر فلو هنا نائبة عن ان وان مع الفعل في تأويل المصدر وهو معمول يود أي يود أحدهم تعمير ألف سنة (والله بصير بما يعملون) أي بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه ثم التاء يعقوب (قل من كان عدوا لجبريل) بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكي وبفتح الجيم والهمز مشبعا كوفي غير حفص وبكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم ومنع الصرف للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله لان جبر هو بالسريانية وايل اسم الله روي ان ابن صوريا من أحبار اليهود حاج النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها انه أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه

هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على
بذلك وقوله (فانه نزله) يعني جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد
خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ (باذن الله) أي بامره (مصدقا) أي موافقا (لما بين يديه)
لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال ال
يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا أتوا بها (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال) لما بين في الآية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى
وسلم وجب أن يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذي نزله على محمد بين في هذه الآية ان كل من كان عدوا
لاحد هؤلاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله (فان الله عدو للكافرين) فانما عداوتهم
لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذي لا ضرر أعظم منه وقيل المراد من عداوة
عداوتهم لاوليائه وأهل طاعته فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أي يحاربون أولياء
وأهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعني ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بوا
منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في الملائكة ا
شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذي هو
الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان
عبد الله وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات)
ابن عباس هذا جواب ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعر
أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام
والحدود والاحكام (وما يكفر بها) أي وما يجحد بهذه الآيات (الا الفاسقون) أي الخارجون
طاعتنا وما أمروا به (أوكلما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه و
ما أخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله
ما عهد الينا في محمد عهد فانزل الله هذه الآية أوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا هو قولهم انه ان أظلنا
نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) أي طرحه
ونقضه (فريق منهم) يعني اليهود (بل أكثرهم لا يؤمنون) يعني كفر فريق منهم بنقض العهد
وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما
معهم) يعني مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى
الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان بمجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين أ

يا بايل فلا ما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان
فان جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي
عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) أي حفظه اياك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك
حق الكلام أن يقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله كأنه تكلم به وفيه ايهام الاستسلام ان يقع فانه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان
جبريل اسمه من أهل الكتاب فلا وجه لعداوته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو
وشكروا له صنيعه في انزاله
ما ينفعهم ويصحح المنزل
عليهم وقيل جواب الشرط
محذوف تقديره من كان
عدوا لجبريل فليمت غيظا
فانه نزل الوحي على قلبك
(باذن الله) بامره (مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى
للمؤمنين) رد على اليهود
حين قالوا ان جبريل ينزل
بالحرب والشدة فقيل فانه
ينزل بالهدى والبشرى
أيضا (من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل
وميكال) بصري وحفص
وميكائل باختلاس الهمزة
كميكاعل مدني وميكائيل
بالمد وكسر الهمزة مشبعة
غيرهم وخص الملكان
بالذكر لفضلهما كأنهما من
جنس آخر اذ التغاير في
الوصف ينزل منزلة التغاير
في الذات (فان الله عدو
للكافرين) أي لهم فجاء
بالظاهر ليدل على ان الله
انما عاداهم لكفرهم وان
عداوة الملائكة كفر
كعداوة الانبياء ومن عاداهم عاداه الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) المتمردون الكتاب
من الكفرة واللام للجنس والاحسن أن تكون اشارة الى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا يا رسول الله
الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواو في (أوكلما) للعطف على محذوف تقديره أكفروا
بالآيات البينات وكلما (عاهدوا عهدا نبذه) نقضه ورفضه وقال (فريق منهم) لان منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة
من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (ولما جاءهم رسول من عند الله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما
نبذ فريق من الذين أوتوا

الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) قيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن أما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم أدرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كأنهم لا يعلمون) يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا أمره وكان أولئك النفر قليلا ○ قوله عز وجل (واتبعوا ما تتلو الشياطين) يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين ومعنى تتلو تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان أي على عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه فمنعهم سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأما صلحاء بني اسرائيل وعلماؤهم فأنكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان وأقبلوا على تعليمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود أنكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك وقيل ان بعض أحبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني أن سليمان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين الله تعالى ان الذي برأه منه لاحق بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل أن يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء سببه ولا يفعل الا في خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشئ عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه فكان الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشئ عن وجهه أي صرفه هذا أصله من حيث اللغة وأما حقيقته فقيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب أهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي أنه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لا أن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان الكلام تأثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان وأما حكمه فانه من الكبائر التي نهى عنها ويحرم تعلمه لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وقرنه بالشرك وأمرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين

الكتاب) أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كتاب الله) يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله عليه السلام المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول (وراء ظهورهم) مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات اليه (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله (واتبعوا ما تتلو الشياطين) أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الجن والانس والريح (وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامي وحمزة وعلي (يعلمون الناس السحر) في موضع الحال أي كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به اغواءهم واضلالهم

أحدهما يكفر به صاحبه وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر أو يعتقد أن الكواكب المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف أخرجه الترمذي والقسم الثاني من وهو التخييل المموه مثل الشعبذة والنيرنجيات ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا أن الكواكب المؤثرة ويعتقد أن القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روى عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت أخرجه في الموطأ ۞ قوله عز وجل (وما أنزل على الملكين) أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان لان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز أن يضاف الى الله ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر أن يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما بقوله ولا أن من جاء يتعلم ذلك منهما إنما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر والتفريق بين المرء وزوجه ويتمحض المؤمن بتركه التعلم منهما ويجري للكافر بتعلمه الكفر ويكون الملكان في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كان عن اذن الله تعالى لهما وصار هما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ ما أمرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى إيمانه ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني (ببابل) قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل نهاوند والاول أصح وأشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانيان وقصتهما على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم فعصوك فقال الله تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا وشرب الخمر وكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا أول يوم وذلك انه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة من أجمل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني مثل ذلك فأبت وقالت لا الا أن تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه [illegible]

(وما أنزل على الملكين) الجمهور على أن ما بمعنى الذي وهو نصب [illegible] ما تلوا أي واتبعوا ما أنزل على الملكين (ببابل هاروت وماروت) علمان لهما وهما عطف بيان [illegible] والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ان كان فيه رد ما لزم في شرط الايمان ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه لئلا يغتر به كان مؤمنا قال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله القول بان السحر على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فان كان في ذلك رد ما لزم في شرط الايمان فهو كفر والا فلا ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الاناث وما ليس بكفر وفيه اهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوي فيه المذكر والمؤنث وتقبل توبته اذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فان سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل قيل انهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بني آدم فكانا يحكمان في الارض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما انسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين في جب ببابل وسميت ببابل لتبلبل الالسن بها

الله تعالى فدتها ماعنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي أنفسهما من الميل اليها ما فيه فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك أن تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا الا أن تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال أحدهما لصاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لي صنما أعبده ان أنتما صليتما معي عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا اسم الله الاكبر قالت فما أنتما بمدركي حتى تعلماني اياه فقال أحدهما للآخر علمها فقال اني أخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي أقسم الله بها فقال ولا أقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا قدر أربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس فقالا من أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

﴿فصل في القول بعصمة الملائكة﴾ أجمع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلاء واتفق أئمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء في التبليغ اليهم كالانبياء مع أممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وما نقله أهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد وأجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون وأهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء وهذه الاخبار انما أخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم

(وما يعلمان من أحد) وما يعلم الملكان أحدا (حتى يقولا) حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (إنما نحن فتنة) ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) تتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا (فيتعلمون منهما) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أي يعلمونهم فيتعلمون السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا ويعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون

والضمير لما دل عليه من أحد أي فيتعلم الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه والسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه (وما هم بضارين به) بالسحر (من أحد إلا بإذن الله) بعلمه ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) في الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التي تجر إلى الغواية (ولقد علموا) أي اليهود (لمن اشتراه) أي استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله (ما له في الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به أنفسهم) باعوها وإنما نفى العلم عنهم بقوله (لو كانوا يعلمون) مع إثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي لأن معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون.

(ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لأثيبوا من الله ما هو خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمني كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا)

على الملائكة والأنبياء وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ثم عطف على هاروت وماروت ثانيا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين واتبعتهم فيه اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا أيضا في الجواب عن هذه القصة وأنها باطلة وجوها الأول أن في القصة أن الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الثاني أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لأن الله تعالى لا يخير من أشرك وإن كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صعدت إلى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها في قوله فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه ضعف هذه القصة والله أعلم بصحة ذلك وسقمه والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا) يعني وما يعلمان أحدا حتى ينصحاه أولا ويقولا (إنما نحن فتنة) أي بلية ومحنة (فلا تكفر) أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر قيل يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فإن أبى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ائت هذا الرماد فبل عليه فإذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السماء فذلك الإيمان والمعرفة وينزل شيء أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منهما) يعني من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده النشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لا أن السحر له تأثير في نفسه بدليل قوله (وما هم) يعني السحرة (بضارين به) أي بالسحر (من أحد) أي أحدا (إلا بإذن الله) أي بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعني السحر لأنهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعني اليهود (لمن اشتراه) أي اختار السحر (ما له في الآخرة من خلاق) يعني ما له نصيب في الجنة (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أي باعوا به أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فإن قلت كيف أثبت الله لهم العلم في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم آخرا في قوله لو كانوا يعلمون قلت قد علموا أن من اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكأنهم لما لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو أنهم) يعني اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (واتقوا) يعني اليهودية والسحر وما يؤثمهم (لمثوبة من عند الله) أي لكان ثواب الله إياهم (خير) من هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعني ذلك ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة أي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا راعنا يعني أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فأعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن

مالي عنه فقطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا أي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) أي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وبهمنا (واسمعوا) أي ما تؤمرون به وأطيعوا نهى الله عباده المؤمنين أن يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق أحد الى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ أحسنها ومن المعاني أدقها وان سألوه يسألوه بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود (وللكافرين) يعني اليهود (عذاب أليم) أي مؤلم (ما يود) أي أي ما يحب (الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود (ولا المشركين) يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غير الله (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يعني ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا او بغيا منهم على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يختص برحمته من يشاء) يعني أنه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعني أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه ۞ قوله عز وجل (ما ننسخ من آية أو ننسها) الآية وسبب نزولها أن المشركين قالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فأنزل ما ننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة في النسخ وأنه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو أن ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثلها في كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك أنه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

﴿فصل في حكم النسخ﴾ هو في اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من لا ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فأنكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بأن الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها أن الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم

ولا تقولوا (انظرنا) كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره (واسمعوا) وأحسنوا اسماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستفادة وطلب المراعاة أو واسمعوا اسماع قبول وطاعة ولا يكون سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وللكافرين) ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) مؤلم (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (من خير من ربكم) من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة (والله يختص برحمته من يشاء) يعني أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء (والله ذو الفضل العظيم) فيه اشعار بأن ايتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا في النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل (ما ننسخ من آية أو ننسها) تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي تقرر في أوهامنا استمراره بطريق التراخي فكان تبديلا في حقنا بيانا محضا في حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه أعني اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصا أو دلالة وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من

ومنها أنه جاء في التوراة أن الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك إني جعلت
دابة مأكولا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم ثم إنه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بني
إسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها أن آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الأخ للأخت وقد حرمه
بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد
على وجوه أحدها أن القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والإنجيل وغيرهما
الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو
الذي عليه جمهور العلماء أن المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده وهو قوله
تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها لأن الآية إذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لأنه
المعهود عندنا ﴿مسألة﴾ قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه
وهو أنه تعالى قال ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وذلك يفيد أنه تعالى هو الآتي بما
هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد أنه
بالإتيان بذلك الخير وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولأن السنة لا تكون خيرا من القرآن
ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بأن آية الوصية للأقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه
وسلم لا وصية لوارث أجاب الشافعي رضي الله تعالى عنه أن هذا ضعيف لأن كون الميراث حقا للوارث
من صرفه إلى الوصية فثبت أن آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في أصول
النسخ في القرآن على وجوه أحدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن أبي أمامة بن سهل أن قوما من
قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت تلاوتها وحكمها أخرجه البغوي بغير
إن سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي
مثل آية الرجم روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى
وسلم إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها
وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن
ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى
أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف أخرجه مسلم وللبخاري نحوه
الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن مثل آية الوصية للأقربين نسخت
الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية أربعة أشهر وعشرا وآية
وهي قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم
فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير في القرآن وأما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية أي نرفعها أو
أو ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناه ننسها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها
معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الأول رفع الحكم وإقامة غيره مقامه والإنساء نسخ من
غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلا ننزلها أو نرفع
حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب
ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعله من نسخت الكتاب إذا نقلته إلى كتاب آخر
نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها (نأت بخير منها) أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر
لأجوركم وليس معناه أن آية خير من آية لأن كلام الله تعالى كله واحد (أو مثلها) أي في المنفعة

العمل خلافا للمعتزلة وإنما
يجوز النسخ بالكتاب
والسنة متفقا ومختلفا
ويجوز نسخ التلاوة والحكم
والحكم دون التلاوة
والتلاوة دون الحكم
ونسخ وصف الحكم مثل
الزيادة على النص فإنه نسخ
عندنا خلافا للشافعي رحمه
الله والإنساء أن يذهب
بحفظها عن القلوب أو
ننساها مكي وأبو عمرو أي
نؤخرها من نسأت أي أخرت
(نأت بخير منها) أي نأت
بآية خير منها للعباد أي
بآية العمل بها أكثر
للثواب (أو مثلها) في
ذلك إذ لا تفضيل لبعض
الآيات على البعض

لما نسخ الى الايسر كان أسهل فى العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان أكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى كل سنة أثقل على الابدان وأشق من صيام أيام معدودات فكان ثوابه أكمل وأكثر وأما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث أمره الله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) أى على النسخ والتبديل والمعنى ألم تعلم يا محمد أنى قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وأنفع لك ولهم عاجلا وآجلا (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) يعنى أنه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشاء من أمر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب اليهود الذين أنكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فأخبرهم الله أن له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (ومالكم) يعنى يا معشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) أى مما سوى الله (من ولى) أى قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور (ولا نصير) أى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم بأمركم ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على أعدائكم ﴿ قوله عز وجل (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا أرنا الله جهرة فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أتريدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة ففى الآية منعهم ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) أى يستبدل (الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيأ يصححونه به فى الظاهر وأخبرهم أن من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل ﴿ قوله عز وجل (ود كثير من أهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى نفر من اليهود وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال انى عاهدت ان لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم انهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال أصبتما الخير وأفلحتما فأنزل الله تعالى ود أى تمنى كثير من أهل الكتاب يعنى اليهود (لو يردونكم) أى يا معشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا) ٢ أى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) أى يحسدونكم حسدا وأصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعى فى ازالتها والحسد مذموم لما روى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب أخرجه أبو داود فاذا أنعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخر زوالها عنه فليس

(ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) أى قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ (وما لكم من دون الله من ولى) يلى أمركم (ولا نصير) ناصر يمنعكم من العذاب (أم تريدون) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون (أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) روى أن قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا الها (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) قصده ووسطه (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) أن يردونكم (من بعد ايمانكم كفارا) حال من كم أى يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا الى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم (حسدا) مفعول له أى لاجل الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير

٢ قوله أى ترجعون الاخفى عدم ملاءمته للنظم الشريف اهـ مصححه

ودوا ذلك لانهم ودوا ذلك الميل مع الحق لامن قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك
(من عند أنفسهم) يتعلق بودّ أى ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لامن قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) أى من بعد علمهم بأنكم على الحق أو حسدا أى حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) عنهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتى الله بأمره) بالقتال (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرها (تجدوه عند الله) ثوابه عنده (ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان

أجمعوا لا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل الى الشر والفساد ۞ وقوله (من عند أنفسهم) أى من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) يعنى فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا (فاعفوا واصفحوا) أى فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو قبل أن يؤمر بالقتال (حتى يأتى الله بأمره) أى بعذابه وهو القتل والسبي لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو أمر الله بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة وقيل أراد بالزكاة سائر الواجبات ثم قال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير) أى من طاعة وعمل صالح وقيل أراد به صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعنى ثوابه وأجره حتى التمرة والشق منها (ان الله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب فى أعمال البر وزجر عن المعاصى ۞ قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) يعنى يهودا (أو نصارى) وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا (تلك أمانيهم) أى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق (قل) يعنى يا محمد (هاتوا برهانكم) أى حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تدعون ۞ ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) أى ليس الامر كما تزعمون ولكن (من أسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذى يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص فى دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان أصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه لانه أكرم الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع أعضائه قال الشاعر

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعنى بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن أى فى عمله لله (فله أجره عند ربه) أى ثواب عمله (ولا خوف عليهم) أى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) أى على ما فاتهم من الدنيا ۞ قوله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) نزلت

أو نصارى) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه ألا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهود جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم كان للفظ من وجمع الخبر لمعناه (تلك أمانيهم) أشير بها الى الامانى المذكورة وهى أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أى تلك الامانى الباطلة أمانيهم والامنية أفعولة من التمنى مثل الاضحوكة (قل هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء بمعنى احضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) بالقرآن (فله أجره) جواب من أسلم وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط و بلى رد لقولهم (عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) أى على شئ يصح و يعتد به والواو للحال

(وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وآمن به أن لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كذلك) مثل ذلك القول الذي سمعت به (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) أي الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به (ومن أظلم ممن منع مساجد الله

أن يذكر فيها اسمه) موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره والمعنى أي أحد أظلم وان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل بالآيات وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع ان أي من أن يذكر وان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الاذى ومنعهم الناس أن يصلوا فيه أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وانما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق (وسعى في خرابها) بانقطاع الذكر والمراد بمن العموم كما أريد العموم بمساجد الله (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله (إلا خائفين) حال من الضمير في يدخلوها أي على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكرا خيفة أن يقتل وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنهك ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (لهم في الدنيا خزي) قتل وسبي للحربي وذلة بضرب الجزية للذمي (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي النار

المدينة ونصارى نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) يعني وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني اسرائيل من الفرائض وان التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه انهم ليسوا على شيء (مثل قولهم) يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم ليسوا على شيء (فالله يحكم) أي يقضي (بينهم يوم القيامة) يعني بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمر الدين ۞ قوله عز وجل (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) نزلت في خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومي غزا بني اسرائيل فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فأنزل الله تعالى ومن أظلم أي ومن أكفر وأبغى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه أن يذكر فيها اسمه أي يعبد ويصلى له فيها (وسعى في خرابها) وقيل ان بختنصر المجوسي من أهل بابل هو الذي غزا بني اسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى من أجل أن قتلوا يحيى بن زكريا اليهود (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي أو نصراني إلا خائفا ان علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم في الدنيا خزي) يعني الصغار والذل والقتل والسبي (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني النار وقيل ان الآية نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين يعني مشركي مكة يقول الله تعالى أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم

فتحوها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالموسم لما نزلت سورة براءة ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم
قلت كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو إما بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت يجوز أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين فإن قلت أي القولين أرجح قلت رجح الطبري القول الأول وقال إن النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل أن مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وإن كانوا منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات من الصلاة فيه وأيضا فإن الآية التي قبل هذه مدحها في ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل أن النصارى يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود ولم يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولا ثالثا وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الأزمنة محال قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذي وقال غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة إلى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة وذلك أن اليهود عيروا المسلمين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل أنها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاؤوا من النواحي ثم إنها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية أن لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وإنما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لأن له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وإن على العبيد امتثال أمره ونواهيهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فإن القبلة ليست قبلة لذاتها بل لأن الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه إليها فأينما تولوا فثم وجه الله أي فهنالك قبلة الله التي وجهكم إليها وقيل معناه فثم الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله أي تريدون بالتوجه إليه رضاه (إن الله واسع) من السعة وهو الغنى أي يسع خلقه كلهم بالكفاية والأفضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) أي بأعمالكم ونياتكم حيثما صلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء

فصل في حكم يتعلق بحكم الآية وهي أن المسافر إذا كان في مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة طلبها بنوع من الدلائل ويصلي إلى الجهة التي أدى إليها اجتهاده ولا إعادة عليه وإن لم يصادف جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر إذا بقي على اللوح فإنه يصلي على حسب حاله وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال ﴿ قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت

(ولله المشرق والمغرب) أي بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها (فأينما) شرط (تولوا) مجزوم به أي ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب (فثم وجه الله) أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان (إن الله واسع عليم) أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وقيل عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وهو حجة على الشافعي رحمه الله فيما إذا استدبر وقيل فأينما تولوا للدعاء والذكر (وقالوا اتخذ الله ولدا) يريد الذين قالوا المسيح

ابن الله وعزير ابن الله قالوا فثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما في السموات والارض) أي هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافي الملك (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه أي كل ما في السموات والأرض أو كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا اليهم وجاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما سخركن لنا (بديع السموات والارض) (۸۳) أي مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق اليه يقال له أبدعت ولهذا قيل ان خالف السنة والجماعة مبتدع لانه يأتي في دين الاسلام ما لم يسبقه اليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم (واذا قضى أمرا) أي حكم أو قدر (فانما يقول له كن فيكون) هو من كان التامة أي أحدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وانما المعنى ان ما قضاه من الامور وأراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف [۳] كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه اباء وأكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الاجسام فأنى يتصور التوالد ثم والوجه الرفع في فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أي فهو يكون أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لانه أمر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا ان كن ليس بأمر حقيقية اذ لا فرق بين أن يقال واذا قضى أمرا فانما يكونه فيكون وبين أن يقال فانما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب وهذا لانه لو كان أمرا فاما أن يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن أو المعدوم والمعدوم لا يخاطب (وقال الذين لا يعلمون) من المشركين أو من أهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به

اليهودية حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) أي تنزيها له فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا (بل له ما في السموات والارض) يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لابد وأن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال (كل له قانتون) يعني ان أهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية وأصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون أي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين أحدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى أن حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين أحدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية أجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضي ذلك ۞ قوله عز وجل (بديع السموات والارض) أي خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الاشياء أي يحدثها مما لم يكن (واذا قضى أمرا) أي قدره وأراد خلقه وقيل اذا أحكم أمرا وحتمه وأتقنه وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشيء وتمامه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون) أي اذا أحكم أمرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما أراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التي لم تكن كأنها كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله لام أجل فيكون المعنى اذا قضى أمرا فانما يقول لاجل تكوينه ارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب ۞ قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون)

---

[۳] قوله كما ان المأمور الخ عبارة الكشاف والخطيب كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه اباء وهي ظاهرة اهـ

(لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لأن يكون ما آتاهم من
آيات الله آيات واستهانة بها (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى (قد بينا الآيات لقوم
يوقنون) أي لقوم ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (إنا أرسلناك بالحق

قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل
مشركو العرب (لولا) أي هلا (يكلمنا الله) يعني عيانا أنك رسوله (أو تأتينا آية) أي [illegible]
صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) أي كفار الأمم الخالية (مثل قولهم) وذلك أن اليهود سألوا [illegible]
يريهم الله جهرة وأن يسمعهم كلام الله وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسألته فأخبر الله عن الذين
من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) [illegible]
بالرسل ثم تشابهت أقوالهم وأفعالهم فقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال (قد بينا
الآيات) أي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعني أن آيات القرآن [illegible]
صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن طلب اليقين وإنما خص أهل اليقين بالذكر
لأنهم أهل الثبت في الأمور ومعرفة الأشياء على يقين ⊕ قوله عز وجل (إنا أرسلناك بالحق) أي
وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالإسلام وقيل معناه إنا لم نرسلك عبثا إنما أرسلناك بالحق (بشيرا) أي
لأوليائي أهل طاعتي بالثواب العظيم (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب
(ولا تسأل) قرئ بفتح التاء على النهي قال ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم
ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية والمعنى إنا أرسلناك لتبلغ ما أرسلت به ولا تسأل عن أصحاب
وقرئ ولا تسأل بضم التاء ورفع اللام على الخبر ويكون على النفي والمعنى إنا أرسلناك بالحق
لتبلغ ما أرسلت به فإنما عليك البلاغ ولست بمسؤول عمن كفر (عن أصحاب الجحيم) أي من أهل النار سميت
جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار ⊕ قوله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم) وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه أنه إن أمهلهم تبعوه
الله هذه الآية والمعنى إنك وإن هادنتهم فإنهم لا يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون [illegible]
ملتهم وقال ابن عباس هذا في أمر القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه
وسلم حين كان يصلي إلى بيت المقدس فلما صرفه الله إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على
فأنزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود إلا باليهودية ولا النصارى إلا بالنصرانية وهذا شيء [illegible]
إذ لا يجتمع في رجل واحد شيئان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم أي دينهم وطريقتهم (قل)
يا محمد (إن هدى الله) يعني دين الله الذي هو الإسلام (هو الهدى) أي الصحيح الذي يسمى هدى (ولئن اتبعت)
يا محمد (أهواءهم) يعني أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل أهواءهم أقوالهم التي هي
ومبتدع (بعد الذي جاءك من العلم) أي البيان بأن دين الله هو الإسلام وأن القبلة هي قبلة إبراهيم عليه
السلام وهي الكعبة (ما لك من الله من ولي) يعني يلي أمرك ويقوم بك (ولا نصير) أي ينصرك ويمنعك
من عقابه وفي قوله ولئن اتبعت أهواءهم أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى
أيها المخاطب ولكم وقد أنهى فقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق
فيه وإنهم أهواء الكافرين لئن اتبعتم أهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبيان ما لكم من الله من ولي
ولا نصير ⊕ قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين

للمؤمنين بالثواب (ونذيرا) للكافرين بالعقاب (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم وهو حال كقوله بشيرا ونذيرا أو بالحق أي وغير مسؤول أو مستأنف وقراءة نافع ولا تسأل على النهي ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعري ما فعل أبواي (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الإسلام فحكى الله عز وجل كلامهم (قل إن هدى الله) الذي رضي لعباده (هو الهدى) أي الإسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذي تدعون إلى اتباعه
ما هو هدى إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع (بعد الذي
جاءك من العلم) بأن دين الله هو الإسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (ما لك من الله) من
عقابه (من ولي ولا نصير) ناصر (الذين) مبتدأ (آتيناهم الكتاب) صلته وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو ابن سلام وأضرابه والأحبار أو أ[illegible]
عليه السلام والكتاب القرآن

(يتلونه) حال مقدرة من هم لأنهم لم يكونوا تالين له وقت إيتائه ونصب على المصدر (حق تلاوته) أي يقرؤونه حق قراءته في الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر أو يعملون به ويؤمنون بما في مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم (أولئك) مبتدأ خبره (يؤمنون به) والجملة خبر الذين ويجوز أن يكون يتلونه خبرا والجملة خبرا آخر (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي أنعمتها عليكم (وأني فضلتكم على العالمين) وتفضيلي إياكم على عالمي زمانكم (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل الأربع وصف ليوما أي واتقوا يوما لا تجزي فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصي منهم وختم قصة بني إسرائيل بما بدأ به (وإذ) أي واذكر إذ (ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) اختبره بأوامر ونواه والاختبار منا لظهور ما لم نعلم ومن الله لإظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الأمر الخفي في الشاهد والغائب جميعا فلذا تجوز إضافته إلى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه إبراهيم ربه برفع إبراهيم ونصب ربه وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما أي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا (فأتمهن) أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم الذي وفى ومعناه في قراءة أبي حنيفة رحمه الله فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا والكلمات على هذا ما سأل إبراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في الجسد الختان وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس

جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) أي يقرؤونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه إلى الله تعالى وقيل معناه يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه وأسراره (أولئك) يعني الذين يتلونه حق تلاوته (يؤمنون به) أي يصدقون به فإن قلنا إن الآية في أهل الكتاب فيكون المعنى أن المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن في التوراة نعته وصفته وإن قلنا إنها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) أي يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الخاسرون) أي خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالإيمان ❁ قوله عز وجل (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي أيادي لديكم وصنعي عندكم واستنقاذي إياكم من أيدي عدوكم إلى نعم كثيرة أنعمت بها عليكم (وأني فضلتكم على العالمين) أي واذكروا تفضيلي إياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرها في أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى لا يغني بني إسرائيل المبدلين كتابي المحرفين له ما هو آت من عذاب يوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) أي لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص لقوله لمن ارتضى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فمعنى الآية ولا تنفعها شفاعة إذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل إنه رد على اليهود في قولهم إن آباءنا يشفعون لنا (ولا هم ينصرون) أي ولا ناصر لهم ينجيهم من الله إذا انتقم منهم ❁ قوله عز وجل (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) إبراهيم اسم أعجمي ومعناه أب رحيم وهو إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد إبراهيم بالسوس من أرض الأهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله إلى أرض بابل وهي أرض نمروذ الجبار وإبراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فأما اليهود والنصارى فإنهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة إليه وأنهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فإنهم أيضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الإسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن إبراهيم أمورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لأن ما أوجبه الله على إبراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الإنسان وسمي التكليف بلاء لأنه

يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان وقد قيل ان الله [illegible]
حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والتي ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم
والوقوف على ما يجهل منهم لانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد
ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا يتنزل قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
واختلفوا في هذه الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما من
شرائع الاسلام لم يبتل بها أحد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى
هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل ابراهيم فأما بعده فقد أتى الانبياء بجميع ما أمر به من الدين خصوصا نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أتى بجميع ما أمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التائبون العابدون
الآية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة في سورة المؤمنين في قوله قد
أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات وهي مذكورة أيضا في سورة سأل سائل وعن ابن عباس
أيضا قال ابتلاه الله بعشرة أشياء من الفطرة خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك
وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن
أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان
والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل
البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعني الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون
المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة ومعنى
الاشياء المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهي لنا سنة
واتفقت العلماء على انها من الملة وأما معانيها فقد قيل أما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة للاعاجم
فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك
والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ وأما قص الاظفار فللجمال
والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع
فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجتمع من الوسخ في الشعر
وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف
العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى أن الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا [illegible]
الواجب وذهب غيره الى أنه سنة وأول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله (ق) عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف
والتشديد فمن خفف ذهب الى أنه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد
انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه
وأول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يا رب زدني وقارا أخرجه
مالك في الموطأ وقيل في الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر
والشمس فأحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اختبر ابراهيم
بكلمات أوحاها اليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن أي أداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن
من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيأ واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان
قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية اني جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا

رضي الله عنهما هي ثلاثون سهماً من الشرائع عشر في براءة التائبون الآية وعشر في الأحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل هي مناسك الحج (قال اني جاعلك للناس اماما) هو اسم من يؤتم به أي يأتمون بك في دينهم (قال ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي اماما يقتدى به وذرية الرجل أولاده ذكورهم واناثهم فيه سواء فعلية من الذر أي الخلق فابدلت الهمزة ياء (قال لا ينال عهدي الظالمين) بسكون الياء وحمزة وحفص أي لا تصيب الامامة أهل الظلم من ولدك أي أهل الكفر أخبر أن امامة المسلمين لا تثبت لأهل الكفر وان من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر قالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق ليس باهل للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبيا (واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه (وأمنا) وموضع أمن فان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجئ الى الحرم (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وعنه عليه السلام انه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه وقيل الحرم كله مقام ابراهيم واتخذوا شامي ونافع بلفظ الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها

الا بالابتلاء بعد النبوة لان التكاليف لا تعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب أنه ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة ۞ وقوله تعالى (قال اني جاعلك للناس اماما) أي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به (قال ومن ذريتي) أي قال ابراهيم واجعل من ذريتي وأولادي أئمة يقتدى بهم (قال) الله (لا ينال) أي لا يصيب (عهدي) أي نبوتي وقيل الامامة (الظالمين) يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك ۞ قوله عز وجل (واذ جعلنا البيت) يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) أي مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وأمنا) أي موضعا اذا أمن يأمنون فيه من أذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد أن ينصب القتال والحرب في الحرم وانما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعضد شوكه أي لا يقطع شوك الحرم وأراد به ما لا يؤذي منه أما ما يؤذي منه كالعوسج فلا بأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده أي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها أي ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة أن يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا مقصور الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش واختلاؤه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد ۞ وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل أراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد والصحيح أن مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلى عنده الائمة وذلك الحجر هو الذي قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجلي ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدي وقيل انما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء

فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت
يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل
لا يلتفت اليها فقالت له آالله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند
الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب انى أسكنت من
ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء
حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر
اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم
تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى
جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس
قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد
نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع
زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء
فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت
زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك
لا تخافى الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض
كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل
بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على
ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم
اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن
عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى
اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه
امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته
عنه فقالت خرج يبتغى لنا وفى رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى
ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه
آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألنى
كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة فقال هل أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير
عتبة بابك قال ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك الحقى بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء
الله أن يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف أنتم وسألها
عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال فما
شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء قال النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو
كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه وفى رواية فجاء فقال أين اسمعيل
فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت
طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة بدعوة ابراهيم
قال فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من
أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير

فأوصاك بشئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا إسمعيل إن الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فإن الله أمرني أن أبني بيتا ههنا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل إسمعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء إبراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم وهو يبني وإسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وقيل إن امرأة إسمعيل قالت لإبراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه * عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قبلة أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لأن لفظ الصلاة إذا أطلق لا يعقل منه إلا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولأن مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه (وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل) أي أمرناهما وألزمناهما وأوجبنا عليهما قيل إنما سمي إسمعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا إيل وإيل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن طهرا بيتي) يعني الكعبة أضافه إليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا أي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الأقذار والأنجاس وقيل طهراه من الشرك والأوثان وقول الزور (للطائفين) يعني الدائرين حوله (والعاكفين) يعني المقيمين به والمجاورين له (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين يعني الغرباء الواردين إلى مكة والعاكفين يعني أهل مكة المقيمين بها قيل إن الطواف للغرباء أفضل والصلاة لأهل مكة بمكة أفضل ﴿ قوله عز وجل (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا) إشارة إلى مكة وقيل إلى الحرم (بلدا آمنا) أي ذا أمن يأمن فيه أهله وإنما دعا إبراهيم له بالأمن لأنه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فإذا لم يكن آمنا لم يجلب إليه شئ من النواحي فيتعذر المقام به فأجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار إلا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فإن قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا خراب الكعبة وإنما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك إلا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن إلى أهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة إبراهيم عليه السلام أو حرمت بدعوته على قولين أحدهما أنها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض وقول إبراهيم عليه السلام إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي أن مكة كانت محرمة قبل دعوة إبراهيم القول الثاني أنها إنما حرمت بدعوة إبراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة وهذا يقتضي أن مكة كانت قبل دعوة إبراهيم حلالا كغيرها من البلاد وإنما حرمت بدعوة إبراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وإنما كان تعالى يمنعها

(وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل) أمرناهما (أن طهرا بيتي) بفتح الياء وسكونها أي بأن طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كلها (للطائفين) للدائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا الأبرحون أو المعتكفين وقيل للطائفين للنزاع إليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمع راكع وساجد (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا) أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كعيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم وهذا مفعول أول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له

عن أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوّأها الله
ابراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله
تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع
من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله أعلم (وارزق
أهله من الثمرات) انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعنى ارزق المؤمنين من أهله خاصة وسبب هذا
التخصيص أن ابراهيم عليه السلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة والامامة فى ذريته فأجابه الله بقوله
لا ينال عهدى الظالمين صار ذلك تأديبا له فى المسئلة فلا جرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم
أعلمه أن الرزق فى الدنيا يستوى فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فأمتعه) أى سأرزق الكافر
أيضا (قليلا) أى فى الدنيا الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم أضطره الى عذاب النار) أى ألجئه
وأكرهه وأدفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذى لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه (وبئس المصير)
أى وبئس المكان الذى يصير اليه الكافر وهو العذاب ۞ قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسمعيل) وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء وأصحاب السير ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل
أن يخلق الارض بألفى عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله
الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأنزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان
من زمرد أخضر باب شرقى وباب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى أهبطت لك بيتا تطوف
به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى وأنزل الله عليه الحجر الاسود وكان أبيض
من مس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وأرسل الله اليه ملكا يدله على البيت
آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى
عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان
فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه
الله جبريل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا
ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعدما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه
فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان
الحية والخجوج من الرياح هى الشديدة السريعة الهبوب وقيل هى الملتوية فى هبوبها وأمر ابراهيم
يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوق الحجفة وقال
عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشى فى ظلها الى أن وقفت
على موضع البيت ونودى منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ما حول
الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم
واسمعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم
من البيت جمع قاعدة وهى أس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من
أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودى جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حرا
بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتنى بحجر حسن يكون للناس
فقال ائتنى بأحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا أحسن منه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان
وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فأخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى أنبأ ابراهيم

(وارزق أهله من الثمرات) لانه لم يكن لهم ثمرة ثم أبدل (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من أهله بدل البعض من الكل أى وارزق المؤمنين من أهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المؤمنين به فقال الله تعالى جوابا له (قال ومن كفر) أى وارزق من كفر (فأمتعه قليلا) تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا الى حين أجله فأمتعه شاى (ثم أضطره) ألجئه (الى عذاب النار وبئس المصير) المرجع الذى يصير اليه النار فالمخصوص بالذم محذوف (واذ يرفع) حكاية حال ماضية (ابراهيم القواعد) هى جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر (من البيت) بيت الله وهو الكعبة (واسمعيل) هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة

بسمعة أملاك يسمونهم في بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا (ربنا تقبل منا) وفي الآية اضمار تقديره ذرية ولأن ربنا تقبل منا أي ما عملناه لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك (انك أنت السميع) أي لدعائنا (العليم) يعني بنياتنا ﴿ قوله عز وجل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) يعني موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما أن يكون المراد منه الدين والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان أحدهما أن الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال (ومن ذريتنا) أي من أولادنا (أمة) أي جماعة (مسلمة) أي خاضعة منقادة (لك) وانما أدخل من التي هي للتبعيض لأن الله تعالى أعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعاء فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء قلت لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولأن أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم ألا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم (وأرنا) أي علمنا وبصرنا (مناسكنا) أي شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) أي تجاوز عنا (انك أنت التواب) أي المتجاوز عن عباده (الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء ووجهه ان التوبة لا تطلب من الله الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بان العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير في بعض الاوقات اما على سبيل السهو أو ترك الاولى والافضل وكان هذا الدعاء لأجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى أعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سأل ربه التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان أحرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدي من بعدهما بهما في ذلك الدعاء لأن ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعني وابعث في الامة المسلمة أو الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم من غيره وأجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لأن ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله لمنجدل في طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم

(ربنا) أي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا) تقربنا اليك ببناء هذا البيت (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا وفي ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم لشأن المبين (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له واستسلم اذا خضع وأذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين وقيل أراد بالامة أمة محمد عليه السلام وانما خصا بالدعاء ذريتهما لانهم أولى بالشفقة لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وأرنا مناسكنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك وأرنا مكي فاسه على فخذ في فخذ وأبو عمرو يشم الكسرة (وتب علينا) ما فرط منا من التقصير أو استتابا لذريتهما (انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم) في الامة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه السلام أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي

وأراد بشارة عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (يتلو عليهم) أي يقرأ عليهم (آياتك) يعني ما توحيه اليه وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذي كان يتلو عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه (ويعلمهم الكتاب) يعني معاني الكتاب وحقائقه لان التلاوة المطلوب منها حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصوناً عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره الاعظم تعليم ما في القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى أولاً أمر التلاوة (والحكمة) أي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيماً الا اذا اجتمع له الامران وقيل الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلف المفسرون في المراد بها فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال الشافعي الحكمة هي السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيأ آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هي العلم بأحكام الله تعالى التي لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل معرفة الاحكام والقضاء وقيل هي فهم القرآن والمعنى ويعلمهم ما في القرآن من الاحكام والحكمة وهي من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة (ويزكيهم) أي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية أي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم أرض عزاز أي صلبة قوية (الحكيم) أي العالم الذي لا تخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء وايجادها على الاحكام ﴿ قوله عز وجل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه الى الاسلام مهاجراً وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم أي يترك دينه وشريعته وقيل فيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم وانهم من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بالرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم أي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشيء اذا أراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأي فكل جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف ان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء على هذا ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني قال يا رب كيف أعرف نفسي وكيف أعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفيناه) أي اخترناه (في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني الفائزين وقيل مع الا[نبياء]

(يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة وفهم القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس (انك أنت العزيز) الغالب الذي لا يغلب (الحكيم) فيما أوليت (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استفهام بمعنى الجحد وانكار أن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (الا من) في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من (سفه نفسه) أي جهل نفسه أي لم يفكر في نفسه فوضع سفه موضع جهل وعدى كما عدى أو معناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف من في قوله واختار موسى قومه أي من قومه وعلى في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح أي على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة (ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه

(اذقال له ربه أسلم) أى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه أسلم (قال أسلمت لرب العالمين) أى قال ابراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فأمره الله أن يعمل بجوارحه وقيل معناه أسلم نفسك الى الله تعالى وفوض أمرك اليه قال أسلمت أى فوضت أمرى لرب العالمين قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى فى النار ﴿ قوله عز وجل (ووصى بها ابراهيم بنيه) يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل هى الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية أولاد اسمعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة ومدين ومدان ويقشان وزمران وشبق وشوخ وأمهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل أمرهم قلت لان لفظ الوصية أوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفى ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده أشد وأعظم وكانوا هم الى قبول وصيته أقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم (ويعقوب) أى ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمى يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين فى بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة فى الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد وآشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين) أى اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون لانه لا يعلم فى أى وقت يأتى الموت على الانسان وقيل فى معنى وأنتم مسلمون أى محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه أخرجاه فى الصحيحين ﴿ قوله عز وجل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) أى حين احتضر وقرب من الموت نزلت فى اليهود وذلك لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى أم كنتم يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت أى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائى ورسلى الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فانى ما بعثت خليلى ابراهيم وولده وأولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى (اذ قال) يعنى يعقوب (لبنيه) يعنى لاولاده الاثنى عشر (ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون (من بعدى) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال أنظرنى حتى أسأل ولدى وأوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر

(الا وأنتم) ظرف لاصطفيناه وانتصب باضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله (اذ قال له ربه أسلم) أذعن أو أطع أو أخلص دينك لله (قال أسلمت لرب العالمين) أى أسلمت وانقدت (ووصى) وأوصى مدنى وشامى (بها) بالملة أو بالكلمة وهى أسلمت لرب العالمين (ابراهيم بنيه ويعقوب) هو معطوف على ابراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا (يا بنى) على اضمار القول (ان الله اصطفى لكم الدين) أى أعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى صلاته (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت أى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى أو متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبى الا على اليهودية كأنه قيل أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (اذ قال) بدل من اذ الاولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر (لبنيه ما تعبدون) ما استفهام فى محل النصب بتعبدون أى أى شئ تعبدون وما عام فى كل شئ أو هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب (من بعدى) من بعد موتى

(قالوا نعبد الهك واله آبائك) اعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار (ابراهيم واسمعيل واسحق) عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل من جملة آبائه وهو عمه لان العم أب قال عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو نصب على الاختصاص أى نريد باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة (تلك) (٩٤) اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهم الموحدون

(أمة قد خلت) مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أى ان أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيآتهم (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تهتدوا) لانه جواب الامر (قل بل ملة ابراهيم) بل نتبع ملة ابراهيم (حنيفا) حال من المضاف اليه نحو رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق (وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل (آمنا بالله وما أنزل الينا) أى القرآن (وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر ويعدى أنزل بالى وعلى فلذا ورد هنا بالى وفى آل عمران بعلى (وما أوتى موسى وعيسى) والقرآن (وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) أى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد فى معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه

اجلى ما تعبدون من بعدى (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه كان أكبر من اسحق وأدخله فى جملة الآباء وان كان عما لهم لان العرب تسمى العم أبا والخالة أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال فى عمه العباس ردوا على أبى (الها واحدا ونحن له مسلمون) أى مخلصون العبودية (تلك) اشارة الى الامة المذكورة يعنى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم (أمة قد خلت) أى مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من أولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم (لها ما كسبت) يعنى من العمل (ولكم) يعنى يا معشر اليهود والنصارى (ما كسبتم) أى من العمل (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى كل فريق يسئل عن عمله لا عن عمل غيره ۞ قوله عز وجل (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت فى رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبى ياسر بن أخطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين فى الدين فكل فرقة منهم يزعم انه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل (قل) يعنى يا محمد (بل ملة ابراهيم) يعنى اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله (حنيفا) أصله من الحنف وهو اعوجاج يكون فى القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

ولكنا خلقنا اذ خلقنا ۞ حنيفا ديننا عن كل دين

والعرب تسمى كل من حج أو اختتن حنيفا تنبيها على أنه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعنى ان الحنيفية هى دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعنى ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعى اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعنى قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا آمنا بالله أى صدقنا بالله (وما أنزل الينا) يعنى القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) يعنى وآمنا بما أنزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا أنبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب من ولد اسمعيل وكان فى الاسباط أنبياء (وما أوتى موسى) يعنى التوراة (وعيسى) يعنى الانجيل (وما أوتى النبيون من ربهم) والمعنى آمنا أيضا بالتوراة والانجيل والكتب التى أوتى جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وأن الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى (لا نفرق بين أحد منهم) أى لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم

(ونحن له مسلمون) لله مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ظاهر الآية مشكل لانه يوجب ان يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم والهاء يعود الى الله عز وجل وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها تقديره جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية الاخرى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة اي فان آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما آمنتم به وما بمعنى الذي بدليل قراءة أبي بالذي آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو ان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها (فانما هم في شقاق) أي فما هم الا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسوله عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم واجلاء بعضهم ومعنى السين ان ذلك كائن لامحالة وان تأخر الى حين (وهو السميع) لما ينطقون به (العليم بما) يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة الله) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم (ومن أحسن من الله صبغة) تمييز أي لا صبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على ان قوله صبغة الله داخل في مفعول قولوا آمنا أي قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام (قل أتحاجوننا في الله) أي أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لانزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا

وأقرت ببعض الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى (ونحن له مسلمون) أي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية ۞ قوله عز وجل (فان آمنوا) يعني اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) أي بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شيء أي ليس مثله شيء وقيل فان أتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم (فقد اهتدوا) والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما أنزل اليهم وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أي أعرضوا (فانما هم في شقاق) أي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال وأصله من الشق كأنه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيكهم الله) أي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشيء أنجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أنجز الله وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه ۞ قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود وأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله أن دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى (ومن أحسن من الله صبغة) أي دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من أوساخ الكفر (ونحن له عابدون) أي مطيعون (قل) يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وأمروكم باتباعهم (أتحاجوننا في الله) أي أتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي أمرنا أن نتدين به والمحاجة

(وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا في أنا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالا فلنا كذلك (ونحن له مخلصون) أي نحن له موحدون نخلصه بالإيمان وأنتم به مشركون والمخلص أحرى بكرامته وأولى بالنبوة من غيره (أم تقولون) بالتاء شامي وكوفي غير أبي بكر وأم على هذه معادلة للهمزة في أتحاجوننا يعني أي الأمرين تأتون المحاجة في حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء أو منقطعة أي بل يقولون بالياء غيرهم وعلى هذا لا تكون الهمزة إلا منقطعة (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى) ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول منبها لما أرادوا أولم يقولوا (قل أأنتم أعلم أم الله) يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني له إذا شهدت له في أهاب سعفا (وما الله بغافل عما تعملون) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) كررت للتأكيد ولأن المراد بالأول الأنبياء عليهم السلام وبالثاني أسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الخفاف الأحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أو المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم وفائدة الإخبار به قبل وقوعه أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع ولأن الجواب المعد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وقبل الرمي يراش السهم

الحجة لإظهار الحجة وذلك أنهم قالوا إن ديننا أقدم من دينكم وكتابنا أقدم من كتابكم وإن الأنبياء منا وعلى ديننا فأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم أتحاجوننا في الله (وهو ربنا وربكم) أي ونحن وأنتم سواء فإنه ربنا وربكم (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني أن لكل أحد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) أي في الطاعة والعبادة وفيه توبيخ لليهود والنصارى يعني وأنتم به مشركون والإخلاص أن يخلص العبد عمله لله تعالى ولا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف قوله عز وجل (أم تقولون) يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى) يعني أتزعمون أن إبراهيم وبنيه كانوا على دينكم يعني اليهودية والنصرانية فقد كذبتم لأن حدوث اليهودية والنصرانية بعد إبراهيم وبنيه (قل أأنتم أعلم) يعني بدينهم (أم الله) أي الله أعلم بذلك وقد أخبر أن إبراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن أظلم ممن كتم) يعني أخفى (شهادة عنده من الله) وهي أن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين وأن محمدا حق ونعته وصفته ووجدوا ذلك في كتبهم وكتموه وجحدوه ومن أظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله وكتمها وأخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعني من كتمانكم الحق فيما ألزمكم في كتابه من أن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وأن الدين هو الإسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يجازيكم عليه في الآخرة (تلك أمة قد خلت) يعني إبراهيم وبنيه (لها ما كسبت) أي جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) أي جزاء ما كسبتم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) يعني أن كل إنسان إنما يسأل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم أي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وإنما كررت هذه الآية لأنه إذا اختلفت مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكرير التذكير به وما كتبه وقيل إنما كررها تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم * قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) أي الجهال من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الأمور الدنيوية ولا شك أن ذلك في باب الدين أعظم لأن العادل عن الأمر الواضح في أمر دينه كان أولى بهذا الاسم ولا كافر إلا وهو سفيه وهذا اللفظ يمكن حمله على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك أنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة لأنهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك أنهم قالوا قد تردد على محمد أمره واشتاق إلى مولده وقد توجه إلى نحو بلدكم فلعله يرجع إلى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وإنما قالوا ذلك استهزاء بالإسلام وقيل يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ووقوع هذا الكلام من كلهم إذ لا فائدة في التخصيص ولأن الأعداء يبالغون في الطعن والقدح فإذا وجدوا مقالا قالوا أو مجالا جالوا (ما ولاهم) يعني أي شيء صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعني

(ما ولاهم) ما صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة لان المصلي يقابلها (قل لله المشرق والمغرب) أي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها (يهدي من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) طريق مستو أي يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهي الكعبة التي أمر باتوجه اليها والامر كله لله فيأمر بالتوجه الى حيث شاء تارة الى الكعبة وطورا الى البيت المقدس لا اعتراض عليه لانه المالك وحده (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم والكاف للتشبيه وذا اسم للاشارة واللام للفرق بين الاشارة الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب (أمة وسطا)

خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الامم أو عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا (لتكونوا شهداء) غير منصرف لمكان ألف التأنيث (على الناس) صلة شهداء (ويكون الرسول عليكم شهيدا) عطف على لتكونوا روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من أين عرفتم

فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على ان الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله وأخرت صلة الشهادة

والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يا محمد (لله المشرق والمغرب) يعني ان له قطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء أن يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدي من يشاء) يعني من عباده (الى صراط مستقيم) يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام ● قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء للمشبه به وفيه وجوه أحدها انه معطوف على ما تقدم من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم أمة وسطا الثاني انه معطوف على قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم أمة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة وسطا يعني عدولا خيارا وخير الامور أوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم ● اذا نزلت احدى الليالي بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في أمر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا أعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا وان هذه الامة توفي سبعين أمة هي آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى ● وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعني يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم أي رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد

أولا وقدمت آخرا لان المراد في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) أي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة والتي كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هي ثاني مفعولي جعل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ثم حول الى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أي وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق (٩٨) فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه يرجع فيرتد عن الاسلام فنشبه

تحويل القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أي لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه أنه يكون ويوجد فالله تعالى عالم في الازل بكل ما أراد وجوده انه يوجد في الوقت الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف بانه عالم في الازل انه موجود كائن لانه ليس بموجود في الازل فكيف يعلمه موجودا فاذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلي فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان بالعلم به يقع التمييز أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فلنلقه في النار لنعلم أيذوب (وان كانت) أي التحويلة أو الجعلة أو القبلة وان هي المخففة واللام في (لكبيرة) أي لثقيلة شاقة وهي خبر كان فارقة (الا على الذين هدى الله) أي هداهم الله فصدقوا العاقبة أي الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا لان وجوبها على أهل الايمان وقبولها من أهل الايمان وأداءها دليل الايمان ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ثم علل (ان الله بالناس لرؤف) مهموز مشبع حجازي وشامي وحفص ورؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رحيم) لا يضيع أجورهم والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمن الرحيم (قد نرى تقلب وجهك في السماء) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان

الترمذي وسطا عدولا ﴿ قوله عز وجل (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) أي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لتعلم رسلي وحزبي وأوليائي من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن أمره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق الا لتعلموا أنتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه الا لنعلم أن الله تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أي في أمر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) أي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) أي وقد كانت (لكبيرة) يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وأنث الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل لتأنيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعني الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) يعني صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما أمر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات معكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحول القبلة الى الكعبة أسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعني لا يضيع أجورهم والرأفة أخص من الرحمة وأرق وقيل الرأفة أشد من الرحمة وقيل الرأفة الرحمة وقيل في الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر والرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرأفة أولا أي أنه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها أعم وأشمل ﴿ قوله عز وجل (قد نرى تقلب وجهك في السماء)

سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يتوجه الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من أجل أن اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة أبي ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فأنزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة (فلنولينك) أي فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) أي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) أي تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وتلقاءه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة أبدا فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وانه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم اذ ذاك انه يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة ۞ وقوله تعالى (وحيثما كنتم) أي من بر أو بحر مشرق أو مغرب (فولوا وجوهكم شطره) أي نحو البيت وتلقاءه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق أهل المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما فقوسها مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شئ ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا

الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم ومخالفة لليهود ولانها أدعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس (قبلة ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وشطر نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائي وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة (وحيثما كنتم) من الارض وأردتم الصلاة (فولوا وجوهكم شطره)

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلى الى القبلتين (من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) بالياء مكى وأبو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالجحود والاباء والثانى وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) أراد ذوى العناد منهم (بكل آية) برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق (ماتبعوا قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم عما فى كتبهم من نعتك انك على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط (وما أنت بتابع [illegible]

حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه الى قبلتهم ووحدت القبلة وان كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم فى البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون فى شأن القبلة لايرجى اتفاقهم كما لايرجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم) أى من بعد وضوح البرهان والاحاطة بأن القبلة هى الكعبة وان دين الله هو الاسلام (انك اذا لمن الظالمين) لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفى ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب فى الظاهر للنبى عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل لصار (الذين آتيناهم الكتاب) صفة [illegible] للظالمين وهو مبتدأ والخبر (يعرفونه) أى محمدا عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة والاول أظهر لقوله (كما يعرفون أبناءهم) [illegible] سلام أنا أعلم به منى بابنى فقال عمر ولم قال لانى لست أشك فى محمد انه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه (وان فريقا منهم) الذين لم يسلموا (ليكتمون الحق) حسدا وعنادا (وهم يعلمون) ان الله تعالى بينه فى كتابهم (الحق) مبتدأ خبره (من ربك) واللام [illegible] الحق من الله لامن غيره يعنى ان الحق ماثبت انه من الله كالذى أنت عليه ومالم يثبت انه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر أو حال [illegible]

لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذى ننتظره فأنزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (ليعلمون أنه الحق من ربهم) يعنى أمر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعنى وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه فى الدنيا والآخرة وقرى تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتى وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء ۞ قوله عز وجل (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (بكل آية) أى بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك أنهم قالوا ائتنا بآية على ماتقول فأنزل الله تعالى هذه الآية (ماتبعوا قبلتك) يعنى الكعبة (وما [illegible]) يعنى أن اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وأنت يا محمد تصلى الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلتك التى أمرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لايجتمعون على قبلة واحدة (ولئن اتبعت أهواءهم) يعنى مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم (من بعد ماجاءك من العلم) أى فى أمر القبلة وقيل معناه من بعد ماوصل اليك من العلم بأن اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعنى انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم قيل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لايتبع أهواءهم أبدا هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه ۞ قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) أى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المبين الذى يجدونه عندهم (كما يعرفون أبناءهم) أى لايشكون فيه ولايشتبه عليهم كما لاتشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهم روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتى بابنى فقال عمر وكيف ذلك فقال أشهد انه رسول حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولا أدرى ماتصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير فى يعرفونه يعود الى أمر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التى صرفتك اليها هى قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لايشكون فى ذلك (وان فريقا منهم) أى من علماء أهل الكتاب (ليكتمون الحق) يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة (وهم يعلمون) يعنى ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة فى التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه (الحق) أى الذين يكتمونه هو الحق (من ر[illegible]

للممترين) الشاكين في انه من ربك (ولكل) من أهل الاديان المختلفة (وجهة) وقبلة وقرئ بهما بالضمير (هو) لكل وفي (موليها)
لوجهه أي هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين أو هو لله تعالى أي الله موليها اياه وولاه شاي أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى
ولكل أمة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم (الخيرات) فاستبقوا

اليها غيركم من أمر القبلة وغيره
(أينما تكونوا) أنتم وأعداؤكم (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل أو ولكل منكم يا أمة محمد وجهة جهة يصلي اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهة المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا ويجمعكم ويجعل صلاتكم كلها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام (ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت) ومن أي بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المأمور به (للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) وبالياء أبو عمرو (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر
عليهم ليثبتوا على انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي قد عرفكم الله جل ذكره أمر
الاحتجاج في القبلة بما قد بين في قوله ولكل وجهة هو موليها لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التوراة من تحويل القبلة
وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس أي لئلا يكون حجة لاحد من اليهود

للممترين) أي من الشاكين في ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى أمر القبلة والمعنى
أن بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا
النهي قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها
المؤمنون وقد تقدم نظير هذا ﴿ قوله عز وجل (ولكل وجهة) أي ولكل أهل ملة قبلة والوجهة اسم
للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في التوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع
المؤمنين أي ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع
والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح العباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف
الزمان والاشخاص (هو موليها) أي مستقبلها والمعنى ان لكل أهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل
متوليها أي مختارها وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها أي مصروف
اليها (فاستبقوا الخيرات) أي بادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية
فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في أول الوقت أفضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان
ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب (أينما تكونوا) يعني أنتم وأهل الكتاب
(يأت بكم الله جميعا) يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله
على كل شيء قدير) أي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة ﴿ قوله
عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي من أي موضع خرجت في سفر وغيره
فول توجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه (وانه) يعني التوجه اليه (للحق من ربك) أي الحق الذي
لا شك فيه فحافظ عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أي ليس هو ساه عن أعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم
فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره) فان قلت هل في هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة علمية جليلة وهي أن هذه الواقعة أول الوقائع
التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح
البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل أراد بالناس أهل
الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم
انها الحق وانها قبلة آبيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس
مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى
لا حجة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل
حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى
حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم
يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب
أي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم
ووجدوا في التوراة أن محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول
الى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) أي الا ان يظلموا

فيكفوا عما عرفوا من الحق (فلا تخشوهم) أى ولا تخافوهم فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم
بالمجادلة الباطلة فانى وليكم وناصركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشونى) أى احذروا عقابى ان أ
عدلتم عما أمرتكم به وفرضته عليكم (ولاتم نعمتى عليكم) أى ولكى أتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم
قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله
(ولعلكم تهتدون) أى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب ۞ قوله عز وجل (كما أر
فيكم) كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتى عليكم كما أر
فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعد اجابة الدعوة الثانية بان يجعل
ذريته أمة مسلمة والمعنى كما أجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك أجيب دعوته بان أهديكم الدين
مسلمين وأتم نعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرو
أذكركم والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى
النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى أمر القبلة
بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفى ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة
من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثه
فيهم أقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب (رسولا منكم) يعنى
صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعنى القرآن وذلك من أعظم النعم لانه معجزة باقية على الد
(ويزكيكم) أى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم أزكياء من
محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (ويعلمكم الكتاب) يعنى أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان ا
غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعنى السنة والفقه فى الدين (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)
يعنى يعلمكم من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث
تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكرونى) قيل الذكر يكون
وهو أن يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو أن يتفكر فى عظمة
تعالى وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى أمر
بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل (أذكركم) أى بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس
أذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء
المعانى اذكرونى بالتوحيد والايمان أذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكرونى بالاخلاص أذكركم
بالخلاص اذكرونى بالقلوب أذكركم بغفران الذنوب اذكرونى بالدعاء أذكركم بالعطاء (ق) عن أبى
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه
اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب الى
شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة قوله عز وجل أنا عند
ظن عبدى بى قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا
المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح قوله وأنا معه اذا ذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق
والاعانة وقوله فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها معان منها ذات الشئ
ذات حقيقة ومنها العيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرنى خاليا ذكرته بالاثابة والجزاء
أحد قوله وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه الملا أشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع

الانبياء عليهم السلام أو
معناه لئلا يكون لعرب
عليكم حجة واعتراض فى
تركم التوجه الى
الكعبة التى هى قبلة ابراهيم
واسمعيل أبى العرب الا
الذين ظلموا منهم وهم
أهل مكة حين يقولون
بدا له فرجع الى قبلة آبائه
ويوشك أن يرجع الى
دينهم ثم استأنف منبها
بقوله (فلا تخشوهم) ولا
تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم
فانهم لا يضرونكم
(واخشونى) ولا تخالفوا
أمرى (ولاتم نعمتى
عليكم) أى عرفتكم لئلا
يكون عليكم حجة ولاتم
نعمتى عليكم بهدايتى اياكم
الى الكعبة (ولعلكم
تهتدون) ولكى تهتدوا
الى قبلة ابراهيم الكاف فى
(كما أرسلنا فيكم) اما أن
يتعلق بما قبله أى ولاتم
نعمتى عليكم فى الآخرة
بالثواب كما تممتها عليكم فى
الدنيا بارسال الرسول أو بما
بعده أى كما ذكرتكم بارسال
الرسول فاذكرونى بالطاعة
أذكركم بالثواب فعلى هذا
يوقف على تهتدون وعلى
الاول لا (رسولا منكم)
من العرب (يتلوا عليكم)
يقرأ عليكم (آياتنا) القرآن
(ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب) القرآن
(والحكمة) السنة والفقه (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) مما لا سبيل الى معرفته الا بالوحى (فاذكرونى) بالطاعة (أذكركم) بالعطا

وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء وأجيب عنه بان الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من أحاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلابد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه وألطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان أتاني يمشي في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه (ق) عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى (واشكروا لي) يعني بالطاعة (ولا تكفرون) أي بالمعصية فمن أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات أما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب أن تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب (ان الله مع الصابرين) أي بالعون والنصر (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بني الحرث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن الحرث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي أمهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبر أن من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله تعالى (بل أحياء) وانما أحياهم الله عز وجل في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على أن المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم أحياء تصل أرواحهم الى الجنان كما ورد ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وان كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم وجواب آخر وهو انهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة ونحن لا نشاهدهم كذلك

بالمغفرة أو بالثناء والعطاء أو بالسؤال والنوال أو بالتوبة وعفو الحوبة أو بالاخلاص والخلاص أو بالمناجاة والنجاة (واشكروا لي) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولا تجحدوا نعمائي (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) فبه تنال كل فضيلة (والصلاة) فانها تنهى عن كل رذيلة (ان الله مع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا (أموات) أي هم أموات (بل أحياء) أي هم أحياء

(ولكن لا تشعرون) لا تعلمون ذلك لأن حياة الشهيد لا تعلم حسا عن الحسن رضي الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها (ولنبلونكم) (١٠٤) ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا (بشيء) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل إليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها (من الخوف) خوف الله والعدو (والجوع) أي القحط أو صوم شهر رمضان (ونقص من الأموال) بموت المواشي أو الزكاة وهو عطف على شيء أو على الخوف أي وشيء من نقص الأموال (والأنفس) بالقتل والموت أو بالمرض والشيب (والثمرات) ثمرات الحرث أو موت الأولاد لأن الولد ثمرة الفؤاد (وبشر الصابرين) على هذه البلايا والمسترجعين عند البلايا لأن الاسترجاع تسليم وإذعان وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة (الذين) نصب صفة للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون والأول الوجه لأن الذين وما بعده بيان للصابرين (إذا أصابتهم مصيبة) مكروه اسم فاعل من أصابته شدة أي لحقته ولا وقف على مصيبة لأن (قالوا) جواب إذا وإذا وجوابها صلة الذين (إنا لله) إقرار له بالملك (وإنا إليه راجعون)

ويدل على ذلك قوله تعالى (ولكن لا تشعرون) أي لا ترونهم أحياء فتعلموا ذلك حقيقة وإنما تعلمون ذلك بإخباري إياكم به فإن قلت أليس سائر المطيعين من المسلمين تصل إليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خص الشهداء بالذكر قلت إنما خصهم لأن الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم منعمون بما دون ذلك وجواب آخر وهو أنه رد لقول من قال إن من قتل في سبيل الله فقد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأخبر الله تعالى بقوله بل أحياء بأنهم في نعيم دائم ۞ قوله عز وجل (ولنبلونكم) أي ولنختبرنكم يا أمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء إظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به فإنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها وحدوثها (بشيء) إنما قال بشيء ولم يقل بأشياء لئلا يوهم أن أشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء من الخوف وبشيء من الجوع وقيل معناه بشيء قليل من هذه الأشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم في القلب (والجوع) يعني القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الأموال) يعني بالهلاك والخسران (والأنفس) أي ونقص من الأنفس بالموت أو القتل (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة في الأشجار وحكي عن الشافعي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الأموال يعني إخراج الزكاة والصدقات والأنفس يعني بالأمراض والثمرات يعني موت الأولاد لأن الولد ثمرة القلب عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن فإن قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها أن العبد إذا علم أنه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر فإذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك إلى الدخول فيه ومنها أن الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فإذا وقع كان ذلك إخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها أن المنافقين إنما أظهروا الإيمان طمعا في المال وسعة الرزق فلما أخبر الله أنه مبتل عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها أن الإنسان في حال الابتلاء أشد إخلاصا لله منه في حال الرخاء فإذا علم أنه مبتلى دام على التضرع والابتهال إلى الله تعالى لينجيه مما عسى أن ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعني عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين إذا أصابتهم مصيبة) أي نائبة وابتلاء (قالوا إنا لله) أي عبيدا وملكا (وإنا إليه راجعون) يعني في الآخرة (م) عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها وقيل ما أعطي أحد ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها أحد لأعطي يعقوب عليه السلام

الى قوله عندفقد يوسف يا أسفا على يوسف وقيل فى قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تعويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصائب (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس أى مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى أى اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررهما للتأكيد أى عليهم رحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) يعنى الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

﴿فصل﴾ فى ذكر أحاديث وردت فى ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعنى يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن أبى سعيد وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب التعب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام ويعرف فى العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة فى الارض عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده شرا أمسك عنه حتى يوافى يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط أخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض وله عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن أبى وقاص قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان فى دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ۞ قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهى الصخرة الصلبة الملساء وقيل هى الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذان أصلهما فى اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة فى طرف المسعى ولذلك أدخل فيهما الالف واللام وشعائر الله أعلام دينه وأصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة الحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التى جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما (فمن حج البيت) أى قصد البيت هذا أصله فى اللغة وفى الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة لاقامة المناسك (أو اعتمر) أى زار البيت والعمرة الزيارة ففى الحج والعمرة المشروعين

اقرار على نفوسنا بالملك (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لامر الله قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة أى الصلاة والرحمة والاهتداء (ان الصفا والمروة) هما علمان للجبلين (من شعائر الله) من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهى العلامة (فمن حج البيت) فصد الكعبة (أو اعتمر) زار الكعبة فالحج القصد والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان

قصد وزيارة (فلا جناح عليه) أي فلا إثم عليه وأصله من جنح إذا مال عن القصد المستقيم (أن يطوف
بهما) أي يدور بهما ويسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان أحدهما
إساف ونائلة وكان إساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة
تعظيما للصنمين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فأنزل
الله هذه الآية وأذن في السعي بينهما وأخبر أنه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الأحول قال سألت
أنسا أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله
إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما وفي رواية قال كانت
الأنصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت إن الصفا والمروة من شعائر الله * (فصل)
اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول
ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن
عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أنه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن
الزبير ومجاهد وعطاء أن من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن أحمد في ذلك فروى عنه أن من ترك
السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروى عنه أنه لا شيء في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي أن يتركه ونقل
الجمهور عنه أنه تطوع وسبب هذا الاختلاف أن قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه أنه لا إثم عليه في فعله
فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب
أو ليس بواجب لأن اللفظ الدال على القدر المشترك بين الأقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحد
هذه الأقسام فلا بد من دليل خارج يدل على أن السعي واجب أو غير واجب حجة الشافعي ومن وافقه في أن السعي بين
الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني بنت
أبي تجراة واسمها حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين
ننظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وإن مئزره ليدور من شدة
السعي حتى لأقول إني لأرى ركبته وسمعته يقول اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني
(ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله إن الصفا والمروة
من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما
فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار
كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر في
حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ إن الصفا والمروة
من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا
السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والأمر للوجوب ومن القياس أن
السعي أشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به في إحرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج
أبو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجب ثم إنه
تعالى أكد ذلك بقوله (ومن تطوع خيرا) فبين أنه تطوع وليس بواجب وأجيب عن الأول بأن قوله
فلا جناح عليه ليس فيه إلا أنه لا إثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون
فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا ضعيف لأنه لا يلزم
أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أولا بل يجوز أن يكون المقصود منه شيئا آخر

(فلا جناح عليه) فلا إثم عليه (أن يطوف بهما) أي يتطوف فأدغم التاء في الطاء وأصل الطوف المشي حول الشيء والمراد هنا السعي بينهما وقيل كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكذا قوله (ومن تطوع خيرا) أي الطواف بهما مشعر بأنه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلي أي يتطوع فأدغم التاء في الطاء

على ثلاث قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من أنواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه من تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول أولى للعموم (فان الله شاكر) أي مجاز على الطاعة (عليم) أي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به أريد به أنه المجازي على الطاعة بالثواب الا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة في الاحسان اليهم ۞ قوله عز وجل (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) نزلت في علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيأ من أمر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال القول الاول وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيأ من أمر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن أبي هريرة قال لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيأ أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى وقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شيء يعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا (من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (أولئك) يعني الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) أي يبعدهم من رحمته وأصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين تابوا) أي ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام (وأصلحوا) يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعني ما كتموا من العلم (فأولئك أتوب عليهم) أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم (وأنا التواب) أي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني اليّ (الرحيم) يعني بهم بعد اقبالهم عليّ ۞ قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس أجمعين قلت فيه أوجه أحدها انه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكافر من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) أي مقيمين في اللعنة وقيل في النار وانما أضمرت لعظم شأنها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة

﴿فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم﴾ قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار

(فان الله شاكر) مجاز على القليل كثيرا (عليم) بالاشياء صغيرا أو كبيرا (ان الذين يكتمون) من أحبار اليهود (ما أنزلنا) في التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام (والهدى) الهداية الى الاسلام بوصفه عليه السلام (من بعد ما بيناه) أوضحناه (للناس في الكتاب) في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين فكتموه (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وترك الايمان (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) وأظهروا ما كتموا (فأولئك أتوب عليهم) أقبل توبتهم (وأنا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها (خالدين) حال من هم في عليهم (فيها) في اللعنة أو في النار الا انها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) من الانظار أي لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر اليهم نظر رحمة

ل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها. ذهب بعضهم
إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم
على التعيين وأما على الإطلاق فيجوز لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة
والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن من
غير منار الأرض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه في الصحيح ﴿ قوله عز وجل (وإلهكم إله واحد) سبب نزول
هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الإخلاص
والوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله أنه واحد
لا نظير له وليس كمثله شيء وقيل واحد في الألوهية والربوبية ليس له شريك لأن المشركين أشركوا معه الآلهة
فكذبهم الله تعالى بقوله وإلهكم إله واحد يعني لا شريك له في الألوهية ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو
نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته
لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه (لا إله إلا هو) تقرير للوحدانية بنفي غيره من الإلهية
وإثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعني أنه المولى لجميع النعم أصولها وفروعها فلا شيء سوى
الصفة لأن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن أسماء بنت يزيد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ال
رحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث
صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون إن محمدا يقول إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين
فأنزل الله تعالى (إن في خلق السموات والأرض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع ورده إلى
التفكر في آياته والنظر في عجائب مصنوعاته وإتقان أفعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته إذ لو كان في
الوجود صانعان لهما قدرة لاستحال اتفاقهما على أمر واحد ولامتنع في أفعالهما التساوي في
الكمال فثبت بذلك أن خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر هنا
ثمانية أنواع ﴿ أولها قوله إن في خلق السموات والأرض وإنما جمع السموات لأنها أجناس مختلفة كل
سماء من جنس غير جنس الأخرى ووحد الأرض لأنها جنس واحد وهو التراب والآية في السماء هي سمكها
وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الأرض مدها وبسطها
على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات ﴿ النوع
الثاني قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما في المجيء والذهاب وقيل اختلافهما في
القصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وإنما قدم الليل على النهار لأن الظلمة أقدم والآية في الليل
والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة
يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار إنما هو لتحصيل مصالح العباد ﴿ النوع الثالث قوله تعالى (والفلك
التي تجري في البحر) أي السفن واحده وجمعه سواء وسمي البحر بحرا لاستبحاره وهو اتساعه وانبساطه والآية في
تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالأثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة
وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجي منه إلا الله تعالى ﴿ النوع الرابع قوله
تعالى (بما ينفع الناس) يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الأرباح والآية في ذلك أن الله
لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وأيضا فإن الله تعالى خص كل
قطر من أقطار العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار

(وإلهكم إله واحد) فرد
في الإلهية لا شريك له
فيها ولا يصح أن يسمى غيره
إلها (لا إله إلا هو) تقرير
للوحدانية بنفي غيره وإثباته
وموضع هو رفع لأنه بدل
من موضع لا إله ولا يجوز
النصب هنا لأن البدل يدل
على أن الاعتماد على الثاني
والمعنى في الآية على ذلك
والنصب يدل على أن الاعتماد
على الأول ورفع (الرحمن
الرحيم) أي المولى لجميع
النعم أصولها وفروعها ولا
شيء سواه بهذه الصفة
سواه إما نعمة وإما منعم عليه
على أنه خبر مبتدأ أو على
البدل من هو لا على
الوصف لأن المضمر لا يوصف
ولما تعجب المشركون من
إله واحد وطلبوا آية على
ذلك نزل (إن في خلق
السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار)
في اللون والطول والقصر
وتعاقبهما في الذهاب
والمجيء (والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع
الناس) بالذي ينفعهم مما
يحمل فيها أو ينفع الناس
ومن في

من ركوب السفن وغوص البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه

﴿ النوع الخامس قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمي سماء لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه نزل الى الارض وقيل أراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فأحيا به) أي بالماء (الارض بعد موتها) أي يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر فهي كالميتة والآية في انزال المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان ﴿ النوع السادس قوله تعالى (وبث) أي فرق (فيها) أي في الارض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان ﴿ النوع السابع قوله تعالى (وتصريف الرياح) يعني في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكباء وهي الريح التي تأتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصريفها في أحوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم أو صحة وقيل البشارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور وهي الريح العقيم التي أهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والآية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الارض ﴿ النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والارض) أي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كأنه يسحب والآية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله (لآيات) أي فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) أي ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد ﴿ قوله عز وجل (ومن الناس) يعني المشركين (من يتخذ من دون الله أندادا) يعني أصناما يعبدونها والانداد مثل المنازع فعلى هذا الاصنام أنداد بعضها لبعض وليست أندادا لله تعالى وتعالى الله أن يكون له ند أو له مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى (يحبونهم) أي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض وأحببت فلانا أي جعلته معرضا بان تحبه والمحبة الارادة (كحب الله) أي كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة لله تعالى ومن قال بالقول الثاني أثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له في الحب (والذين آمنوا أشد حبا لله) أي أثبت وأدوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن أصنامهم في الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما أخبر عنهم فاذا

(وما أنزل الله من السماء) لابتداء الغاية وفي (من ماء) مطر لبيان الجنس لان ما ينزل من السماء مطر وغيره ثم عطف على أنزل (فأحيا به) بالماء (الارض بعد موتها) يبسها ثم عطف على فأحيا (وبث) وفرق (فيها) في الارض (من كل دابة) هي كل ما يدب (وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلي أي وتقليبها في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب (والسحاب المسخر) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء (بين السماء والارض) في الهواء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الاشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها وفي الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (ومن الناس) أي ومع هذا البرهان النير من الناس (من يتخذ من دون الله أندادا) أمثالا من الاصنام (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له أي يحبون الاصنام كما يحبون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) من المشركين لآلهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشركون يعدلون عن أندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له

(ولو يرى) بالياء نافع وشامي على خطاب الرسول أو كل مخاطب أي ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً (الذين ظلموا) إشارة إلى المتخذين
(إذ يرون) يرى شامي (العذاب أن القوة لله جميعاً) حال (وأن الله شديد العذاب) شديد عذابه أي لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا
الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب
يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لأن لو إذا جاء فيما يشوق إليه أو يخوف منه قلما يوصل بجوابه
ليذهب القلب فيه كل مذهب، ولو بابها الماضي وكذا إذ وضعهما ليدل على الماضي وإنما دخلتا على المستقـ

ـبل لأن أخبار الله تعالى
عن المستقبل مثل الماضي
في تحققه كالماضي (إذ تبرأ)
مدغمة الدال في التاء حيث
وقعت عراقي غير عاصم
وهو بدل من إذ يرون
العذاب (الذين اتبعوا)
أي المتبوعون وهم الرؤساء
(من الذين اتبعوا) من
الأتباع (ورأوا العذاب)
الواو فيه للحال أي تبرؤوا
في حال رؤيتهم العذاب
(وتقطعت) عطف على
تبرأ (بهم الأسباب) الوصل
التي كانت بينهم من الاتفاق
على دين واحد ومن الأنساب
والمحاب (وقال الذين اتبعوا)
أي الأتباع (لو أن لنا كرة)
رجعة إلى الدنيا (فنتبرأ)
نصب على جواب التمني
لأن لو في معنى التمني والمعنى
ليت لنا كرة فنتبرأ (منهم
كما تبرؤوا منا) الآن (كذلك)
مثل ذلك الإراء الفظيع
(يريهم الله أعمالهم) أي
عباداتهم الأوثان
(حسرات عليهم) ندامات
وهي مفعول ثالث ليريهم ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون إلا حسرات مكان
أعمالهم (وما هم بخارجين من النار) بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على أنفسهم البحائر ونحوها (يا أيها الناس كلوا) مما
(مما في الأرض) من للتبعيض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول (حلالاً) مفعول كلوا أو حال مما في الأرض (طيباً) طاهراً من كل
شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه التي يدعوكم إليها بسكون الطاء أبو عمرو وغيره عباس ونافع وحمزة وأبو بكر والخطوة في الأصل
ما بين قدمي الخاطي يقال اتبع خطواته إذا اقتدى به واستن بسنته

ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السراء ولا في الضراء ولا في
الشدة ولا في الرخاء وقيل إن المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناماً كثيرة فتنقص المحبة
واحد وقيل العاقل والذين آمنوا أشد حباً لله لأن الله أحبهم أولاً ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت
محبته أتم وسيأتي بسط الكلام في المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالتاء
والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني أشركوا في شدة العذاب لرأيت أمراً عظيماً وقرئ بالياء
ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤيتهم العذاب حين يقذفون في النار لعرفوا مضرة الكفر وأن
ما اتخذوه من الأصنام لا ينفعهم (إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً) معناه لو رأى الذين كانوا يشركون
العذاب في الآخرة لعلموا حين يرون العذاب أن القوة لله جميعاً والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله
ما تيقنوا معه أن القوة لله جميعاً وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود (وأن الله شديد العذاب)
قوله عز وجل (إذ تبرأ) أي تبرأ وتباعد (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) أي القادة من مشركي
الإنس من الأتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب
بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤون من الإنس والقول هو
الأول (وتقطعت بهم الأسباب) يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة
وقيل الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها
وأصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة
سبباً تشبيهاً بالحبل الذي يصعد به (وقال الذين اتبعوا) يعني الأتباع (لو أن لنا كرة) أي رجعة إلى الدنيا (فنتبرأ
منهم) أي من المتبوعين (كما تبرؤوا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) أي كما أراهم العذاب يريهم الله (أعمالهم
حسرات عليهم) لأنهم أيقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل
الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى أن الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون
لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم منازلهم في الجنة فيقال
لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على
ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) ❁ قوله عز وجل (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً)
نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام و
السائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي أحله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه وأصله من الحل الذي
هو نقيض العقد والطيب ما يستلذه والمسلم لا يستطيب إلا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لأن
النجس تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تسلكوا سبيله وقيل

(انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة لا خفاء به وأبان متعد ولازم ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا فانه يريهم في الظاهر الموالاة ويزين لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط

انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد (وأن تقولوا) في موضع الجر بالعطف على بالسوء أي وبأن تقولوا (على الله ما لا تعلمون) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن (قالوا بل نتبع ما ألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله (أولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم (لا يعقلون شيئا) من الدين (ولا يهتدون) للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال (ومثل الذين كفروا) المضاف محذوف أي ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذي ينعق) يصيح والمراد (بما لا يسمع الا دعاء ونداء) البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر كما تفهم العقلاء والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع (صم) خبر مبتدأ مضمر أي هم صم (بكم) خبر ثان (عمي) عن

لا تأتوا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا أن تتعدوا ما أحل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هي الذنوب المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى (انه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى (انما يأمركم بالسوء) يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه (والفحشاء) يعني به المعاصي وما قبح من قول أو فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) يعني من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما أقدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان ۞ قوله عز وجل (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية وقيل ان الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وهم مشركو العرب قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله يا أيها الناس كلوا مما في الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعني في تحليل ما حرموا على أنفسهم (قالوا بل نتبع ما ألفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لا يعقلون شيئا) يعني لا يعلمون شيئا من أمر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) أي الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوتا فالداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل أن الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمي) لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به

الحق خبر ثالث (فهم لا يعقلون) الموعظة ثم بين ان ما حرمه المشركون حلال بقوله (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) من
أو من ستلذاته (واشكروا لله) (١١٢) الذى رزقكموها (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون أنه معطى
ثم بين المحرم فقال (انما حرم عليكم الميتة) يعنى كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وانما لاثبات المذكور ونفى ما عداه أى ما حرم عليكم الا الميتة (والدم) يعنى السائل لقوله فى موضع آخر أو دما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال (ولحم الخنزير) يعنى الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالاكل (وما أهل به لغير الله) أى ذبح للاصنام فذكر عليه غير اسم الله وأصل الاهلال رفع الصوت أى رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (فمن اضطر) أى ألجئ بكسر النون بصرى وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعنى النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة الطاء (غير) حال أى فأكل غير (باغ) للذة وشهوة (ولا عاد) متعد مقدار الحاجة وقول من قال غير باغ على الامام ولا عاد فى سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة والحبس بالحضر
يبيح بلا سفر ولان نفيه لا يخرج عن الايمان فلا يستحق الحرمان والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة
دون ما فيه حصول الشبع لان الاباحة للاضطرار فيتقدر بقدر ما تندفع الضرورة (فلا اثم عليه) فى الاكل (ان الله غفور) للذنوب
فأنى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار (رحيم) حيث رخص ونزل فى رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبى عليه السلام وأخذهم على

صاروا بمنزلة الاصم الذى لا يسمع مثالا لمن يسمع ولا يعقل كأنه أصم بكم أى عن النطق بالحق عمى أى عن
طريق الهدى (فهم لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبى لان العقل الطبيعى كان حاصلا فيهم ﴿ قوله
عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) قيل ان الامر فى قوله كلوا قد يكون للوجوب
كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة
من هذه العوارض والطيب هو الحلال (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى
يستجاب لذلك قوله أشعث أغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من
فلعل قوما تنزهوا عن أكل المستلذ من الطعام فأباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا لله) يعنى على نعمه
(ان كنتم اياه تعبدون) أى اشكروا الله الذى رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه
المنعم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها ﴾ قوله عز وجل (انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير) لما أمر الله تعالى فى الآية التى تقدمت بأكل الطيبات التى هى الحلال بين
فى هذه الآية أنواعا من المحرمات أما الميتة فكل ما فارقته روحه من غير ذكاة مما يذبح وأما الدم فهو الجارى
وكانت العرب تجعل الدم فى المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم وأما الخنزير فانه أراد به جميع
أجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل (وما أهل به لغير الله) يعنى وما ذبح للاصنام
والطواغيت وأصل الاهلال رفع الصوت وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها
فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعنى الى
أكل الميتة وأحوج اليها (غير باغ) أصل البغى الفساد (ولا عاد) أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة
الحد (فلا اثم عليه) أى فأكل فلا اثم عليه أى فلا حرج فى أكلها (ان الله غفور) أى لمن أكله فى حال
الضرورة (رحيم) يعنى حيث رخص لعباده فى ذلك
﴿فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل﴾ (الاولى فى حكم الميتة) أجمعت الامة على تحريم أكل الميتة
وأنها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد أما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور
ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى فيه حديث حسن صحيح وأما الجراد فلما
روى عن ابن أبى أوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أو ستا كنا نأكل الجراد
ونحن معه أخرجاه فى الصحيحين واختلف فى السمك الميت الطافى على الماء فقال مالك والشافعى لا بأس به
وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن حى انه مكروه وروى عن على بن أبى طالب أنه قال ما طفا من
صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن أبى بكر الصديق وأبى أيوب اباحته
واختلف فى الجراد فقال الشافعى وأبو حنيفة لا بأس بأكل الجراد كله ما أخذته وما وجدته ميتا وقال
مالك ان ما وجده ميتا فلا يحل وما أخذه حيا فلا بد من ذكاته وذكاته بأن يقطع رأسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت
فلا يحل ﴿المسئلة الثانية فى حكم الدم﴾ اتفق العلماء على ان الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به
تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح وقال أبو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس
ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطنى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ آخر أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً وضعف أبو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن عمر مرفوعاً لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفاً ومرفوعاً والصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لأن الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر إلى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم ﴿المسألة الثالثة في الخنزير﴾ أجمعت الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وإنما ذكر الله تعالى لحمه لأن معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء إنه نجس وقال مالك إنه طاهر وكذا كل حيوان عنده لأن علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد أنه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما أن التغليظ في الكلب لأن العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل إن التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى إلى غيره ﴿المسألة الرابعة في حكم قوله وما أهل به لغير الله﴾ من الناس من زعم أن المراد بذلك ذبائح عبدة الأوثان التي كانوا يذبحونها لأصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى إذا سمى عليها اسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم إذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال إذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا وإذا لم تسمعوهم فكلوا فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون ﴿المسألة الخامسة في حكم المضطر﴾ المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ إليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر أي خاف التلف حتى قيل من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام إما بإكراه أو بجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد شيئاً البتة فإن التحريم يرتفع مع وجود هذه الأقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا إثم عليه وتباح له الميتة فأما الإكراه فيبيح ذلك إلى زوال الإكراه وأما المخمصة فلا تخلو إن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وإن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان أحدهما أنه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك ﴿المسألة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد﴾ قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أي متعد بمعنى العاصي بسفره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل من الميتة إذا اضطر إليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده وذهب قوم إلى أن البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطر وإن كان عاصياً وقيل في معنى قوله غير باغ أي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها ﴿قوله عز وجل (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب)﴾ نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فأنزل الله إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب أي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الإمام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لأن التوراة والإنجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر إلى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لأنه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة

(إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) في صفة محمد عليه السلام

(ويشترون به ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا (أولئك ما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم تقول أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (إلا
النار) لأنه إذا أكل ما يلتبس بالنار لكونه عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي
• ما يكون كل لها كافة أي عن أكسابهم كالعقوبة عليه تكون ناره (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) كلاما يسرهم بل بكلام سخط
احتوائهم ولا يتكلمون (ولا يزكيهم) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم أو لا يثني عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم هو حرف الذي ... ولذلك
وأولئك مع صبره ... والجمل الثلاث معطوفة على خبر ... لأن ... (أولئك الذين

اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) بكتمان نعت محمد عليه السلام (فما أصبرهم على النار) فأي شيء أصبرهم على عمل يؤدي إلى النار وهذا استفهام بمعنى التوبيخ (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق (وإن الذين اختلفوا) أي أهل الكتاب (في الكتاب) هو للجنس أي في كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها بالباطل (لفي شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق فاختلفوا فيه كما تعلمون وإن الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا) أي ليس البر توليتكم (وجوهكم قبل المشرق والمغرب) والخطاب لأهل الكتاب لأن قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد من

محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لهم تأويلا باطلا يصرفونها عن ظاهرها الصحيح حفظا لرئاستهم على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى أن الذين يكتمون معاني ما أنزل الله من
الكتاب (ويشترون به) أي بالكتمان وقيل يعود الضمير إلى ما أنزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) أي عوضا
يسيرا وهي المآكل التي كانوا يأخذونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) فهي ما يؤديهم
إلى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم ذلك إلى النار فكأنهم أكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة)
أي كلاما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤوا فيها وقيل أراد به أنه يغضب عليهم وقيل لا يكلمهم
ولا يبالي بهم (ولا يزكيهم) أي ولا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) أي وجيع يصل ألمه إلى
قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه أنهم اختاروا الضلالة على الهدى
واختاروا العذاب على المغفرة لأنهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان في إظهاره الهدى والمغفرة
وفي كتمانه الضلالة والعذاب ولما أقدموا على إخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة
بالعذاب (فما أصبرهم على النار) أي ما الذي صبرهم وأي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق
واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل إنه تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من
غير مبالاة منهم والمعنى أنهم اجترؤوا على ما يوجب النار عليهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين
عليه فتعجب من حالهم بقوله فما أصبرهم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب) يعني ذلك العذاب بسبب أن الله
نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وأنكروه وبدلوا معناه فعاقبهم بذلك لأن الله أنزل الكتاب بالحق
وعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وإن الذين اختلفوا في الكتاب) يعني أنهم اختلفوا فيه وتأولوه
وحرفوها وبدلوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفي شقاق) أي خلاف ومنازعة (بعيد) يعني عن
الحق قوله عز وجل (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) هذا خطاب لأهل الكتاب لأن
النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب إلى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم أن البر في ذلك فأخبر
الله تعالى أن البر ليس في ما زعموا ولكن ما بيناه في هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين
لأن الرجل كان في ابتداء الإسلام إذا أتى بالشهادتين وصلى إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له
الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله هذه الآية
وقال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم أي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا غير ذلك (ولكن البر)
ما سنبينه لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله الموجبة للثواب والمؤدية إلى
الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى (من آمن بالله) أي لكن البر بر من آمن بالله فالمراد بالبر الإيمان
والتقوى من الله (واليوم الآخر) وإنما ذكر الإيمان باليوم الآخر لأن عبدة الأوثان كانوا ينكرون البعث
بعد الموت (والملائكة) أي ومن البر الإيمان بالملائكة كلهم لأن اليهود قالوا إن جبريل عدونا (والكتاب

العرب يزعم أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم بأن البر ليس فيما أنتم عليه فإنه منسوخ (ولكن البر) بر (من آمن بالله) قيل
أو ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف والأول أجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي وقيل كان خصوص المسلمين وأهل
الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب
الاهتمام به هذه الأعمال ليس البر بالنصب على أنه خبر ليس واسمه أن تولوا حمزة وحفص ولكن البر بالتخفيف والرفع نافع وشامي وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ
القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء (والكتاب) أي جنس

قيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعني أجمع وإنما خص الإيمان بهذه الأمور الخمسة لأنه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها (وآتى المال على حبه) يعني من أعمال البر إيتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا وكناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى أي وآتى المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوي القربى) يعني أهل قرابة المعطي وانما قدمهم لأنهم أحق بالاعطاء ﴿ عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه النسائي (ق) أن ميمونة رضي الله عنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي قال أو فعلت قالت نعم قال أما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك الوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم هو الذي لا أب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ أي وآتى الفقراء من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين سمي بذلك لأنه دائم السكون الى الناس لأنه لا شيء له (وابن السبيل) يعني المسافر المنقطع عن أهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لأنه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والأول أشبه لأن ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين) يعني الطالبين المستطعمين ﴿ عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أبو داود عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك في الموطأ عن أم بجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فلا أجد شيأ أعطيه اياه قال ان لم تجدي الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه في يده أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية مالك في الموطأ عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما أراد به ردوه بشيء تعطونه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفي كونه محرقا مبالغة في قلة ما يعطى (وفي الرقاب) يعني المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الأسارى (وأقام الصلوة) يعني المفروضة في أوقاتها (وآتى الزكوة) يعني الواجبة (والموفون بعهدهم) يعني بما أخذ الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل أراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذي كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الامانات (اذا عاهدوا) يعني اذا وعدوا أنجزوا واذا نذروا أوفوا واذا حلفوا بروا في أيمانهم واذا قالوا أصدقوا في أقوالهم واذا ائتمنوا أدوا (والصابرين في البأساء) أي في الشدة والفقر والفاقة (والضراء) يعني المرض والزمانة (وحين البأس) يعني القتال والحرب في سبيل الله وسمي الحرب بأسا لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس أي اشتد الحرب ونتقي به أي نجعله وقاية لنا من العدو (أولئك الذين صدقوا) أي أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم (وأولئك هم المتقون) ﴿ قوله عز وجل

(والنبيين وآتى المال على حبه) أي على حب الله أو حب المال أو حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه (ذوي القربى) أي القرابة وقدمهم لأنهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك صدقة وصلة (واليتامى) والمراد الفقراء من ذوي القربى واليتامى وإنما أطلق لعدم الالباس (والمساكين) المسكين الدائم السكون الى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفردا لفظا وجعل ابنا السبيل لملازمته له أو الضيف (والسائلين) المستطعمين (وفي الرقاب) وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم أو في فك الأسارى (وأقام الصلاة) المكتوبة (وآتى الزكاة) المفروضة قيل هو تأكيد للأول وقيل المراد بالأول نوافل الصدقات والمبار (والموفون) عطف على من آمن (بعهدهم اذا عاهدوا) الله أو الناس (والصابرين) نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال (في البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (وحين البأس) وقت القتال (أولئك الذين صدقوا) أي أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا في الدين (وأولئك هم المتقون) روي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزل

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) نزلت في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل وكانت بينهم قتلى وجروح وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام وقيل نزلت في الأوس والخزرج وكان لأحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور وأقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل إنما نزلت هذه الآية في حكاية الأحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط فلا عفو والنصارى يوجبون العفو فلا قتل والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فإن وقع القتل على شريف منهم فإنه لا يقتل قاتله ويأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أي فرض عليكم القصاص في القتلى فإن قلت كيف يكون القصاص فرضا والولي مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية قلت إن القصاص فرض على القاتل للولي لا على الولي وقيل إذا أردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الأثر إذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا أو خنقه أو شدخ رأسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة والرواية الثانية عن أحمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ومعناه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل كل صنف إذا قتل بمثله الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولده ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال سألت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية أبي جحيفة العقل هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون عنه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد أخرجه الترمذي وذهب أهل الرأي إلى أن المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الآية مع الأحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ولأن هذه مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس وإن تلك واردة لحكاية ما كتب على بني إسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي إلى أن هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس ويقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم به وقال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه إن أربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب أن عمر قتل نفرا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة أن يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير أن يعلم ما يراد به وقوله لو تمالأ أي تعاونوا واجتمعوا عليه ❁ وقوله تعالى (فمن عفي له من أخيه شيء) أي ترك له عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية أو العفو عنها أو قبول الدية في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالأخ ولي المقتول وإنما قيل له أخ لأنه لابسه من قبل أنه وليه والطالب به وقيل إنما ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من

وأخوة

(يا أيها الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم القصاص) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص أثره وإذا اتبعه ومنه القصص لأنه تتبع الآثار والأخبار (في القتلى) جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى (الحر بالحر) مبتدأ وخبر أي الحر مأخوذ أو مقتول بالحر (والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) وقال الشافعي رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى أن النفس بالنفس كما بين الذكر والأنثى وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ولأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به ولأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا (فمن عفي له من أخيه شيء)

(فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان) آية العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه وأعرضت عن أن تعاقبه وهو يتعدى
بعن الى الجاني والى الجناية قال عفونا عنكم ويعفو عن السيئات واذا اجتمعا عدي الى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث
عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفي له أي من ترك له القتل بالدية وقال الازهري العفو في اللغة الفضل ومنه يسألونك
ماذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان بمال اذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عن مال عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفي
له من جهة أخيه شيء من العفو على أن الفعل مسند الى المصدر كما في سير بزيد بعض السير والاخ ولي المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثا له على العطف
لما بينهما من الجنسية والاسلام ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول الآخر (117) استغناء عنه وقيل أقيم له مقام عنه والضمير في له
وأخيه لمن وفي اليه الاخ أو
للتبع الدال عليه فاتباع لان
المعنى فليتبع الطالب القاتل
بالمعروف بان يطالبه مطالبة
جميلة وليؤد اليه المطلوب
أي القاتل بدل الدم أداء
باحسان بان لا يمطله ولا
يبخسه واما قيل شيء من
العفو ليعلم أنه اذا عفا عن
بعض الدم أو عفا عنه بعض
الورثة تم العفو وسقط
القصاص ومن فسر عفي
بترك جعل شيء مفعولا به
وكذا من فسره باعطي يعني
أن الولي اذا أعطي له شيء
من مال أخيه يعني القاتل
بطريق الصلح فليأخذه
بمعروف من غير تعنيف
وليؤده القاتل اليه بلا
تسويف وارتفاع اتباع
بانه خبر مبتدأ مضمر أي
فالواجب اتباع (ذلك)
الحكم المذكور من العفو
وأخذ الدية (تخفيف من
ربكم ورحمة) فانه كان في
التوراة القتل لا غير وفي الانجيل العفو بغير بدل لا غير وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا والآية تدل على أن
صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة (فمن اعتدى بعد ذلك)
التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة (ولكم في
القصاص حياة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة
بلاغة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان
القصاص حياة وأي حياة أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر
الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين (يا أولي الالباب) ياذوي العقول

والاخوة الاسلام وفي قوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيأ من الدم
قد بطل (فاتباع بالمعروف) اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه (وأداء
اليه باحسان) أي على القاتل أداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة أمر كل واحد منهما بالاحسان فيما له
وعليه وقيل في تقدير الآية واذا عفا ولي الدم عن شيء يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل
ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الآية
دليل على أن القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه الاول أن الله تعالى خاطبه بعد
القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه
من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل
على أن صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثاني أنه تعالى أثبت الاخوة بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له
من أخيه شيء وأراد بالاخوة أخوة الايمان فلولا أن الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث
أنه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر ۞ وقوله تعالى (ذلك تخفيف
من ربكم ورحمة) يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف
من ربكم يعني في حقكم ورحمة وذلك لان العفو وأخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما في
التوراة وكان في شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص
وأخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص أو العفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على
غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية (فله عذاب
أليم) وهو أن يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة ۞ قوله
عز وجل (ولكم في القصاص حياة) أي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل
وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب الحياة وذلك ان القاتل اذا
اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل
يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير
ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما أفضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الآية
ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته واذا
لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة (يا أولي الالباب) أي يا ذوي العقول الذين يعرفون الصواب

لأن القاتل إذا علم أنه إذا قتل قتل كف عن القتل (لعلكم تتقون) يعني لعلكم تنتهون عن القتل مخافة القصاص قوله عز وجل (كتب) أي فرض وأوجب (عليكم إذا حضر أحدكم الموت) يعني وجاءت أسبابه وظهرت آثاره من العلل والأمراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لأنه في ذلك الوقت يعجز عن الإيصاء (إن ترك خيرا) يعني مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل إن لفظة الخير لا تطلق إلا على المال الكثير وهو قول الأكثرين ثم اختلفوا في المال الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل إنه من حيث ما يكون بالنسبة إلى العيال وقيل إنه المال الكثير الفاضل عن العيال وروي أن رجلا قال لعلي إني أريد أن أوصي فقال له كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قال كم عيالك قال أربعة قال إنما قال الله تعالى إن ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك (الوصية) أي الإيصاء والوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستحق من العمل والقيام به بعد الموت (للوالدين والأقربين) كانت الوصية في ابتداء الإسلام فريضة للوالدين والأقربين على من مات وله مال وسبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يوصون للأبعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الأقربين فقراء فأوجب الله الوصية للأقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث ويدل عليه ما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه النسائي والترمذي بنحوه وذهب ابن عباس إلى أن وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والأقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار ومذهب هؤلاء أن الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والأقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية المواريث وبالحديث المذكور فوجب أن تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث وعند هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الأكثرون من المفسرين والعلماء والفقهاء إلى أن وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحبابها ما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده وفي رواية له شيء يريد أن يوصي فيه أن يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا ووصيتي عندي أخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والندب والحث والمعنى الحث في الوصية لأنه لا يدري متى يأتيه الموت فربما يأتيه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) يعني بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أو قال الثلث كبير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس أي يكففون المسألة من الناس كفهم أي يمدون أكفهم (ق) عن ابن عباس قال في الوصية لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقال علي بن أبي طالب لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس أو الربع (حقا) أي واجبا وقيل ثابتا فرضا ووجوبا (على المتقين) أي على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) أي غير الوصية من الأولياء والأوصياء وذلك التغيير يكون إما في الكتابة ...

(لعلكم تتقون) القتل حذرا من القصاص (كتب) فرض (عليكم إذا حضر أحدكم الموت) أي إذا دنا منه وظهرت أمارته (إن ترك خيرا) مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب (الوصية للوالدين والأقربين) وكانت الوصية للوارث في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه في شرح المنار وقيل هي غير منسوخة لأنها نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرابته والإسلام قطع الإرث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا الأول فكتب فرض (بالمعروف) بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا (على المتقين) على الذين يتقون الشرك (فمن بدله) فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود

(بعد ما سمعه) أى الايصاء (فإنما إثمه على الذين يبدلونه) فاثم التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لانهما بريئان من
الحيف (ان الله سميع) لقول الموصى (عليم) بجور المبدل (فمن خاف) علم وهذا شائع فى كلامهم يقولون أخاف ان

لا ترسل السماء ويريدون
الظن الغالب الجارى مجرى
العلم (من موص) موص كوفى
غيرهم موص (جنفا) ميلا
عن الحق بالخطأ فى الوصية
(أو إثما) تعمدا للحيف
(فأصلح بينهم) بين الموصى
لهم وهم الوالدان
والاقربون باجرائه على
طريق الشرع (فلا إثم
عليه) حينئذ لان تبديله
تبديل باطل الى حق ذكر
من يبدل بالباطل ثم من
يبدل بالحق ليعلم ان كل
تبديل لا يؤثم وقيل هذا
فى حال حياة الموصى أى
من حضر وصيته فرآه على
خلاف الشرع نهاه عن
ذلك وحمله على الاصلاح
ولا إثم على هذا الموصى
بما قال أولا (ان الله غفور
رحيم يا أيها الذين آمنوا
كتب) أى فرض (عليكم
الصيام) هو مصدر صام
والمراد صيام شهر رمضان
(كما كتب) أى كتابة
مثل ما كتب فهو صفة
مصدر محذوف (على الذين
من قبلكم) على الانبياء
والامم من لدن آدم عليه
السلام الى عهدكم فهو
عبادة قديمة والتشبيه
باعتبار ان كل أحد له صوم
أيام أى أنتم متعبدون

بالصيام فى أيام كما تعبد من كان قبلكم (لعلكم تتقون) المعاصى بالصيام لان الصيام أطلب لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء أو لعلكم تنتظمون
فى زمرة المتقين اذ الصوم شعارهم وانتصاب (أياما) بالصيام أى كتب عليكم أن تصوموا أياما (معدودات) موقتات بعدد معلوم أى قليل

الحقوق أو الشهود بأن يكتموا الشهادة أو غيروها وانما ذكر الكناية فى بدله مع ان الوصية مؤنثة لان
الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة أى وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت أو ما أوصى به (بعد
ما سمعه) أى من الموصى وتحققه (فإنما إثمه على الذين يبدلونه) أى ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على
المبدل والموصى والموصى له بريئان منه (ان الله سميع) يعنى لما أوصى به الموصى (عليم) يعنى بتبديل
المبدل (فمن خاف) أى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعنى جورا فى الوصية وعدولا
عن الحق والجنف الميل (أو إثما) أى ظلما (فأصلح بينهم) وقيل الجنف الخطأ فى الوصية والاثم العمد وقيل
فى معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصى فرآه يميل فى وصيته اما بتقصير أو اسراف أو وضع الوصية
فى غير موضعها فلا حرج عليه ان يأمره بالعدل فى وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه أراد به اذا أخطأ
الميت فى وصيته أو جاف متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولى أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته
وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلا إثم عليه) أى فلا حرج عليه فى الصلح (ان الله غفور
رحيم) أى لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعملان بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب
لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله ذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود
والترمذى قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية أن لا تمضى أو ينقص
بعضها أو يوصى لغير أهلها أو يحيف فى الوصية ونحو ذلك ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى
فرض (عليكم الصيام) والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى
انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل
والشرب والجماع فى وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية (كما كتب على الذين
من قبلكم) يعنى من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة أى فى الزمن الاول
ما أخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله
وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فاذا وافق رمضان زمانا فربما وقع فى الحر
الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم
ورؤسائهم أن يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة
أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه
ان يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ما شأن
هذه الثلاثة أيام أتموه خمسين يوما فأتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا
بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد
يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم فى صيامكم لان الصوم
وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم
تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم
(أياما معدودات) أى مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا
وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفرضية صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر
القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله

وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير (فمن كان منكم مريضا) يخاف من الصوم زيادة المرض (أو على سفر) أو راكب سفر (
فعليه عدة أي فعليه صيام عدد أيام فطره والعدة بمعنى المعدود أي أمر أن يصوم أياما معدودة مكانها (من
أخر) سوى أيام مرضه وسفره وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الألف واللام لان الاصل في فعلى صفة ان تستعمل في الجمع بالألف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل من فدية فدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا أو على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فأضمر لا لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخا (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حمزة
وعلي (وأن تصوموا) أيها المطيقون (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وأن تصوموا في السفر والمرض خير لكم لانه أشق عليكم (ان كنتم تعلمون) شرط محذوف الجواب

عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله أياما معدودات أيام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال أولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله معدودات على انها أكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا أمكن [illegible] حمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا أو على سفر) أي فأفطر (عدة من أيام أخر) يعني غير أيام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) أي يطيقون الصوم واختلف [illegible] في حكم هذه الآية فذهب أكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع [illegible] وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين أن يصوموا أو بين أن يفطروا ويفدوا وا[illegible] لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر ويفتدي فعل حتى نزلت هذه الآية التي بعدها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفتدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين أن يفطر ويفتدي ثم نسخ وذهب [illegible] منهم ابن عباس الى أن الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء و[illegible] المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر [illegible] يفي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من أفطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر أن يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس [illegible] كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خير له) يعني زاد على مسكين واحد فأطعم عن كل يوم مسكينين فأكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فأطعم صاعا وعليه مد فهو خير له (وأن تصوموا [illegible] قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وأن تصوموا أيها المطيقون تحملوا المشقة فهو خير لكم [illegible] الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل أولى (ان [illegible] تعلمون) يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا أفطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب أهل الرأي الى [illegible] عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون

قوله

﴿ قوله عز وجل (شهر رمضان) يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهراً لشهرته يقال اشتهر الشيء إذا ظهر وسمي الهلال شهراً لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهراً باسم الهلال وأما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسموه به وقيل إن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والأصح أن رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذي أنزل فيه القرآن) لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بإنزال أعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن الشافعي أنه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل فعلى هذا القول أنه ليس بمشتق وذهب الأكثرون إلى أنه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآناً لأنه يجمع السور والآيات بعضها إلى بعض ويجمع الأحكام والقصص والأمثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوماً في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل إنجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن إسحق وأبي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل (هدى للناس) يعني من الضلال (وبينات من الهدى والفرقان) فإن قلت هذا فيه إشكال وهو أنه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت إنه تعالى ذكر أولاً أنه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جلياً وتارة لا يكون كذلك فكأنه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل إن القرآن هدى في نفسه فكأنه قال إن القرآن هدى للناس على الإجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لأن البينات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والأحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل ﴿ قوله عز وجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي فمن كان حاضراً مقيماً غير مسافر فأدركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته أخرجاه في الصحيحين ولا خلاف أنه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه فمنهم من قال يجزي فيه خبر الواحد قاله أبو ثور ومنهم من أجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من أجرى أوله مجرى الأخبار فقبل فيه خبر الواحد وأجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل في آخره أقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط في أمر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) إنما كرره لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله

(شهر رمضان) مبتدأ خبره (الذي أنزل فيه القرآن) أي ابتدئ فيه إنزاله وكان ذلك في ليلة القدر أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أو خبر مبتدأ محذوف أي هو شهر والرمضان مصدر رمض احترق من الرمض فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ومنع الصرف للتعريف والألف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولأنهم سموا الشهور بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فإن قلت ما وجه ما جاء في الحديث من صام رمضان إيماناً واحتساباً مع أن التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعاً قلت هو من باب الحذف لأمن الإلباس والقران حيث كان غير مهموز مكي وانتصب (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) على الحال أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر أولاً أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر) فمن كان شاهداً أي حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولاً به لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان الشهر (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) فعدة مبتدأ أو خبر محذوف أي فعليه عدة أي صوم عدة

من شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يشمل النسخ الجميع فأعاد بعد ذكر الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم باق على ما كان عليه

﴿فصل في حكم الآية﴾ وفيه مسائل ﴿الاولى﴾ اختلفوا في المرض المبيح للفطر على أقوال أحدها وهو قول أهل الظاهر أي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله أن يفطر تمسكا بالمطلق على أقل أحواله وإليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الأصم أن هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تمسكا باللفظ المطلق على أكمل أحواله القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء أن المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي إلى ضرر في النفس أو زيادة علة غير محتملة إذا صام فإنه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينيه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تقويته قال الشافعي إذا أجهده الصوم أفطر وإلا فهو كالصحيح ﴿المسئلة الثانية﴾ الفطر مباح والصوم جائز به قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة وبعض أهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالأولى له الفطر ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصوم في السفر أخرجه البخاري ومسلم ويدل الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روي عن أنس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم أخرجه في الصحيحين ﴿المسئلة الثالثة﴾ اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري أي سفر كان ولو كان فرسخا وقال الأوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي وأحمد مسيرة ستة عشر فرسخا ثمان وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة أيام ﴿المسئلة الرابعة﴾ إذا أنشأ السفر في أثناء الشهر وهو مقيم ثم أنشأ السفر في أثناء نهاره فله أن يفطر حالة السفر ويجوز له أن يصوم في بعض السفر ويفطر في بعضه إن أحب يدل عليه ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالأحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلا من مكة ﴿المسئلة الخامسة﴾ اختلفوا في الأفضل فذهب الشافعي إلى أن الصوم أفضل من الفطر في السفر قال مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر أفضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وأفضل الأمرين أيسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴿المسئلة السادسة﴾ يبيح الفطر سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره أن يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من أيام أخر معناه فأفطر فعليه عدة من أيام أخر وظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقا وإن كان التتابع أفضل وفيه أن وجوب القضاء غير معين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان وذلك لمكان الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين (يريد الله بكم اليسر) أي التسهيل في الرخصة وهي إباحة الفطر للمسافر والمريض (ولا يريد بكم العسر) أي ولا يريد بكم الحرج في أمر الله تعالى وحرج بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان ذلك أحب إلى الله تعالى (ولتكملوا العدة) أي ولتكملوا عدة الأيام التي أفطرتم فيها بعذر السفر أو المرض والحيض لتصوموا بعددها وقيل أراد عدد أيام الشهر (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فأكملوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله

(يريد الله بكم اليسر) حيث أباح الفطر بالسفر والمرض (ولا يريد بكم العسر) ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الإعادة فقد عدل عن موجب هذا (ولتكملوا العدة) بدليل ما أفطرتم بالقضاء إذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره أحلوا ولتكملوا العدة (ولتكبروا الله

احد

أشد هرالاية تكبيرليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوال أن يكبروا وقال الشافعي واجب اظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحى حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ماهداكم الى آخر هذه العبادة تقول العرب في معنى قوله ولتكبروا الله أي ولتعظموا الله شكرا على ما أمر به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة (على ماهداكم) أي أرشدكم الى طاعته والى مايرضى به عنكم (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه

(فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه) ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار الصفد الغل أي شدت بالاغلال (ق) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا لثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو أن يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك زاد في رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه أحد أو قاتله فليقل اني صائم قوله كل عمل ابن آدم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه أحد وانما خص الصوم بقوله تعالى لي وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما تولى جزاءه على ما أحب لا على حساب ولا كتابة وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره أي بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم أبلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند أحدكم قوله الصيام جنة أي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل مايريده الانسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد وفي رواية ان في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون عن أبي أمامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية أي العمل أفضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له أخرجه النسائي ۞ قوله عز وجل (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه في أي ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا أين ربنا فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما أن يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله أما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب

على ماهداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعني جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ماعلم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل لتكبروا الله أي لتعظموه حامدين على ماهداكم اليه ولتكملوا بالتشديد أبو بكر ولما قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه نزل (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) علما واجابة لتعاليه عن القرب

الممات وأما السؤال عن صفته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا وأما السؤال عن
تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا إذا دعوناه فقوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فيحتمل
الوجوه كلها وقوله تعالى فإني قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى علي شيء وفيه إشارة إلى
إجابته لمن دعاه وإنجاح حاجة من سأله (ق) عن أبي موسى الأشعري قال لما غزا رسول الله صلى
خيبر أو قال توجه إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول
صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون
قريبا وهو معكم قوله اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها وقيل معناه أمسكوا عن الجهر فإنه قريب
دعاءكم ﴿ وقوله تعالى (أجيب دعوة الداع إذا دعان) أي أسمع دعاء عبدي الداعي إذا دعاني وقيل
عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا إله إلا أنت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك
لا إله إلا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمي قبوله إجابة لتجانس ا
إشارة إلى أن العبد يعلم أن له ربا مدبرا يسمع دعاءه إذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر في
إذا دعا وهو يعلم أن له ربا بالإخلاص وتضرع أجاب الله دعوته فإن قلت ما نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع
ولا يجاب له فما وجه قوله أجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعوني أستجب لكم قلت ذكر العلماء فيها وجو
أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إ
إن شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانيها أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الإجابة هو الثوا
الآخرة وثالثها أن معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما فيكون معناهما أجيب دعوة الداعي إذا وافق ا
أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرا له أو أجيبه إذا لم يسأل إثما أو محالا ورابعها أن معناها عام أي أسمع وهو
الإجابة المذكورة في الآية وأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور فالإجابة حاصلة عند وجود الدعوة
السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخامسها أن للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها
كان من أهل الإجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم
تعالى (فليستجيبوا لي) يعني إذا دعوتهم إلى الإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم و
في اللغة الطاعة فالإجابة من العبد الطاعة ومن الله الإثابة والعطاء (وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) أي
يهتدوا إلى مصالح دينهم ودنياهم

﴿فصل في فضل الدعاء وآدابه﴾ (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ر
تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني
يستغفرني فأغفر له هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء أحدهما
مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يجب الإيمان به وأنه حق على ما يليق به ونكل علمه إلى
تعالى ورسوله وأن ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويله مع اعتقاد تنزيه
صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من
تؤول على ما يليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره أن معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته وقيل
الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعاء والتر
سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن
صفرا خائبتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ا
متاع عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الأرض مسلم
الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذا نكثر قال

مكة (أجيب دعوة الداع
إذا دعان) أثبت الياء فيهما
في الحالين سهل ويعقوب
ووافقهما أبو عمرو ونافع
غير قالون في الوصل وغيرهم
بغير ياء في الحالين ثم إجابة
الدعاء وعد صدق من الله
لا خلف فيه غير أن إجابة
الدعوة تخالف قضاء الحاجة
فإجابة الدعوة أن يقول
العبد يا رب فيقول الله لبيك
عبدي وهذا أمر موعود
موجود لكل مؤمن وقضاء
الحاجة إعطاء المراد وذا قد
يكون ناجزا وقد يكون
بعد مدة وقد يكون في
الآخرة وقد تكون الخيرة
له في غيره (فليستجيبوا لي)
إذا دعوتهم للإيمان
والطاعة كما أني أجيبهم
إذا دعوني لحوائجهم
(وليؤمنوا بي) واللام
فيهما للأمر (لعلهم
يرشدون) ليكونوا على
رجاء من إصابة الرشد وهو
ضد الغي كان الرجل إذا
أمسى حل له الأكل
والشرب والجماع إلى أن
يصلي العشاء الآخرة أو يرقد
فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر
حرم عليه الطعام والشراب
والنساء إلى القابلة ثم إن عمر
رضي الله عنه واقع أهله بعد
صلاة العشاء الآخرة فلما
اغتسل أخذ يبكي ويلوم
نفسه فأتى النبي عليه السلام
وأخبره بما فعل فقال عليه
السلام ما كنت جديرا بذلك فنزل

أخرجه الترمذي قوله الله أكثر معناه الله أكثر إجابة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وله عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسئل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قوله يستحسر أي ينقطع عن السؤال وأصله من حسر الطرف إذا كل وضعف (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له زاد البخاري في رواية إن شئت ليعزم مسألته فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له قوله ليعزم المسألة أي لا تكن في دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد في المسألة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ۞ قوله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) سبب نزول هذه الآية أنه كان في ابتداء الأمر بالصوم إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الأخيرة أو يرقد فإذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله إلى الليلة القابلة ثم إن عمر بن الخطاب واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعتذر إلى الله وإليك من هذه الخطيئة إني رجعت إلى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أي أبيح لكم ليلة أراد بالليلة ليالي الصيام الرفث إلى نسائكم الرفث كلام يستفحش لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو ههنا كناية عن الجماع قال ابن عباس إن الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكر من المباشرة والملامسة وغير ذلك إنما عنى به الجماع (هن لباس لكم) أي سكن لكم (وأنتم لباس لهن) أي سكن لهن قيل لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم أنهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الأمانة ويقال للعاصي خائن لأنه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) أي فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم (وعفا عنكم) أي محا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر (فالآن باشروهن) أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث) أي الجماع (إلى نسائكم) عدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء وإنما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الإفضاء إلى نسائكم استقباحا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وقيل لباس أي ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وعفا عنكم) ما فعلتم قبل الرخصة (فالآن باشروهن) جامعوهن في ليالي الصوم وهو أمر إباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما (وابتغوا ما كتب

كثيرة والمراد بمنها ههنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع متعلقه ﴿ قوله تعالى
(تلك حدود الله) يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب
والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي
يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي
قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) أي فلا تأتوها ولا تغشوها فان قلت في الآية إشكالان أما الاول فهو
أنه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف في
الجمع فلا تقربوها الاشكال الثاني هو انه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية
أخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال في آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع
بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التي تقدمت
فيما قبل وان كانت كثيرة الا أن أقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد
وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبله ثم أتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم
الاكل والشرب في النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها
والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق
فنهي أن يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق
والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع
فيه وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ونحوها فانها
التحريم فهي حدود لا تقرب (كذلك) أي كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك (يبين الله آياته)
أي معالم دينه وأحكام شريعته (للناس) مثل هذا البيان الشافي الوافي (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا ما حرم
عليهم فينجوا من العذاب ﴿ قوله عز وجل (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نزلت في امرئ القيس
ابن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية والمعنى
لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل الشيء الذاهب
﴿فصل﴾ أما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه الاول أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب
الثاني أن يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق
الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن أخذها
بالأكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس يعني يأخذها بغير حلها (وتدلوا
بها الى الحكام) أي وتلقوا أمور تلك الاموال التي فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل
يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحده ويخاصم الى الحكام وهو يعلم أن الحق عليه وهو آثم بمنعه
وقيل هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى
الحكام وقيل لا تدل بمال أخيك الى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح
يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكني لا يسعني الا أن أقضي بما يحضرني من البينة وان قضائي
لك حراما (ق) عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم
فقال انما أنا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض وفي رواية ألحن بحجته
من بعض فأحسب انه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها

(تلك) الاحكام التي ذكرت (حدود الله) أحكامه المحدودة (فلا تقربوها) بالمخالفة والتغيير (كذلك يبين الله آياته) شرائعه (للناس لعلهم يتقون) المحارم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) أي لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه (وتدلوا بها الى الحكام) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها الى الحكام

رمن

إدو من بادم) يعنى بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وأنتم تعلمون) يعنى أنكم على الباطل ۞ قوله عز وجل (يسئلونك) أى يا محمد (عن الاهلة) نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فأنزل الله يسئلونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم عن وجه الحكمة فى تبيين حال الهلال فى الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر (قل هى مواقيت للناس) جمع ميقات والمعنى انه فعل ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس أوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم وأجائرهم وعدد النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة (والحج) أى وللحج وانما أفرد الحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة العبادات لفائدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبديل الشهور فأبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر أن الحج مقصور على الاشهر التى عينها الله لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسئ (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) ق عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وفى رواية كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآية وقيل كان الناس فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد منه وان كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشددهم فى دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا بظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على أثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فأنكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أحمسى فقال الرجل ان كنت أحمسيا فانا أحمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيأ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بنى سلمة على أثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى أحمسى فقال الانصارى وأنا أحمسى يقول أنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها

يأخذن منه شيأ فان ما أقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبى وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة يقال أدلى دلوه أى ألقاه فى البئر للاستسقاء (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق قال معاذ ابن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس نزل (يسئلونك عن الاهلة) جمع هلال سمى به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته (قل هى مواقيت للناس والحج) أى معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أى ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف فى رفع البر هنا لان الآية ثمة تحتمل الوجهين كاستلزام القمر والصلاة وهنا لا تحتمل الا وجها واحدا وهو الا عراذا الساه لا تدخل الا على خبر ليس

(ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله. البيوت وبابه مدني وبصري وحفص وهو الأصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعده ولكن هي توجب الخروج من كسر إلى ضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا فهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل أن يكون على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت الحج لأنه كان ذلك من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا مثلا لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) أي باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا أو المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسئل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تفلحون) لتفوزوا بالنعيم السرمدي (وقاتلوا في سبيل الله) المقاتلة في سبيل الله الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقيل هو أول آية نزلت في القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل والاجرام المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم المقاتلة (ولا تعتدوا) في ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما أو بالمثلة (إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الأخذ والغلبة (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة وعدهم الله تعالى بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أي شركهم بالله أعظم من القتل الذي يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل وقيل [لبعض الحكماء ما أشد] من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت

(ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) يعني في حال الإحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) أي في طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان في ابتداء الإسلام أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمره الله بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل إنها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين أعدوا أنفسهم للقتال فأما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لأنهم لم يقاتلوكم

وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من ألقى إليكم السلام (م) عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه أحد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا أي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الآية لا تبدؤوا بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء خافوا أن لا تفي قريش بما قالوا وأن يصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا بابتداء القتال (إن الله لا يحب المعتدين)

قوله عز وجل (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أي حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه أن الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الأولى بشرط إقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم (والفتنة أشد من القتل) يعني أن شركهم بالله أشد وأعظم من قتلكم إياهم في الحرم

والاحرام وانما سمى الشرك بالله فتنة لانه فساد فى الارض يؤدى الى الظلم وانما جعل أعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود فى النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة أشد من القتل (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اختلف العلماء فى هذه الآية فذهب مجاهد فى جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل أن يقاتل فى المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) أى فقاتلوهم وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال فى الحرم الا أن يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى أن هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فأمر بقتالهم فى الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعنى لما سلف (رحيم) يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم) أى وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) أى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثنى الا الاسلام أو القتل بخلاف الكتابى والفرق بينهما ان أهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فأمهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر باصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمنى أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا وأما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة فى شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل أن يرضى منهم الا بالاسلام أو القتل (ويكون الدين لله) أى الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ (فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) أى فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس وعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها ﴿ قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت فى عمرة القضاء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت (والحرمات) جمع حرمة وانما جمعت لانه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى أنهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) أى بالقتال (فاعتدوا عليه) أى فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) ﴿ قوله عز وجل (وأنفقوا فى سبيل

(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) أى ولا تبدؤا بقتالهم فى الحرم حتى يبدؤا وعند المسجد الحرام يقع على الحرم كله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) فى الحرم فمتى يقاتلون فى الاشهر الحرم لا فى الحرم الا أن يبدؤا بالقتال مما يلينا فتقتلهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل فى الامكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم (١٣١) فيه خص الحرم الا عند البداءة منهم كذا فى شرح التأويلات (كذلك جزاء الكافرين) مبتدأ وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلى (فان انتهوا) عن الشرك والقتال (فان الله غفور) لما سلف من طغيانهم (رحيم) بقبول توبتهم وايمانهم (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كى أو الى أن (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أى لا يعبد دونه شئ (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) فان امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان الا على الظالمين ولم يبق ظالمين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة (الشهر الحرام) مبتدأ خبره (بالشهر الحرام) أى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة أى حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة وتقديره عدوانا مماثلا لعدوانهم (واتقوا الله) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر (وأنفقوا فى سبيل

الله) يعني به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فأمر به والانفاق هو
صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد وتجهيز
الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لأن كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن اطلاق
هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا
في سبيل الله ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني
حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له
سبعمائة ضعف أخرجه الترمذي والنسائي (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه ولا تلقوا
أيديكم الى التهلكة والمراد بالأيدي الأنفس والمعنى ولا تلقوا أنفسكم الى التهلكة فعبر بالأيدي عن الأنفس
وقيل الباء في أصلها وفي الكلام حذف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم الى التهلكة كما يقال أهلك فلان
نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شيء يصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز
منه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز منه ومعنى الآية النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك
قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقولن أحدكم لا أجد شيئا السهم هنا
هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما أن يقطع
بهم واما أن يكونوا عالة فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفق عليه
في الغزو فلا يخرج لئلا يلقي بنفسه في التهلكة وهو أن يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الآية في
ترك الجهاد (ت) عن أبي عمران واسمه أسلم قال كنا بمدينة الروم فأخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج
اليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل
من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيده الى التهلكة فقام أبو أيوب
الانصاري فقال أيها الناس انكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار
لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أموالنا قد
ضاعت وان الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على
نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فكانت التهلكة
الاقامة على الأموال واصلاحها وتركنا الجهاد فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم
وقال حديث غريب حسن صحيح قيل مات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن في أصل سورها فهم
يتبركون بقبره ويستشفون به (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو أن يقنط من رحمة الله وهو أن الرجل يصيب الذنب فيقول
قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل
في معنى الآية انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف العيلة ان أنفقنا فنهلك فنهوا ان يمنعوا
الانفاق (خ) عن حذيفة قال وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال نزلت في
(وأحسنوا) أي بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل أحسنوا في الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا
عن الاسراف والاقتار في الانفاق وقيل معناه وأحسنوا في اداء فرائض الله تعالى (ان الله يحب الم
يثيبهم على احسانهم ۞ قوله عز وجل (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو أن
وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل هو أن تفرد لكل واحد
سفرا وقيل اتمامهما أن تكون النفقة حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما أن تخرج من أ

الله) بقصد نوال مرضاة الله
وهو عام في الجهاد وغيره
(ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)
أي أنفسكم والباء زائدة
أو لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم
كما يقال أهلك فلان نفسه بيده
اذا تسبب لهلاكها والمعنى
النهي عن ترك الانفاق في
سبيل الله لأنه سبب الهلاك
أو عن الاسراف في النفقة
حتى يفقر نفسه ويضيع
عياله أو عن الاخطار
بالنفس أو عن ترك الغزو
الذي هو تقوية للعدو
والتهلكة والهلاك والهلك
واحد (وأحسنوا) الظن
بالله في الاخلاف (ان الله
يحب المحسنين) الى
المحتاجين (وأتموا الحج
والعمرة لله) وأدوهما
تامين بشرائطهما وفرائضهما
لوجه الله تعالى بلا توان
ولا نقصان وقيل الاتمام
يكون بعد الشروع فهو
دليل على ان من شرع فيهما
لزمه اتمامهما وبه نقول ان
العمرة تلزم بالشروع ولا
تمسك للشافعي رحمه الله
بالآية على لزوم العمرة
لأنه أمر باتمامها وقد يؤمر
باتمام الواجب والتطوع
أو اتمامهما ان تحرم بهما
من دويرة أهلك أو أن
تفرد لكل واحد منهما
سفرا أو أن تنفق فيهما
حلالا أو أن لا تتجر معهما

له الاستطاعة ولا الحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام

﴿فصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا﴾ م عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي وجوب العمرة قولان للشافعي أصحهما أنها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب أحمد بن حنبل والقول الثاني أنها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه ذهب مالك وأبو حنيفة حجة من أوجب العمرة ما روى في حديث الصبي بن معبد أنه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي واني أهللت بهما فقال له هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائي بأطول من هذا وجه الدليل أنه أخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين أنه مهتد بارائه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس أنها كقرينتها في كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس أحد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة أخرجه النسائي والترمذي وزاد وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل أنه أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد قرنت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بأنها سنة ما روى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هي قال لا وأن تعتمروا خير لكم أخرجه الترمذي وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج بن أرطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجتمعت الامة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أنواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد أن يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويأتي بأعمالها فاذا فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى أن يحرم بالحج وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا في أشهر الحج وينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم أدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل فذهب مالك والشافعي الى أن الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج أخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال أهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج أخرجه مالك في الموطأ وذهب الثوري وأبو حنيفة الى أن القران أفضل يدل عليه ما روي عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا أخرجاه في الصحيحين وذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه الى أن التمتع أفضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان فأول من نهى عنهما معاوية أخرجه الترمذي (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم بالعمرة إلى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة قال للناس من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم أهدى
فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج
وسبعة إذا رجع إلى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شيء ثم خب
ثلاثة أطواف من السبع ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم
سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر
هديه يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أهدى وساق الهدي من الناس فاختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان
مفردا أو متمتعا أو قارنا وهي ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت
أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه
وسلم أنه كان أولا مفردا ثم إنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن
روى أنه كان مفردا فهو الأصل ومن روى القران اعتمد آخر الأمر ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو
الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا أمكن
الجمع بين الأحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وقد ذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث
كلاما موجزا في ذلك فقال إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل
كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر به وأذن فيه ويجوز في
العرب إضافة الفعل إلى الآمر به كما يجوز إضافته إلى فاعله كما يقال بنى فلان داره وأريد به أنه أمر
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وإنما أمر برجمه واختار الشافعي الإفراد واحتج في
ترجيح ذلك بأن رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فأما جابر
فهو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فإنه ذكرها من حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم من
المدينة إلى آخرها فهو أضبط لها من غيره وأما ابن عمر فصح عنه أنه كان آخذا بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع وأنه سمعه يلبي بالحج وأما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن
أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها
على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الإفراد أن الخلفاء الراشدين أفردوا
الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه وأركان الحج خمسة الإحرام والوقوف بعرفة والطواف
والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير في أصح القولين وأركان العمرة أربعة الإحرام والطواف
والسعي والحلق أو التقصير وبهذه الأركان تمام الحج والعمرة ﴿ قوله تعالى (فإن أحصرتم) أصل الحصر
في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف أهل اللغة في الحصر والإحصار فقيل إذا رد الرجل عن وجه يريده فقد
أحصر وإذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض إذا منعه من السفر أو حاجة ير
العدو وإذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف أو المرض أحصر والمحبوس
حصر وقال ابن قتيبة في قوله فإن أحصرتم هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر
أو عدو يقال أحصر فهو محصر فإن حبس في دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم إلى ا
واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك ههنا ومن أحصرك وقال آخرون بل أصل الحصر
الحبس وحصر في الحبس أقوى من أحصر وقيل الإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض
والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن وأما قوله فإن أحصرتم فمحمول على الأمرين ويجب

(فإن أحصرتم) يقال أحصر
فلان إذا منعه أمر من
خوف أو مرض أو عجز
وحصر إذا حبسه عدو عن
المضي وبعد ما الإحصار
سببه كل منع من عدو أو
مرض أو غيرهما لظاهر
النص وبعطاء في الحديث
من كسر أو عرج فقد حل
أي جاز له أن يحل وعليه
الحج من قابل وخصه
الشافعي رحمه الله الإحصار
بالعدو وحده وظاهر
السياق يدل على أن الإحصار
يتحقق في العمرة أيضا
لأنه ذكر عقبهما

الآية في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى أن كل مانع من عدو أو مرض أو ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة ويدل عليه ماروى عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى أنه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس وبه قال مالك والليث والشافعي وأحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الآية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو ولان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه أيضا سياق الآية وهو قوله فاذا أمنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس أنه قال لا حصر الا حصر العدو وثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بأنه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ماروى عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي وأحمد واسحق اذا شرط في الحج فعرض له مرض أو عذر أن يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدي) ومعنى الآية فان احصرتم دون تمام الحج أو العمرة فاذا تم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي مايهدى الى البيت وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس شاة لانه أقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث أحصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب أبو حنيفة الى أنه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) أي مكانه الذي يجب أن يذبح فيه وفيه قولان أحدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول أبي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث أحصر سواء كان في الحل أو في الحرم ومعنى محله يعني حيث يحل ذبحه وأكله وهو قول مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ماروى عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخاري ﴿ قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا أن تضطروا الى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع (ففدية) فيه اضمار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال أيؤذيك هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك نسيكة لا أدري بأي ذلك بدأ وفي رواية قال في نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك وذكر نحوه وفي أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي أخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت أرى ان الوجع بلغ منك ما أرى أو ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك ما أرى أتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت في خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام) أي صوم ثلاثة أيام (أو صدقة) يعني اطعام ثلاثة

(فما استيسر من الهدي) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية يعني فان منعتم من المضي الى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم اذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة فارفع بالابتداء أي فعليكم ما استيسر أو نصب أي فاهدوا له ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في أن دم الاحصار لا يذبح الا في الحرم على الشافعي رحمه الله اذ عنده يجوز في غير الحرم (فمن كان منكم مريضا) فمن كان منكم به مرض يحوجه الى الحلق (أو به أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة (ففدية) فعليه اذا حلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر

أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أو نسك) واحدتها نسيكة أي ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهذه الفدية على التخيير إن شاء ذبح أو صام أو تصدق وكل هدي أو طعام يلزم المحرم فإنه لمساكين الحرم إلا هدي المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء ۞ قوله تعالى (فإذا أمنتم) يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم قيل إذا أمنتم من الإحصار (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) قال ابن الزبير معناه فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من إحرامه بعمل عمرة واستمتع بإحلاله ذلك بتلك العمرة إلى السنة المستقبلة ثم حج ويكون متمتعا بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام المقبل وقيل معناه فإذا أمنتم وقد أحللتم من إحرامكم بعد الإحصار ولم تعتمروا في تلك السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة في أشهر الحج ثم أحللتم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام بمكة حلالا حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال الإحرام إلى إحرامه بالحج (فما استيسر من الهدي) يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند أبي حنيفة قبل يوم النحر كدم الأضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط أحدها أن يقدم العمرة على الحج الثاني أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج الثالث أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع أن يحرم بالحج من مكة ولا يعود إلى الميقات لإحرامه فإن رجع إلى الميقات وأحرم منه لم يكن متمتعا الخامس أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيء منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز أن يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعني الهدي (فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم في أيام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فإن لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم أيام التشريق وبه قال مالك وأحمد وهو أحد قولي الشافعي وقيل بل يصوم بعد أيام التشريق وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعي (وسبعة إذا رجعتم) يعني وصوموا سبعة أيام إذا رجعتم إلى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع إلى أهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والأخذ في الرجوع فعلى هذا يجزئه أن يصوم السبعة بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع إلى أهله وبه قال أبو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعني في الثواب والأجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدي لأنه قد يحتمل أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي فأعلم الله أن العشرة بكمالها هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس ۞ وسادسة تميل إلى سهام

ولأن القرآن نزل بلغة العرب والعرب تكرر الشيء تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة في الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل إن العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون إلى زيادة بيان وإيضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي أكملوها ولا تنقصوها (ذلك) أي هذا الحكم الذي تقدم (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قيل حاضرو المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسـ

(أو نسك) شاة وهو مصدر أو جمع نسيكة (فإذا أمنتم) الإحصار أي فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة (فمن تمتع) استمتع (بالعمرة إلى الحج) واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج وقيل إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدي) هو هدي المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر (فمن لم يجد) الهدي (فصيام ثلاثة أيام في الحج) فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت الحج وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج (وسبعة إذا رجعتم) إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج (تلك عشرة كاملة) في وقوعها بدلا عن الهدي أو في الثواب أو المراد دفع الإيهام لئلا يتوهم في الواو أنها بمعنى الإباحة كما في جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما أو أحدا منهما كان ممتثلا (ذلك) إشارة إلى التمتع إذ لا تمتع ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندنا وعند الشافعي رحمه الله إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئا (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) هم أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة

الحرام

الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال أبو حنيفة حاضر والمسجد الحرام أهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من أهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل حاضر والمسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان الاشارة اليه في قوله ذلك يرجع الى أقرب مذكور وهو لزوم الهدى أو بدله على المتمتع وهو الآفاقي فاما المكي اذا تمتع أو قرن فلا هدى عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فاقامته في التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون والانصار وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فانه لا يحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى أمصاركم والشاة تجزئ فجمعوا بين النسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله أنزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال أبو مسعود الدمشقي هذا حديث غريب ولم أجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من أجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما أخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله) أي فيما فرض عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) يعني لمن خالف أمره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه ۞ قوله عز وجل (الحج أشهر معلومات) يعني أشهر الحج أشهر معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وأبي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من أشهر الحج وقال ابن عباس أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وهي احدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام أركان الحج وقيل ان أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهي الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول أن الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان أوله من أشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهي قوله تعالى الحج أشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها فان قلت انما قال الحج أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي أشهر الحج شهران وعشر ليال وعند أبي حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان أشهر الحج ثلاث شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله (فمن فرض فيهن الحج) يعني فمن ألزم نفسه وأوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به

(واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن لم يتقه (الحج) أي وقت الحج كقولك البرد شهران (أشهر معلومات) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيأ من أعمال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعي رحمه الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه وجمعت أي الاشهر لمضي الثالث أو لان اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما (فمن فرض) الزم على نفسه بالاحرام (فيهن) في هذه الاشهر

يصير محرما وهو قول مالك ثم اختلفوا في ذلك العمل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية وسوق الهدي لان فرض الحج عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال أبو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية أو سوق الهدي ووجهه أن الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شيء الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في أشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي وأحمد واسحق لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وأبو حنيفة ينعقد احرام الحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر ولان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى (فلا رفث) قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت أترفث وأنت محرم فقال ان الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب (ولا فسوق) أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار وأخذ الشعر وما أشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (ولا جدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فكان جدالهم وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأنزل الله ولا جدال في الحج فأخبر أن الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة فأبطل النسيء وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج ونهى عن ذلك وأمر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والجدال في الحج أسمج وأشنع منه في غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ضبط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع أفعالهم من الخير والشر لفائدة وهي أنه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره وأخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو أرحم الراحمين وأكرم الاكرمين

(فلا رفث) هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش (ولا فسوق) هو المعاصي أو السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق أو التنابز بالالقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق (ولا جدال في الحج) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد النفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون وقرأ أبو عمرو ومكي الاولين بالرفع حملا على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج ثم حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أعلم بأنه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم

(وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) نزلت في أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا أفلا يطعمنا فإذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال إلى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا أي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا الإبرام والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فإن الإنسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا إلى الآخرة ولا بد فيه من زاد أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول لأن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الأعشى

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

(واتقون) أي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا أولي الألباب) يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الأمور ﴿ قوله عز وجل (ليس عليكم جناح) أي حرج (أن تبتغوا فضلا من ربكم) يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفي رواية أن تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة أيضا قال الأزرقي هي بأسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الأسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون إلى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة أيام من آخر ذي القعدة وثمانية أيام من أول ذي الحجة ثم يخرجون إلى عرفة في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن أبي أمامة التيمي قال كنت رجلا أكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي إنه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا أبا عبد الرحمن إني رجل أكري في هذا الوجه وإن أناسا يقولون إنه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار قلت بلى قال فإن لك حجا جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج أخرجه أبو داود والترمذي وقال بعض العلماء إن التجارة إن أوقعت نقصانا في أعمال الحج لم تكن مباحة وإن لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التي الأولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لأن الحج بدون التجارة أفضل وأكمل ﴿ وقوله تعالى (فإذا أفضتم) أي دفعتم والإفاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وإن كانت بقعة واحدة لأن كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل إن اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يري إبراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك إن آدم لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي إن إبراهيم لما أذن في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأتى من أتى أمره الله تعالى أن يخرج إلى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز فنظر إليه فلم يعرفه فجازه فسمي ذا المجاز ثم انطلق إبراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى إذا

(وتزودوا) أي تزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم (فإن خير الزاد التقوى) أي الاتقاء عن الإبرام والتثقيل عليهم أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فإن خير الزاد اتقاؤها (واتقون) وخافوا عقابي وهو مثل دعان (يا أولي الألباب) يا ذوي العقول يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له ونزل في قوم زعموا أن لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج وليسوا بالحاج (ليس عليكم جناح أن تبتغوا) في أن تبتغوا في مواسم الحج (فضلا من ربكم) عطاء وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فإذا أفضتم) دفعتم بكثرة من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول (من عرفات) هي علم للموقف سمي بجمع كأذرعات وإنما صرفت لأن التاء فيها ليست للتأنيث بل هي مع الألف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده

أمسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس ان ابراهيم رأى ليلة التروية
في منامه أنه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح تروى يومه أجمع أي تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى أم من
الشيطان فسمي يوم التروية ثم رأى ذلك في ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمي اليوم
عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب
وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء أي يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات
طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته
الوقوف في وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع
الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من
ليل أو نهار فقد حصل له الوقوف وتم حجه وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى [illegible]
من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر
المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة
امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل انسان
بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا * وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام)
مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج وأصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل
فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي
من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء [illegible]
معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول أصح وسميت المزدلفة من [illegible]
وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس
وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع
صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل عليه أن قوله فاذكروا الله أمر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا
والذي عليه جمهور العلماء أن المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والثناء
(ق) عن ابن عباس أن أسامة بن زيد كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم أردف
الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن [illegible]
دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان وا[illegible]
بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصواء [illegible]
المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن
الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم أجده في الاصول قال طاوس كانوا [illegible]
من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير فأخر الله
تعالى أحكام الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى ما بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى [illegible]
طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم أشرق ثبير ادخل أيها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقوله
نغير أي ندفع للنحر يقال أغار اذا أسرع ودفع في عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر
الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون أشرق ثبير فخالفهم النبي صلى [illegible]
فأفاض قبل طلوع الشمس * قوله تعالى (واذكروه كما هداكم) أي اذكروه بالتوحيد [illegible]

(فاذكروا الله) بالتلبية
والتهليل والتكبير والثناء
والدعوات أو بصلاة المغرب
والعشاء (عند المشعر الحرام)
هو قزح وهو الجبل الذي
يقف عليه الامام وعليه
الميقدة والمشعر المعلم لانه
معلم العبادة ووصف بالحرام
لحرمته وسميت المزدلفة
جمعا لان آدم عليه السلام
اجتمع فيها مع حواء
وازدلف اليها أي دنا منها
أو لانه يجمع فيها بين الصلاتين
أو لان الناس يزدلفون الى
الله تعالى أي يتقربون
بالوقوف فيها (واذكروه كما
هداكم) ما مصدرية أو كافة
أي اذكروه ذكرا حسنا
كما هداكم هداية حسنة أو
اذكروه كما علمكم
كيف تذكرونه ولا تعدلوا
عنه

بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول أي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي أنزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين ﴿قوله عز وجل (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان أحدهما انه خطاب لقريش قال أهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون أن يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأمرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع وأخبرهم أنه سنة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع أحمس وأصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني أنه خطاب لسائر المسلمين أمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث أفاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسي بالياء وقال هو آدم عهد اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وأراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكره في قوله فاذا أفضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فدل على أن هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو أن ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فكأنه قال فاذا أفضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت أجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتأخيرا وتقديره ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم أفيضوا بمعنى الواو أي وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن أبيه قال سئل اسامة ابن زيد وأنا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو أشد من المشي والفجوة الفرجة وهي المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة أقصى وسعها (خ) عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فأشار بسوطه اليهم وقال يا أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد وقوله تعالى (واستغفروا الله) أي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم (ان الله غفور رحيم) يعني ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور بنية المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على أنه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف

(وان كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) ثم لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا أمر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهي الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس على هذا الجنس ويكون الخطاب للمؤمنين (واستغفروا الله) من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم في أعمال الحج (ان الله غفور رحيم) يكم

نفسه تعالى بأنه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على أنه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بفضله وكرمه ۞ قوله عز وجل (فإذا قضيتم مناسككم) أي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم أي ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى (فاذكروا الله) يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) قال أهل التفسير كانت العرب في الجاهلية إذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول أحدهم كان أبي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الأشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبهم وأحسنت إليكم وإليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك أن الصبي أول ما يفصح بالكلام يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك فأمرهم أن يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء (أو أشد ذكرا) أي بل أشد ذكرا وقيل أو بمعنى الواو أي وأشد ذكرا أي وأكثر ذكرا للآباء لأنه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه فقال ليس كذلك ولكن أن تغضب لله عز وجل إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) يعني أن المشركين كانوا يسألون الله في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم أعطنا إبلا وغنما وبقرا وعبيدا وإماء وكان أحدهم يقوم فيقول اللهم إن أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز أو صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لأن من انتكس على رأسه أو في أمره فقد خاب وخسر قوله وإذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة إذا دخلت في جسمه والانتقاش إخراج الشوكة من الجسم وإنما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لأنهم كانوا ينكرون البعث (وما له في الآخرة من خلاق) أي وما له في الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعني المؤمنين واعلم أن الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا في الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لأنهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني هم المؤمنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لأن الإنسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالأولى له أن يستعيذ بالله من شرها وآلامها لأنه لو اضطرب على الإنسان عرق من عروقه لشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك أن طلب الدنيا [illegible] من أمر الدين فلذلك قال الله تعالى إخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة قيل إن الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والأمن والكفاية والتوفيق إلى الخير والنصر على الأعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية (م) عن أنس أن رسول

(فإذا قضيتم مناسككم) فإذا فرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحج ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) أي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم والمعنى فأكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أو أشد ذكرا) أي أكثر وهو في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا أو ذكرا تمييز (فمن الناس من يقول) من الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول (ربنا آتنا في الدنيا) اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى (وما له في الآخرة من خلاق) نصيب لأن همه مقصور على الدنيا لكفره بالآخرة والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاءه لأن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أي من الذين قيل فيهم (ومنهم) ومن الذين يشهدون الحج (من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) نعمة وعافية أو علما وعبادة (وفي الآخرة حسنة) عفوا ومغفرة أو المال والجنة أو ثناء الخلق ورضا الحق أو الإيمان والأمان أو الإخلاص والخلاص أو السنة والجنة أو الطاعة والشفاعة أو المرأة الصالحة والحور العين أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة (وقنا عذاب النار) احفظنا من عذاب جهنم أو عذاب النار امرأة السوء

نعم للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعي انه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال أحمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبع عشرة صلاة أولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر أيام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله أكبر الله أكبر الله أكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق ❁ وقوله تعالى (فمن تعجل في يومين) أي من تعجل النفر الاول وهو في الثاني من أيام التشريق (فلا اثم عليه) أي حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت في الليلة الاولى والثانية من ليالي أيام التشريق ان يرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني وأراد أن ينفر ويدع المبيت في الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه يعني ولا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعني ومن تأخر الى النفر الثاني في اليوم الثالث من أيام التشريق فلا اثم عليه في تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها ورمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوز له أن ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الابل وأهل سقاية الحاج ترك المبيت في ليالي منى فان قيل قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي أتى بأفعال الحج كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه أجوبة أحدها انه تعالى لما أذن في التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين فان شاء عجل وان شاء أخر الجواب الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى قال فتعجلوا أو تأخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التأخير (لمن اتقى) أي ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى ان يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك أن الحاج يرجع مغفورا له بشرط أن لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله (واتقوا الله) أي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا أنكم اليه تحشرون) أي فيجازيكم بأعمالكم وفيه حث على التقوى ❁ قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى

(فمن تعجل) فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر (في يومين) من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمي في اليوم الثالث واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الايام الثلاثة (فلا اثم عليه) فلا يأثم بهذا التعجيل (ومن تأخر) حتى رمى في اليوم الثالث (فلا اثم عليه لمن اتقى) الصيد أو الرفث والفسوق أو هو تخيير في التعجيل والتأخر وان كان التأخر أفضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم أفضل وقيل كان أهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما (واتقوا الله) في جميع الامور (واعلموا أنكم اليه تحشرون) حين يبعثكم من القبور كان الاخنس بن شريق حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق فنزل فيه (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس (في الحياة الدنيا) في يتعلق بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة أو يعجبك أي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة

الله

بالنزل في بني جذيلة وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما
استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا أول الغدر فأبى أن
يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى
خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى اذا
أجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج
اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال أتخشين أن
أقتله ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل
من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من
الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت
لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم عددا وقال

فلست أبالي حين أقتل مسلما * على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده بعد موته وكان قتل عظيما
من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء زاد في
رواية وأخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم الهدأة الموضع الذي فيه سلط وارتفع
وقوله فالجوه أي مارسوه وأرادوه انهم يخدعونه ليتبعهم فأبى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة
والقطف العنقود من العنب قوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة
الشيء الذي يظل من فوق الانسان والدبر جماعة النحل والزنابير وقال أهل التفسير ان كفار قريش بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد أسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء أصحابك يعلمونا دينك
وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن أبي مرثد
الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن
أبي الأفلح الانصاري وذكر نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا لما صلبوا خبيبا قال اللهم انك تعلم انه
ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي فقام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله ويقال
كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله
فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم يعني سلامان
وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى
التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل
أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن مكانك تضرب عنقه وانك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن
محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا يحب
أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لأصحابه أيكم ينزل
خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان بالليل
ويكمنان النهار حتى أتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة أربعون من المشركين نشاوى نيام فأنزلاه
عن خشبته فاذا هو رطب ينثني ولم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون
الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسارا فلحقهما الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب منهم
سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الأرض فسمي بليع الأرض وقال الزبير ما جرأكم

عليها يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب
وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان ضاريان يدفعان عن أشبالهما ان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان
شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل
عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا نفسهما لانزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين نزلت في صهيب
ابن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بأرض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية
فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء
أقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان
في كنانته وقال والله لا تصلوا الى أو أرمي بكل سهم معي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال
دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من
يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه
الآية وقال الحسن أتدرون فيما نزلت هذه الآية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيأبى
أن يقولها فيقول المسلم والله لأشرين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس رضي الله عنهما أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم
فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل وأخذته العزة بالاثم قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله وكان علي كرم الله
وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل
عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله
وشروه بثمن أي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل
نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه
كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضات الله أي طلب
رضا الله (والله رؤف بالعباد) أي من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل
المنقطع ومن رأفته أنه يقبل توبة عبده ومن رأفته ان نفس العباد وأموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه
بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت في مؤمني
أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت
وكرهوا لحوم الابل وألبانها وقالوا ان ترك هذه الأشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا أيضا
يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا
في السلم أي في شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمر
به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى
وعيسى ادخلوا في السلم كافة أي في الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا
نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم أمتهوكون كما تهوكت اليهود
والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن موسى حي ما وسعه الا اتباعي قوله أمتهوكون أي متحيرون أنتم
في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية أي
لا تحتاج الى شيء وقيل يحتمل أن يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم

والله رؤوف بالعباد) حيث أثابهم على ذلك (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) وبفتح السين حجازي وعلي وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه أو الاسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم (كافة) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير في ادخلوا أي جميعا أو من السلم لأنها تؤنث كأنهم أمروا أن يدخلوا في الطاعات كلها أو في شعب الاسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم

ادخلوا في السلم أي الانقياد والطاعة لان أصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة أي بأجمعكم ولا تتفرقوا
وقيل يحتمل أن يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى أليق بظاهر
التفسير لانهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الاسلام ثمانية أسهم فعد الصلاة
والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل لا
تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم أصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان
فقد تبع أثره (انه لكم عدو مبين) يعني الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف
يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله
يمنعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصي والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في
مخالفة الله تعالى فيمنعه بذلك عن الثواب فهذا من أعظم جهات العداوة فان قلت كيف يصح وصف
الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله تعالى بين عداوته لنا فهي فكانه بين وان لم يشاهد (فان زللتم)
أي ملتم وضللتم وقال ابن عباس أشركتم (من بعد ما جاءتكم البينات) أي الدلالات الواضحات (فاعلموا
ان الله عزيز) أي في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شيء (حكيم) يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة
في الامور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق أو عنده شبهة في الدين ۞ قوله عز وجل (هل
ينظرون) أي ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الا أن يأتيهم الله في
ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعني السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم أي يستر وقيل هو شيء غير
السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض (والملائكة) أي وتأتيهم الملائكة
وروى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام
طاقات يأتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة وقضي الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى
واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو
مذهب سلف هذه الامة وأعلام أهل السنة الايمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات
وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه
وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي
هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه
ليس لاحد أن يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري
والليث بن سعد وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها اقرؤها كما جاءت بلا
كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الامة وأنشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته ۞ ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأمرها ۞ وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا ۞ وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها ۞ لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين
من أصحاب النظر على انه تعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجيء والذهاب
لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) وساوسه (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زللتم) ملتم عن الدخول في السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) أي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب لا يعجزه شيء من عقابكم (حكيم) لا يعاقب الا بحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ليس هذا من كلام الله اذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه (هل ينظرون) ما ينتظرون (الا أن يأتيهم الله) أي أمر الله وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءها بأسنا والمأتي به محذوف بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز (في ظلل) جمع ظلة وهي ما أظلك (من الغمام) السحاب وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول (والملائكة) أي وتأتي الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم يوم القيامة

فيستحيل ذلك فى حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل فى معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات فيكون مجىء الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسره فى آية أخرى فقال هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك فصار هذا المحكم مفسرا لهذا المجمل فى هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما أوعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتى به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما يأتى به كان أسهل عليهم فى باب الوعيد واذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل أن تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذى يأتى من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا أن يأتيهم قهر الله وعذابه فى ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب فى الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأهوالها (وقضى الامر) أى وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) أى الى الله تصير أمور العباد فى الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان أمور جميع العباد ترجع اليه فى الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره فى الدنيا أضافوا أفعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله ما أضافوه الى غيره فى الدنيا ۞ قوله عز وجل (سل بنى اسرائيل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره ان يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة فى الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التى أنعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بينة) أى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعنى يغير الآيات التى جاءته من الله لانها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم أنكروها وبدلوها وقيل المراد نعم الله عهده الذى عهد اليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعنى لمن بدل نعمة الله ۞ قوله عز وجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) نزلت فى مشركى العرب أبى جهل وأصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه وقيل نزلت فى رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت فى الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاى وذلك انه لا يمتنع أن يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذى لا يمكن تركه بل على سبيل التحبيب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى أمهلهم فى الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل أوهموهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كانوا مزينين لهم وهذا المزين لا بد وأن يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة

(وقضى الامر) أى وتم أمر اهلاكهم وفرغ منه (والى الله ترجع الامور) أى انه ملك العباد بعض الامور فترجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامى وحمزة وعلى (سل) أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل وهو أمر للرسول أو لكل أحد وهو سؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيامة (بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) على أيدى أنبيائهم وهى معجزاتهم أو من آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية أو خبرية (ومن يبدل نعمة الله) هى آياته وهى أجل نعمة من الله لانها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم أى وحرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (من بعد ما جاءته) من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فان الله شديد العقاب) لمن استحقه (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها أو الله تعالى بخلق الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا

(ويسخرون من الذين آمنوا) يعني ان الكفار يستهزءون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله ابن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعني الفقراء من المؤمنين (فوقهم) أي فوق الكفار (يوم القيامة) لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيته وقيل هو القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعني كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزق في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق على من يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطي كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ولا محاسب فيما رزق ولا يقال له لم أعطيت هذا وهو محتاج ولم أعطيت هذا أكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي أهل الجنة الثواب والاجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب ﴿ قوله عز وجل (كان الناس أمة واحدة) أي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى أن غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعني بالثواب لمن آمن وأطاع (ومنذرين) يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان أولى بالتقديم (وأنزل معهم الكتاب) أي الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) أي بالعدل والصدق وحجة الكتاب

أي لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في جنة عالية وهم في نار هاوية (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقتير يعني انه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الاسلام من آدم الى نوح عليهما السلام أو هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا (فبعث الله النبيين) ويدل على حذفه قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا أو كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الاوجه (مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومنذرين) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وأنزل معهم الكتاب) أي مع كل واحد منهم كتابه (بالحق) بتبيان الحق

المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خمسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعني الكتاب وانما أضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب أو النبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) أي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعدما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) أي في الحق (الا الذين أوتوه) أي أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في أمر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أي انهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا أو هو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي الى ما اختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا في شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعني بعلمه وأمره وارادته (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

﴿ قوله عز وجل (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة في أول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر قوم النفاق فأنزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الآية أحسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من أتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن

(ليحكم) الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) في دين الاسلام الذين اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) في الحق (الا الذين أوتوه) أي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) على صدقه (بغيا بينهم) مفعول له أي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي هدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (باذنه) بعلمه (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم أم حسبتم) أم منقطعة لا متصلة لان شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أي أيهما عندك وجوابه زيد ان كان عنده زيد أو عمرو ان كان عنده عمرو وأما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة والتقدير بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده ولما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريق الالتفات التي هي أبلغ (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة

والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين وأتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) أي أصابتهم الفقر أو الشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعني المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) أي وحركوا بأنواع البلايا والرزايا وأصل الزلزلة الحركة وذلك لأن الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لأن الرسل أثبت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا أتباعهم من المؤمنين والمعنى أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة إلى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم (ألا إن نصر الله قريب) إجابة لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الأذى والشدة والمشقة في طلب الحق فإن نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ۞ قوله عز وجل (يسألونك ماذا ينفقون) نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ما أنفقتم من خير) أي مال والمعنى وما تفعلوا من إنفاق شيء من المال قل أو كثر (فللوالدين) وإنما قدم الإنفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لأنهما كانا السبب في إخراجه من العدم إلى الوجود (والأقربين) وإنما ذكر بعد الوالدين الأقربين لأن الإنسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم (واليتامى) وإنما ذكر بعد الأقربين اليتامى لصغرهم ولأنهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم أحد ينفق عليهم (والمساكين) وإنما أخرهم لأن حاجتهم أقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعني المسافر فإنه بسبب انقطاعه عن ماله قد يقع في الحاجة والفقر فانظر إلى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الإنفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل أتبعه بالإجمال فقال تعالى (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) وما تفعلوا من خير مع هؤلاء أو غيرهم طلباً لوجه الله تعالى ورضوانه فإن الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير أن هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن إنها محكمة ووجه إحكامها أن الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهم الوالدان والقرابة ومن يريد هداية التنفل وهو ظاهر الآية في أحب التقرب إلى الله تعالى بالإنفاق فالأولى به أن ينفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الأولى فالأول ﴿بقي في الآية سؤال﴾ وهو أنه كيف طابق السؤال الجواب وهو أنهم سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف وأجيب عن هذا السؤال بأنه قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم إلى جواب السؤال ما يكمل به وهو بيان المصرف لأن النفقة لا تعد نفقة إلا أن تقع موقعها قال الشاعر

إن الصنيعة لا تعد صنيعة ✽ حتى يصاب بها الطريق المصنع

۞ قوله عز وجل (كتب عليكم القتال) أي فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم الآية [illegible] عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم وإليه ذهب الثوري

ولما يأتيكم) أي ولم يأتكم وفي لما معنى التوقع وهي أن إتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) مضوا أي حالهم التي هي مثل في الشدة (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين (مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلاً قال كيف كان ذلك المثل فقيل (البأساء) أي البؤس (والضراء) المرض والجوع (وزلزلوا) وحركوا بأنواع البلايا وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) إلى الغاية أي قال الرسول ومن معه من المؤمنين (متى نصر الله) أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم (ألا إن نصر الله قريب) إجابة لهم إلى طلبهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له ✽ ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها عن الحسن هي في التطوع (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) فيجزي عليه (كتب عليكم القتال) فرض عليكم جهاد الكفار

ويحكى عن الأوزاعي نحوه وحجة هذا القول أن قوله كتب يقتضي الإيجاب ويكفي العمل به مرة واحدة
وحجة من أوجبه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب
بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا
أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقيل إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض
سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال
على الناس جاهدوا أو لم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة إن استعين به أعان وإن استنفر نفر
وإن استغني عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد
الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على
ثلاثة أقوال أحدها أنها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني أنها منسوخة لأن فيها وجوب
الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث أنها ناسخة من وجه
ومنسوخة من وجه فالناسخ منها إيجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ إيجاب الجهاد على
الكافة ۞ وقوله تعالى (وهو كره لكم) أي القتال شاق عليكم وهذا الكره إنما حصل من حيث نفور الطبع
عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا أنهم كرهوا أمر الله وقيل نسخ
هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل إنما كان كراهتهم القتال قبل أن يفرض
عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الأعداء فبين الله تعالى أن الذي تكرهون من القتال هو خير لكم
من تركه لئلا يكرهوه بعد أن فرض عليهم (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك
مثل لعل وهي من الله يقين وقيل إنها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل على
حصول الشك للمستمع والمعنى أن الغزو فيه إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة وقيل
ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فإنه ينفر عنه الطبع
في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل (وعسى أن تحبوا
شيئا) يعني القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعني لما فيه من فوت الغنيمة والأجر وطمع العدو فيكم لأنه إذا
علم ميلكم إلى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتلكم وإذا علم أن فيكم شهامة وجلادة على القتال
كف عنكم (والله يعلم) يعني ما في الجهاد من الغنيمة والأجر والخير (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى أن
العبد إذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم إن الله تعالى أمره بأمر كان ذلك الأمر فيه مصلحة عظيمة فيجب على
العبد امتثال أمر الله تعالى وإن كان يشق على النفس في الحال ۞ قوله عز وجل (يسألونك عن الشهر الحرام
قتال فيه) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في
سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله
ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به
ولا تستكرهن أحدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن
الرحيم أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش
لعلك تأتينا منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لأصحابه ذلك وقال إنه نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد
الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى أصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه أحد
منهم حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان

(وهو كره لكم) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما هي إقبال وإدبار * كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أو هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) فإنهم تكرهون الغزو وفيه إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيئا) وهو القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر (والله يعلم) ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف (يسألونك عن الشهر الحرام) أي يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام (قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم

بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف
فبيناهم كذلك إذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن
الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فقال عبد الله بن جحش إن القوم قد ذعروا منكم
فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فإذا رأوه محلوقاً أمنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم أشرف
عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون
أنه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم
فأجمعوا على قتالهم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من
المشركين وأسر الحكم بن كيسان وعثمان وكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق
المسلمون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام وسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب يعني المال وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر
الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش
وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك وعنف
المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لهم صنعتم ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا
أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا
ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية فأخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان أول خمس في الإسلام وأول غنيمة قسمت فقسم الباقي على
أصحاب السرية وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما
فقدما فأداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة
شهيداً وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل
الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية وأما تفسير الآية فقوله تعالى يسألونك يعني يا محمد عن
الشهر الحرام يعني رجباً وسمي بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان
أحدهما أنهم المسلمون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطؤوا أم أصابوا وقيل إن المسلمين
يعلمون أن القتال في الحرم وفي الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثاني أن السائلين هم المشركون وإنما سألوه
على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) أي قل لهم يا محمد
(قتال فيه كبير) أي عظيم مستنكر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين أحدهما أنها محكمة وأنه
لا يجوز الغزو في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع وروي عن عطاء أنه كان يحلف بالله
ما يحل للناس أن يغزوا في الشهر الحرام ولا أن يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء
وهو الصحيح أنها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز في الشهر الحرام وهذه الآية
منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الأشهر الحرم
وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو وصدكم عن الإسلام
بريده (وكفر به) أي بالله (والمسجد الحرام) أي وصدكم عن المسجد الحرام (وإخراج أهله منه) يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وإنما جعلهم الله أهله لأنهم

(قل قتال فيه كبير) أي
إثم كبير فقتال مبتدأ وكبير
خبره وجاز الابتداء بالنكرة
لأنها قد وصفت بفيه وأكثر
الأقاويل على أنها منسوخة
بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم (وصد
عن سبيل الله) أي منع
المشركين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه
عن البيت عام الحديبية
وهو مبتدأ (وكفر به) أي
بالله عطف عليه (والمسجد
الحرام) عطف على سبيل الله
أي وصد عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وزعم الفراء
أنه معطوف على الهاء في
به أي كفر به وبالمسجد
الحرام ولا يجوز عند
البصريين العطف على
الضمير المجرور إلا بإعادة
الجار فلا تقول مررت به
وزيد ولكن تقول وبزيد
ولو كان معطوفاً على الهاء
هنا لقيل وكفر به
وبالمسجد الحرام (وإخراج
أهله) أي أهل المسجد
الحرام وهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنون
وهو عطف عليه أيضاً (منه)
من المسجد الحرام وخبر

الأشياء الثلاثة (أكبر عند الله) أي مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج أو الشرك (أكبر من القتل) في الشهر الحرام أو تعذيب الكفار المسلمين أشد قبحا من قتل هؤلاء المسلمين في الشهر الحرام (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) أي الى الكفر وهو اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم وقوله تعالى (ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك ان ظفرت بي فلا تبق علي وأنت واثق بانه لا يظفر بك (ومن يرتدد منكم عن دينه) ومن يرجع عن دينه الى دينهم (فيمت وهو كافر) أي يمت على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المآب (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وبها احتج الشافعي رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والاصل عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله نزل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) تركوا مكة وعشائرهم (وجاهدوا في سبيل الله) مع المشركين ولا وقف عليه لان (أولئك يرجون رحمة الله) خبران قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور رحيم) نزل في الخمر أربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يسئلونك عن الخمر والميسر) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا

القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (أكبر عند الله) أي أعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام (والفتنة) أي الشرك الذي أنتم عليه (أكبر من القتل) يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة ان عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت (ولا يزالون) يعني مشركي مكة (يقاتلونكم) يعني يا معشر المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعني الى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعني ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم وهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق انه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل أن يتوب (فأولئك حبطت أعمالهم) أي بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيئا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها في الآخرة وظاهر الآية يقتضي أن الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر أما اذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شيء من أحكام الردة وفيه دليل للشافعي أن الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند أبي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان أسلم (وأولئك أصحاب النار) يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها أبدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه وذلك أن أصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا وتطمع أن يكون لنا غزوا فأنزل الله هذه الآية وعن جندب ابن عبد الله قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا أصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه أجر فأنزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا أي فارقوا مساكنهم وعشائرهم وأموالهم وفارقوا مساكنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله أي في طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (أولئك يرجون رحمة الله) أي يطمعون في نيل رحمة الله أخبر أنهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع في أصل الثواب وانما دخل الظن في كميته ووقته قال قتادة أثنى الله تعالى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) أي لذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبد الله ابن جحش وأصحابه ما لم يعلموا ﴿قوله عز وجل﴾ (يسئلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت في عمر بن الخطاب

ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله تعالى هذه الآية وأصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمراً لأنها تخامر العقل أي تخالطه وقيل لأنها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر أن الله عز وجل أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً فكان المسلمون يشربونها في أول الإسلام وهي لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس فتركها قوم لقوله إثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم إن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً ودعا إليه ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف حرف لا إلى آخر السورة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في أوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم إن عتبان بن مالك اتخذ صنيعاً يعني وليمة ودعا رجالاً من المسلمين وفيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الأشعار فأنشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الأنصار فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ويروى أن حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوماً وخرج فلقي رجلاً من الأنصار وبيده ناضح له والأنصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الإيواء نصراً وهجرة ❊ فلم ير حي مثلنا في المعاشر
فأحياؤنا من خير أحياء من مضى ❊ وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة أولئك المهاجرون وقال الأنصاري بل نحن الأنصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الأنصاري فهرب الأنصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الأنصاري مستعدياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحاً فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فأنزل الله تعالى الآية التي في المائدة إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الأحزاب والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيراً فعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من (ق) عن أنس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم وإني لقائم أسقي أبا طلحة وأبا أيوب وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والأهب النصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة

﴿فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها﴾ أجمعت الأمة على تحريم الخمر وأنه يحد شاربها ويفسق مع اعتقاد تحريمها فإن استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر أن رجلاً قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وإن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه

أربعة والحرمات لي واشتقاقه وقد قيل إنه من عصير العنب وسميت بهذه وخمره خمراً إذا ستره لتغطيتها العقل والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب أو من اليسار كأنه سلب يساره وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهي الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الأقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحاً قدحاً منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل

طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار ♦ وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود ♦ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان أذهبت عقله عن شيء من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته أربعين يوما وان مات فيها مات كافرا أخرجه النسائي ♦ عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك أن يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة عن أنس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها أخرجه الترمذي

﴿فصل في أحكام تتعلق بالخمر﴾ وفيه مسائل ﴿الاولى في ماهيتها﴾ قال الشافعي الخمرة عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب أنه كتب الى بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد أخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج أيضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل أيضا على أن السكر حرام بما روي عن أبي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث منكر ثابت واستدل الشافعي على أن الخمر من عدة أشياء بما روي عن ابن عمر أن عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه ♦ عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا أخرجه أبو داود وزاد في رواية والذرة واني أنهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس أنه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في نهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم للخمر بالفارسية أي لم يكن في زمانه أو سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم أن ما أسكر فهو حرام ♦ عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر أخرجه أبو داود والمفتر كل شراب أحمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما أسكر كثيره فقليله حرام بما روي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقليله

حرام أخرجه الترمذي وأبو داود * عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما أسكر
منه الفرق فملء الكف منه حرام أخرجه أبو داود والنسائي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك
مكيال يسع ستة عشر رطلا بالبغدادي (أجيب) عن حديث عمر في الطلاء بأنه معارض بما روي عن
ابن بريدة أن عمر قال إني وجدت من فلان ريح شراب فزعم أنه شرب الطلاء وأنا سائل عنه فإن كان يسكر
جلدته فسأل عنه فقيل له إنه يسكر فجلده عمر الحد تاما أخرجه مالك في الموطأ وأما حديث ابن عباس
موقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق قوله والسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ المسكر
السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الأعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل
وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هرون وهو الصواب وأما حديث أبي الأحوص ففيه وهمان
أحدهما في سنده حيث قال عن أبي بردة وإنما رواه سماك عن القاسم عن أبي بردة عن أبيه والوهم الثاني
في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وإنما رواه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحته ما روي
مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت
نهيتكم عن الأشربة في ظروف الأدم فاشربوا في كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث
أبي الأحوص هذا حديث منكر غلط فيه أبو الأحوص سلام بن سليم لا نعلم أن أحدا تابعه عليه من
سماك وأما حديث عائشة فهو حجة لنا كما تقدم في قول السائل (المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر)
الخمر وما ملحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشيء المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابه
فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها أيضا أنها محرمة التناول لا للاحترام ولأن الناس مشغوفون بها
فينبغي أن يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها (المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها) أجمعت
الأمة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة إن الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والأصنام
أخرجاه في الصحيحين مع زيادة فيه (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
حرمت التجارة في الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب أن فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا
ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها * عن
المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير أخرجه أبو داود وقوله
فليشقص الخنازير أي فليقطعها قطعا قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع
الخنازير فإنهما في التحريم سواء وعن أبي طلحة قال يا نبي الله إني اشتريت خمرا لأيتام في حجري فقال
أهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه الترمذي وقال وقد روي عن أنس أن أبا طلحة كان عنده خمر
لأيتام وهو أصح فإن قلت ما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح
والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

(فصل) وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال بسهولة من غير تعب وكد قال ابن
عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله هذه
الآية وأصل الميسر أن أهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فيجزرونها ويجزئونها ثمانية
وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الأزلام والأقلام وأسماؤها الفذ والتوأم والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصباء فللفذ سهم
وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة أسهم وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة

من القداح لا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لي في الدنيا سهام ⁕ ليس فيهن ربح
وأساميهن وغد ⁕ ومنيح وسفيح

ثم يجعلون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحاً باسم رجل منهم فأيهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وإن خرج له قدح من الثلاثة التي لا أنصباء لها لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغواً ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئاً بين الأصحاب لبخله وأما حكم الآية فالمراد به جميع أنواع القمار فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر روي عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر يعني الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر أم لا ويدل على تحريمه ما روي عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه أخرجه مسلم وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله أخرجه أبو داود وعن علي بن أبي طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فمذهب أبي حنيفة أنه يحرم اللعب به سواء كان برهن أو بغير رهن ومذهب الشافعي أنه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال إذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراماً وهو خارج عن الميسر لأن الميسر ما يوجب دفع مال وأخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيهما) يعني في الخمر والميسر (إثم كبير) أي وزر عظيم وقيل إن الخمر عدو للعقل فإذا غلبت على عقل الإنسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك آثام كثيرة منها إقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله وأما الإثم الكبير في الميسر فهو أكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعني أنهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها وأما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب وقيل روي أن الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه إلى المحتاجين فيكتسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (وإثمهما أكبر من نفعهما) يعني أنهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل إثمهما قوله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر ۞ قوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى (قل العفو) يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الإنفاق من غير إسراف ولا إقتار وقيل هو في صدقة التطوع إذ لو كان المراد به الإنفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع (كذلك يبين الله لكم الآيات) أي يبين لكم الأمور التي سألتم عنها من وجوه الإنفاق ومصارفه (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي

(قل فيهما إثم كبير) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير حمزة وعلي (ومنافع للناس) بالتجارة في الخمر والتلذذ بشربها وفي الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كد (وإثمهما) وعقاب الإثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) لأن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) أي الفضل أي أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل في أول الإسلام فرضاً فإذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل وإذا كان صانعاً أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسماً واحداً في موضع النصب ينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته وذا بمعنى الذي وينفقون صلته أي ما الذي ينفقون فجاء الجواب العفو أي هو العفو فإعراب الجواب كإعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كذلك) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف أي تبييناً مثل هذا التبيين (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا) أي في أمر الدنيا (والآخرة) وفي يتعلق بتتفكرون أي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يتعلق بيبين أي يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل

ويفنى فى الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفى اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها ﴿ قوله عز وجل (ويسئلونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى (قل اصلاح لهم خير) أى اصلاح أموال اليتامى من غير أخذ أجرة ولا عوض خير لكم أى أعظم أجرا وقيل هو أن يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) يعنى فى الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة أى شاركوهم فى أموالهم واخلطوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم أو تكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم (فاخوانكم) أى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد من المصلح) يعنى المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذى يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال اليتيم بغير حق والذى يقصد الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أى لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وأصل العنت الشدة والمعنى لكلفكم فى كل شئ ما يشق عليكم (ان الله عزيز حكيم) أى غالب يقدر أن يشق على عباده ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم ﴿ قوله عز وجل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت فى أبى مرثد بن أبى مرثد الغنوى واسم أبى مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بينى وبين ذلك فقالت له هل لك أن تتزوج بى قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره فقالت أبى تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقى بسببها وقال يا رسول الله أيحل لى أن أتزوجها فأنزل الله تعالى الآية وأصل النكاح فى اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون المشركات حتى يؤمن أى يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها تدل على أن كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أى أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزلت فى مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا فى مسئلة وهى ان لفظ المشرك هل يتناول الكتابى أم لا فأنكره كثيرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الأصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة فى شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى صلى الله

(ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) أى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (فاخوانكم) فهم اخوانكم فى الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه (والله يعلم المفسد) لأموالهم (من المصلح) لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله) اعناتكم (لأعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم (ان الله عزيز) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم (حكيم) لا يكلف الا وسعهم وطاقتهم ولما سأل مرثد النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) أى لا تتزوجوهن يقال نكح اذا تزوج وأنكح غيره زوجه

(ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها (ولا تنكحوا المشركين) ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) ثم بين علة ذلك فقال (أولئك) وهو اشارة الى المشركات والمشركين (يدعون الى النار) الى الكفر الذي هو عمل أهل النار فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) أي وأولياء الله وهم المؤمنون (١٦١) يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب والاتهم ومصاهرتهم (باذنه) بعلمه أو بأمره (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل (ويسألونك عن المحيض) هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا (قل هو أذى) أي المحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه (فاعتزلوا النساء في المحيض) فاجتنبوهن أي فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين ثم عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضي الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك (ولا تقربوهن) لمعنيين أو ولا تقربوا مجامعتهن (حتى يطهرن) بالتشديد كوفي غير حفص أي يغتسلن وأصله يتطهرن وادغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما ومعنى يطهرن أن ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا أولى من العكس لانه

وان زعم أن لله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول أصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات ۞ وقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير) يعني أنفع وأصلح وأفضل (من مشركة) يعني حرة (ولو أعجبتكم) يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وأفضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك ثم أعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه أمة مؤمنة قال عبد الله والذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لأولياء المرأة أي لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا من أي أصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على أنه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعني حرا (ولو أعجبكم) بحسبه وماله وجماله (أولئك يدعون الى النار) يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) يعني انه تعالى بين هذه الاحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) أي بتيسير الله وارادته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) أي يوضح أدلته وحججه في أوامره ونواهيه وأحكامه (لعلهم يتذكرون) أي فيتعظون ۞ قوله عز وجل (ويسألونك عن المحيض) (م) عن أنس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أنه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه (قل هو أذى) أي هو شيء قذر والأذى في اللغة ما يكره من كل شيء (فاعتزلوا النساء في المحيض) أي فاجتنبوا مجامعتهن (ولا تقربوهن) يعني بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض (حتى يطهرن) يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن

ثم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء والهاء ومعناه حتى يغتسلن (فإذا تطهرن) أي اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث أمركم الله) قال ابن عباس طؤوهن في الفرج ولا تعدوا إلى غيره فإنه هو الذي أمر الله به ولا تأتوهن في غير المأتى وقيل فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله به وهو الطهر وقيل معناه فأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك أن لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

﴿فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل﴾ ﴿المسألة الأولى﴾ أجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد أخرجه الترمذي وقال لا نعرف معنى هذا عند أهل العلم إلا على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم فليستغفر الله وفي وجوب الكفارة قولان أحدهما أنه يستغفر الله ولا يعود ولا كفارة عليه وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني أنه يجب عليه الكفارة وهو القديم للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل لما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امرأته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال إذا كان دما أحمر فدينار وإن كان دما أصفر فنصف دينار أخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم ﴿المسألة الثانية﴾ أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجوازه فيما بينهما ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كانت إحدانا إذا كانت حائضا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تتزر بإزار في فور حيضتها ثم يباشرها وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه وفي رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض أخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع دون الفرج وفور كل شيء أوله وابتداؤه وفوح الحيض معظمه وقوله إربه يروى بسكون الراء وهو العضو يعني فرجه ويروى

(م) عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد فقلت إني حائض فقال إن حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير يعمل من سعف النخل أو غيره بقدر الكف ونحوها من المسجد يعني ناولنيها من المسجد لأنه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد وعائشة في حجرتها فطلب منها وهي حائض ﴿المسألة الثالثة﴾ يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو أمنت الحائض من التلويث في عبور المسجد جاز في أحد الوجهين قياسا على الجنب والثاني لا لأن حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روي عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت أحرورية أنت قلت لست بحرورية ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة أخرجاه في الصحيحين ﴿المسألة الرابعة﴾ لا يرتفع شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء إلا الصوم فإنها إذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فإنه يصح وإن اغتسلت في النهار وذهب أبو حنيفة إلى أن الزوج يغشاها إذا انقطع الدم لأكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده قبل الغسل وذهب أكثر العلماء إلى أنه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض أو تتيمم عند عدم الماء لأن الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فإذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على أن الوطء لا يحل إلا بالغسل ۞ وقوله تعالى (إن الله يحب التوابين) يعني من الذنوب والتواب الذي كلما أذنب تاب وقيل التواب هو الذي لا يعود إلى الذنب (ويحب المتطهرين) يعني من الأحداث وسائر النجاسات وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب ۞ قوله عز وجل (نساؤكم حرث لكم)

حين يشتد عليه ترك العمل بامتناعها الماعز وعنه أنه في رجعة لا بعدها حتى طهر وتطهر دليله قوله تعالى (فإذا تطهرن فأتوهن) جمع بينهما (من حيث أمركم الله) من المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (إن الله يحب التوابين) من ارتكاب ما نهوا عنه والعائدين إلى الله تعالى وإن زلوا واجتنبوا فعرفوا عفو الله حيث لا بأس (ويحب المتطهرين) بالماء أو المتنزهين من أدبار النساء أو من الجماع في الحيض ومن الفواحش كان اليهود يقولون إذا أتى الرجل أهله باركة أتى الولد أحول فنزل (نساؤكم حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله أي إن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها على أن المطلوب الأصلي في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى الذي يتعلق به هذا المطلوب

(ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وفي رواية الترمذي كانت اليهود تقول من أتى المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيأ فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد فظاهره يشعر بأن يريد به أنه أتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب أن يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت انما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد أخرجه أبو داود والوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شيء جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها وأصل الشرح البسط وقوله سرى أمرهما أي ارتفع وعظم وتفاخم وأصله من سرى البرق اذا لمع في اللمعان عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم يعني صماما واحدا ويروى سماما بالسين أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج (فأتوا حرثكم أنى شئتم) يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة وعلى كل حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في أدبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة في دبرها أخرجه أبو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو ويروى عنه أنه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال أحمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدري فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله بن الحسن أنه أتى سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدثه نافع عن عبد الله أنه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وأنكره أصحابه وأجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في أدبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فأولى أن يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره ۞ وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا انه ان قدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقيل أراد به تقديم الافراط (ق) عن أبي هريرة قال

(فأتوا حرثكم أنى شئتم) جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم باركة أو مستلقية أو مضطجعة بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم أن يتأدب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات (وقدموا لانفسكم) ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه أو هو طلب الولد أو التسمية على الوطء

(واتقوا الله) فلا تجترئوا على المناهي (واعلموا أنكم ملاقوه) صائرون اليه فاستعدوا للقائه (وبشر المؤمنين) بالثواب يا محمد وإنما يسألونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كأنه وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ (١٦٤) وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح ذات بين أو احسان الى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله ان أحنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايمانكم أي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس واللام تتعلق بالفعل أي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لاجل أيمانكم به عرضة لان تبروا (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد للحلف نحو لا والله وبلى والله (ولكن يؤاخذكم) ولكن يعاقبكم (بما كسبت قلوبكم) بما اقترفته من اثم القصد الى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد أبر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله) أي احذروا أن تأتوا شيأ مما نهاكم الله عنه (واعلموا أنكم ملاقوه) أي صائرون اليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) يعني بالكرامة من الله تعالى ﴿قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا أفعل فلا يحل لي الا أن تبر يميني فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضة للشيء وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم الى بر أو صلة رحم فيقول حلفت بالله لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) أي لحلفكم (عليم) بنياتكم ﴿قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو كل ساقط مطروح من الكلام وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما روي عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم في قول الرجل لا والله وبلى والله أخرجه البخاري موقوفا ورفعه أبو داود عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في يمينه كلا والله وبلى والله ورواه غيرها وقيل في معنى اللغو هو أن يحلف الرجل على شيء يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال أ ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطأ أحسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يتيقن انه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه آثم ليرضي به أحدا أو يعتذر لمخلوق أو يقتطع به مالا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله أو أن يفعله ثم لا يفعله مثل أن يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك أو يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وأبي حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء كان ثم بان انه لم يكن وأبو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب أبي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعني

لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم لان كسب القلب هو العقد والنية

(فصل في بيان حكم الآية) وفيه مسائل (المسألة الاولى) لا تنعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذي نفسي بيده والذي أعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعلمه ونحوه فاذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة (المسألة الثانية) لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وأبي ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت أخرجاه في الصحيحين (المسألة الثالثة) اذا حلف على أمر في المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على أمر ماض ولم يكن أو على أنه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة الى أنه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين (والله غفور) يعني لعباده فيما لغوا من أيمانهم التي أخبر أنه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء آخذهم وألزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الآجل (حليم) يعني في ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم أنه الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر التقي وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن أن يدعوه كما يقيها الناسك الذي يدعوه ويسأله وقال أبو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون أي يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الألايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا أجامعك أو لا أباضعك أو لا أقربك قال ابن عباس كان أهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيئا فأبت أن تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا أيما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأنزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار أهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر وأنزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) أي انتظار (أربعة أشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) أي رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) للزوج اذا تاب من اضراره بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين (فروع) تتعلق بحكم الآية (الفرع الاول) اذا حلف أنه لا يقرب زوجته أبدا أو مدة هي أكثر من أربعة أشهر فهو مول فاذا مضت أربعة أشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفيء وهو الرجوع أو الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه أو بالقول مع العجز عنه فان لم يفئ ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وأبي الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول بوقف المولي وذهب اليه سعيد ابن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي وأحمد واسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود

الكذب في ايمان وهو ان يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم (للذين يؤلون) يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ومن في (من نسائهم) يتعلق بالجار والمجرور أي للذين كما تقول لك مني نصرة ولك معونة أي للمؤلين من نسائهم (تربص أربعة أشهر) أي استقر للمؤلين ترقب أربعة أشهر لا يؤلون لان آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ولك أن تقول عدي بمن لما في هذا القسم من معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين (فان فاؤا) في الاشهر لقراءة عبد الله فان فاؤا فيهن أي رجعوا الى الوطء عن الاصرار بتركه (فان الله غفور رحيم) حيث شرع الكفارة

(وان عزموا الطلاق) فتربصوا الى مضى المدة (فان الله سميع) لايلائه (عليم) بنيته وهو وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعند الشافعى رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضى المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فان أحمدتكم أقمت عندكم الى آخره والالم أقم الا ريثما أتحول (والمطلقات) أراد المدخول بهن من ذوات الاقراء (يتربصن بانفسهن) خبر فى معنى الامر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات واخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفى ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان أنفس النساء طوامح الى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص (ثلاثة قروء) جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذى يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعى لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة لانه اذا طلقها فى آخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده واذا طلقها فى آخر الحيض فذا غير محسوب من عنده والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به أى يتربصن مضى ثلاثة قروء أو على الظرف أى يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الاقراء لاشتراك الجموع فى الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت أكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل

اذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثورى وأبو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى تقع عليها طلقة رجعية ﴿الفرع الثانى﴾ لو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمول بل حالف فان وطئها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين ﴿الفرع الثالث﴾ لو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر لم يكن موليا عند الشافعى لان بقاء المدة شرط الوقوف وثبوت المطالبة بالفيء أو الطلاق وقد مضت المدة وعند أبى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة ﴿الفرع الرابع﴾ مدة الايلاء أربعة أشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وأبى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير أن عند أبى حنيفة تتنصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما فى الطلاق ﴿الفرع الخامس﴾ اذا وطئ خرج عن الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعد المغفرة فقال فان فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك فى اسقاط العقوبة لا فى الكفارة ❁ قوله تعالى (وان عزموا الطلاق) أى حققوه بالايقاع (فان الله سميع) يعنى لاقوالهم (عليم) بنياتهم وفيه دليل على أنها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيها العزم ❁ قوله عز وجل (والمطلقات) أى المخليات من حبال أزواجهن والمطلقة هى التى أوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بانفسهن) أى ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال أبو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس واختلفوا فى أصله فقيل أصله الجمع من قرأ أى جمع لان فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع فى البدن وقيل أصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه أى لوقته الذى كان فيه لان الحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة فى الاقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما ان الاقراء هى الحيض روى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وأبى موسى وعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول ان الاقراء هى الاطهار وأنا اليوم أذهب الى انها الحيض القول الثانى انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهرى وأبان بن عثمان ومالك والشافعى وحجة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة أيام أقرائك يعنى أيام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة الا أيام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسكها وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء فأخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من قول الاعشى

فى كل عام أنت جاشم غزوة ❁ تشد لاقصاها عزيم عزائكا

موَرِّثة مالا وفى الحى رفعة ۞ لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أراد أنه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع أقراؤهن وإنما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي أقصر وعند غيره أطول وذلك أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الأقراء الأطهار قالت عائشة رضي الله عنها إذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للأزواج وروى عنها أنها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا أعلم لأن هذا إنما يبتلى به النساء وإن طلقها في حال الحيض فإذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها على قول من يجعل الأقراء حيضا ومذهب أبي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة إن كان وقع الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن وقع في حال الحيض فإن قلت ما معنى الإخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن قلت هو خبر في صورة الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات فإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالإجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

﴿فصل أحكام العدة﴾ وفيه مسائل ﴿المسألة الأولى﴾ عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والأمة ﴿المسألة الثانية﴾ عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده وسواء في ذلك الحائض والأمة والآيسة ﴿المسألة الثالثة﴾ عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان أحدهما الحيض فعدتها بالأقراء وهي ثلاثة أقراء الضرب الثاني الآيسات من الحيض إما الكبر أو تكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها ﴿المسألة الرابعة﴾ عدة الأمة نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفي الأقراء قرآن لأنه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الأمة بحيضتين ۞ وقوله تعالى (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى أنه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض أو الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وإيجاب أداء الأمانة في الإخبار عما في الرحم من الحيض أو الولد والمعنى أن هذا من فعل المؤمنات وإن كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أد حقي إن كنت مؤمنا يعني أن أداء الحقوق من أفعال المؤمنين وتقول للذي يظلم إن كنت مؤمنا فلا تظلم والمعنى ينبغي أن يمنعك إيمانك من الظلم وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان أحدهما أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني أنه لأجل إلحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة إذا رغبت في زوجها تقول إني حائض وإن كانت قد طهرت ليراجعها وإن كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن بأداء الأمانة (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) يعني أزواجهن سمي الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتهن وردهن إليهم في ذلك أي في حال العدة فإذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (إن أرادوا إصلاحا) يعني إن أراد الزوج بالرجعة الإصلاح وحسن العشرة لا الإضرار بهن وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الإضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالإصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (ولهن) يعني وللنساء على الأزواج (مثل الذي عليهن) يعني للأزواج (بالمعروف) وذلك أن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما راعى حق

(ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض أو منهما وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) لأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم (وبعولتهن) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أحق بردهن) أي أزواجهن أولى برجعتهن وفيه دليل على أن الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (في ذلك) في مدة ذلك التربص والمعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأباها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة (إن أرادوا) بالرجعة (إصلاحا) لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذي عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الأمر والنهي (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال

الآخر فيماله وعليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد
والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية اني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي لان الله

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (م) عن جابر أنه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بامانات الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح
ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن
ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم أخذتموهن بامانات الله ويروى بامانة وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف
أو تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم
وقوله لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولا يأذن لاحد أن يتحدث اليهن وكان من عادة العرب أن
يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس
المراد بوطء الفرش نفس الزنا لان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد
ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم
رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع قوله
تعالى (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال
وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء
وللرجل أن يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها
رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها (والله عزيز) أي غالب لا يمتنع عليه شيء (حكيم)
أي في جميع أفعاله وأحكامه روى البغوي بسنده عن أبي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها ۞ قوله عز وجل (الطلاق
مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان ذلك له
وان طلقها ألف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال
لا آويك الي ولا تحلين أبدا فأنزل الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فاستقبل
الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان
الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء الله أن يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة مرة
أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلما
همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك
بمعروف أو تسريح باحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية
ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع
بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطليق الشرعي يجب ان يكون
تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال
ان الجمع بين الثلاث حرام الا أن أبا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على
الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى أن عدد

(وللرجال عليهن درجة) زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بامرها وان اشتركا في اللذة والاستمتاع أو بالانفاق وملك النكاح (والله عزيز) لا يعترض عليه في أموره (حكيم) لا يأمر الا بما هو صواب وحسن (الطلاق مرتان) الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في ان الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة في طهر واحد لان الله تعالى أمرنا بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر ولا يؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية ان زوجي قال لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت الطلاق مرتان أي الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثالث

التي لكم فيه رجعة على أزواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وأنه لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها فطلقها الثالثة (فامساك بمعروف) يعني بعد الرجعة وذلك أنه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف بالشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (أو تسريح باحسان) يعني أنه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها بغير مضارة وقيل هو أنه اذا طلقها أدى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها ﴿فروع﴾ تتعلق بأحكام الطلاق ﴿الفرع الاول﴾ صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط ﴿الفرع الثاني﴾ الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها ﴿الفرع الثالث﴾ العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك وأحمد وذهب أبو حنيفة الى أن الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن) يعني أعطيتموهن (شيأ) يعني من مهر أو غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فأتت أباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها أثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رأت أن أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكني خشيت أن يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت أحدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت أعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها علي وأخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام قال أبو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قوله ما أعتب عليه يعني ما أجد عليه والعتب الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا أن يخافا أي يعلما الزوجان من أنفسهما أن لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة أن تعصي الله في أمور زوجها وتخاف الزوج انه اذا لم تطعه أن يعتدي عليها فنهى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيأ مما أعطاها الا أن يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا أطيع لك أمرا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا أن يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والوالي (فان خفتم) يعني فان خشيتم وأشفقتم وقيل معناه فان ظننتم (أن لا يقيما حدود الله) يعني ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمر به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي لا جناح على المرأة

(فامساك بمعروف) برجعة والمعنى فالواجب عليكم امساك بمعروف (أو تسريح باحسان) بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بأن لا يطلقها الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الاسلام (ولا يحل لكم) أيها الازواج أو الحكام لانهم الآمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) مما أعطيتموهن من المهور (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) الا أن يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فان خفتم) أيها الولاة وجاز أن يكون أول الخطاب للازواج وآخره للحكام (ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر الا أن يخافا حمزة على البناء للمفعول وابدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه اقامة

في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها وأعطت من المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال إذا أعطته المرأة طائعة راضية

(فصل في حكم الخلع وفيه مسائل) *(الأولى)* قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع إلا عند الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله فإن وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول أن الآية صريحة في أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة شيئاً عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في أنه لا يجوز الأخذ في غير حالة الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال إلى الله الطلاق أخرجه أبو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً فإذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن تحصل لها شيء فإذا بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير به مالكة أمر نفسها أولى وأجيب عن الاستثناء المذكور في هذه الآية أنه محمول على الاستثناء المنقطع *(المسئلة الثانية)* الخلع جائز على أكثر مما أعطاها فقال أكثر العلماء ومنهم لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها وهو قول علي وبه قال الزهري والشعبي والحسن وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذ دون ما أعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور أن الخلع عقد معاوضة فوجب أن لا يتقيد بمقدار معين كما أن للمرأة أن لا ترضى عند عقد النكاح فكذلك للزوج أن لا يرضى عند الخلع إلا بالبذل الكثير لا سيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت بغضه وكراهته *(المسئلة الثالثة)* اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في القديم أنه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد وإسحق وأبو ثور وقال في الجديد أنه طلاق وهو الأظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم أن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ولو كان الخلع طلاقاً لكان الطلاق أربعاً وحجة القول الجديد أنه لو صح بالزيادة على المهر المسمى كالإقالة في البيع وأيضاً لو كان الخلع فسخاً فإذا خالعها ولم يذكر المهر أن يجب المهر عليها كالإقالة فإن الثمن يجب رده وإن لم يذكره فثبت أن الخلع ليس بفسخ وإذا بطل ذلك ثبت أنه طلاق وأيضاً فإن الطلقة الثالثة قوله أو تسريح بإحسان وفائدة الخلاف أنا إذا جعلناه طلاقاً ينقص عدد الطلاق فإن تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وإن جعلناه فسخاً فإنها تكون معه على ثلاث ۞ قوله (تلك حدود الله) يعني هذه أوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) أي فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله) أي يجاوزها (فأولئك هم الظالمون) ۞ قوله عز وجل (فإن طلقها) يعني الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) أي لا تحل رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجاً غيره) يعني حتى تتزوج زوجاً آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعاً والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت

حدود الله (تلك حدود الله) أي ما حد من النكاح واليمين والإيلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الضارون أنفسهم (فإن طلقها) مرة ثالثة بعد المرتين فإن قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعي رحمه الله في قول فكان هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذا بيان لتلك أي فإن طلقها الثالثة ببدل فحكمها كذا (فلا تحل له من بعد) من بعد التطليقة الثالثة (حتى تنكح زوجاً غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوج وفيه دليل على أن النكاح ينعقد بعبارتها والإصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف في أصول الفقه والمعنى فيه أنه لما أقدم على فراق لم يبق للندم فيه مخلص لم تحل له إلا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه

شبد الرحمن بن الزبير وان ما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قولها فبت طلاقي أي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب أي طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما أنث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل أنه حمله على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء مشددة ٢ وروى ام البنت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع الى زوجي الاول فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك ۞ قوله تعالى (فان طلقها) يعني الزوج الثاني بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعني على المرأة والزوج الاول (ان يتراجعا) يعني بنكاح جديد (ان ظنا) أي علما وأيقنا وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى (ان يقيما حدود الله) يعني يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل * (فرعان) * الاول مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منها ثلاثا الا بشرائط وهي ان تعتد منه ثم تتزوج زوجا آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالسنة على ثلاثة أقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما * الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك وأحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وروي أنه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع أتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وقوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعني يعلمون ما أمرهم به وما نهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان ۞ قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها (فبلغن أجلهن) أي قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز (فأمسكوهن) أي راجعوهن (بمعروف) وهو أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن

(فان طلقها) الزوج الثاني بعد الوطء (فلا جناح عليهما) على الزوج الاول وعليها (أن يتراجعا) أن يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان ظنا أن يقيما حدود الله) ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما أنهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله (وتلك حدود الله يبينها) وبالنون المفضل (لقوم يعلمون) يفهمون ما بين لهم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل (فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) أي فاما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) مفعول له أو حال أي مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن أو لتلجئوهن الى

الاقتداء

٢ قوله مشددة كذا في معظم النسخ بايدينا والصواب سقوطها اهـ مصححه

(ومن يفعل ذلك) أي الإمساك للضرار (فقد ظلم نفسه) تعرض لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ويقال لمن لم يجد في الامر انما أنت لاعب

لتعتدي الى أمره فطالها (لتعتدوا) أي لتظلموهن بمجاوزتكم في أمورهن حدود الله التي بينها وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أي ضر نفسه بمخالفة أمر الله وتعرضها لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وأمره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا بل وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله فيه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا تتخذوها هزوا فانها جد كلها ووعد وتشديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فكل من خالف أمرا من أمور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا ويدل على ذلك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة أخرجه أبو داود والترمذي ✿ وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني بالاسلام الذي أنعم به الله عليكم فهداكم له وسائر نعمه التي أنعم بها عليكم (وما أنزل عليكم) أي واذكروا ما أنزل عليكم (من الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) أي بالكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعني خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) يعني أنه تعالى يعلم ما أتيتم من طاعة ومعصية في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه شيء من ذلك ✿ قوله عز وجل (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) نزلت في معقل بن يسار المزني عضل أخته جميلة وكانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي أخت تخطب الي وأمنعها من الناس فأتاني ابن عم لي فأنكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي أتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي أتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا أنكحتكها أبدا قال ففي نزلت الآية وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الآية فكفرت عن يميني وأنكحتها اياه أخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها فانقضت عدتها فأراد أن يراجعها فأبى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها ثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية والمراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن أيها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا وأصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي ✿ يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي اذا كنت آمنا ✿ وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المرأة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى ✿ وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم بالمعر

وهازئ (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم وهو حال (واتقوا الله) فيما امتحنكم به (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) من الذكر والانعام والاسخاط وغير ذلك وهو أبلغ وعد ووعيد (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة وفي الاولى الرجعة وذا يكون فيها (فلا تعضلوهن) فلا تمنعوهن والعضل المنع والتضييق (أن ينكحن) من أن ينكحن (أزواجهن) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج سموا أزواجا باسم ما يؤول اليه أو للاولياء في عضلهن ان يرجعن الى أزواجهن الذين كانوا أزواجا لهن سموا أزواجا باعتبار ما كان نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته ان ترجع الى الزوج الاول أو للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين (اذا تراضوا بينهم) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف)

الدين والمروءة من الشرائط أو مهر المثل والكفء لأن عند عدمهما للأولياء أن يتعرضوا والخطاب في (ذلك) للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فالمواعظ انما تنجع فيهم (ذلكم) أي ترك العضل والضرار (أزكى لكم وأطهر) أي لكم من أدناس الآثام أو أزكى وأطهر أفضل وأطيب (والله يعلم) ما في ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) ذلك (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر في معنى الامر المؤكد كيتربصن وهذا الامر على وجه الندب أو على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الاب عاجزا عن الاستئجار أو أراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع (حولين) ظرف (كاملين) تامين وهو تأكيد لأنه مما يتسامح فيه فانك تقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لمن أراد أن يتم الرضاعة) بيان لمن توجه اليه الحكم أي هذا الحكم لمن أراد اتمام الرضاعة والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه أن يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام مادامت زوجة أو معتدة (وعلى المولود له) الهاء يعود الى اللام الذي بمعنى الذي والتقدير وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الأولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم كالاظآر ألا ترى انه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا (رزقهن وكسوتهن)

يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف ههنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو أن يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك) أي ذلك الذي ذكر من النهي (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم أزكى لكم وأطهر) يعني انه خير لكم وأطهر لقلوبكم وأطيب عند الله (والله يعلم) يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك ۞ قوله عز وجل (والوالدات) يعني المطلقات اللائي لهن أولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات أو متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن أولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن أولادهن في حكم الله الذي أوجبه وهذا الامر ليس أمر ايجاب وانما هو أمر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام أصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على أنه لا يجب على الوالدة رضاع الولد قوله فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له أخرى وهذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل أو لم يقبل غير لبن أمه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل أحد مواساة المضطر فان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي أولى به من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة وأصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا أن هذا الاتمام غير واجب فثبت أن المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة أشهر أرضعته حولين وان وضعته لسبعة أشهر أرضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة أشهر أرضعته أحدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل مولود في أي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فأيهما أراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان أرادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم أنزل التخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أي هذا منتهى الرضاع لمن أراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به (وعلى المولود له) يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم

وانما أمهات الناس أوعية ... مستودعات وللآباء أبناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المرأة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقهن) أي طعامهن (وكسوتهن) أي لباسهن

بالمعروف) بلا اسراف ولا تقتير وتفسيره مابعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ماليس في وسعه ولا يتضارا (لا تكلف نفس الا وسعها) وسعها أو قدر امكانها والتكليف الزام مايؤثر في الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء ودخلت الا بين المفعولين (لا تضار) مكي وبصري بالرفع على الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها الباقون لا تضار على النهي والاصل تضارر أسكنت الراء الاولى وأدغمت في الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين (والدة بولدها) أي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ماليس بعدل من الرزق وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعدما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك (ولا مولود له بولده) أي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيأ مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهي تريد ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد أو تضار بمعنى تضر والباء من صلته أي لا تضر والدة ولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعدما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وعلى وارث الصبي عند عدم الاب (مثل ذلك) أي مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد (فان أرادا) يعني الابوين (فصالا) فطاما صادرا (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما) في ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضي عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذي أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة والولاية وللام الشفقة والعناية (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي بعدى الى مفعولين أي ان تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الاول يعني الام عند إبائها أو عجزها (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم ايتاءه من الاجرة أتيتم مكي من أتى اليه احسانا اذا فعله كان وعد ما تيا أي مفعولا والتسليم ندب لا شرط للجواز (بالمعروف) متعلق بسلمتم أي سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب نفس وسرور

(بالمعروف) أي على قدر الميسرة (لا تكلف نفس الا وسعها) يعني طاقتها والمعنى ان أبا الولد لا يكلف في الانفاق عليه وعلى أمه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة (لا تضار والدة بولدها) يعني لا ينزع الولد من أمه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على ارضاع الولد اذا قبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعني لا تلقي المرأة الولد الى أبيه وقد ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب أن يعطي أم الولد أكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير أمه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر ولا ينفق عليه الاب أو ينزعه من أمه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) يعني وعلى وارث أبي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من الرزق والكسوة فيلزم وارث الاب أن يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أبي الصبي في حال حياته واختلف في أي وارث هو فقيل هو عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال أحمد فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال أبو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي الا الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فان أرادا) يعني الوالدين (فصالا) يعني فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) أي على اتفاق من الوالدين في ذلك (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم في ذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي فيه مصلحة (فلا جناح عليهما) أي فلا حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لاولادكم مراضع غير أمهاتهم اذا أبت أمهاتهم ارضاعهم أو تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن أو غير ذلك أو أردن التزويج (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) يعني الى المراضع (ما آتيتم) يعني لهن من أجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن

(بالمعروف) أي بالاحسان والاجمال أو أن يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعني وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم لاولادكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) يعني لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها ﴿قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعني يموتون (منكم) وأصل التوفي أخذ الشئ وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان يعني قبض وأخذ (ويذرون) أي ويتركون (أزواجا) والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة (يتربصن) أي ينتظرون (بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) يعني قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا أبهمت في العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان أحدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا أظهروا الايام قالوا صمنا عشرة أيام وقيل ان هذه الايام أيام حزن ولبس احداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن أمه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح أخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع في مدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة

﴿فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد﴾ وفيه مسائل ﴿المسألة الاولى﴾ عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام وبه قال جمهور العلماء وقال أبو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرة وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على هذا ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال رجل من بني عبد الدار فقال لها مالي أراك متجملة للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج ان بدا لي أخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا أرى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد أربعة أشهر وعشرا ثم خص من هذا العموم أولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن (المسألة الثانية) يجب على من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فرخص لها فيه قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن أم سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي أبو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ما هذا يا أم سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت بأي شئ أمتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك أخرجه أبو داود والنسائي نحوه قوله فانه يشب الوجه أي يوقده ويحسنه وينوره من

(واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها (والذين يتوفون منكم) تقول توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وافيا تاما أي تستوفى أرواحهم (ويذرون) ويتركون (أزواجا يتربصن بأنفسهن) أي وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أي يعتددن أو معناه يتربصن بعدهم بأنفسهن فحذف بعدهم للعلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لابد من عائد يرجع الى المبتدا في الجملة التي وقعت خبرا يتوفون المفضل أي يستوفون آجالهم (أربعة أشهر وعشرا) أي وعشر ليال والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم

شعر الرأس إذا أو صف قوله تغلفين به رأسك أي تلطخين به رأسك والتغلف هو أن يمرغ على وجه المرأة أو رأسها إذا لطخه شيء فكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالأحمر والأصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالأسود والأزرق ويجوز لها أن تلبس الثياب من الصوف والوبر (ق) عن زينب بنت أبي سلمة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (م) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (ق) عن أم عطية قالت كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر إذا اغتسلت إحدانا من حيضتها في نبذة من كست أظفار قولها إلا ثوب عصب العصب برود المهلهل من البرود الذي صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشيء اليسير والكست في القسط وهو شيء معروف يتبخر به عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب أخرجه أبو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع أن صفية بنت أبي عبيد اشتكت عينيها وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان أخرجه مالك في الموطأ

﴿المسألة الثالثة﴾ اختلفوا في هذه المدة مبدؤها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم مبدؤها من [illegible] لا تعتد بانقضاء الأيام في العدة واحتجوا على ذلك بأن الله تعالى قال يتربصن بأنفسهن وذلك لا يحصل إلا بالقصد إلى التربص ولا يحصل ذلك إلا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو مضت المدة أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويدل على ذلك أن الصغيرة التي لا علم لها يكون انقضاء عدتها بهذه المدة ﴿المسألة الرابعة﴾ أجمع العلماء على أن هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وإن كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه إن شاء الله تعالى والله أعلم ۞ وقوله تعالى (فإذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا جناح) خطاب للأولياء لأنهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) يعني من التزين والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل إنما عنى بذلك النكاح وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية لأن إضافة الفعل إلى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب أصحاب الشافعي بأن قوله فلا جناح عليكم خطاب للأولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا وأجيب عن قوله فيما فعلن في أنفسهن أي من التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا أنها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعني أنه تعالى عليم لا تخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشيء وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله عز وجل (ولا جناح) أي لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) أي لوحتم وأشرتم به والتعريض

(فإذا بلغن أجلهن) فإذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الأئمة والحكام (فيما فعلن في أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكره الشرع (والله بما تعملون خبير) عالم بالبواطن (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به

ومعناه

من خطبة النساء) الخطبة الاستنكاح والتعريض أن تقول لها انك لجميلة أو صالحة ومن غرضي ان أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى أريد ان أتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيأ تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

فكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض (أو أكننتم فى أنفسكم) أى سترتم وأضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين (علم الله انكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (ولكن لا تواعدوهن سرا) جماعا لانه مما يسر أى لا تقولوا انى فى العدة انى قادر على هذا العمل (الا أن تقولوا قولا معروفا) وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والاستثناء يلا تواعدوهن أى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقدة النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح أو ولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام أى ولا تعزموا على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) حتى تنقضى عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعنى حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجله أى غايته (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (واعلموا أن الله غفور حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولا جامعها

ومعناه ان ضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو أن يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضى التزويج وانى فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول انى أريد ان أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابن عباس فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء وأن يقول انى أريد التزويج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان ييسر لى امرأة صالحة أخرجه البخارى وروى ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك أتخطبنى فى العدة وأنت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهى فى عدة زوجها أبى سلمة وذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (أو أكننتم) يعنى أضمرتم (فى أنفسكم) يعنى من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا حرج عليكم فى التعريض للمرأة فى عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها (علم الله أنكم ستذكرونهن) يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتمنى لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق أسقط عنه الحرج (ولكن لا تواعدوهن سرا) اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعينى فاذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تفوتينى بنفسك فانى ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق أن لا تتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها فى العدة وقال الشافعى السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبى لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

ألا زعمت بسباسة القوم اننى ٭ كبرت وان لا يحسن السر أمثالى

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيى كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة سرية أو لا تواعدوهن بالشئ الموصوف بالسر وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى أذن فى أول الآية فى التعريض بالخطبة ومنع فى آخرها عن التصريح بالخطبة (الا أن تقولوا قولا معروفا) يعنى هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولى المرأة انه راغب فى نكاحها (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أى لا تحققوا العزم على عقدة النكاح فى العدة حتى تنقضى وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) أى خافوه (واعلموا أن الله غفور حليم) لا يعجل بالعقوبة على من جاهر بالمعصية بل يستر عليه ﴿ قوله عز وجل

(لاجناح عليكم) لاتبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء) شرط ويدل على جوابه لاجناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلاجناح عليكم (مالم تمسوهن) مدة لم تجامعوهن وماشرطية اى ان لم تمسوهن تماسوهن حمزة وعلى حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين (أوتفرضوا لهن فريضة) الاان تفرضوا لهن فريضة أوحتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان

المطلقة غير الموطوأة لها نصف المسمى ان سمى لها مهروان لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى نصف مافرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة (ومتعوهن) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار (على الموسع) الذى له سعة (قدره) مقداره الذى يطيقه قدره فيهما كوفى غير أبى بكر وهما لغتان (وعلى المقتر) الضيق الحال (قدره) ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (متاعا) تأكيد لمتعوهن أى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أى متاعا واجبا عليهم أوحق ذلك حقا (على المحسنين) على المسلمين أوعلى الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بماليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التى سمى لها مهرا أى الطلاق قبل المس فقال (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أن مع الفعل تأويل المصدر فى موضع الجر أى من قبل مسكم اياهن (وقد فرضتم) فى موضع الحال (لهن فريضة) مهرا (فنصف مافرضتم المسمى

(لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أوتفرضوا لهن فريضة) أى ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعنى ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت فى رجل من الانصار تزوج امرأة من بنى حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها من قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفى الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وماجاء فى الحديث ان أبغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لاحرج عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى أى وقت شئتم حائضا كانت المرأة أوطاهرا لانه لاسنة فى طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) أى أعطوهن من مالكم مايتمتعن به والمتعة والمتاع مايتبلغ به من الزاد (على الموسع) أى الغنى الذى يكون فى سعة من غناه (قدره) أى قدر امكانه وطاقته (وعلى المقتر) أى الفقير الذى هو فى ضيق من فقره (قدره) أى قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعنى متعوهن تمتيعا بالمعروف يعنى من غير ظلم ولاحيف (حقا) أى ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعنى الى المطلقات بالتمتيع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من أراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن ﴿فصل فى بيان حكم الآية﴾ وفيه فروع ﴿الفرع الاول﴾ اذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وأبوحنيفة وأحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولامتعة لها عليه (الفرع الثانى) المطلقة المدخول بها فيها قولان قال فى القديم لامتعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال أبوحنيفة وهو احدى الروايتين عن أحمد وقال فى الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن أحمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التى فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر ﴿الفرع الثالث فى قدر المتعة﴾ قال ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وازار وأقلها دون ذلك وقاية أومقنعة أوشىء من الورق وهو مذهب الشافعى لانه قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وحممها يعنى متعها جارية سوداء وامتع الحسن بن على زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت

* متاع قليل من حبيب مفارق *

وقال أبوحنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لايجاوز وقال أحمد فى احدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال فى الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج فى اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التى أوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر تخالف حال المعسر فى ذلك ﴿الفرع الرابع﴾ ومن حكم الآية أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة ۞ قوله عز وجل (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) يعنى تجامعوهن وهذا فى المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولاعدة عليها وهو قوله تعالى (وقد فرضتم لهن فريضة) أى سميتم لهن مهرا (فنصف مافرضتم) أى فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعى أن الخلوة من غير مسيس لاتوجب الا نصف المهر

(إلا أن يعفون) يريد المطلقات والنون ضمير لا علامة رفع والفعل مبني في محل النصب على الاستثناء كأنه قيل فنصف ما فرضتم في جميع الأوقات إلا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون أن الواو في الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل (أو يعفو) عطف على محله (الذي بيده عقدة النكاح) هو الزوج كذا فسره علي رضي الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبي حنيفة والشافعي في الجديد رضي (١٧٩) الله عنهم أجمعين وهذا لأن الطلاق بيده فكان عقدة النكاح بيده والمعنى أن الواجب شطرها والمعنى إلا أن تسقط هي الكل أو يعطي هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعي في القديم هو الولي قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز عفوه عنه (وأن تعفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتقوى) والخطاب للأزواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج أي عفو الزوج بإعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة بإسقاطه خير لها أو للأزواج (ولا تنسوا الفضل) التفضل (بينكم) أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض (إن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على تفضلكم (حافظوا على الصلوات) داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها (والصلاة الوسطى) بين الصلوات أي الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لأنها في وسط النهار أو صلاة الفجر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل أو صلاة المغرب لأنها بين الأربع والمثنى ولأنها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر أو صلاة العشاء لأنها بين وترين أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل

المسيس لأن المسيس إما حقيقة في المس باليد أو يجعل كناية عن الجماع وأيهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة أن يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن أو يكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والإحرام سواء كان فرضا أو نفلا والآية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم أسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترا إذا زعم أنه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس إذا طلقها ولم يمسها فلها نصف المهر

(فرع) لو مات أحد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة إن كان الزوج هو الميت ◆ وقوله تعالى (إلا أن يعفون) يعني النساء المطلقات والمعنى إلا أن تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق إلى الزوج (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) فيه قولان أحدهما أنه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني أنه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الأخرى وعن ابن عمر وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد وأحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الأول يكون معنى الآية إلا أن تعفو المرأة إذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو عن نصيبها للزوج أو يعفو وليها إذا كانت المرأة بكرا صغيرة أو غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وإنما يجوز عفو الولي بشروط وهي أن تكون بكرا صغيرة ويكون الولي أبا أو جدا لأن غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الآية ويعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المرأة الصداق كاملا لأن الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل أن يعفو فيوفي لها المهر كاملا وروي أن جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ولأن المهر حق المرأة فليس لوليها أن يهب من مالها شيئا فكذلك المهر لأنه مال لها (وأن تعفوا أقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وإنما غلب جانب التذكير لأن الذكورة هي الأصل والتأنيث فرع عليها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض أيها الرجال والنساء أقرب إلى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر إليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا أو تترك المرأة نصيبها من الصداق منهما جميعا على الإحسان ومكارم الأخلاق (إن الله بما تعملون) يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) أي لا يخفى عليه شيء من ذلك ◆ قوله عز وجل (حافظوا) أي داوموا وواظبوا (على الصلوات) يعني الخمس المكتوبات أمر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها وإتمام أركانها في أوقاتها المختصة بها (والصلاة الوسطى) تأنيث الأوسط ووسط كل شيء

خيره وأعدله وقيل الوسطى بمعنى الفضلى من قولهم للأفضل أوسط وانما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها أوسط الصلوات محلا

﴿فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى﴾ قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب ● الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال مالك والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن أبي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر أخرجه مالك في الموطأ وأخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا النهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا الليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تأتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقيبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها ● المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبي سعيد الخدري ورواية عن عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك في الموطأ عن زيد والترمذي عنهما تعليقا وأخرجه أبو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر ● المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة وهو قول أبي عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر أخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن أبي يونس مولى عائشة قال أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن حفصة نحوه ولان صلاة العصر تأتي وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها أولى ولانها تأتي بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر وصلاتي ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة

واشتغالهم فيها ويدل على ذلك ما روي عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله أخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر أي قدموها في أول وقتها (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر أهله نقص وسلب أهله وماله فبقي فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله ❁ المذهب الرابع أنها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب ووجه هذا المذهب أن صلاة المغرب تأتي بين بياض النهار وسواد الليل ولأنها أزيد من ركعتين كالصبح وأقل من أربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولأن صلاة الظهر تسمى الأولى لأن ابتداء جبريل كان بها وإذا كانت الظهر أول الصلوات كانت المغرب هي الوسطى ❁ المذهب الخامس أنها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شيء وإنما ذكرها بعض المتأخرين ووجه هذا المذهب أنها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولأنها أثقل صلاة على المنافقين ❁ المذهب السادس أن الصلاة الوسطى هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها لأن الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها الصلاة الوسطى وليس في الآية ذكر بيانها وإذا كان كذلك أمكن أن يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس إنها هي الوسطى أبهمها الله على عباده مع ما خصها به من مزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على أداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان وأخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم في جميع أسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين إن رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن حافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال أرأيت لو علمتها بعينها أكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع إنك إن حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الأقوال كلها قولان قول من قال إنها الصبح وقول من قال إنها العصر وأصح الأقوال كلها إنها العصر للأحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى أعلم ❁ وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أي طائعين فهو عبارة عن إكمال الطاعة وإتمامها والاحتراز عن إيقاع الخلل في أركانها وسننها قيل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل أنه لما أمر بالمحافظة على الصلوات وجب أن يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل إنما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام أخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت أخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا إلا ناسيا ❁ قوله عز وجل (فإن خفتم فرجالا) أي رجالة (أو ركبانا) يعني على الدواب جمع راكب والمعنى إن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من إتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال القتال والمسايفة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان أحدهما أن تكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة

(وقوموا لله) في الصلاة (قانتين) حال أي مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله في قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما أو مطيلين القيام (فإن خفتم) فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) حال أي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (أو ركبانا) وحدانا أو جماعة و يسقط عنه التوجه إلى القبلة

النساء في قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في موضعه فإذا التحم القتال ولم يمكن تركه لأحد فمذهب الشافعي أنهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الأرجل إلى القبلة وإلى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فإنه لا حاجة إليه وقال أبو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الآية وأجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بأنه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وإنما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط أما الخوف الحاصل لا في القتال بل بسبب آخر كهارب من العدو أو قصده سبع هائج أو خشية سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة تامة من فله أن يصلي صلاة شدة الخوف بالإيماء في حال العدو ولأن قوله تعالى فإن خفتم مطلق يتناول الكل فإن قلت قوله تعالى فرجالا أو ركبانا يدل على أن المراد منه خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك إلا أنه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب أن يكون الحكم كذلك هنا وروي عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة أخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وإبراهيم وإسحق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الأمن في عدد الركعات فإن كان الخوف في الحضر وجب عليه أن يصلي أربع ركعات وإن كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الأحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا على أن المراد به ركعة مع الإمام وركعة أخرى يأتي بها منفردا كما جاءت الأحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الأحاديث ۞ وقوله تعالى (فإذا أمنتم) يعني من خوفكم (فاذكروا الله) أي فصلوا لله الصلوات الخمس تامة بأركانها وسننها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) فيه إشارة إلى إنعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه إيانا لم نعلم شيئا ولم نصل إلى معرفة شيء فلله الحمد على ذلك ۞ قوله عز وجل (والذين يتوفون منكم) يعني يا معشر الرجال (ويذرون أزواجا) يعني زوجات (وصية لأزواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (متاعا إلى الحول) أي متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج إليه (غير إخراج) أي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم ابن الحرث هاجر إلى المدينة ومعه أبواه وامرأته وله أولاد فمات فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أبويه وأولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الإسلام أنه إذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبتين في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولكنها تكون مخيرة فإن شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وإن شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل أن يوصي بذلك فدلت هذه الآية على مجموع أمرين أحدهما أن لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة الثاني أن عليها عدة سنة ثم إن الله تعالى نسخ هذين الحكمين أما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخها آية الميراث بجعل لها الربع أو الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا فإن قلت كيف نسخت الآية المقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول كقوله تعالى

(فإذا أمنتم) فإذا زال خوفكم (فاذكروا الله) فصلوا صلاة الأمن (كما علمكم) أي ذكرا مثل ما علمكم (ما لم تكونوا تعلمون) من صلاة الأمن (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) بالنصب شامي وأبو عمرو وحمزة وحفص أي فليوصوا وصية عن الزجاج وغيرهم بالرفع أي فعليهم وصية (متاعا) نصب بالوصية لأنها مصدر أو تقديره متعوهن متاعا (إلى الحول) صفة لمتاعا (غير إخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعا والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا إلى قوله أربعة أشهر وعشرا والناسخ متقدم تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء

السفهاء من الناس ـ الى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴿ قوله تعالى (فان خرجن فلا جناح عليكم) يعني يا معشر أولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) يعني التزين للنكاح ورفع الحرج عن الورثة ـ وفيه وجهان أحدهما أنه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين أن تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين أن تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك بأربعة أشهر وعشرا (والله عزيز) أي غالب قوي في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعني فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام ﴿ قوله عز وجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) انما أعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في تلك الآية بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت أحسنت وان لم أرد لم أفعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى (حقا على المتقين) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم أحكام المتعة ﴿ وقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم أزواجكم أيها المؤمنون وكما عرفتكم أحكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات كذلك أبين لكم سائر أحكامي في آياتي التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم اهـ ﴿ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك أكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى أرض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وملك آخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر أنه خرج الى الشأم فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فأخبره عبد الرحمن ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نأتيها بها الوباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع وذلك قوله تعالى ألم تر أي ألم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعاني هو تعجيب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول ألم تر الى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه ﴿ قوله تعالى (وهم ألوف) قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع الف والاول أصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذى وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد

(فان خرجن) بعد الحول (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (والله عزيز حكيم) فيما حكم (وللمطلقات متاع) أي متعة (بالمعروف حقا) نصب على المصدر (على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) هو في موضع الرفع لانه صفة لمصدر وان أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهي على سبيل الندب (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم يرولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) من قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) في موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهي جمع ألف لا آلف

(حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) أي فأماتهم وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله
ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل
الله (ثم أحياهم) ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه ثم هو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم
أحياهم أو لما كان معنى قوله
فقال لهم الله موتوا فأماتهم
كان عطفا عليه معنى (إن
الله لذو فضل على الناس)
حيث يبصرهم ما يعتبرون
به كما بصر أولئك وكما بصركم
باقتصاص خبرهم أو لذو فضل
على الناس حيث أحيا
أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو
شاء لتركهم موتى إلى يوم
النشور (ولكن أكثر
الناس لا يشكرون) ذلك
والدليل على أنه ساق هذه
القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه
من الأمر بالقتال في سبيل
الله وهو قوله (وقاتلوا في
سبيل الله) فحرض على
الجهاد بعد الإعلام لأن
الفرار من الموت لا يغني
وهذا الخطاب لأمة محمد
عليه السلام أو للذين أحياهم
(واعلموا أن الله سميع)
يسمع ما يقوله المتخلفون
والسابقون (عليم) بما
يضمرونه (من) استفهام
في موضع رفع بالابتداء (ذا)
خبره (الذي) نعت لذا أو بدل
منه (يقرض الله) صلة
الذي وسمي ما ينفق في
سبيل الله قرضا لأن القرض
ما يقبض بدل مثله من بعد
سمي به لأن المقرض يقطعه من ماله فيدفعه إليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض أعار والاقتراض واصل
فيه دليل على أنه لا يصح عنده وأنه يحرم ... لأجله (قرضا حسنا) طيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة في الجهاد لأنه لما أمر
بالقتال في سبيل الله ويحتاج فيه إلى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد.

موسى وذلك أن القيم بأمر بني إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم
من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعدما كبرت وعقمت
فوهبه الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمي بذلك لأنه تكفل سبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل
على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك آية قال نعم يا رب فأحياهم
الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل أن يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل إنهم كانوا قومه أحياهم الله تعالى بعد ثمانية
أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك
ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله إليه أني قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل احيوا بإذن الله
فعاشوا وقيل إنهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ثم رجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرا
طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت
لهم قال ابن عباس وإنها لتوجد اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم
من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فإن قلت كيف
أميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى قلت إن موتهم كان
عقوبة لهم كان خارق عادة وقيل إن موتهم وإحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الأنبياء
خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون قوله إلا الموتة الأولى عاما مخصوصا بمعجزات الأنبياء أي
إلا الموتة الأولى التي ليست من معجزات الأنبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الآية احتجاج على اليهود
ومعجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج
على منكري البعث أيضا فقد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره أنه أماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو
قادر على أن يحييهم يوم القيامة ۞ وقوله تعالى (حذر الموت) أي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل إنهم
أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل أنهم ماتوا بعد قوله لهم موتوا ويحتمل
أن يكون ذلك أمر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم أحياهم) يعني بعد موتهم (إن الله لذو فضل
على الناس) يعني أن الله تعالى متفضل على أولئك الذين أماتهم ثم أحياهم لأنهم ماتوا على معصية فتفضل
عليهم بأن ردهم إلى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويتفضل على
المؤمنين بفضله يوم القيامة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني أن أكثر من أنعم الله عليه لا يشكر أما
الكافر فإنه لم يشكره أصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره ۞ قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) قيل
هو خطاب للذين أحيوا أحياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه إضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في
سبيل الله وقيل هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم
ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد (واعلموا أن الله سميع) يعني لما يقوله المتعلل عن القتال (عليم)
بما يضمره ۞ قوله عز وجل (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان
ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لأنهم يعملون لطلب
الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيء قال أمية بن أبي الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا ✽ أو سيئا أو مدينا كالذي دانا

وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيأ فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده الى أعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال ناولني يدك فناوله يده قال فاني قد أقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد أقرضته ربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله أي ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعني محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة (فيضاعفه له) يعني ثواب ما أنفق (أضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما أبهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق أخبرأنه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الانفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق في البر كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الامة (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل) الملأ أشراف القوم ووجوههم وأصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط (من بعد موسى) أي من بعد موت موسى أو من بعد زمنه (اذ قالوا) يعني أولئك الملأ (لنبي لهم) اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون ابن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون لان أمه دعت الله أن يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال أكثر المفسرين هو أشمويل بن بال وقيل هو ابن حلقاني قيل انه من ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل

﴿ذكر الاشارة الى القصة﴾

كان سبب مسئلة أولئك الملأ لذلك النبي أنه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده في بني اسرائيل يوشع ابن نون يقيم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك

(فيضاعفه له) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى عطفا على يقرض أو هو مستأنف أي فهو يضاعفه فيضعفه شامي فيضعفه مكي (أضعافا) في موضع المصدر (كثيرة) لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة (والله يقبض ويبسط) يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة ويبسط حجازي وعاصم وعلى (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (ألم تر الى الملا) الاشراف لانهم يملؤن القلوب جلالة والعيون مهابة (من بني اسرائيل) من للتبعيض (من بعد موسى) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (اذ قالوا) حين قالوا (لنبي لهم) هو شمعون أو يوشع أو اشمويل

ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده فى بنى اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بنى اسرائيل من بعد موسى
يبعثون اليهم ليجدد واما نسوا من التوراة ويأمروهم بالعمل بأحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع
فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو
يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا
على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة
وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم
نبى يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة أن تلد جارية
فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما
فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائى فلما كبر الغلام أسلمته لتعليم التوراة فى بيت
المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ
وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال
يا أبتاه رأيتك تدعونى فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية
فقال الغلام دعوتنى فقال نم فان دعوتك فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال
اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا
لم تنبأت وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام أمر
بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى هو
يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا أربعين
سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبى لهم (ابعث لنا
ملكا نقاتل فى سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعنى قال النبى صلى الله عليه وسلم
(هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) أى فرض (عليكم القتال) يعنى مع ذلك الملك (أن
لا تقاتلوا) يعنى لا تفوا بما تقولون وتجبنوا عن القتال معه (قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله) فان قلت ما وجه
دخول أن والعرب لا تقول ما لك أن لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا قلت دخول أن وحذفها
لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك أن لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون وقيل
معناه وما لنا فى أن لا نقاتل فحذف حرف الجر وقيل ان أن زائدة ومعناه وما لنا لا نقاتل فى سبيل الله (وقد
أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أى أخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص
لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا فى ديارهم وأبنائهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم
قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين فى بلادنا لا يظهر علينا عدونا فأما اذا بلغ ذلك منا
فنطيع ربنا فى جهاد عدونا ونمنع نساءنا وأولادنا ۞ قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) فى الكلام
حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبى فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا)
أى أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله (الا قليلا منهم) يعنى لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر
مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتى فى قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعنى هو
عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال ۞ قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن

(ابعث لنا ملكا) انهض للقتال معنا أميرا أصدر فى تدبير الحرب عن رأيه وننتهى الى أمره (نقاتل) النون والجزم على الجواب (فى سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبى (هل عسيتم) عسيتم حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (أن لا تقاتلوا) والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعنى هل الامر كما توقعه أنكم لا تقاتلون وتجبنون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب فى توقعه (قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله) وأى داع لنا الى ترك القتال وأى غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الواو فى وقد للحال وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أى أجيبوا الى ملتمسهم (تولوا) أعرضوا عنه (الا قليلا منهم) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت) هو اسم أعجمى كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (ملكا) حال وقيل

(قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له (ونحن أحق بالملك منه) الواو للحال (ولم يؤت سعة من المال) أي كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك في سبط يهوذا وهو كان من سبط

وقيل ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظروا الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية شاول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يعمل الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام في طلبها فمرا على بيت أشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبيناهما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت أو ما علمت ان سبطي من أدنى أسباط بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية تؤول ما أمرني به ذلك آية انك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا أيها الناس ان الله ملك طالوت فأتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم أشمويل وقالوا ما شأن طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت أن النبوة في سبط لاوى بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي من أين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن أحق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان من بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب ولهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعني أنه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعني اشمويل النبي (ان الله اصطفاه عليكم) أي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة أن الامامة وراثة وذلك لان بني اسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم وأعلمهم أن هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم) وذلك انه كان من أعلم بني اسرائيل وقيل انه أوحي اليه حين أوتي الملك وقيل هو العلم بالحرب (والجسم) يعني بالطول وذلك لانه كان أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما به حفظ المملكة (والله يؤتي ملكه من يشاء) يعني أن الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد في فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعني ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى أنكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى (عليم) يعني أنه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير أمره وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان في قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) وذلك أنهم سألوا اشمويل النبي وقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت

بنيامين وكان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال ان الله اصطفاه عليكم) الطاء في اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة أي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال (وزاده بسطة) مفعول ثان (في العلم والجسم) قالوا كان أعلم بني اسرائيل بالحرب والديانات في وقته وأطول من كل انسان برأسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لا بد أن يكون من أهل العلم فان الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما لانه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب (والله يؤتي ملكه من يشاء) أي الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء ايتاءه وليس ذلك بالوراثة (والله واسع) أي واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك ثم طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) أي صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون

(ابعث لنا ملكا) انهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى أمره (نقاتل

والجزم على الجواب (في سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبي (هل عسيتم) بفتح السين حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (أن لا تقاتلوا) والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الامر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون وتجبنون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه (قالوا ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله) وأي داع لنا الى ترك القتال وأي غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الواو في وقد للحال وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلابد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي أجيبوا الى ملتمسهم (تولوا) أعرضوا عنه (الا قليلا منهم) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد

بعث لكم طالوت) هو اسم أعجمي كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (ملكا) حال وقيل

ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمروهم بالعمل بأحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام أسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ فقال يا أبتاه رأيتك تدعوني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) أي فرض (عليكم القتال) يعني مع ذلك الملك (أن لا تقاتلوا) يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه (قالوا ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول أن والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل كذا ولكن تقول مالك لا تفعل كذا قلت دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك أن لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله مالكم لا تؤمنون وقيل معناه ومالنا في أن لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه ومالنا لا نقاتل في سبيل الله (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم والمراد منه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وأبنائهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا وأولادنا ۞ قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) في الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) أي أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله (الا قليلا منهم) يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي في قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال ۞ قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن

(قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له (ونحن أحق بالملك منه) الواو للحال (ولم يؤت سعة من المال) أي كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك في سبط يهوذا وهو كان من سبط

بنيامين وكان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروى أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت (قال إن الله اصطفاه عليكم) اختاره عليكم في الاصطفاء بدل من انتفاء لمكان الصادل الماكنة أي استاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال (وزاده بسطة) مفعول ثان (في العلم والجسم) قالوا كان أعلم بني اسرائيل بالحرب والديانات في وقته وأطول من كل انسان رأسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لا بد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب (والله يؤتي ملكه من يشاء) أي الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء إيتاءه وليس ذلك بالوراثة (والله واسع) أي واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك فثمة طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) أي صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون

وقيل إن صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وإنما سمي طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الأديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لأبي طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام في طلبها فمرا على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا أو ليدعو لنا فدخلا عليه فبيناهما عنده يذكران له حاجتهما إذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله وقال لطالوت قرب رأسك فقربه إليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت أوما علمت أن سبطي من أدنى أسباط بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل إنه جلس عنده وقال يا أيها الناس إن الله ملك طالوت فأتت عظماء بني اسرائيل إلى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شأن طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت أن النبوة في سبط لاوى بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي من أين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن أحق بالملك منه) إنما قالوا ذلك لأنه كان من بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب ولهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعني أنه فقير والملك يحتاج إلى المال (قال) يعني اشمويل النبي (إن الله اصطفاه عليكم) أي اختاره عليكم رحمه بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة أن الإمامة موروثة وذلك لأن بني اسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم وأعلمهم أن هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم) وذلك أنه كان من أعلم بني اسرائيل وقيل إنه أوحي إليه حين أوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب (والجسم) يعني بالطول وذلك لأنه كان أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لأن العلم بالحروب والقوة على الأعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتي ملكه من يشاء) يعني أن الله تعالى لا اعتراض عليه لأحد في فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعني إن الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى أنكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فإذا فوض إليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى (عليم) يعني أنه تعالى مع قدرته على إغناء الفقير عالم بما يحتاج إليه في تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان في قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) وذلك أنهم سألوا اشمويل النبي فقالوا ما آية ملكه فقال إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت

* وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والأخبار أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتاً فيه صور الأنبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار إلى شيث ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم عليه السلام ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر أولاده ثم صار إلى يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه ثم كان عنده إلى أن مات ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل إلى وقت أشمويل وكان في التابوت ما ذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكينة من ربكم) واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن أبي طالب هي ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا النصر وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم إذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون إليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان التابوت اطمأنوا وسكنوا إليه وهذا القول أولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه لأن كل شيء يسكن إليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر وقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعني موسى وهرون أنفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي تركها آل موسى وآل هرون فقيل رضاض من الألواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون وشيء من ألواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هرون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فكان التابوت عند بني إسرائيل يتوارثونه قرناً بعد قرن وكانوا إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا إذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وأخذوه منهم وكان السبب في ذلك أنه كان لعيلي وهو الشيخ الذي ربى أشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني إسرائيل وصاحب قربانهم فأحدث ابناه في القربان شيئاً لم يكن فيه وذلك أنه كان منوط القربان الذي ينوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذي كان ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فأوحى إلى أشمويل أن انطلق إلى عيلي وقل له منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن أن يحدثا في قرباني شيئاً وأن يعصياني فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك وإياهما فأخبره أشمويل بذلك ففزع وسار إليهم عدوهم من حولهم فأمر عيلي ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو وخرجا بالتابوت فلما تهيؤوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل فأخبره أن الناس قد انهزموا وقد قتل ابناك فما فعل في التابوت قال أخذه العدو وكان عيلي قاعداً على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج أمر بني إسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً فسألوا أشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال نبي أشمويل إن آية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته أن يأتيكم التابوت وكان من قصة التابوت على ما ذكره أصحاب الأخبار أن الذين أخذوا التابوت من بني إسرائيل أتوا به قرية من فلسطين يقال لها أزدود فجعلوه في بيت أصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه

(فيه سكينة من ربكم) سكون وطمأنينة (وبقية) هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة بعد موسى وعمامة هرون عليهما السلام (مما ترك آل موسى وآل هرون) أي ما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما

والمنافق والمتبع والعاصي فلما رأوا العدو قال المنافقون (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فأجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون بناصية قوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم قلت يحتمل أن يكون أهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فأجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده (قال الذين يظنون) أي يستيقنون ويعلمون (أنهم ملاقوا الله) أي ملاقو ثواب الله ورضوانه في الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة في قوله عز وجل (ولما برزوا) يعني طالوت وجنوده المؤمنين (لجالوت وجنوده) يعني الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعني المؤمنين أصحاب طالوت (ربنا أفرغ) أي اصبب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) أي قو قلوبنا لتثبت أقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين (فهزموهم باذن الله) يعني ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فأفرغ عليهم الصبر وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضائه وارادته وأصل الهزم في اللغة الكسر أي كسروهم وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا أبو داود في ثلاثة عشر ابناله وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيأ الا صرعته فقال له أبوه ابشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبته وأخذت باذنه فلم يهجني فقال له أبوه ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم أتاه يوما آخر فقال له يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل الا سبح معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير أعطاكه الله تعالى قالوا فأرسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرائيل أن ابرز الي أو أبرز اليك أو ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله في ذلك فدعا الله فأتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل وجربهم فلم يوافقه أحد منهم فأوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض علي بنيك فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيأ فقال يا ايشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب انه قد زعم أنه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا اسمه داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما أزرق أمعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل لا شك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه ففاض فقال طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل آنست من

أي القليل منهم (لا طاقة لنا اليوم) أي لا قوة لنا (بجالوت) هو جبار من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) يوقنون بالشهادة قيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا وروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش (كم من فئة قليلة) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غلبت) خبرها (فئة كثيرة باذن الله) بنصره (والله مع الصابرين) بالنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده) خرجوا لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) أصبب (علينا صبرا) على القتال (وثبت أقدامنا) بتقوية قلوبنا والقاء الرعب في صدور عدونا (وانصرنا على القوم الكافرين) أعنا عليهم (فهزموهم) أي طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده (باذن الله) بقضائه (وقتل داود جالوت) كان ايشا أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الله الى نبيهم ان داود هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فلما جاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت انك تقتل بنا جالوت

شيئاً تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجيء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من الغنم فأقوم
فأفتح لحييه عنها وأخرجها من قفاه فأخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام في طريقه
بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هرون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال يا داود احملني فاني حجر موسى فحمله
ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته فلما
رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام
فأعطى طالوت داود فرساً وسلاحاً فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريباً ثم رجع الى طالوت فقال من
حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شأنك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرني ربي
لم يغن هذا السلاح عني شيئاً وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود مخلاته
وتقلدها وأخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش
وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له
جالوت وأنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى
الى الكلب فقال نعم وأنت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء فقال
داود عليه السلام أو يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابراهيم وأخرج حجراً ثم قال باسم اله اسحق وأخرج
حجراً ثم قال باسم اله يعقوب وأخرج حجراً ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجراً واحداً وأدار داود المقلاع
ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب أنف البيضة فخالط دماغ جالوت وخرج من قفاه
وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً وخر جالوت صريعاً قتيلاً فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح
بنو اسرائيل بذلك فرحاً شديداً وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس
يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له أنجز لي ما وعدتني فقال له أتريد ابنة الملك بغير صداق فقال
داود ما شرطت علي صداقاً وليس لي شيء فقال لا أكلفك الا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء
لنا غلف فان قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحداً منهم نظم غلفته
في خيط حتى نظم مائتي غلفة فجاء بها الى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع الي امرأتي فزوجه ابنته وأجرى
خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر
بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فأخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني
قالت أبي قال وهل أجرمت جرماً يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك أن تغيب الليلة
حتى تنظر مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا أستطيع خروجاً ولكن ائتيني بزق خمر فأتته به فوضعه
في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك
قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر
شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال ان رجلاً طلبت منه ما طلبت لحقيق أن لا يدعني
حتى يدرك ثأره مني فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى
الله عنه الحجاب ففتح الأبواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه
وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو
خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما
كان من الليلة القابلة أتاه ثانياً فأعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ ابريق وضوئه وكوزه
الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى
ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشي في

الحربة فقال اليوم أقتله وركض في أثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك ودخل غارا فأوحى الله
تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان
دخل ههنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن
العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا
من العباد والعلماء حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز ولم يقتلها وقال لعلنا
نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى
وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة الا أخبرني بها فلما أكثر ذلك
عليه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما رضيت أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز
الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك أيها الملك فأخبره وقال هل تعلم لي توبة أو تعلم في الارض عالما أسأله
عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك ان دللتك على عالم لعلك أن تقتله فقال لا فتوثق منه بالايمان فأخبره ان
تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لأسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قرب من الباب قال له
الخباز أيها الملك انها اذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه ألست تعلمين
حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة
فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما أفاقت قالت والله ما أعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فطلبوا
بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض
التراب عن رأسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم أقامت القيامة قالت لا ولكن هذا طالوت جاء يسألك هل
له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم أدع من الشر شيئا الا فعلته وجئت أطلب التوبة
فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك
وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم ان
اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة ان لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى
سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفدونني
فقالوا بلى نفديك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما آمركم به قالوا اعرض علينا ما أردت فذكر
لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز
هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فتقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى
قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما أنت بالذي تحيا بعده وقتله فكان
ملك طالوت الى ان قتل مدة أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم وأعطوه خزائن طالوت قال
الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود
فذلك قوله تعالى (وآتاه الله الملك والحكمة) يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم تكن
من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) أي
وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير
وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا
قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الريح
عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن
عباس هو ان الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون
النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهو

شملها في خلافته ورجحها
طالوت فعله وزوجه طالوت
ابنته ثم حسده وأراد قتله
ثم مات تائبا (وآتاه الله
الملك) في مشارق الارض
المقدسة ومغاربها وما
اجتمعت بنو اسرائيل
على ملك قط قبل داود
(والحكمة) والنبوة
(وعلمه مما يشاء) من
صنعة الدروع وكلام
الطيور والدواب وغير

(ولولا دفع الله الناس) مفعول به (بعضهم) بدل من الناس ودفاع مدني مصدر دفع أو دافع (ببعض لفسدت الأرض) أي ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) بإزالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة في مسئلة الأصلح (تلك) مبتدأ خبره (آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره على الجبابرة على يد صبي (نتلوها) حال من آيات الله والعامل فيه معنى الإشارة أو آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر (عليك بالحق) باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك (وإنك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله (تلك الرسل) إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم إلى داود أو التي ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فضلنا بعضهم على بعض) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الإيمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الإيمان ثم بين ذلك بقوله (منهم من كلم الله) أي كلمه الله حذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم) مفعول أول (درجات) مفعول ثان أي بدرجات أو إلى درجات يعني ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم بإرساله إلى الكافة وأنه أوتي ما لم يؤته أحد من الأنبياء المتكاثرة المرتقية إلى ألف أو أكثر وأكبرها القرآن لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا الإبهام تفخيم وبيان أنه العلم الذي لا يشتبه على أحد والمتميز الذي لا يلتبس وقيل أريد به محمد وإبراهيم وغيرهما من أولي العزم من الرسل

صلحات السلسلة فيه لم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة إلا برأ وكانوا يتحاكمون إليها بعد داود إلى أن رفعت فمن تعدى على صاحبه أو أنكره حقا أتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده إلى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة أنكره إياها فتحاكما إلى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة فقال صاحبه ما أعرف لك عندي وديعة فإن كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة أمسك عكازتي فأخذها الرجل منه وقام المنكر إلى السلسلة وقال اللهم إن كنت تعلم أن الوديعة التي يدعيها قد وصلت إليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة ۞ قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعني ولولا أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الإيمان والطاعة بعضا وهم أهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار (لفسدت الأرض) يعني لهلكت بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر وروى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني أن دفع الفساد بهذا الطريق إنعام وإفضال عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية وهي التابوت وإهلاك الجبابرة على يد صبي (نتلوها عليك بالحق) أي باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم (وإنك لمن المرسلين) يعني حيث تخبر بهذه الأخبار العجيبة والقصص القديمة من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار فدل ذلك على أنك من المرسلين وأن الذي تخبر به وحي من الله تعالى ۞ قوله عز وجل (تلك الرسل) يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة لمن أوجب التسوية بين الأنبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة وأجمعت الأمة على أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض وأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا (منهم) أي من الرسل (من كلم الله) أي كلمه الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الأنبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما أوتي نبي من الأنبياء آية أو معجزة إلا وأوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء بآيات ومعجزات أخر مثل انشقاق القمر بإشارته وحنين الجذع الذي حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له بشهادة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة وأعظمها وأظهرها معجزة آية القرآن العظيم الذي عجز أهل الأرض

عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلائق كافة وختم بي النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيأ فاعله منكم أو أحدكم وبريد نفسه فيكون أفخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ۞ وقوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى (وأيدناه بروح القدس) أي وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى أن رفعه الى عنان السماء السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة أيضا فلما أوتي موسى وعيسى من الايات العظيمة ما بالذكر في باب التفضيل فدل هذا على أن كل من كان من الانبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه أعظم الانبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ولو شاء الله) أي ولو أراد الله وأصل المشيئة الارادة (ما اقتتل الذين من بعدهم) يعني بعد الرسل الذين ومنهم الله (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) أي ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) أي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل (ولو شاء الله ما اقتتلوا) أي ولو أراد الله أن يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعني انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فأعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فأعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والانفاق في وجوه الخير (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) أي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدي به من العذاب (ولا خلة) أي ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها ۞ قوله عز وجل

(وآتينا عيسى ابن مريم البينات) كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك (وأيدناه بروح القدس) قويناه بجبريل أو بالانجيل (ولو شاء الله ما اقتتل) أي ما اختلف لانه سببه (الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم البينات) المعجزات الظاهرات (ولكن اختلفوا) بمشيئتي ثم بين الاختلاف فقال (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) بمشيئتي يقول الله أجريت أمور رسلي على هذا أي لم يجتمع لاحد منهم طاعة جميع أمته في حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد أي لو شئت أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا اذ لا يجري في ملكي الا ما يوافق مشيئتي وهذا يبطل قول المعتزلة لانه أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء أن لا يقتتلوا فاقتتلوا (ولكن الله يفعل ما يريد) أثبت الارادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) في الجهاد في سبيل الله أو هو عام في كل صدقة واجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) أي من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم أخلاؤكم به (ولا شفاعة) أي للكافرين فأما المؤمنون فلهم شفاعة أو الا باذنه (والكافرون هم الظالمون) أنفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم أو والكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة تمكن

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

﴿فصل في فضل هذه الآية الكريمة﴾ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي قوله إن لكل شيء سناما سنام كل شيء أعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل في قومه والشريف والكريم وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة آي القرآن أي أفضله (م) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم أخرجه أبو داود وقال العلماء إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة فهذه أصول الأسماء والصفات وذلك لأن الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان أعظم الأذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني قالا لأن تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآيات والسور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع إلى عظم أجر القارئ وجزيل ثوابه وقول إن هذه الآية أو هذه السورة أعظم أو أفضل بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وأما التفسير فقوله عز وجل الله لا إله إلا هو نفي الإلهية عن كل ما سواه وأثبت الإلهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم إلا زيد فإنه أبلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي على الأبد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الأحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شيء وتأويله أنه تعالى قائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشيء (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لأن النوم والسهر والغفلة محال على الله تعالى لأن هذه الأشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات ولأن ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه * شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى

(الله لا إله إلا هو) لا مع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه في موضع الرفع خبر المبتدأ وهو الله (الحي) الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه (لا تأخذه سنة) نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور (ولا نوم) عن المفضل السنة ثقل في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما وقد أوحى إلى موسى عليه السلام قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا

الله عليه وسلم إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل في
لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه
أراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال
العباد المرتفعة اليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من
يشاء ويرفعه أي يوسعه على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعني ان الحفظة من الملائكة
يصعدون بأعمال العباد في الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول
الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين
المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه
والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد
فالمراد به هنا الشيء المانع من الرؤية وسمي ذلك الشيء المانع نورا أو نارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة
والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط
بجميع الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع من
الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على
الحديث والله أعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى
سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فأوحى الله تعالى الى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه
ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل ينعس وهما في يديه في
كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله
له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن أبي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال
بعض العلماء ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من
موسى لان الانبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال
والله تعالى أعلم ۞ قوله تعالى (له ما في السموات وما في الارض) يعني ان لله تعالى مالك جميع ذلك بلا
شريك ولا منازع وخوطب فهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات
قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى
مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) أي بأمره وهذا استفهام انكاري والمعنى
لا يشفع عنده أحد الا بأمره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فأخبر
لا أحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء
والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) يعني ما بين أيديهم من الدنيا وما
خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل
ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين أيديهم من خير أو شر وما خلفهم عاهم فاعلوه والمقصود
من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشيء
من علمه) يقال أحاط بالشيء اذا علمه وهو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه بوجوده
وجمعه في قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى أن أحدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الا بما شاء)
أن يطلعهم عليه وهم الانبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال

(له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ليس لاحد أن يشفع عنده الا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وان أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة الا اذا أذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار ان الاصنام تشفع لهم (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء (ولا يحيطون بشيء من علمه) من معلومه يقال في الدعاء اللهم اغفر فينا علمك أي معلومك (الا بما شاء) الا بما علم

(وسع كرسيه السموات والأرض) أي علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسي العلماء وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم وهو كقوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً أو ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك أو عرشه كذا عن الحسن أو هو سرير دون العرش وفي الحديث ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة أو قدرته بدليل قوله (ولا يؤده) ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والأرض (وهو العلي) في ملكه وسلطانه (العظيم) في عزه وجلاله أو العلي المتعالي عن الصفات التي لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التي تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وإنما ترتبت الجمل في آية الكرسي بلا حرف عطف لأنها وردت على سبيل البيان فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكاً لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره وإنما فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه ما روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات التي حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وقال ما قرئت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وقال من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث الله إليه ملكاً يحرسه حتى يصبح وقال من قرأ هاتين الآيتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح وإن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي آية الكرسي وأول حم المؤمن إلى إليه المصير لاشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار وبه يعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد (لا إكراه في الدين) أي لا إجبار على الدين الحق وهو دين الإسلام وقيل هو إخبار في معنى النهي وروي أنه كان لأنصاري ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت.

جاء على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول (وسع كرسيه السموات والأرض) يقال فلان وسع الشيء سعة إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة من تركب الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على أربعة أقوال أحدها أن الكرسي هو العرش نفسه قاله الحسن لأن العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني أن الكرسي غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي إن السموات والأرض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس أن السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس وقيل إن كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والأرض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم على الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى ملك على صورة أبي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة إلى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة إلى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للأنعام من السنة إلى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة إلى السنة وفي بعض الأخبار أن بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث أن الكرسي هو العلم لأن العلم يعتمد عليه كما أن الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لأن الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز (ولا يؤده) أي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه (حفظهما) أي حفظ السموات والأرض (وهو العلي) أي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له أن يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالإطلاق المتعالي عن الأشباه والأنداد والأضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى مقول إلى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح حقيقتها على كل وجه وقيل معناه أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعني أنه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء أعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف إلى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام

﴿ قوله عز وجل (لا إكراه في الدين) سبب نزول هذه الآية فيما روي عن ابن عباس قال كانت المرأة من

الأنصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فإذا عاش جعلته في
اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار
استردادهم وقالوا هم أبناؤنا وإخواننا فنزلت الآية لا إكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
خير أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني
سالم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من
النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت
في أهل الكتاب إذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك أن العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم
كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام أو القتل ونزل في أهل الكتاب لا إكراه في الدين يعني إذا
قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة غير
منسوخة وقيل إن الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية
القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا إكراه في الدين قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون الا أن يقاتلوه فاستأذن
الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا إكراه في الدين أي دين الاسلام ليس فيه إكراه عليه (قد تبين الرشد من
الغي) يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات
والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل
ما يعبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) أي
ويصدق بالله أنه ربه ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه إشارة الى أنه لا بد للكافر أن يتبرأ أولا من
الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح إيمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة
الوثقى) أي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى
السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) أي لا انقطاع لها حتى تؤديه الى ا[illegible]
والمعنى أن المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن [illegible]
ولا انقطاعه (والله سميع) يعني أنه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين (عليم) بما في
قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك إياهم الى الاسلام عليم بحرصك على إسلامهم ۞ قوله عز وجل
(الله ولي الذين آمنوا) أي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي أمورهم لا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي
هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) أي من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات
والنور فالمراد به الكفر والايمان غير التي في سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد
به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولأن الظلمة تحجب الابصار عن إدراك الحقائق
فكذلك الكفر يحجب القلوب عن إدراك حقائق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان
أدلته (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة
(يخرجونهم من النور الى الظلمات) أي من الهدى الى الضلالة فإن قلت كيف قال يخرجونهم من النور
الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم
قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو في

خلافهما قال ابن مسعود وجماعة كان هذا في الابتداء ثم نسخ الامر بالقتال (قد تبين الرشد من الغي) قد تميز الايمان من
الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان أو الاصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة) أي المعتصم والمتعلق (الوثقى) تأنيث الاوثق أي الاشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون (لا انفصام لها) لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة (والله سميع) لاقراره (عليم) باعتقاده (الله ولي الذين آمنوا) أرادوا أن يؤمنوا أي ناصرهم ومتولي أمورهم (يخرجهم من الظلمات) من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها (الى النور) الى الايمان والهداية ووحد لاتحاد الايمان (والذين كفروا) مبتدأ والجملة وهي (أولياؤهم الطاغوت) خبره (يخرجونهم من النور الى الظلمات) وجمع لان الطاغوت في معنى الجمع يعني والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين
يخرجهم من الشبهة في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى
نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشيطان يخرجهم من نور البينات الذي يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة

(أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم أعجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمرود الذي كان يدعي الربوبية بقوله
(ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) في معارضته ربوبية ربه والهاء في ربه

يرجع الى ابراهيم أو الى الذي حاج فهو بهما (أن آتاه الله الملك) لان آتاه الله يعني أن ايتاء الملك أبطره وأورثه الكبر فحاج لذلك وهو دليل على المعتزلة في الاصلح أو حاج وقت أن آتاه الله الملك (اذ قال) نصب بحاج أو بدل من أن آتاه اذا جعل بمعنى الوقت (ابراهيم ربي) حمزة (الذي يحيي ويميت) كأنه قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت (قال) نمرود (أنا أحيي وأميت) يريد أعفو عن القتل وأقتل فانقطع اللعين وبهذا عن المحاجة فراد ابراهيم عليه السلام ما لا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث (قال ابراهيم) عليه السلام (فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) وهذا ليس بانتقال من حجة الى حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الاحياء بتخلية واحد وقتل آخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا أهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب الى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى الى غير جهة حركة النمل فقال ان ربي يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو أهون (فبهت الذي كفر) تحير ودهش

في حق جميع الكفار وسمي منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه أخرجتني من مالك اذا أوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني الكفار والطاغوت أهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم ﴿ قوله عز وجل (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال ألم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية (أن آتاه الله الملك) أي لان آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام وكان اذا أتاه أحد يمتار سأله من ربك فيقول أنت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فأتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر على كثيب رمل أعفر فأخذ منه تطييبا لقلوب أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام أجود ما رآه أحد فصنعت منه خبزا فلما نبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من أين هذا وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك أن آمن بي وأتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في رأسه أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب أربعمائة سنة مدة ملكه حتى أماته الله عز وجل (اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت (قال) يعني قال نمرود (أنا أحيي وأميت) قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة أخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم أن يقول لنمرود فأحي من أمت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة أخرى أوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض اللفظ بمثله ونسي اختلاف الفعلين (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف أنه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه أن يقول لابراهيم سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف انه

لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعني بالظالمين نمرود ﴿ قوله عز وجل (أو كالذي مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التي قبلها والمعنى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذي حاج ابراهيم وهل رأيت كالذي مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الى الذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي عن مجاهد أنه كان كافرا شك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وانما يستعمل في حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو أرمياء بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجاز أن يكون ذلك المار هو عزيرا وجاز أن يكون ارمياء وفي هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو أمي لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هي القرية التي أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هي دير سابراباد وقيل سلماباد وقيل هي دير هرقل وقيل قرية العنب هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هي دير سابرآباد موضع كان بفارس وسلماباد محلة أو قرية من نواحي جرجان وقيل أيضا من نواحي همدان ودير هرقل بكسر أوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم لحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها هي التي عندها أحيا الله حمار عزير (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت أولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعني ذلك المار (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما جاء على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى أو كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى ومعنى أنى يحيي هذه الله من أين يحيي هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها أي متى يفعل الله ذلك فأحب الله أن يريه آية في نفسه وفي احياء تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث أرمياء الى ناشية بن أموص ملك بني اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى الى أرمياء أن ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم أحداثهم وادعهم الي فقال أرمياء يارب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى

(والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم ووقوا الجواب بقول نمرود فلم يأت بها من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه وقيل انه كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله أنا أحيي وأميت أن الذي ينسب اليه الاحياء والاماتة أنا لا غيري والآية تدل على اباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لانه قال ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والمحاجة تكون بين اثنين فدل على ان ابراهيم حاجه أيضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا أمرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيده واذا دعوناهم الى ذلك لابد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون الا بعد المناظرة كذا في شرح التأويلات (أو كالذي مر) معناه أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر وقال صاحب الكشف فيه الكاف زائدة والذي عطف على قوله الى الذي حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي والاكثر أنه عزير أراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وأنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي (على قرية) هي بيت المقدس حين خربه بختنصر وهي التي خرج منها الالوف (وهي خاوية على عروشها) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قال أنى يحيي) أي كيف (هذه) أي أهل هذه (الله بعد موتها)

الى أهلك فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب
الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل انى أحلف بعزتى لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم
ولأسلطن عليهم جبارا فارسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله
تعالى اليه أنى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرمياء ذلك
صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاءه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت
اليك قال نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل ما لا أسر به فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى
لا أهلك بنى اسرائيل حتى يكون الأمر فى ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال لا والذى
بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى اسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح
وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب منا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا
الا معصية وتماديا فى الشر فقل الوحى وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط
الله عليهم بختنصر البابلى فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى الخبر الى
ملك بنى اسرائيل فقال لأرمياء أين ما زعمت ان الله تعالى أوحى اليك فقال أرمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا
به واثق فلما قرب الأجل بعث الله تعالى الى أرمياء ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له
أرمياء من أنت قال أنا رجل من بنى اسرائيل أتيتك أستفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم ولم آت اليهم
الا حسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا اسخاطا لى فأفتنى فيهم فقال أرمياء أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم
وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء من
أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى فقال له أرمياء أما طهرت أخلاقهم بعد لك فيهم فقال
يا نبى الله والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل فقال
أرمياء ارجع اليهم فأحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما ثم
ان بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لأرمياء يا نبى الله أين ما وعدك الله
فقال انى بربى واثق ثم أقبل ذلك الملك الى أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر
ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرمياء من أنت قال أنا الذى جئتك فى شأن أهلى مرتين فقال أرمياء
أما آن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يا نبى الله ان كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر
عليه فاليوم رأيتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له أرمياء على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط
الله تعالى فغضبت لله عز وجل فأتيتك لأخبرك وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق أن تدعو الله عليهم ليهلكوا
فقال أرمياء يا مالك السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا
على عمل لا ترضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت
المقدس فالتهب مكان القربان وأحرقت سبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ
الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والأرض أين ميعادك الذى وعدتنى به فنودى انهم لم يصبهم ما أصابهم
الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن أرمياء انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج
أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى
أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك
حتى ملؤوه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان بقى فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل
من صغير وكبير فاختار منهم سبعين ألف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة
غلمة وكان فى أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق

فأماته الله مائة عام ثم بعثه) أي أحياه (قال) له ملك (كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد روى
انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من
الشمس فقال أو بعض
يوم (قال بل لبثت مائة
عام فانظر الى طعامك
وشرابك) روى ان طعامه
كان تينا وعنبا وشرابه
عصيرا ولبنا فوجد التين
والعنب كما جنيا والشراب
على حاله (لم يتسنه) لم
يتغير والهاء أصلية أو هاء
سكت واشتقاقه من السنة
على الوجهين لان لامها هاء
لان الاصل سنهة والفعل
سانهت يقال سانهت
فلانا أي عاملته سنة أو واو
لأن الاصل سنوة والفعل
سانيت ومعناه لم تغيره
السنون لم يتسن بحذف
الهاء في الوصل و باثباتها في
الوقف حمزة وعلى (وانظر
الى حمارك) كيف تفرقت
عظامه ونخرت وكان له
حمار قد ربطه فمات وتفتت
عظامه أو وانظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته وذلك من
أعظم الآيات أن يعيش
مائة عام من غير علف ولا
ماء كما حفظ طعامه وشرابه
من التغير (ولنجعلك آية
للناس) فعلنا ذلك نريد
احياءه بعد الموت وحفظ
ما معه وقيل الواو عطف على
محذوف أي لتعتبر
ولنجعلك قيل أتى قومه
راكبا حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك
كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب (وانظر الى العظام) أي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين
احياهم (كيف ننشرها) نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب ننشرها بالراء حجازي وبصري نحييها (ثم نكسوها) أي العظام (

فلما قتلهم وتناساهم وقلة أقرهم بالشأم فكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزلها الله ببني اسرائيل بظلمهم فلما
ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل أقبل أرمياء على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة
وتين حتى غشي ايليا وهي أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان
المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قسم سبايا بني اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال
وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة
فطاف بالقرية فلم ير أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل
فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد
موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان أرمياء ربط حماره بحبل
جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقي عصيره وتينه
عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله منه السباع والطير فلما مضى من موته
مدة سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يأمرك أن تنفر
بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان
ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل
وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كأحسن ما كانوا فلما مضت المائة
أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه بالية
متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى
ثم نودي ان الله يأمرك أن تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يأمرك ان تحيي فقام الحمار
باذن الله ثم نهق وعمر الله أرمياء فهو يدور في الفلوات فذلك قوله تعالى (فأماته الله مائة عام) أصل العام
العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها (ثم بعثه) أي ثم أحياه وأصله
من بعثت الناقة اذا أقمتها من مكانها (قال كم لبثت) يعني قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذي
ميتا قبل أن أبعثك من مكانك حيا وقيل ان الله تعالى لما أحياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال)
يعني ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه
في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من
الشمس فقال (أو بعض يوم قال) يعني قال الله وقيل قال الملك له (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك)
يعني التين الذي كان معه قبل موته (وشرابك) يعني العصير (لم يتسنه) يعني لم تغيره السنون التي أتت
عليه فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن (وانظر الى حمارك)
أي وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساها
اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر (ولنجعلك آية للناس) قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو
على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعني عبرة ودلالة
على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب أسود الرأس واللحية ورأى
أولادا وأولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها
لحما) قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال أنشر الله الميت انشارا يعني أحياه وقرئ بالزاي ومعناه

وحواصل الطير وأجواف الدواب فأرنى كيف تحييها لأعاين ذلك فازداد يقيناً فقال له الله تعالى (قال أولم تؤمن) يعني أولم تصدق (قال بلى) يارب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) أي ليسكن قلبي عند المعاينة

أراد ابراهيم عليه السلام أن يصير له علم اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكاً في احياء الله الموتى ولا دافعاً له ولكنه أحب أن يرى ذلك عياناً كما أن المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويعلمونها ويسألونه في دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك أحب ابراهيم أن يصير الخبر له عياناً وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم أنه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود أنت عاينته فلم يقدر ابراهيم أن يقول نعم فانتقل الى حجة أخرى ثم سأل ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل أنت عاينته فأقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فأذن له فأتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من أغير الناس وكان اذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلاً فثار اليه ليأخذه وقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال أذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت أبشرك ان الله قد اتخذك خليلاً فحمد الله عز وجل وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بأنك اتخذتني خليلاً وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سألتك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ✻(القول على معنى الحديث وما يتعلق به)✻ اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم على أقوال كثيرة فأحسنها وأصحها ما نقل المزني وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك في احياء الموتى لو كان متطرقاً الى الانبياء لكنت أنا أحق به من ابراهيم ولقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي وفيه الاعلام بأن المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكاً أنا أولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعاً منه وأدباً أو قبل ان يعلم أنه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وإذ قال ابراهيم أي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ألم تر اذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم أولم تؤمن الالف في أولم تؤمن ألف اثبات وايجاب كقول جرير ألستم خير من ركب المطايا أي أنتم كذلك

(قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) وانما قال له أولم تؤمن وقد علم انه أثبت الناس ايماناً ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن لازيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب

(قال فخذ أربعة من الطير) طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة (فصرهن إليك) وبكسر الصاد حمزة أي أملهن واضممهن إليك (ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءاً) ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفي أرضك وكانت أربعة أجبل أو سبعة جزءاً بضمتين
وبهمز أبو بكر (ثم ادعهن) قل لهن تعالين بإذن الله (يأتينك سعياً) مصدر في موضع الحال أي ساعيات
مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعاً من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن كل جثة إلى رأسها (واعلم أن الله عزيز) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) فيما يدبر لا يفعل إلا ما فيه الحكمة ولما برهن على قدرته على الإحياء حث على الإنفاق في سبيل الله وأعلم أن من أنفق في سبيله فله في نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله)
لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم (كمثل حبة) أو مثلهم كمثل باذر حبة (أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) المنبت هو الله ولكن
الحبة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقاً يتشعب منه سبع شعب لكل واحد
سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر والممثل به موجود في الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة في الأرض القوية
المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على أن التمثيل يصح وإن لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع أقراء

والمعنى أولست قد آمنت وصدقت أني أحيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سألتك
ذلك إرادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لأرى من آياتك وأعلم أنك
قد أجبتني (قال فخذ أربعة من الطير) قيل أخذ طاوساً وديكاً وحمامة وغراباً وقيل نسراً بدل الحمامة فإن قلت
لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لأن الطير صفته الطيران في السماء والارتفاع في الهواء وكانت
همة إبراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو والوصول إلى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فإن
قلت لم خص هذه الأربعة الأجناس من الطير بالأخذ قلت فيه إشارة ففي الطاوس إشارة إلى ما في الإنسان من
حب الزينة والجاه وفي النسر إشارة إلى شدة الشغف بالأكل وفي الديك إشارة إلى شدة الشغف بحب النكاح
وفي الغراب إشارة إلى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الإنسان من حب هذه الأوصاف وفيه
إشارة إلى أن الإنسان إذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق أعلى الدرجات في الجنة وفاز بنيل السعادات
(فصرهن) قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه أملهن (إليك) ووجههن
وقيل معناه اجمعهن واضممهن إليك فمن فسره بالإمالة والضم قال فيه إضمار ومعناه فصرهن إليك ثم قطعهن
فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) لأنه يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى إبراهيم
صلى الله عليه وسلم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وأن يخلط ريشها ولحومها ودماءها بعضه ببعض ففعل ثم
أمره أن يجعل على كل جبل منهن جزءاً واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء وأن يجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعاً من كل طائر فقيل
جبل على جهة المشرق وجبل على جهة المغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه
سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين بإذن الله تعالى فجعلت كل
قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يطير إلى العظم
الآخر وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى وإبراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضاً في السماء بغير
رؤس ثم أقبلن سعياً إلى رؤسهن كلما جاء طائر قال برأسه فإن كان رأسه دنا منه وإن لم يكن تأخر عنه حتى التقى
كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعياً) وقيل المراد بالسعي الإسراع والعدو وقيل المشي
والحكمة في سعي الطيور إليه دون الطيران لأن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير
تلك الطيور وأن أرجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعياً وقيل المراد بالسعي المشي
والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لأنه لا يقال للطائر إذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة (واعلم أن
الله عزيز) يعني أنه تعالى غالب على جميع الأشياء لا يعجزه شيء (حكيم) يعني في جميع أموره ۞ قوله عز
وجل (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل أراد به الإنفاق في الجهاد وقيل هو الإنفاق في
جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله (كمثل حبة) أي كمثل زارع حبة (أنبتت) يعني أخرجت تلك الحبة (سبع
سنابل) جمع سنبلة (في كل سنبلة مائة حبة) فإن قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل
بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلاً فضرب المثل به جائز وإن لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة

ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الآخرة أن لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم أنه يحصل له عشرة ومائة وسبعمائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعني أنه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا (والله واسع) أي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال (عليم) يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه عز وجل (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فأنزل الله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي ولعيالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها ربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق في حوائجهم ومؤنتهم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) أي لا يتبع نفقته التي أنفقها عليهم المن والأذى والمن أن يمن عليه بعطائه فيقول قد أعطيتك كذا وكذا ويعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والأذى هو أن يعيره فيقول كم تسأل وأنت فقير أبدا وقد بليت بك وأراحني الله منك وأمثال ذلك والمن في الأصل والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر

في علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل أن يمن على الانسان بما أعطاه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان أبي يقول اذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن بالنعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن

زاد معروفك عندي عظما * انه عندك مستور حقير

تتناساه كأن لم تأته * وهو في العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء أنلت قليلا ثم أسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

وأما الأذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول أو فعل اذا عرفت هذا فقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو أن يشكوهم بسبب ما أعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم بجميع ما هم فيه فمنه منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما ۞ وقوله تعالى (لهم أجرهم) يعني ثوابهم (عند ربهم) يعني في الآخرة (ولا خوف عليهم) يعني يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعني على ما خلفوا من الدنيا (قول معروف) أي حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة تو عده بها وقيل دعاء صالح تدعو له بظهر الغيب (ومغفرة) أي تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو أن يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه عند رده (خير من صدقة) يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يدفعها الى الفقير (يتبعها أذى) وهو أن يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقول أو يؤذيه بفعل (والله غني)

(والله يضاعف لمن يشاء) سبعمائة لمن يشاء يضعف شاء ربكم (والله واسع) واسع الفضل والجود (عليم) بنيات المنفقين (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا) هو أن يعتدى على من أحسن اليه باحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها (ولا أذى) هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (لهم أجرهم عند ربهم) أي ثواب انفاقهم (ولا خوف عليهم) من بخس الاجر (ولا هم يحزنون) من فوته أولا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وانما قال ههنا لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لان الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل أو نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غني) لا حاجة له الى منفق يمن ويؤذي

(حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم أكد ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير إبطالاً مثل إبطال الذي (ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) أي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بإنفاقه رضا الله

ولا ثواب الآخرة ورئاء مفعول له (فمثله كمثل صفوان عليه تراب) مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بحجر أملس كان عليه تراب (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقيا من التراب الذي كان عليه (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا أو الكاف في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق وإنما قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق لأنه أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق (والله لا يهدي القوم الكافرين) ما داموا مختارين الكفر (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم) أي وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أي للابتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله (كمثل جنة) بستان (بربوة) مكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامي (أصابها وابل فآتت أكلها) ثمرها أكلها نافع ومكي وأبو عمرو (ضعفين) مثلي ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل

مستغن عن صدقة العباد والمعنى الكامل الغني الذي لا يحتاج إلى أحد وليس كمال الغنى إلا لله تعالى (حليم) من أسمائه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعني أجور صدقاتكم (بالمن والأذى) يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والأذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كالذي) أي كإبطال الذي (ينفق ماله رئاء الناس) أي مراءاة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه سخي كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مراء به (فمثله) أي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر أعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الأملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي (عليه تراب) أي على ذلك الصفوان تراب (فأصابه وابل) يعني المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شيء عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقته المؤذي ترى الناس أن لهؤلاء أعمالا في الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فإذا أصابه المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لأنها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) أي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني الذين سبق في علمه أنهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ﴿ قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضا الله (وتثبيتا من أنفسهم) يعني على الإنفاق في طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه أن أنفسهم موقنة مصدقة بوعد الله إياها فيما أنفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى أنهم يخرجون زكاة أموالهم ويتصدقون بأموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة بها أنفسهم عما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين بإخلاف الله عليهم وقيل معناه أنهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت فإن كانت لله خالصة أمضاها وإن خالطه شك أو رياء أمسك (كمثل جنة) أي بستان قال الفراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هي المكان المرتفع عن الأرض المستوي لأن ما ارتفع من الأرض عن مسيل الماء والأودية كان ثمرها أحسن وأزكى إذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هي الأرض المستوية الجيدة الطيبة إذا أصابها المطر انتفخت وربت فإذا كانت الأرض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت أشجارها (أصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد وقال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الأرض (فآتت أكلها ضعفين) أي فأعطت ثمرها مثلين قيل إنها حملت في

سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين وقيل أضعفت فحملت في السنة مرتين (فإن لم يصبها وابل فطل) أي فطش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى إن لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فإنها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص في إنفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما أن هذه الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا أو كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وإنفاقه الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت (والله بما تعملون بصير) يعني أنه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي ۞ قوله عز وجل (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى أيود يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب إنما خصهما بالذكر لأنهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من المنافع والتفكه (تجري من تحتها الأنهار) يعني أن جري الأنهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لأن ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (وأصابه الكبر) يعني صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج إلى تلك الجنة فإن قلت كيف عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون حالا أي أصابه الكبر والوجه الثاني أنه عطف على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعني له أولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فأصابها) يعني أصاب تلك الجنة (إعصار فيه نار فاحترقت) الإعصار ريح ترتفع إلى السماء وتستدير كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته إعصار فيه نار فأحرقها وهو أحوج ما يكون إليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لا يجد ما يعود به على أولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم فكذلك حال من أتى يوم القيامة بأعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة إليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها (كذلك يبين الله لكم الآيات) يعني كما بين الله تعالى لكم أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك (لعلكم تتفكرون) أي فتتعظوا وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا وإقبال الآخرة ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على إباحة الكسب وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث عن خولة الأنصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن هذا المال خضر حلو من أصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار أخ.

(فإن لم يصبها وابل فطل) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكان كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضاة الله تعالى زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده (والله بما تعملون بصير) يرى أعمالكم على إكثار وإقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء وإخلاص الهمزة في (أيود أحدكم) للإنكار (أن تكون له جنة) بستان (من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له) لصاحب البستان (فيها) في الجنة (من كل الثمرات) يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها ولأن النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات (وأصابه الكبر) الواو للحال ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر والواو في (وله ذرية ضعفاء) أولاد صغار للحال أيضا والجملة في موضع الحال من الهاء في أصابه (فأصابها إعصار) ريح تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود (فيه) في الإعصار (نار) بالظرف إذ جرى الظرف وصفا للإعصار (فاحترقت) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة (كذلك) كهذا البيان الذي بين فيما تقدم (يبين الله لكم الآيات) في التوحيد والدين (لعلكم تتفكرون) فتنتبهوا (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال

المتخوض

المتخوض الذي يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان في الماء يمينا وشمالا (خ) عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام
(خ) عن المقداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده
وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أطيب ما أكلتم
من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل
المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة
التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على
الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول
ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل ﴿المسألة الاولى﴾ ظاهر الآية يدل على
وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان
ذلك يوصف بأنه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب
الزكاة بحكم التجارة في العروض الا أن ينوي به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة
ابن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا ان نخرج الصدقة من الذي يعد للبيع أخرجه أبو داود
وعن أبي عمرو بن حماس عن أبيه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي أدمة أحملها فقال عمر ألا تؤدي
زكاتك يا حماس فقلت مالي غير هذا وأهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها بين يديه فحسبها فأخذ منها الزكاة
فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا أو مائتي درهم أخرج منه ربع العشر
﴿المسألة الثانية﴾ في قوله تعالى (ومما أخرجنا لكم من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب
الزكاة في كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصوا هذا العموم
فأوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكاة في كل
ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل
الجمهور ما روي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس
فيها شيء أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الباب شيء وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند أهل
العلم انه ليس في الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات
عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني في احكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن المغيرة أن يأخذ
من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثرم في سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله
به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون وتجب في الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر
الثمر أو يصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد
الدراس والتصفية ﴿المسألة الثالثة﴾ يجب اخراج العشر فيما سقي بالمطر والانهار والعيون ونصف
العشر فيما سقي بنضح أو سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت
السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر أخرجه البخاري ولابي داود والنسائي
قال فيما سقت السماء والانهار والعيون أو كان بعلا العشر وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر قال أبو داود
البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه وقال وكيع هو الذي ينبت من ماء السماء قوله أو كان عثريا أراد
به القوي من الزرع وهو البعل وقد فسر في لفظ الحديث والنضح هو الاستقاء وكذلك السانية وهي

(ومما أخرجنا لكم من الارض) من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات

النصاب التي سبق عليها سواء كانت من الابل أو البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى يبلغ خمسة أوسق والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر في قليل أو كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمسة أواق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة وفي رواية فيما دون خمسة أوساق من تمر أو حب صدقة أخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة أخرجاه في الصحيحين ﴿ وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) أي ولا تقصدوا الردي من أموالكم (منه تنفقون) أي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم اذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر والتمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو أن أحدكم أهدي اليه مثل ما أعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فأنزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الردي منه تتصدقون (ولستم بآخذيه) يعني ذلك الشيء الخبيث الردي (الا أن تغمضوا فيه) الاغماض اغماض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو أن لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو أهدي ذلك ما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردي لان أهل السهمان شركاؤه فيما عنده وان كان كله رديئا فلا بأس باعطاء الردي (واعلموا أن الله غني) عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها (حميد) أي محمود في أفعاله وقيل حميد بمعنى حامد أي يحمدكم على ما تفعلونه من الخير ﴿ قوله عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم بالفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) يعني يوسوس لكم ويحثكم على البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا الا هذا الموضع وفي الآية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى أن يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لان البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لها عليكم (وفضلا) يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر

(ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الردي (منه تنفقون) تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال أي ولا تيمموا الخبيث منفقين أي مقدرين النفقة (ولستم بآخذيه) وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم (الا أن تغمضوا فيه) الا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (واعلموا أن الله غني) عن صدقاتكم (حميد) مستحق للحمد أو محمود (الشيطان يعدكم) في الانفاق (الفقر) ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل في الخير والشر (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) في الانفاق (مغفرة منه) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وان يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه في الآخرة

الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فاللمة الشيطان فوسوسة وأما لمة الملك فالهام من الله تعالى (والله واسع) أي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقون (عليم) يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أنفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم يغض ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعى عليك قوله ولا توعي أي لا تشحي فيشح الله عليك أي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تحصي وتمنعي بل أنفقي ولا تعدي ولا تشحي ۞ قوله عز وجل (يؤتي الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وانما نزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر ٭ أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ٭ أي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام أو المآثم وزله قوله (ومن يؤت الحكمة) يعني ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم معناه فقد أوتي أي خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) أي وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه ۞ قوله عز وجل (وما أنفقتم من نفقة) يعني مما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها (أو نذرتم من نذر) يعني به ما أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر أن يوجب الانسان على نفسه شيأ ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا وأصله من الخوف لان الانسان انما يعقده على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر أن يقول لله علي صوم أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو أن يقول نذرت لله لا أفعل كذا ثم يفعله أو يقول لله علي نذر من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا أطاقه فليف به أخرجه أبو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم أخرجه النسائي (ق) عن ابن عمر أن رسول الله

(والله واسع) يوسع على من يشاء (عليم) بافعالكم ونياتكم (يؤتي الحكمة من يشاء) علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل الى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل (ومن يؤت الحكمة) ومن يؤت بفتح التاء يعقوب أي ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم أي أوتي أي خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) في سبيل الله أو في سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) في طاعة الله أو في معصيته

(والله بما تعملون) من الابداء والاخفاء (خبير) عالم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدي من يشاء) أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وانما ذلك الى الله (وما تنفقوا من خير) من مال (فلانفسكم) فهو لانفسكم لا ينتفع به

في الملة الحنيفية والستر (والله بما تعملون خبير) يعني من اظهار الصدقة واخفائها ﴿ قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا في الاسلام فحينئذ تصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية أعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) أي من مال (فلانفسكم) أي فانما تنفعوا به أنفسكم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهي أي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله أنه قد علم أن مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك وعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله تعالى أن تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء أهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى أهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدي اليكم يوم القيامة وانما حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون شيأ من ثواب أعمالكم ﴿ قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم فكأنه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوا من أربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل أتاهم به اذا أمسى ﴿ وقوله (الذين أحصروا في سبيل الله) يعني هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا أنفسهم على طاعة الله (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم أصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أي يظن من لم يختبر حالهم انهم أغنياء من التعفف وهو

غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله أي رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله أو هذا نفي معناه النهي أي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على أحسن الوجوه وأجملها (وأنتم لا تظلمون) ولا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيأ أي لم تنقص الجار في (للفقراء) متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هذه الصدقات للفقراء (الذين أحصروا في سبيل الله) هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الارض) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى (يحسبهم الجاهل) بحالهم يحسبهم وبابه شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة والباقون بكسر السين (أغنياء من التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة

تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف إذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم أغنياء لإظهارهم التجمل وتركهم المسألة (تعرفهم بسيماهم) السيما والسيمياء والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هنا فقيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي أثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة ألوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر (لا يسألون الناس إلحافا) يعني إلحاحا قيل إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء وإذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس أصلا لأنه قال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهو ترك المسألة فعلم بذلك أنهم لا يسألون البتة ولأنه قال تعالى تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه إلحاف فهم لا يسألون الناس إلحافا ولا غير إلحاف (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله ما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الأوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله أربعون درهما فهو ملحف أخرجه النسائي (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) يعني أن الله تعالى يعلم مقادير الإنفاق ويجازي عليها ففيه حث على الصدقة والإنفاق وا

۞ قوله عز وجل (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن ابن عوف بدنانير كثيرة إلى أهل الصفة وبعث علي بن أبي طالب في الليل بوسق من تمر فأنزل الله فيهما الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لأنه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لأنهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل إن الآية عامة في الذين ينفقون أموالهم في جميع الأوقات ويعمون بها أصحاب الحاجات والفاقات (فلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني في الآخرة ۞ قوله عز وجل (الذين يأكلون الربا) أي يعاملون به وإنما خص الأكل لأنه معظم الأمر المقصود من المال لأن المال لا يؤكل إنما يصرف في المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وأصل الربا في اللغة الز

(تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجوه ورثة الحال (لا يسألون الناس إلحافا) إلحاحا قيل هو نفي السؤال والإلحاح رأسا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به والإلحاح هو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه وفي الحديث إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف وقيل معناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) لا يضيع عنده (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) هما حالان أي مسرين ومعلنين يعني يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية أو في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربا) هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال وكتب الربا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع

د بالشىء بر واذا زاد وكثر هالر بالزيادة فى المال (لايقومون) يعنى من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس بأخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لايستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوى بسند الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء قال فانطلق بى جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لايسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لاتقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم أى العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين أى موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط فى الشهوة بالطعام من الجوع ۞ قوله عز وجل (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) أى ذلك الذى نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الاجل حتى أزيدك فى المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) يعنى وأحل الله لكم الارباح فى التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذى هو زيادة فى المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خالق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد أن يعترض عليه فى شىء مما أحل أو حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا لعشرين فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر فى المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيأ بغير عوض أما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال ان العوض هو الامهال فى مدة الاجل لان الامهال ليس مالا أو شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

﴿فصل فى حكم الربا﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ ذكروا فى سبب تحريم الربا وجوها أحدها ان الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثانى انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة

أى المصروع لانه يخبط فى المعاملة فجوزى على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء (من المس) من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون أى لايقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع أو بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب (بأنهم) بسبب أنهم (قالوا انما البيع مثل الربا) ولم يقل انما الربا مثل البيع مع أن الكلام فى الربا لا فى البيع لانه جىء به على طريقة المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع وحرم الربا) انكار لتسويتهم بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه

للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك ﴿المسألة الثانية﴾ اعلم ان الربا في
اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة
مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء
والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء (م)
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا
بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد أربى وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح
بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد أربى الا ما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح
بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة أشياء وهي النقدان والأربعة أشياء من
المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشياء
لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد فيه تلك الاوصاف ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى
أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى أن الربا ثبت في
الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي
ومالك الى أنه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا
الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الاربعة أشياء المطعومة فذهب أهل
الرأي الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان
أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل
مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن
المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد يثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة
من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله أنه أرسل غلامه
بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض صاع فلما جاء معمرا أخبره
بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فاني كنت أسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال اني أخاف أن يضارع
أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا أو مطعوما ﴿المسألة الثالثة﴾ الربا نوعان ربا الفضل وهو
الزيادة وربا النسيئة وهو الاجل فان باع مالا يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع أحد النقدين بجنسه
كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان
موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط في
بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه
باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا
بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو [illegible]
آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط
التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله الا هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض في
وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل

اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم فيه اطلاق التبايع
مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا
بيد والله أعلم ﴿المسألة الرابعة﴾ في القرض وهو من أقرض شيأ وشرط عليه أن يرد عليه أفضل منه فهو
قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روى عن مالك قال بلغني ان رجلا أتى ابن عمر فقال
اني أسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك في الموطأ
قال فان لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز ويدل على ذلك ما روى عن مجاهد
أن ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فأبى أن يأخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر
قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة أخرجه مالك في الموطأ ﴿ وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) أي
تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تأنيث الموعظة غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شيء واحد
(فانتهى) أي عن أكل الربا (فله ما سلف) أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له (وأمره الى الله) يعني بعد
النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى أكل الربا وقيل معناه وأمره الى
الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شيء وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم أكل
الربا ثم يأكله فأمره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعني الى أكل الربا بعد التحريم
مستحلا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ﴿ قوله عز وجل (يمحق الله الربا) أي ينقصه ويهلكه
ويذهب ببركته قال ابن عباس لا يقبل منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة (ويربي الصدقات) أي يزيدها
ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت
تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم وللبخاري من
تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم
يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعني كل مصر على كفره
مقيم عليه مستحل لأكل الربا (أثيم) يعني متماد في الاثم وفيه نهي عنه وان من أكل الربا ولا ينزجر عنه ولا
يتركه وقيل يحتمل أن يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم
فتكون الآية جامعة للفريقين ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا) يعني صدقوا بالله ورسوله (وعملوا
الصالحات) يعني التي أمرهم الله بها (وأقاموا الصلاة) يعني المفروضة بأركانها وحدودها في أوقاتها (وآتوا
الزكاة) يعني المفروضة عليهم في أموالهم (لهم أجرهم عند ربهم) أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة (ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربا) قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما كان وقت الجذاذ
قال صاحب التمر لهما ان أنتما أخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا
النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل
الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في
الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل
الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم ألا كل شيء من
أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دمائنا دم ربيعة بن
الحرث كان مسترضعا في بني سعد فقتله هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن المطلب
فانه موضوع كله وقيل نزلت في أربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بن عمرو

فلا يؤاخذ بما مضى منه
لانه أخذ قبل نزول التحريم
(وأمره الى الله) يحكم في
شأنه يوم القيامة وليس من
أمره اليكم شيء فلا تطالبوه
به (ومن عاد) الى استحلال
الربا عن الزجاج أو الى الربا
مستحلا (فأولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون)
لانهم بالاستحلال صاروا
كافرين لان من أحل
ما حرم الله عز وجل فهو
كافر فلذا استحق الخلود
وبهذا تبين أنه لا تعلق
للمعتزلة بهذه الآية في تخليد
الفساق (يمحق الله الربا)
يذهب ببركته ويهلك المال
الذي يدخل فيه (ويربي
الصدقات) ينميها ويزيدها
أي يزيد المال الذي
أخرجت منه الصدقة
ويبارك فيه وفي الحديث
ما نقصت زكاة من مال قط
(والله لا يحب كل كفار)
عظيم الكفر باستحلال
الربا (أثيم) متماد في الاثم
بأكله (ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وأقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة لهم
أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون) قيل
المراد به الذين آمنوا بتحريم
الربا (يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربا) أخذوا ما شرطوا
على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها وروى أنها

ابن عمير بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه (وذروا) أي واتركوا (ما بقي من الربا) والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم مما فضل على رؤس أموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم محققين لايمانكم قولا وعملا (فان لم تفعلوا) أي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه (فأذنوا) قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فأعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد منه المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من أصر على أكل الربا وعلم به الامام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى أن تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين أن يستتيبه فان نزع أي تاب والا ضرب عنقه (وان تبتم) أي ان تركتم أكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعني لا تظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس أموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا أخرونا الى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروهم فأنزل الله عز وجل (وان كان ذو عسرة) يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال وأعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه (فنظرة) أي فامهال وتأخير (الى ميسرة) أي الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا أم هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي أن الآية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وأمر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين (وأن تصدقوا خير لكم) يعني وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس أموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعني ان التصدق خير لكم وأفضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى

﴿فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والامر بقضائه﴾ (م) عن أبي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال آلله قال آلله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه (م) عن أبي اليسر قال

نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا (ان كنتم مؤمنين) كاملي الايمان فان دليل كماله امتثال المأمور به (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فاعلموا بها من أذن بالشيء اذا علم به ويؤيده قراءة الحسن فأيقنوا فآذنوا حمزة وأبو بكر غير ابن غالب فأعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو اعسار (فنظرة) فالحكم أو فالامر نظرة أي انظار (الى ميسرة) يسار ميسرة نافع وهما لغتان (وأن تصدقوا) بالتخفيف عاصم أي تتصدقوا برؤس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف احدى التاءين والتشديد على الادغام (خير لكم) في القيامة وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كأنه لا يعلمه

سمعت

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (ق)
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فإن رأى
معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن أبي موسى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها أن يموت رجل وعليه
دين لا يدع له قضاء أخرجه أبو داود (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال
الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل عنه ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله (ق) عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم زاد في رواية وإذا اتبع أحدكم على ملي فليتبع
(ق) عن كعب بن مالك أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف
سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قال لبيك يا رسول الله فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك فقال كعب
قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه (ق) عن أبي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن
من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال أعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا إلا سنا فوقها فقال أعطوه فقال أوفيتني وفاك
الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن خيركم أحسنكم قضاء وفي رواية أنه أغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين استقضاه حتى هم به بعض أصحابه فقال دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ثم أمر له بأفضل من سنه (م) عن
أبي قتادة الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله
أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف قلت قال أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه إلى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل
من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي
نفسي بيده لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه
أخرجه النسائي ﴿ قوله عز وجل (واتقوا) أي وخافوا (يوما ترجعون فيه إلى الله) قرئ بفتح التاء أي
تصيرون فيه إلى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم أي تردون فيه إلى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعني
من خير أو شر (وهم لا يظلمون) أي في ذلك اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس
هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة
البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى
الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الاثنين سنة إحدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن
ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين) قال ابن عباس
لما حرم الربا أباح السلم وقال أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه
وقوله إذا تداينتم أي تعاملتم بالدين أو داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته إذا عاملته
بالدين وإنما قال بدين بعد قوله إذا تداينتم لأن المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين
ليعرف المراد من اللفظ ويخلص أحد المعنيين من الآخر وقيل إنما قال بدين ليرجع الضمير إليه في قوله
فاكتبوه إذ لو لم يذكره لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل إنما ذكره
تأكيدا (إلى أجل مسمى) يعني إلى مدة معلومة الأول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز إلى غير مدة

(واتقوا يوما ترجعون فيه
إلى الله) ترجعون أبو عمرو
ترجع لازم ومتعد قيل
هي آخر آية نزل بها جبريل
عليه السلام وقال ضعها في
رأس المائتين وثمانين من
البقرة وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها
أحدا وعشرين يوما أو
أحدا وثمانين أو سبعة
أيام أو ثلاث ساعات (ثم
توفى كل نفس ما كسبت)
أي جزاء ما كسبت (وهم
لا يظلمون) بنقصان
الحسنات وزيادة السيئات
(يا أيها الذين آمنوا إذا
تداينتم بدين) أي إذا
داين بعضكم بعضا يقال
داينت الرجل إذا عاملته
بدين معطيا أو آخذا (إلى
أجل مسمى) مدة معلومة
كالحصاد أو الدياس أو رجوع
الحاج وإنما احتيج إلى
ذكر الدين ولم يقل إذا
تداينتم إلى أجل مسمى
ليرجع الضمير إليه في قوله

(فاكتبوه) اذا لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال (وانما) أمر بكتابة الدين لان ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم المضمون الى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم (وليكتب بينكم) بين المتداينين (كاتب بالعدل) هو متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه دليل أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع واحد من الكتاب (أن يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب (فليكتب) تلك الكتابة لا يعدل عنها (وليملل الذي عليه الحق) ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان (وليتق الله ربه) وليتق الله الذي عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا لكل حقه (ولا يبخس منه شيأ) ولا ينقص من الحق الذي عليه شيأ في الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه (فان كان الذي عليه الحق سفيها) أي مجنونا لان السفه خفة في العقل أو محجورا عليه لتبذيره بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا (أو لا يستطيع أن يمل هو) لعي به أو خرس أو جهل باللغة (فليملل وليه) الذي يلي أمره ويقوم به (بالعدل)

معلومة كما لو قال الى الحصاد أو نحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند أكثر أهل العلم (ق) عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمر العام والعامين فقال لهم من أسلف في تمر ففي كيل معلوم أو وزن معلوم الى أجل معلوم ۞ وقوله تعالى (فاكتبوه) أي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك أو سلما أو قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) أي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة أو تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود أو النقص من أصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها (ولا يأب) أي ولا يمتنع (كاتب أن يكتب) واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلها وجب عليه ذلك وقيل من فروض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له أن يكتب ليقضي حاجة أخيه المسلم ويشكر النعمة التي أنعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) أي كما شرع الله وأمر به (فليكتب) أن يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح أن يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحدهما بالاحتياط له دون الآخر وأن يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وأن يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وأن يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم بمذاهب العلماء (وليملل الذي عليه الحق) يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعني المملي (ولا يبخس) أي ولا ينقص (منه) أي من الحق الذي وجب (شيأ فان كان الذي عليه الحق سفيها) أي جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه (أو ضعيفا) يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته أو جنون (أو لا يستطيع أن يمل هو) يعني لخرس أو عمى أو عجمة في كلامه أو حبس أو غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل ما له وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وليه) يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس أراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه أعلم بحقه (بالعدل) أي بالصدق

(واستشهدوا شهيدين) يعني وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد (من رجالكم) يعني من أهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول أكثر أهل العلم وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادة معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى أداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من أهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) أي فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان) أي فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى أن غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها يجوز شهادة رجل وامرأتين أو شهادة أربعة نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود ۞ قوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعني من كان مرضيا عندكم في دينه وأمانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وأن لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وأن لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله أولى بأن ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولا قول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو أن لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهي ما تتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شيئا مما يستحي أمثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه ولا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع أخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيئا من أوامر الله أو ارتكب شيئا مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين ٢ بكسر الظاء المتهم ۞ وقوله تعالى (أن تضل احداهما) أي تنسى احدى المرأتين (فتذكر احداهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول أصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا أمر ايجاب

والحق (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا (فان لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان شهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون من الشهداء) ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على أن غير المرضي شاهد (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) لاجل أن تنسى احداهما الشهادة فتذكرها الاخرى ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله منه فتذكر مكي وبصري من الذكر لا من التذكر (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاداء الشهادة أو لتحمل لئلا تتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن فالاول للفرض والثاني

٢ قوله بكسر الظاء كذا في النسخ بايدينا والصواب بفتح الظاء اهـ

تندب (ولا تسأموا) ولا تملوا قال الشاعر: سئمت تكاليف الحياة ومن يعش • ثمانين حولا لا أبالك يسأم والضمير في (أن تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أي حال كان الحق من صغر أو كبر وفيه دلالة جواز السلم في الثياب لأن ما يكال أو يوزن لا يقال فيه القليل والكثير وانما يقال في الذرعي ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا (إلى أجله) إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) إشارة إلى أن تكتبوه لأنه في معنى المصدر أي ذلك الكتب (أقسط) أعدل من القسط وهو العدل (عند الله) ظرف لأقسط (وأقوم للشهادة) وأعون على إقامة الشهادة وبنى أفعلا التفضيل أي أقسط وأقوم من أقسط وأقام على مذهب سيبويه (وأدنى ألا ترتابوا) وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فإنه قد يقع الشك في المقدار والصفات فيرجعوا إلى المكتوب فزال ذلك وأصل أدنى أدنو منقلبة من واو لأنه من الدنو (إلا أن تكون تجارة حاضرة) عاصم أي إلا أن تكون التجارة تجارة أو إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة على كان التامة أي إلا أن تقع تجارة حاضرة وهي ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر (تديرونها) وقوله (بينكم) ظرف لتديرونها ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) يعني إلا أن تتبايعا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوها لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين (وأشهدوا إذا تبايعتم) أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لأنه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف أو أريد به وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة والأمر للندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد (وإن تفعلوا) وإن تضاروا (فإنه) فإن الضرار (فسوق بكم) ملتبس بكم (واتقوا الله) في مخالفة أوامره (ويعلمكم الله) شرائع دينه (والله بكل شيء عليم) لا يلحقه سهو ولا قصور (وإن كنتم) أيها المتداينون (على سفر) مسافرين (ولم تجدوا

عند بعضهم وقال قوم يجب إذا لم يكن غيره فإن كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير في جميع الأحوال وقال بعضهم هذا في إقامة الشهادة وأدائها ومعنى الآية ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا لأداء الشهادة التي تحملوها وقيل الآية في الأمرين جميعا يعني في التحمل والأداء والإقامة إذا كان فارغا وقيل إنه بالخيار ما لم يشهد فإذا شهد وجب عليه الأداء (ولا تسأموا) أي ولا تملوا ولا تضجروا (أن تكتبوه) الضمير راجع إلى الحق أو الدين (صغيرا) كان (أو كبيرا) يعني قليلا كان الحق أو الدين أو كثيرا (إلى أجله) يعني إلى محل الحق والدين (ذلكم) يعني ذلك الكتاب (أقسط عند الله) يعني أعدل عند الله لأنه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه (وأقوم للشهادة) يعني أن الكتابة تذكر الشهود (وأدنى ألا ترتابوا) يعني وأحرى وأقرب إلى أن لا تشكوا في الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أي إلا أن تقع تجارة حاضرة يدا بيد (تديرونها بينكم) أي فيما بينكم ليس فيها أجل (فليس عليكم جناح) أي لا ضرر عليكم (أن لا تكتبوها) يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الأموال والتصرف فيها لطلب النماء والزيادة بالأرباح وإنما رخص الله تعالى في الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والإشهاد لشق ذلك عليهم ولأنه إذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة إلى الكتابة والإشهاد (وأشهدوا إذا تبايعتم) يعني فيما جرت بالإشهاد فيه واختلفوا في هذا الأمر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ودينه وقيل هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل إنه منسوخ بقوله فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته ۞ وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهي عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الأولى ومعناه لا يضارر الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملى عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق وكذلك الشاهد وقيل أصله يضارر بفتح الراء الأولى ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمركما أن تجيبا إذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهي عن مضارتهما وأمر أن يطلب غيرهما (وإن تفعلوا) يعني ما نهيتم عنه من الضرار (فإنه فسوق بكم) أي معصية وخروج عن الأمر (واتقوا الله) أي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويعلمكم الله) يعني ما يكون إرشادا لكم في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون إرشادا لكم في أمر الدين (والله بكل شيء عليم) يعني أن الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك ۞ قوله عز وجل (وإن كنتم على سفر) أي في سفر (و

كاتب فرهن) فرهان مكي وأبو عمرو أي فالذي يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن في الاصل مصدر
سمي به ثم كسر لتكسير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعوزار الكتب والاشهاد أمر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر
بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد لأن السفر شرط تجويز الارتهان وقوله (مقبوضة) يدل على اشتراط القبض
كما زعم مالك أن الرهن يصح بالايجاب والقبول بدون القبض (فان أمن بعضكم بعضا) فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن
ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن (فليؤد الذي اؤتمن أمانته) دينه وائتمن
افتعل من الامن وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه (وليتق الله ربه) في انكار حقه (ولا تكتموا الشهادة) هذا خطاب للشهود (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه يأثم قلبه أو بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان وانما أسند الى القلب وحده والجملة هي الآثمة لا القلب وحده لان كتمان الشهادة أن يضمرها في القلب ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا مكتسبا بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولان القلب رئيس الاعضاء والمضغة
التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ولان أفعال
القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ألا ترى ان أصل الحسنات والسيآت الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب واذا جعل كتمان
الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور
وكتمان الشهادة (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واظهارها (عليم) لا يخفى عليه شيء (لله ما في السموات وما في الارض) خلقا
وملكا (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) يعني من السوء (يحاسبكم به الله) يكافئكم ويجازيكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما

كاتبا) يعني ولم تجدوا آلات الكتابة (فرهن) جمع رهن وقرئ فرهان (مقبوضة) يعني فارتهنوا واقبضوا
ثديونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم بأموالكم وأصل الرهن الدوام يقال رهن الشيء اذا دام وثبت
والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما أخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم
الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبي الشحم
اليهودي على طعام أخذه الى أجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان
في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعوزاز الكاتب والاشهاد أمر الله تعالى به على سبيل
الارشاد الى حفظ المال لمن كان على سفر بأن يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق
العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر
عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على
سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعني ارتهنوا
واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق بجانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم
يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقيا ۞
قوله تعالى (فان أمن بعضكم بعضا) يعني فان كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيئا
لحسن ظنه به (فليؤد الذي اؤتمن أمانته) يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان أمينا في ظن الدائن
الذي هو صاحب الحق أمانته يعني حقه سمي الدين أمانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث أمن من
جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذي ائتمنه
وأن يؤدي اليه حقه الذي ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيئا ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله (وليتق الله ربه) أي
المديون في أداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن
ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعني اذا دعيتم الى اقامتها وأدائها
وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن
كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعني الشهادة (فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه
والآثم الفاجر وانما أضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان
الامر كذلك أضيف الاثم الى القلب قيل ما أوعد الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال
فانه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعني من بيان الشهادة
وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها ۞ قوله عز وجل (لله ما في السموات وما في الارض)
ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث

النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا تمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجري مجرى
تكليف ما لا يطاق وأجيب عن هذا بأن الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم
على اظهاره الى الوجود فهذا يؤاخذ الانسان به والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن
النفس ويكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية التي قبلها
وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوه
أي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قضية فلا يلزم قصره
عليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين والمعنى وان تبدوا أي تظهروا ما في
أنفسكم يعني من ولاية الكفار أو تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب أكثر العلماء الى أن الآية عامة ثم
اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية اشتد
ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا
أي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية
ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم
سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله
تعالى في أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فأنزل
الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا
قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم أخرجه مسلم وله عن ابن عباس
نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز عن أمتي
ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به أو يتكلموا به وفي رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير
منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر لا
يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم
وليس لله عبد أسر عملا أو أعلنه من حركة جارحة أو همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر
ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم
أو أخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه أخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من
النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن أمية أنها سألت عائشة عن قوله عز
وجل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألني
أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة
والبضاعة يضعها في يد كمه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من
الكير أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافى
به يوم القيامة وقال قوم في معنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم يعني ما عزمتم عليه أو تخفوه أي ولا

يتمنيه الانسان لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل أن عزم الكفر
كفر وخطرة الذنوب
من غير عزم معفوة وعزم
الذنوب اذا ندم عليه
ورجع عنه واستغفر منه
مغفور فأما اذا هم بسيئة
وهو ثابت على ذلك الا انه
منع عنه بمانع ليس
باختياره فانه لا يعاقب على
ذلك عقوبة فعله أي العزم
على الزنا لا يعاقب عقوبة
الزنا وهل يعاقب عقوبة
عزم الزنا قيل لا لقوله عليه
السلام ان الله عفا عن أمتي
ما حدثت به أنفسها ما لم
تعمل أو تتكلم به والجمهور
على ان الحديث في الخطرة
دون العزم وان المؤاخذة
في العزم ثابتة واليه مال
الشيخ أبو منصور وشمس
الائمة الحلواني رحمهما الله
والدليل عليه قوله تعالى ان
الذين يحبون أن تشيع
الفاحشة الآية وعن عائشة
رضي الله عنها ما هم العبد
بالمعصية من غير عمل يعاقب
على ذلك بما يلحقه من
الهم والحزن في الدنيا وفي
أكثر التفاسير انه لما
نزلت هذه الآية جزعت
الصحابة رضي الله عنهم
وقالوا أنؤاخذ بكل ما حدثت
به أنفسنا فنزل قوله آمن
الرسول الى قوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت
فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار والله أعلم

وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدثت به النفس مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ العبد بالهمة فقال إذا كانت عزما أخذ بها وقيل معنى المحاسبة الإخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة إلى كونه تعالى عالما بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر أو خفي ومعنى الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله أي يخبركم به ويعرفكم إياه ثم يغفر للمؤمنين إظهارا للفضل ويعذب الكافرين إظهارا للعدل يروى عن ابن عباس ويدل عليه أنه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لأن المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه أيضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف إذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجه في الصحيحين ۞ وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (والله على كل شيء قدير) يعني أنه تعالى قادر على كل شيء كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا

۞ قوله عز وجل (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الأنبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول أن هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والأحكام منزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) أي وصدق المؤمنون بذلك أيضا (كل) أي كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فهذه أربع مراتب من أصول الإيمان وضرورياته فأما الإيمان بالله فهو أن يؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه حي عالم قادر على كل شيء وأما الإيمان بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وأنهم السفرة الكرام البررة وأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله وأما الإيمان بكتبه فهو أن يؤمن بأن الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله إلى رسله وأنها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وأن القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وأنه مشتمل على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه وأما الإيمان بالرسل فهو أن يؤمن بأنهم رسل الله إلى عباده وأمناؤه على وحيه وأنهم معصومون وأنهم أفضل الخلق وأن بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وأجيب عنه بأن المقصود من هذا الكلام شيء آخر وهو إثبات نبوة الأنبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الأنبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لا نفرق بين أحد من رسله) فنؤمن

(فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) رفعهما شامي وعاصم أي فهو يغفر ويعذب وجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالادغام أبو عمرو وكذا في الاشارة والشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ لأن الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز إدغام المضاعف وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم (والله على كل شيء) من المغفرة والتعذيب وغيرهما (قدير) قادر (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون) إن عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في (كل) راجعا إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وقف عليه وإن كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم وآمن خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الأول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلي يعني القرآن أو الجنس (لا نفرق) أي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل (بين أحد من رسله) أحد في معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل إلا على اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد

(وقالوا سمعنا) أجبنا قولك (وأطعنا) أمرك (غفرانك) أي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر (وإليك المصير) المرجع وفيه إقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاستثناء في الإيمان وعلى بقاء الإيمان لمرتكب ا

(لا يكلف الله نفسا) عطف عليهم أو مستأنف (إلا وسعها) إلا طاقتها وقدرتها لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التأويلات وقال صاحب الكشاف الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الإنسان أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الافتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر وتتكلف للخير (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا) تركنا أمرا من أوامرك سهوا (أو أخطأنا) ودل هذا على جواز المؤاخذة في النسيان والخطأ خلافا للمعتزلة لإمكان التحرز عنهما في الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى

ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفي الآية إضمار تقديره و
يقول المؤمنون لا نفرق بين أحد من رسله (وقالوا سمعنا وأطعنا) يعني سمعنا قولك وأطعنا أمرك والمعنى قال
المؤمنون سمعنا قول ربنا وفهمنا أمره وأطعناه فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من
أمره ونهيه (غفرانك ربنا) أي نسألك غفرانك ربنا أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (وإليك
المصير) يعني قالوا إليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر أن
جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل
بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير ۞ قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) قيل يحتمل
أن يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل أن يكون حكاية عن المؤمنين وفيه إضمار كأنه قال الله تعالى
عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا إلا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه قال ابن
عباس وأكثر المفسرين إن هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك أنه لما نزل وإن تبدوا ما في
أنفسكم أو تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب
من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى إنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من ال
وحديث النفس كان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر
دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل
الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها قال إلا يسرها ولم
طاقتها وهذا قول حسن لأن الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها
يتعبدها إلا بما تطيق (لها ما كسبت) يعني للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه (وعليها ما ا
يعني من الشر عليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية أن الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره ۞ قوله عز وجل
(ربنا لا تؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا
لا تعاقبنا وإنما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لأن المسيء قد أمكن من نفسه وطرق السبيل
فكأنه أعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به (إن نسينا أو أخطأنا) [2] فيه وجهان أحدهما
النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤوا
عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شيء مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله
أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فإن قلت أليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فإذا كان النسيان في محل العفو قطعا فما معنى طلب
العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الأول أن النسيان على ضربين * أما الأول فهو ما كان من
العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر إزالته
فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا إذ كان يلزمه المبادرة إلى إزالته أما إذا لم يره فيه فيعذر فيه وكذا لو ترك
أمرا بفعله على وجه السهو أو ارتكب منهيا عنه من غير قصد إليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التي
عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عز
فمثل هذا يجب أن يسأل الله تعالى أن يعفو له عن ذلك وأما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها أو
دراسة القرآن بعد أن حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لأنه فرط فثبت أن النسيان على
وإذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثاني من الجواب أن الصحابة ر

[2] قوله فيه وجهان لم يذكر إلا وجها واحدا ولعله اكتفى عن الثاني بما ذكره في الجواب عن الإيراد الذي أورده ومع ذلك فيه ما فيه

عنهم كانوا من المتقين حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم
العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم ● الوجه الثالث
ان المقصود من هذا الدعاء التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطأ في قوله او اخطأنا فعلى وجهين ايضا
● احدهما ان يأتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو
والغفران لذلك العمل الذي ارتكبه ● الوجه الثاني ان يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن
ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فأخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد
لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) يعني عهدا ثقيلا وميثاقا علينا
فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعني اليهود فلم يقوموا به
فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم
خمسين صلاة وأمرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح
وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والآصار التي كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن
امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال
تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من
ذلك (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعني لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف
ما لا يطاق على وجهين ● احدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو
فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال ● الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في
قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما
كان في ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به
واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من
الله تعالى وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو
الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك
كله (واعف عنا) أي تجاوز عن ذنوبنا وامح آثامنا (واغفر لنا) أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا)
أي تفضل علينا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل لا ننال العمل
بطاعتك ولا ترك معصيتك الا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله
تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه
عقاب ذنبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كأن العبد يقول اطلب منك العفو واذا
عفوت عني فاستره علي فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز
بالنعيم والثواب (انت مولانا) أي ناصرنا وحافظنا ووليّنا ومتولي امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين)
يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا انيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد
غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال لا اؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم
سورة البقرة قال آمين (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى
سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ربنا ولا تحمل علينا
اصرا) عبأ يأصر حامله اي
يحبسه مكانه لا يستقل به استعير
للتكليف الشاق من نحو
قتل الانفس وقطع موضع
النجاسة من الجلد والثوب
وغير ذلك (كما حملته على
الذين من قبلنا) كاليهود
(ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به) من العقوبات النازلة
بمن قبلنا (واعف عنا) امح
سيآتنا (واغفر لنا)
واستر ذنوبنا وليس بتكرار
فالاول للكبائر والثاني
للصغائر (وارحمنا) لتثقيل
ميزاننا مع افلاسنا والاول
من المسخ والثاني من
الخسف والثالث من الغرق
(انت مولانا) سيدنا ونحن
عبيدك او ناصرنا او
متولي امورنا (فانصرنا
على القوم الكافرين)
فمن حق المولى ان ينصر
عبيده في الحديث من قرأ
آمن الرسول الى آخره في
ليلة كفتاه وفيه من
قرأهما بعد العشاء الآخرة
اجزأتاه عن قيام الليل
ويجوز ان يقال قرأت
سورة البقرة او قرأت
البقرة لما روي عن علي
رضي الله عنه خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت
العرش وقال بعضهم يكره
ذلك بل يقال قرأت
السورة التي تذكر فيها
البقرة والله أعلم

ثلاثا أعطى السماوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفران لا يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات المقحمات الذنوب العظام التي تورط من تكبها في النار وتقحمها فيه (ق) عن أبي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة آل عمران﴾

مدنية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وعشرون كلمة وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ﻗ قوله عز وجل (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم ثلاثة اليهم يؤول أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم بالهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بامر طعامهم وشرابهم وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم من علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلي العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وأردية يقول من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا لا قال ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فأراد بعضهم فقالوا يا محمد ألست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا الا الجحود فأنزل الله ردا عليهم الم الله لا اله الا هو يعني ان كانت منازعتكم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله الذي لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى أن أحدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم أتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي الحي في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي الذي لا يصح عليه الموت وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم

﴿سورة آل عمران﴾ نزلت بالمدينة وهي مائتا آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الم الله) حركت الميم لالتقاء الساكنين أعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس فتح الميم لكونها وسكون ياء قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم ولا يصح أن يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل أسقطها الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها واثباتها غير جائز وأسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدأ (لا اله الا هو) خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله في الوجود الا هو وهو في موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه (الحي القيوم) خبر مبتدأ محذوف أي هو الحي أو بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت

الخلق ونصالحهم فيما يحتاجون اليهم في معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعني القرآن (بالحق) أي بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك أن ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شئ تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وأنزل التوراة والانجيل من قبل) أي من قبل القرآن فان قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما منفصلا في أوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وأنزل التوراة والانجيل جملة واحدة (هدى للناس) يعني أن انزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القرآن في أول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به واتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هما هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام (وأنزل الفرقان) يعني الفارق بين الحق والباطل قيل أراد به القرآن وانما أعاد ذكره تعظيما لشأنه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما أعاد ذكره ليبين انه تعالى أنزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كما هي هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) أي غالب لا يغلب (ذو انتقام) يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة ۞ قوله عز وجل (ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء) أي لا يخفى عليه شئ من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذي يصوركم في الارحام) التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف والارحام جمع رحم (كيف يشاء) يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا أو أنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام صورا مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب له ذلك في بطن أمه وقيل ان الآية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول أكلت في دارك كذا وصنعت كذا وانه أحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله

(نزل) أي هو نزل (عليك الكتاب) القرآن (بالحق) حال أي نزله حقا ثابتا (مصدقا لما بين يديه) لما قبله (وأنزل التوراة والانجيل) هما اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة (من قبل) من قبل القرآن (هدى للناس) لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس (وأنزل الفرقان) أي جنس الكتب لان الكل يفرق بين الحق والباطل أو الزبور وكرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشأنه (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء) أي في العالم فعبر عنه بالسماء والارض أي هو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) من الصور المختلفة

(لا إله إلا هو العزيز) في سلطانه (الحكيم) في تدبيره وروي أنه قدم وفد نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد
واسقفهم وحبرهم أبو حارثة فخاصموا في أن عيسى ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه
أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن الله تعالى حي لا يموت وعيسى يموت وأن ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى
لا يقدر على ذلك وانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه صور عيسى في الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فأنزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية (هو الذي أنزل عليك الكتاب) القرآن (منه) من الكتاب (آيات محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها (وأخر) وآيات أخر (متشابهات) مشتبهات محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شيء أو المحكم ما أمر الله به في كل كتاب أنزله نحو قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الآيات

تعالى عليهم بذلك وأخبر أن الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في ال
وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم فبه يكونه مصورا في الر
على أنه عبد مخلوق كغيره وأنه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وفيه
أيضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله في ال
قوله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب) يعني القرآن (منه آيات محكمات) يعني
أحكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى أحكمها فمنع الخلق
من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن أم الكتاب) يعني هن أصل الكتاب الذي
الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال من أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب قلت لأن
الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل آية منهن
الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية يعني أن كل واحد منهما آية (وأخر) جمع أخرى (متشابهات)
يعني أن لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله
آخر كله محكما فقال في أول هود الر كتاب أحكمت آياته وجعله في موضع آخر كله متشابها فقال تعالى في الزمر
الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله كله محكما أراد
كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها أراد أن بعضه يشبه بعضا في ال
والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات ال
عباس المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الأنعام وهي قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ر
ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هي ال
والمتشابهات هي الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيها
الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما
الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن أشراط
مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا
الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا وا
ما يحتمل أوجها وروي ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحرو
أوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما أتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا أنك أنزل عليك الم فأنشدك الله أأنزلت عليك قال نعم قال فان
كان ذلك حقا فاني أعلم مدة ملك أمتك هي احدى وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم المص
فهذه أكثر هي احدى وستون ومائة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه أكثر هي مائتان
وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه أكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة و
فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى فأما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه ما تكررت أ
ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر وا
والمتشابه ما وراءه أو ما لا يحتمل الا وجها واحدا أو ما احتمل أوجها أو ما علم تأويله وما لم يعلم تأويله أو الناسخ الذي يعمل به والوعد
والمنسوخ الذي لا يعمل به وانما لم يكن كل القرآن محكما لما في المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل
تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى

والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والأمثال فإن قلت لما أنزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان القرآن أنزل بألفاظ العرب ولغتهم وكلام العرب على ضربين أحدهما الايجاز والاختصار والموجز الذى لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثانى المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات وإغماض بعض المعانى وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع فى كلامهم فأنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأى الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثانى ان الله تعالى أنزل المتشابه لفائدة عظيمة وهى ان يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عباداتهم ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعانى وقد قيل فى عيب الغنى انه يورث البلادة وفى فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان أهل كل علم يجعلون فى علومهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعانى الغامضة كانوا على الواضح أقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى أنزل المتشابه فى كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله أعلم بمراده ۞ وقوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) أى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا فى المعنى بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وقالوا ألست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة فى أوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا أولو الألباب فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم ۞ وقوله تعالى (ابتغاء الفتنة) أى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) أى تفسيره وأصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله وابتغاء تأويله أى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعنى تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود

(فأما الذين فى قلوبهم زيغ) ميل عن الحق وهم أهل البدع (فيتبعون ما تشابه) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق (منه ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب ان يؤولوه التأويل الذى يشتهونه (وما يعلم تأويله الا الله) أى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله

وابن عباس في رواية عنه وأبي بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله إلا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل (والراسخون في العلم) أي الثابتون في العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سماهم الله راسخين في العلم بقولهم فرسوخهم في العلم هو الإيمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمناه وما لم نعلم ونحن معتصمون في المتشابه بالإيمان به ونكل معرفته إلى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الإيمان والعمل بمقتضاه وروي عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يسع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله وقيل إن الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان يقول أنا من الراسخين في العلم وعن مجاهد أنا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول أن الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون في القرآن ما لا يعرفه أحد من الأمة وفي المراد بالراسخين في العلم هنا قولان أحدهما أنهم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والقول الثاني أن الراسخين هم العاملون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس (وما يذكر إلا أولو الألباب) أي وما يتعظ بما في القرآن إلا ذوو العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا ۞ (ربنا لا تزغ قلوبنا) أي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا أي لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ (بعد إذ هديتنا) أي وفقتنا لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) أي أعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الإيمان والهدى وهب لنا تجاوزا ومغفرة (إنك أنت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الأعواض والأغراض والوهاب صفة الله تعالى أنه تعالى يعطي كل أحد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات والعلماء فيه قولان أحدهما الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وأنه حق ونكل علمه إلى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثاني أنه يتأول ما يليق به وأن ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شيء فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد أنه تحت قدرتي وفي تصرفي لا أنه حال في كفه فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراده منها كما لا يمتنع على الإنسان ما بين أصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم والمعاني الثلاثة والقدرة واحدة لأنه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وإن كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين والمقصود من القلوب الذكر لقائمة وهي أن الله جعل القلوب محلا للخواطر والإرادات والنيات وهي مقدمات الأفعال ثم جعل سائر الجوارح

(والراسخون في العلم) والذين رسخوا أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله إلا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يقولون آمنا به) وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة إنزال المتشابه الإيمان به واعتقاد حقية ما أراد الله به ومعرفة قصور أفهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم إليه سبيلا ويعضده قراءة أبي ويقول الراسخون وعبد الله إن تأويله إلا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه أو بالكتاب (كل) من متشابهه ومحكمه (من عند ربنا) من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه (وما يذكر) وما يتعظ وأصله يتذكر (إلا أولو الألباب) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل وقيل يقولون حال من الراسخين (ربنا لا تزغ قلوبنا) لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب (بعد إذ هديتنا) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه (وهب لنا من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت (إنك أنت الوهاب) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أي قولوا ربنا لا تزغ ... كذلك الخ

وهي (ربنا إنك جامع الناس ليوم) أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم (لا ريب فيه) لا شك في وقوعه (إن الله لا يخلف الميعاد) الموعد
والمعنى أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله أي لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين

في الحركات والسكنات والله أعلم ۞ قوله عز وجل (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أي ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى في أي في يوم لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه كائن وهو يوم القيامة (إن الله لا يخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك أنهم طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم إنهم أتبعوا ذلك بقولهم ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه إنا نعلم أنك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم أن وعدك حق وأنك لا تخلف الميعاد فمن أزغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد ۞ قوله عز وجل (إن الذين كفروا) يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (لن تغني) أي لن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) أي من عذاب الله شيئاً وقيل من بمعنى عند أي عند الله شيئاً (وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى أن عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فإنهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) يعني بما جاءتهم بها الرسل (فأخذهم الله بذنوبهم) أي فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل في معنى الآية إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية أخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ۞ قوله عز وجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء فالمعنى بلغهم يا محمد أنهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (إلى جهنم) قيل أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة إلى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقيل إن أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل إن هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس إن يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى مكة ليستنفرهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة وإنا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون أي ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة إلى جهنم (وبئس المهاد) أي الفراش والمعنى بئس ما مهدوا لهم في النار ۞ قوله عز وجل (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفاً على الذي قبله ٢ فيخرج

من الثواب والعقاب (إن الذين كفروا) برسول الله (لن تغني) تنفع أو تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذابه (شيئاً) من الأشياء (وأولئك هم وقود النار) حطبها (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغني أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك كداب بلا همز حيث كان أبو عمرو (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالاً أي قد كذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أي جازيته عليه (والله شديد العقاب) شديد عقابه فالإضافة غير محضة (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يوم بدر

(وتحشرون إلى جهنم) من الجهنام وهي بئر عميقة وبالياء فيهما حمزة وعلي (وبئس المهاد) المستقر جهنم (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في فئتين التقتا) يوم بدر

٢ قوله فيخرج على قول ابن عباس ليس بظاهر لأن قول ابن عباس في الآية التي قبل هذه أنها في اليهود ولم يتقدم له قول أنها في كفار قريش حتى يخرج هذا عليه اهـ مصححه

على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود فإن قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت
لأن الآية مؤنثة قلت كل ما ليس تأنيثه حقيقيا يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى إلى البيان فمعناه قد كان
لكم بيان فذهب إلى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء إنما ذكره لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث
فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول
لكم ستغلبون في فئتين أي فرقتين وأصلها في الحرب لأن بعضهم يفيء إلى بعض أي يرجع التقتا يعني
يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الأنصار وكان
صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا
وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف ۞ وقوله تعالى (وأخرى كافرة) أي وفرقة أخرى
كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى
(يرونهم مثليهم) قرئ بالتاء يعني ترون يا أهل مكة يعني المسلمين يا معشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود
كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلي
المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء
فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فإن قلت كيف قال
مثليهم وإنما كانوا ثلاثة أمثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا محتاج إلى مثلي هذا الدرهم يعني
إلى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو أن يكون الله تعالى أظهر للمسلمين من عدد المشركين
القدر الذي يعلم المؤمنون أنهم يغلبونهم لإزالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثاني هو الأصح فقلل
المشركين في أعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم و
وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم وكيف يقال إن المشركين استكثروا
أو المسلمين استكثروا المشركين وإن الفئتين تساويا في استقلال إحداهما الأخرى قلت إن
التقليل والتكثير كانا في حالتين مختلفتين فإن قيل إن الفئة الرائية هم المسلمون فإنهم رأوا عدد المشركين عند بداءة
القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فنصروا عليهم
قال ابن مسعود نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون
رجلا واحدا وفي رواية أخرى عنه قال لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين قال أراهم
مائة قال فأسرنا منهم رجلا فقلنا له كم كنتم قال ألفا وإن قلنا إن الفئة الرائية هم المشركون على قول من جعل
الرؤية راجعة إلى المشركين يعني رأى المشركون المسلمين مثليهم قلل الله المسلمين في أعين المشركين
أول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثر الله المسلمين في أعين المشركين
فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روي أن المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا
ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر أحوال في
التقليل وما ذلك إلا إظهار القدرة التامة وقوله تعالى (رأي العين) أي في رأي العين (والله يؤيد
بنصره من يشاء إن في ذلك) يعني الذي ذكر من النصرة وقيل رؤية الجيش مثليهم (لعبرة) أي
والعبرة الدلالة الموصلة إلى اليقين المؤدية إلى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم إلى مراد
وقيل العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم (لأولي الأبصار) لذوي العقول والبصائر
عز وجل (زين للناس) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لأنه تعالى خالق جميع أفعال

مثلي عدد المشركين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة وستا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم ولا يناقض هذا ما قال في سورة الأنفال ويقللكم في أعينهم لأنهم قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما اجتمعوا كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقفوهم إنهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية ومثليهم نصب على الحال لأنه من رؤية العين بدليل قوله (رأي العين) يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها (والله يؤيد بنصره من يشاء) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في أعين العدو (إن في ذلك) في تكثير القليل (لعبرة) لعظة (لأولي الأبصار) لذوي البصائر (زين للناس) المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن

تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده والممتحن بين عباده الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو
الله تعالى ويدل عليه أيضا قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان
وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بأن أعلم عباده زوالها ولان الله
تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر
هذه الاشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن
أبي علي الجبائي من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له
هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه أهل السنة لان الله تعالى خالق كل شيء ولا شريك له في ملكه ۞ وقوله
تعالى (حب الشهوات) يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشيء المشتهى (من النساء) انما
بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولانهن حبائل الشيطان وأقرب الى الافتتان
(والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه
يتكثر به ويعتضد به ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة
وهي بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمي قنطارا من الاحكام
والعقد يقال قنطرته اذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود أو غير
محدود على قولين أحدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن جبل ان القنطار ألف ومائتا
أوقية وقال ابن عباس ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال
الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام
يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا
وقال السدي هو أربعة آلاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدود وقال ربيع بن أنس القنطار
المال الكثير بعضه على بعض وروي عن أبي عبيدة أنه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو
اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال أبو نضرة القنطار
ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة والمقنطرة أي
المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة أو تسعة
وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدأ بهما من بين سائر أصناف الاموال لانهما
قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل
سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض أي تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد
له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها أحد الا وجد
في نفسه مخيلة أي عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة أقوال القول الاول انها الراعية يقال أسمت
الدابة وسومتها اذا أرسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت ازداد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي
العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل
وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها
(والانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها
(والحرث) يعني الزرع (ذلك) يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف (متاع الحياة الدنيا) أي الذي
يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) أي

الشيطان (حب الشهوات) الشهوة توقان النفس الى الشيء جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية (من النساء) والاماء داخلة فيها (والبنين) جمع ابن وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا أريد به الذكور وهم المشتهون في الطباع والمعدون للدفاع (والقناطير) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور أو مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا (المقنطرة) المنضدة أو المدفونة (من الذهب والفضة) سمي ذهبا لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق والفض التفريق (والخيل) سميت بها لاختيالها في مشيها (المسومة) المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها (والانعام) هي الازواج الثمانية (والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحياة الدنيا) يتمتع بها في الدنيا (والله عنده حسن المآب)

المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه أن يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى ﴿ قوله عز وجل (قل أؤنبئكم) أي أخبركم (بخير من ذلكم) يعني الذي ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار أراد أن يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى أخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا لهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) ٥ (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضي عنه كان أتم لسروره وأعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعد لهم الجنات ﴿ قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) أي صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) ﴿ قوله عز وجل (الصابرين) يعني على أداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما أصابهم (والصادقين) يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في النية العزم على العمل حتى يبلغه (والقانتين) يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعني أموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات (والمستغفرين بالاسحار) يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وفي لفظ مسلم فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية أخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات قال أبو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى الى أسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا تستولي عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصفهم به ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروي ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكن أعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وأنت نائم على فراشك وقيل هم

المرجع ثم زهدهم في الدنيا فقال كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم بجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره (تجري من تحتها الانهار) صفة لجنات ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) أي رضا الله (والله بصير بالعباد) عالم باعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذا أعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد (ربنا اننا آمنا) اجابة لدعوتك (فاغفر لنا ذنوبنا) انجازا لوعدك (وقنا عذاب النار) بفضلك (الصابرين) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (والصادقين) قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء العزم (والقانتين) الداعين أو المطيعين (والمنفقين) المتصدقين (والمستغفرين بالاسحار) المصلين أو طالبين المغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة الدعاء ولانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك أكيس منك ينادي بالاسحار وأنت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وللاشعار بان كل الذين

الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة
﴿ قوله عز وجل (شهد الله أنه لا إله إلا هو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من أحبار الشام قدما على
النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله
عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال
نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا انا نسألك عن شيء فان أنت أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال اسألا فقالا أخبرنا
عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية فأسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت في نصارى
نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله وأظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار
وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه أعلم الله أنه لا إله إلا هو وذلك ببيان الدلائل لما أمكن التوصل
الى المعرفة الوحدانية فهو تعالى أرشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته
سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير
فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق
الله تعالى الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة فشهد
لنفسه بنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله أنه
لا إله إلا هو (والملائكة) أي وشهد الملائكة فمعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة
والمؤمنين الاقرار والاعتراف بأنه لا إله إلا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن
إطلاق لفظ الشهادة عليهما (وأولوا العلم) أي وشهد أولوا العلم بأنه لا إله إلا هو واختلفوا في أولي العلم فقيل هم
الانبياء عليهم السلام لانهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم
علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) أي بالعدل نصب على الحال أو القطع أو المدح ومعناه انه تعالى قائم
بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان أي انه
مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأرزاقهم ومجازيهم بأعمالهم (لا إله إلا هو) انما كرره للتأكيد وقيل ان
الاول وصف وتوحيد والثاني رسم تعليم أي قولوا لا إله إلا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بأن هذه الكلمة
أعظم الكلام وأشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل
بأفضل العبادات (العزيز) أي الغالب الذي لا يقهر (الحكيم) يعني في جميع أفعاله (ان الدين عند الله
الاسلام) يعني ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على
اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين أفضل من
النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن
الاولى والمعنى شهد الله أنه لا إله إلا هو وشهد أن الدين عند الله الاسلام وأصل الدين في اللغة الجزاء يقال كما تدين
تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله
به خلقه وأمرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة
وروى البغوي بسنده الثعلبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت
أختلف اليه فلما كان ذات ليلة أردت أن أنحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله
أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وأنا أشهد بما شهد
الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع
فيها شيأ فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له اني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا أحدثك فيها الى

(شهد الله) أي حكم أو قال (أنه) أي بأنه (لا إله إلا هو والملائكة) بما بينوا من عظيم قدرته (وأولوا
العلم) أي الانبياء والعلماء (قائما بالقسط) بالعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو وانما جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح وكرر (لا إله إلا هو) للتأكيد (العزيز الحكيم) رفع على الاستئناف أي هو العزيز وليس بوصف لهو لان المضمر لا يوصف يعني انه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن الحق (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة أن الدين على البدل من قوله أنه لا إله إلا هو أي شهد الله أن الدين عند الله الاسلام قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة ومن قال بعدها وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله
وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة ان لعبدي عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة

(وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله (الا من بعد ما جاءهم العلم) انه الحق الذي لا محيد عنه (بغيا بينهم) أي ما كان ذلك الاختلاف الا حسدا وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله (ومن يكفر بآيات الله) بحججه ودلائله (فان الله سريع الحساب) سريع المجازاة (فان حاجوك) فان جادلوك في ان دين الاسلام والمراد بهم وفد بني نجران عند الجمهور (فقل أسلمت وجهي لله) أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكا بأن أعبده وأدعوا الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذي لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء في أسلمت أي أسلمت أنا ومن اتبعني وحسن للفاصل ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعني في الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو في الوصل وجهي مدني وشامي وحفص والاعشى والبرجمي (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب (أأسلمتم) بهمزتين كوفي يعني انه قد أتاكم من البينات ما يقتضي حصول الاسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر أي أسلموا كقوله فهل أنتم منتهون أي انتهوا (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى (وان تولوا فانما عليك البلاغ) أي لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى (والله بصير بالعباد) فيجازيهم على اسلامهم وكفرهم (ان الذين يكفرون بآيات

سنة وكنت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا محمد قد مضت السنة فقال حدثني أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة ۞ قوله عز وجل (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بني اسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الاحكام (بغيا بينهم) أي طلبا منهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم كان في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله تعالى واحد أحد وأن عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني المعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ قوله عز وجل (فان حاجوك) أي خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم بانه اتبع أمر الله الذي هم مقرون به بقوله (فقل أسلمت وجهي لله) أي انقدت لله بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل أي أخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الله (ومن اتبعن) يعني ومن أسلم كما أسلمت أنا (وقل للذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والاميين) يعني مشركي العرب (أأسلمتم) لفظه استفهام ومعناه أمر أي أسلموا (فان أسلموا فقد اهتدوا) يعني الى الحق والنجاة في الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أتشهدون ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا فقال الله تعالى (وان تولوا) أي أعرضوا (فانما عليك البلاغ) يعني تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لترك ايمانهم وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير بالعباد) يعني انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن ۞ قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بآيات

(ويقتلون النبيين) هم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء (بغير حق) حال مؤكدة لأن قتل النبي لا يكون حقا (ويقتلون الذين يأمرون) ويقاتلون حمزة (بالقسط) بالعدل (من الناس) أي سوى الأنبياء قال

عليه السلام قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم (فبشرهم بعذاب أليم) دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا لأن ان لا تغير معنى الابتداء فهي للتحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع دخول الفاء (أولئك الذين حبطت أعمالهم) أي ضاعت (في الدنيا والآخرة) فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة (وما لهم من ناصرين) جمع لوفق رؤس الآي والا فالواحد النكرة في النفي يعم (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض أو للبيان (يدعون) حال من الذين (إلى كتاب الله) أي التوراة أو القرآن

الله) يعني يجحدون القرآن ويكذبونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) كان أنبياء بني اسرائيل يأتيهم الوحي ولم يكن يأتيهم كتاب لأنهم كانوا ملتزمين بأحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط يعني بالعدل من الناس روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى أن انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب أليم) انما دخلت الفاء في قوله فبشرهم مع انه خبر ان لأنه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب أليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان أسلافهم الذين قتلوا الأنبياء لأنهم رضوا بفعلهم (أولئك الذين حبطت) أي بطلت (أعمالهم في الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو أن لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة (وما لهم من ناصرين) يعني يمنعونهم من العذاب ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعني القرآن وذلك أن اليهود دعوا الى حكم القرآن فأعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فأعرضوا عنه وروى عن ابن عباس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله هذه الآية وعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضا أن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن أوفى وبحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فأرسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) أي ليقضي بينهم

(ليحكم بينهم) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم أو ليحكم النبي روي أنه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث ابن زيد على أي دين أنت قال النبي عليه السلام على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فأبيا

المؤمنين) يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء لان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان (الا أن تتقوا منهم تقاة) الا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أي الا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة وابطان المعاداة (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه (٢٤٢) بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) أي مصيركم اليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر (قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد (ويعلم ما في السموات وما في الارض) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أي هو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شيء قدير) فيكون قادرا على عقوبتكم (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أي مسافة بعيدة أو اذكر ويقع ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود ثم الرفع جائز اذا كان الشرط ماضيا (قوله
لكن الجزم هو الكثير عن المبرد الرفع شاذ وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز أن يريد انه مع كونه محذورا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه

يوم أو صحبة أو معاشرة والحب في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان (ومن يفعل ذلك) يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم (فليس من الله في شيء) أي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا أمر معقول فان ولاية المولى معاداة أعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان (الا أن تتقوا منهم تقاة) أي الا أن تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (ويحذركم الله نفسه) أي ويخوفكم الله أن تعصوه بان ترتكبوا المنهي أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى الله المصير) يعني ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الآخرة قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما في صدوركم) يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب (أو تبدوه) يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبدوه أي تظهروه بالحرب والمقاتلة (يعلمه الله) أي يحفظه عليكم ويجازيكم به (ويعلم ما في السموات وما في الارض) يعني أنه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه ماتكم من موالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم (والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شيء (وما عملت من سوء) أي تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء (تود) أي تتمنى (لو أن بينها وبينه) أي وبين ما عملت من السوء (أمدا بعيدا) أي مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود أنها لم تعمله ويكون بينها وبينه أمد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما كرره لتأكيد الوعيد (والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وأنه يمهل ولا يهمل وقيل معناه أنه رؤف بالعباد حيث أمهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد أتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المؤمن أن رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه

﴿ قوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فأبوا وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فأنزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) يعني ان من غفر له فقد أزال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعني انه تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله و يأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله عز وجل (قل أطيعوا الله والرسول) يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه كل أمر أو نهي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما أمر الله به في كتابه أو نهى عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني وتعموا محمدا فلن أقبل منكم (فان تولوا) أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لا يحب الكافرين) أي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني ﴿ قوله عز وجل (ان الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من أبناء ابراهيم واسحق و يعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وأنتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم هو أبو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح ابن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل ابراهيم) قيل أراد بآل ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل آل ابراهيم اسمعيل واسحق و يعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم أصلا لشعبتين فجعل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام أصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفاء وجعل اسحق أصلا لبني اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل أراد بآل ابراهيم من كان على دينه (وآل عمران) واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون آل عمران موسى وهرون أو نفسه وقيل هو عمران بن أشيم بن أمون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم (على العالمين)

رضي عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الانس به وقيل هي اتباع النبي عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله الا ما خص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكر كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يحزن اذا أصيب ولا يفرح اذا أصاب ولا يخشى أحدا ولا يرجوه (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول) قيل هي علامة المحبة (فان تولوا) أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أي فان تتولوا (فان الله لا يحب الكافرين) أي لا يحبهم (ان الله اصطفى) اختار (آدم) أبا البشر (ونوحا) شيخ المرسلين (وآل ابراهيم) اسمعيل واسحق وأولادهما (وآل عمران) موسى وهرون ابنا

أي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) أي اصطفى ذرية وأصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمي الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو من ذرأه الله تعالى أي خلقه (بعضها من بعض) أي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعني ان الله تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي للنبوة ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا ۞ قوله عز وجل (اذ قالت امرأت عمران) هي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن أشيم وليس بعمران أبي موسى لان بينهما ألفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل في ذلك الزمن وأحبارهم وملوكهم (رب اني نذرت لك ما في بطني محررا) أي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا محررا مني لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا أي عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا أشغله بشئ من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان أحب أقام فيها وان أحب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من بني اسرائيل ومن علمائهم الا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك ما ذكره أصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهي أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أخت ايشاع عند عمران وهي أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينا هي في ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم شديد من أجل ذلك فهلك عمران قبل أن تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل مني) يعني فتقبل نذري والتقبل أخذ الشئ على الرضا وأصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص في دعائه وعبادته (انك أنت السميع) يعني لتضرعي ودعائي (العليم) يعني بنيتي في ضميري ۞ قوله عز وجل (فلما وضعتها) أي ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان في علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو أن يكون غلاما (قالت) يعني حنة (رب اني وضعتها أنثى) تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى قد علم ما في بطنها قبل أن تضعه (والله أعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى والله أعلم بالشئ الذي وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير انها قالت اني وضعتها أنثى خافت أن تكون أخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت (وليس الذكر كالأنثى) يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس [الأنثى] كالذكر

(ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) مبتدأ وخبر في موضع النصب صفة لذرية يعني ان الآلين ذرية متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (اذ قالت) واذ منصوب به أو باضمار اذكر (امرأة عمران) هي امرأة عمران ابن ماثان أم مريم جدة عيسى وهي حنة بنت فاقوذ (رب اني نذرت لك) أوجبت (ما في بطني محررا) هو حال من ما وهي بمعنى الذي أي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصا للعبادة يقال طين حر أي خالص (فتقبل مني) مدني وأبو عمرو والتقبل أخذ الشئ على الرضا به (انك أنت السميع العليم فلما وضعتها) الضمير لما في بطني وانما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة (قالت رب اني وضعتها أنثى) أنثى حال من الضمير في وضعتها أي وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى وانما قالت هذا القول لان التحرير لم يكن الا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها وانما تكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها أي والله أعلم بالشئ الذي وضعت وما علق به من عزائم الامور وأبو بكر يعني ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا في القول وعلى الاول يرتفع عند قوله أنثى وقوله والله أعلم بما وضعت اخبار من الله تعالى (وليس الذكر) الذي طلبت (كالأنثى) التي وهبت لها واللام فيهما للعهد

(وإني سميتها مريم) معطوف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان وإنما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لأن مريم في لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وإني) مدني (أعيذها بك) أجيرها (وذريتها) أولادها (من الشيطان الرجيم) الملعون في الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها

(فتقبلها ربها) فقبل الله مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) قيل القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روي أن حنة لما ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني إسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي أختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف أي فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فذلك أحسن النبات ونباتا مصدر على خلاف المصدر أو التقدير فنبتت نباتا (وكفلها) قبلها أو ضمن القيام بأمرها وكفلها كوفي أي كفلها الله زكريا يعني جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زكريا) بالقصر كوفي غير أبي بكر في كل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه في العبري دائم الذكر والتسبيح

كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الأنثى لأن الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الأنثى لذلك لضعفها وما يعتريها من الحيض ولأنها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الآية أن المراد منها هو تفضيل هذه الأنثى على الذكر كأنها قالت كان الذكر مطلوبي في خدمة المسجد وهذه الأنثى هي موهبة الله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي هي موهبة الله تعالى وكانت مريم من أجمل النساء وأفضلهن في وقتها (وإني سميتها مريم) يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم وأرادت بهذه التسمية أن يعصمها الله على إناث الدنيا (وإني أعيذها بك وذريتها) أي أمنعها وأجيرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعني اللعين الطريد وذلك أن حنة أم مريم لما فاتها ما كانت تطلب من أن يكون ولدها ذكرا فإذا هي أنثى تضرعت إلى الله تعالى أن يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وأن يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني آدم من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه إياه إلا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب ۞ قوله عز وجل (فتقبلها ربها بقبول حسن) يعني أن الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضي قال الزجاج الأصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشيء قبولا إذا رضيته وقال أبو عمرو ليس في المصادر فعول بفتح الفاء إلا هذا ولم أسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو أن يرى الشيء ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشأنها وإنما قال بقبول للجمع بين الأمرين يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضا (وأنبتها نباتا حسنا) معناه وأنبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن أي سلك بها طريق السعداء وأنبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام (وكفلها زكريا) قال أهل الأخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالت له الأحبار لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا إلى نهر جار قيل هو الأردن فألقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى وجرت أقلامهم مع جرى الماء إلى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد

الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضمها زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها أم يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعني الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (قال) يعني زكريا (يا مريم أنى لك هذا) أي من أين لك هذه الفاكهة (قالت) يعني مريم مجيبة لزكريا (هو من عند الله) يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحق أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها في المحراب أنماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير سبب وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها ومن غير سبب لقادر أن يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك ان أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعني انه عليه السلام دخل محرابه وأغلق الابواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) يعني انه قال يا رب أعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) أي سامعه ومجيبه ﴿ قوله عز وجل (فنادته الملائكة) يعني جبريل عليه السلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس الملائكة وقل أن يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان و... ولا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا

(كلما دخل عليها زكريا المحراب) قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد أي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها الا هو (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد (ان الله يرزق من يشاء) من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هنالك) في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أختها حنة في الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أمها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية) ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع (طيبة) مباركة والتأنيث للفظ الذرية (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء والامالة حمزة وعلي (وهو قائم يصلي في المحراب) وفيه دليل على أن المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب

(ان الله) بكسر الالف شامي وحمزة على اضمار القول أو لان النداء قول الباقون بالفتح أي بأن الله

(ان الله يبشرك بيحيى) أي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقيل لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعني عيسى بن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى أخبر الانبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان أم يحيى لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لام عيسى يا مريم أشعرت اني حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيى يا مريم اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى آمن بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شئ وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال وأي داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو أن الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه واختار كه العفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو أليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وأيضا فان منصب النبوة يجل من أن يضاف الى أحدهم نقص أو آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعني انه من أولاد الانبياء الصالحين * قوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب) أي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على أن الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي أي يا سيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (أنى يكون لي غلام) يعني من أين يكون وكيف يكون لي غلام (وقد بلغني الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وأدركني الضعف فان قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به أكان شاكا في وعد الله أو في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستعظام والاستعلام والمعنى من أي جهة يكون لي الولد أيكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي على أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فأجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا

(يبشرك) يبشرك وما بعده حمزة وعلي من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (بيحيى) هو غير منصرف ان كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا) حال منه (بكلمة من الله) أي مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة الله لان تكونه بكلمة كن بلا أب أو مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه (وسيدا) هو الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة قط ياله من سيادة وقال الجنيد هو الذي جاد بالكونين عوضا عن المكون (وحصورا) هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه أي منعا لها من الشهوات (ونبيا من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من أصلاب الانبياء أو كائنا من جملة الصالحين (قال رب أنى يكون لي غلام) استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك (وقد بلغني الكبر) كقولهم أدركته السن العالية أي أثر فيّ الكبر وأضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون

الوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز أن يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي وأجيب عن هذا الاعتراض بأن المعارضة الدال على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك ولا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فأما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا لزوال هذه الوسوسة من خاطره وقال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتي عاقر) أي عقيم لا تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء ۞ قوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب اجعل لي آية) أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة والشكر لك (قال آيتك) أي علامتك على الذي طلبت معرفته (أن لا تكلم الناس) أي لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) أي مدة ثلاثة أيام بلياليها قال جهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في أيام منعك من تكليم الناس من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من أعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشيء آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة التي أنعم الله عليه بها واجابته فيما طلب الآية من أجله وأن يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقيل انما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام (الا رمزا) يعني الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي شبيه الهمس وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول أصح لموافقة أهل التفسير عليه (واذكر ربك كثيرا) وذلك انه منعه من الكلام في تلك المدة وأمره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا لا تمنع من ذلك ولا يحول بينك وبينه (وسبح) أي وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيه الرب سبحانه وتعالى (بالعشي والابكار) فأما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى ۞ قوله عز وجل (واذ قالت الملائكة) يعني جبريل عليه السلام (يا مريم ان الله اصطفاك) أي اختارك (وطهرك) يعني من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) أي واختارك (على نساء العالمين) أي عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني قلت ذكر العلماء في معناهما وجوها يتحصل منها الفرق فمعنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة لم تحرر قبلها أنثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب وأسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال أبو كريب وأشار وكيع الى السماء والارض قيل أراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير

(وامرأتي عاقر) أي ثلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) من الافعال العجيبة (قال رب اجعل لي) مدني وأبو عمرو (آية)
الحبل لأتلقى النعمة بالشكر اذا جاءت (قال آيتك ألا تكلم الناس) أي لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام الا رمزا)
الاشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب وأصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما أو هو استثناء منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) أي في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشي من حين الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى (واذ) عطف على اذ قالت امرأة عمران أو التقدير واذكر اذ (قالت الملائكة يا مريم) روي انهم كلموها شفاها (ان الله اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) ... مما يستقذر من الافعال (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بان وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء

(يامريم اقنتي لربك) أديمي الطاعة أو أطيلي قيام الصلاة (واسجدي) وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) أي ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم (ذلك) اشارة الى ماسبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم (٤٤) (من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم) أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين أو هي الاقلام التي كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون (وما كنت لديهم اذ يختصمون) في شأنها تنافسا في التكفل بها (اذ قالت الملائكة) أي اذكر (يامريم ان الله يبشرك بكلمة) أي بعيسى (منه) في موضع جر صفة لكلمة (اسمه) مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر (المسيح) خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ أو لانه كان يمسح الارض

نساءها ومعناه أنهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيي الدين النووي والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه (ق) عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام أفضل من المرق وثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذي قوله عز وجل (يامريم اقنتي لربك) أي قالت الملائكة لها شفاها أطيعي ربك وقيل معناه أطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه (واسجدي واركعي مع الراكعين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هي للجمع كأنه قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري أمرها أمر اعتبار بهما على فعل الخير كأنه قال استعملي السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالامر على استعمال الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين أعم فيدخل فيه الرجال والنساء ولان صلاة مع الرجال أفضل وأتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة أي صلي مع المصلين في جماعة ۞ قوله عز وجل (ذلك من أنباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من أخبار الغيب (نوحيه اليك) أي نلقيه اليك يامحمد لانه لا يمكنك أن تعلم أخبار الامم الماضين الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعني يامحمد (لديهم) هنالك عندهم (اذ يلقون أقلامهم) يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لاجل الاقتراع (أيهم يكفل مريم) يعني يربيها ويقوم بمصالحها ٣ قيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان أبوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعني في كفالتها وتربيتها ۞ قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يامحمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يامريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل ألقى الي فلان كلمة سرني بها وأخبرني خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يامريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هذا قدر الله وقضاء الله يعني ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام انما سمي كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما وجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام

بالسياحة لا يستوطن مكانا (عيسى) بدل من المسيح (ابن مريم) خبر مبتدأ محذوف أي هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه

٣ قيل سبب منازعتهم الخ تقدم قول ثالث وهو حصول الازمة لهم اه مصححه

بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد بخلقه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان يعد
السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى فلاجرم كان
اضافة حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لا
حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عائد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى
مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى
وأما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى [illegible]
ويتميز عن غيره فكأنه قال الذي يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي
عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق أو موضوع فقيل انه موضوع وأصله بالعبرانية مشيحا فعربته العرب
وأصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى وأصله موشى أو ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه
وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل
مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل [illegible]
مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان فكان [illegible]
الارض أي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح [illegible]
لا أخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه
السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد [illegible]
تعالى (وجيها) أي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (في الدنيا والآخرة) أما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة و [illegible]
كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وأما وجاهته في الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله [illegible]
تعالى (ومن المقربين) يعني عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء [illegible]
أعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس في المهد) يعني [illegible]
الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل أوان الكلام ووقته والكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة
مريم وهو قوله اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وتكلم ببراءة أمه مما رماها به أهل القرية [illegible]
ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح وهو في [illegible]
وأنا أسمع ولما تكلم ببراءة أمه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن [illegible]
تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق (وكهلا) يعني ويكلم الناس في حال [illegible]
والكهل في اللغة هو الذي اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو
وخطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلا [illegible]
سنة أرسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على
رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية أنه يكلم الناس وهو في المهد صغيرا
وهي معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم أخبرها بانه يبقى
يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه
على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسين بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من
السماء وفي هذه نص على أنه سينزل من السماء الى الارض ٣ ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل [illegible]
والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة
(ومن الصالحين) يعني أنه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من
وانما ختم أوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان [illegible]

(وجيها) ذا جاه وقدر (في الدنيا) بالنبوة والطاعة (والآخرة) بعلو الدرجة والشفاعة (ومن المقربين) برفعه الى السماء وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أي وثابتا من المقربين وكذا (ويكلم الناس) أي ومكلما الناس (في المهد) حال من الضمير في يكلم أي ثابتا في المهد وهو ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر (وكهلا) عطف عليه أي ويكلم الناس طفلا وكهلا أي ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء (ومن الصالحين) حال أيضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات

٣ قوله ويقتل الدجال هذا لايستفاد من نص عبارة الحسن اه مصححه

(قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) أى إذا قدر تكوين شئ
كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكون الاشياء بتكوينه (ويعلمه) مدنى وعاصم

من أعلام المراتب وأشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل فى جميع أقواله وأفعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات ۞ قوله عز وجل (قالت) يعنى مريم (رب) يعنى يا سيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل (أنى يكون لى ولد) أى من أين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) أى ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا فى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى كما يريد (ونعلمه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة وأحكام الشرائع (والتوراة) يعنى التى أنزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى أنزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى اسرائيل) أى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان أول أنبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (أنى قد جئتكم بآية من ربكم) يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا ما هذه الآية قال (أنى أخلق) أى أصور وأقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته وأصلحته (فانفخ فيه) أى فى الطين المهيأ المصور (فيكون طيرا) قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما أنفخ فيه طائرا أو ما أخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من أكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدى وتحيض ذكروا أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فأخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى أنى أعمل هذا التصوير فأما ما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام (وأبرئ الاكمه والابرص) أى وأشفى الاكمه والابرص واصحهما واختلفوا فى الاكمه فقال ابن عباس هو الذى ولد أعمى وقيل هو الاعمى وان كان أبصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه قال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد خمسون ألفا فمن أطاق أن يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (وأحيى الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له الا سام بن نوح فأما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فأرسلت اليه أخت عازر ان أخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام فأتاه عيسى وأصحابه فوجده قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله

وموضعه حال معطوف على وجيها الباقون بالنون على انه كلام مبتدأ (الكتاب) أى الكتابة وكان أحسن الناس خطا فى زمانه وقيل كتب الله (والحكمة) بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان (والتوراة والانجيل ورسولا) أى ونجعله رسولا أو يكون فى موضع الحال أى وجيها فى الدنيا والآخرة ورسولا (الى بنى اسرائيل أنى) بأنى (قد جئتكم بآية من ربكم) بدلالة تدل على صدق فيما أدعيه من النبوة (أنى أخلق لكم) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم انى نافع على الاستئناف (من الطين كهيئة الطير) أى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فانفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى (باذن الله) بأمره وقيل لم يخلق شيأ غير الخفاش (وأبرئ الأكمه) الذى ولد أعمى

(والابرص وأحيى الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية روى أنه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون اليه فقالوا هذا سحر مبين فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وهو قوله

عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له وأما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وأتى أهله وعاش وولد له وأما ابنة العاشر فكان أبوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالأمس فدعا الله عيسى فأحياها بدعوته فعاشت وولد لها وأما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال مت فقال له بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل (وأنبئكم) يعني وأخبركم (بما تأكلون) أي مما لم أعاينه (وما تدخرون في بيوتكم) أي وما ترفعونه فتخبؤنه في بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادخره للعشاء وقيل كان في المكتب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع ذلك الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا فقال وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذاهم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه أمه فحملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا فيه من طعام الجنة وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما أكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهي اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لابد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها أما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها أو بواسطة حساب الرمل أو نحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به وأما الكاهن فانه يستعين برئيه من الجن وقد يخطئ أيضا في كثير مما يخبر به وأما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات (لآية لكم) أي لعبرة ودلالة على صدق اني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من التوراة) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما أنزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم أدعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وأضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى أن جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما

(وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وما فيهما بمعنى الذي أو مصدرية (ان في ذلك) فيما سبق (لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة) أي قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك

لحوم الابل والثروب والشحوم وأشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من أحكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بأمر الله وكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية من ربكم) أي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعني يا معشر بني اسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه (وأطيعون) يعني فيما أدعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما أدعوكم اليه هو قولي (ان الله ربي وربكم فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخباره عن عيسى عليه السلام انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وحجة بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم) يعني التوحيد ﴿ قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم الكفر) أي وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله ﴿ذكر سبب القصة﴾ قال أهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بني اسرائيل وأمره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه وأخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسيحان في الارض فنزلا في قرية على رجل فأضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم ما شأن زوجك أراه كئيبا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم أخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولي له لا يهتم لذلك فانا آمر ابني أن يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لا تبالي فانه قد أحسن الينا وأكرمنا فقال عيسى قولي له اذا اقترب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابي خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من أرض أخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل أنا أخبرك ان عندي غلاما لا يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له في احياء ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي أليس أراه فقال عيسى ان أنا أحييته تتركني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل قد عاش تنادروا الى السلاح وقالوا قد أكلنا هذا الملك حتى اذا دنا أجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فقاتلوه وظهر أمر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بأنه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فأخذوا في أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعني عيسى عليه السلام (من أنصاري الى الله) أي مع الله وقيل معناه الى أن أبين أمر الله وأظهر دينه وقيل الى بمعنى في أي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لي (قال الحواريون نحن أنصار الله) وذلك أن عيسى عليه السلام لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال أفلا تمشون

(وجئتكم بآية من ربكم) كرر للتأكيد (فاتقوا الله) في تكذيبي وخلافي (وأطيعون) في أمري (ان الله ربي وربكم) اقرار بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى (فاعبدوه) دوني (هذا صراط مستقيم) يؤدي صاحبه الى النعيم المقيم) فلما أحس عيسى منهم الكفر) علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (قال من أنصاري) مددي وهو جمع ناصر كأصحاب أو جمع نصير كأشراف (الى الله) يتعلق بمحذوف حال من الياء أي من أنصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه (قال الحواريون) حواري الرجل صفوته وخاصته (نحن أنصار الله) أعوان دينه

حتى صيد الناس قالوا من أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان
شمعون قد رمى بشبكته في الماء فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته
فاستعانوا بأهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واتبعوه فهم
الحواريون فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم إلى الدين
سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الثياب بمعنى بيضتها وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا
يحورون الثياب أي يبيضونها وقيل إن مريم سلمت عيسى إلى أعمال شتى فكان آخر من سلمته إليه الحواريين
وكانوا قصارين وصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى إنك
قد تعلمت هذه الصنعة وأنا خارج إلى السفر ولا أرجع إلى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الألوان وقد علمت كل
واحد منها خيطا على اللون الذي يصبغ به فأريد أن تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم إلى سفره فطبخ
عيسى حبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني بإذن الله على ما أريد منك ثم قدم
الحواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها قال وأين هي قال في الحب قال كلها
ثم قال لقد أفسدت علي الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى وأخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا
أصفر وثوبا أسود حتى أخرجها كلها على الألوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم
أن ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين
لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من أثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الأصفياء وكانوا أصفياء عيسى
وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون
الأنصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي
الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي
صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير قال الحواريون نحن أنصار الله يعني أنصار دين الله
ورسوله وأعوانه (آمنا بالله) أي صدقنا بأن الله ربنا ورب كل شيء (واشهد) يعني أنت يا عيسى (بأنا مسلمون)
قيل معناه واشهد أنا منقادون لما تريده من نصرك والذب عنك ومستسلمون لأمر الله عز وجل وقيل
إقرار منهم بأن دينهم الإسلام وأنه دين عيسى وكل الأنبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمنا بما أنزلت)
يعني قال الحواريون بعد إشهاد عيسى عليهم بأنهم مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت يعني بكتابك الذي أنزلته
على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعني عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني الذين شهدوا للأنبياء
بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فأثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به
يقتضي أن يكون للشاهدين الذين سأل الحواريون أن يكونوا معهم مزية فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس
في قوله فاكتبنا مع الشاهدين أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لأنهم هم المخصوصون بتلك الفضيلة فإنهم
يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لأن كل نبي شاهد على أمته ۞ قوله عز وجل
(ومكروا) يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وأصل المكر صرف الغير
بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فأما مكرهم بعيسى فإنهم دبروا في قتله وهموا به وذلك أن
عيسى عليه السلام بعد أن أخرجه قومه هو وأمه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة وأظهرها
عليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة (ومكر الله) أي جازاهم
على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد وأخذه بغتة من
لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو إلقاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين أرادوا
حتى قتل قال ابن عباس إن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن

(آمنا بالله واشهد) يا عيسى
(بأنا مسلمون) أي اعلموا
شهادته بإسلامهم تأكيدا
لإيمانهم لأن الرسل
يشهدون يوم القيامة
لقومهم وعليهم وفيه دليل
على أن الإيمان والإسلام
واحد (ربنا آمنا بما
أنزلت واتبعنا الرسول)
أي رسولك عيسى (فاكتبنا
مع الشاهدين) مع الأنبياء
الذين يشهدون لأممهم أو
مع الذين يشهدون لك
بالوحدانية أو مع أمة محمد
عليه السلام لأنهم شهداء
على الناس (ومكروا) أي
كفار بني إسرائيل الذين
أحس منهم الكفر حين
أرادوا قتله وصلبه (ومكر
الله) أي جازاهم على مكرهم
بأن رفع عيسى إلى السماء
وألقى شبهه على من أراد
اغتياله حتى قتل ولا يجوز
إضافة المكر إلى الله تعالى
إلا على معنى الجزاء لأنه
مذموم عند الخلق وعلى
هذا الخداع والاستهزاء
كذا في شرح التأويلات

بالساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما رأى ذلك يهوذا رأس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا إليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فأدخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهوذا ملك اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها وألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه وقال وهب بن منبه إن اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فأظلمت الأرض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إلى اليهود وقال ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذي دل عليه فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب الذي ألقي عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون بدعوته جعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال علام تبكيان إن الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني إلا خير وهذا شيء شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط إلى مريم المجدلانية وهو اسم موضع فنبت إليه فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم في الأرض دعاة ثم رفعه الله فتلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعني وهو أفضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدي إن اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليه رجل منهم وكان قد نافق فألقى عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فإنه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه إليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار إنسيا ملكيا أرضيا سماويا وقال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من أرض أوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله إلى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين ۞ قوله عز وجل (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين فالطريق الأول أن الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا في معناها وجوها الأول معناه إني قابضك ورافعك إلي من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاما والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني أن المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية إني منيمك ورافعك إلي الوجه الثالث أن المراد بالتوفي حقيقة الموت عن ابن عباس معناه إني مميتك قال وهب بن منبه إن الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه وقيل إن النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه إليه الوجه الرابع أن الواو في قوله ورافعك إلي لا تفيد الترتيب والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر فأما كيف

(والله خير الماكرين) أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (إذ قال الله) ظرف لمكر الله (يا عيسى إني متوفيك) أي مستوفي أجلك ومعناه أني عاصمك من أن تقتلك الكفار ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (ورافعك إلي) إلى سمائي ومقر ملائكتي

فعل ومتى يفعل فالأمر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال
وسنذكره إن شاء الله تعالى. الوجه الخامس قال أبو بكر الواسطي معناه إني متوفيك عن شهواتك وحظ
حظوظ نفسك ورافعك إليّ وذلك أن عيسى عليه السلام لما رفع إلى السماء صار حاله
زوال الشهوة. الوجه السادس أن معنى التوفي أخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى أن من الناس من يخطر
بباله أن الذي رفعه الله هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى أن المسيح رفع لاهوته يعني روحه
وبقي في الأرض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله إني متوفيك ورافعك إليّ فأخبر الله أنه رفعه
إلى السماء بروحه وجسده جميعا. الطريق الثاني أن في الآية تقديما وتأخيرا تقديره إني رافعك إليّ ومطهرك
من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك إلى الأرض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى إلى الأرض في
القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لأنه لم يكتهل في الدنيا وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق)
عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن
مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد
زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم وإن
من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم وفي
رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذئب تدري ما أمكم منكم قلت تخبرني قال فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة
نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي أفراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هو كذلك إذ بعث الله
ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض
بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل
ويضع الجزية ويهلك الله الملل في زمانه كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين
سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون أخرجه أبو داود ونقل بعضهم أن عيسى عليه السلام يدفن في
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام قوله عز
وجل (ومطهرك من الذين كفروا) يعني مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك
الذين كفروا إلى يوم القيامة) يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم أهل
أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالحجة والنصر وإعلاء الكلمة والظهور وقيل هم الحواريون
اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لأن ملك اليهود قد ذهب ولم يبق
وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لأن النصارى وإن
أظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم أشد مخالفة له وذلك أن عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من
الشرك والقول الأول هو الأصح لأن الذين اتبعوه هم الذين شهدوا أنه عبد الله ورسوله وهم
المسلمون وملكهم باق إلى يوم القيامة (ثم إليّ مرجعكم) يعني يقول الله عز وجل إليّ مرجع الفريقين في
الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعني من
الحق في أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فأما الذين كفروا) يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا
ملته وقالوا فيه بالباطل ووصفوه بما لا يليق به من سائر اليهود والنصارى (فأعذبهم عذابا
في الدنيا) يعني بالقتل والسبي والذلة وأخذ الجزية منهم (والآخرة) أي وأعذبهم في الآخرة
(وما لهم من ناصرين) يعني ما لهم من يمنعهم من عذابنا (وأما الذين آمنوا) يعني بعيسى عليه
وصدقوا بنبوته وأنه عبد الله ورسوله وكلمته (وعملوا الصالحات) يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت

(ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته أو مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن إذ الواو لا توجب الترتيب قال النبي عليه السلام ينزل عيسى خليفة على أمتي يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها أو متوفي نفسك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا تلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب (وجاعل الذين اتبعوك) أي المسلمين لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فوق الذين كفروا) بك (إلى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف (ثم إلي مرجعكم) في الآخرة (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(فيوفيهم أجورهم) يعني جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء (والله لا يحب الظالمين) أي لا يحب من ظلم غيره حقه أو وضع شيئاً في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل ثم قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (نتلوه عليك) أي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما أضاف ما يتلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلا فاضافه اليه (من الآيات) يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها أخبار لا يعلمها الا من يقرأ أو يكتب أو يوحى اليه وأنت أمي لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي السماوي الذي أنزل عليك (والذكر الحكيم) أي المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش ۞ قوله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية أجمع أهل التفسير ان هذه الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلا أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انسانا قط من غير أب فأنزل الله تعالى ان مثل عيسى عند الله أي في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم في كونه خلقه من تراب من غير أب وأم ومعنى الآية أن صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم في كونه خلقه من تراب لا من أب وأم فمن أقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ في القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن في خلق آدم أعجب وأغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم في كونه خلقه من تراب أي قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) أي أنشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي أن يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق وأجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى أخبر بانه خلقه من تراب لا من ذكر وأنثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال اني أخبركم أيضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل أن يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال في الآية فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير أب ووجد آدم من غير أب ولا أم قلت هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير أب وأم أغرب في العادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه ويحكى ان بعض العلماء أسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيي الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سليما ۞ وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فعبر بالمستقبل

(ذلك) اشارة الى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ (نتلوه عليك) خبره (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (والذكر الحكيم) القرآن يعني المحكم أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه وروي لما قال وفد نجران هل رأيت ولدا بلا أب (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أي ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) قدره جسدا من طين وهي جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما (ثم قال له كن) أي أنشأه بشرا (فيكون) أي فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه

(الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق (فلا تكن) أيها السامع (من الممترين) الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى
الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لانه عليه السلام معصوم من الامتراء (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من
بعد ما جاءك من العلم) من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذى (فقل تعالوا) هلموا والمراد المجىء بالعزم والرأى كما تقول تعال نفكر فى
المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة (ثم نبتهل) ثم
نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل
الابتهال هذا ثم يستعمل فى
كل دعاء يجتهد فيه وان لم
يكن التعانا وروى انه عليه
السلام لما دعاهم الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فقال العاقب
وكان ذا رأيهم والله لقد
عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبى مرسل وما
باهل قوم نبيا قط فعاش
كبيرهم ولا نبت صغيرهم
ولئن فعلتم لتهلكن فان
أبيتم الا الف دينكم فوادعوا
الرجل وانصرفوا الى بلادكم
فأتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد غدا محتضنا
للحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشى خلفه وعلى
خلفها وهو يقول اذا أنا
دعوت فأمنوا فقال أسقف
نجران يا معشر النصارى انى
لأرى وجوها لو سألوا الله
ان يزيل جبلا من مكانه
لأزاله بها فلا تباهلوا
فتهلكوا ولا يبقى على وجه
الارض نصرانى فقالوا يا أبا
القاسم رأينا أن لا نباهلك
فصالحهم النبى على ألفى حلة
كل سنة فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ... تعرض
وانما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لان ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
على تعريض أعزته وأفلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته
تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم
دليل واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق أو مخالف انهم أجابوا الى ذلك (فنجعل لعنة الله على
الكاذبين) منا ومنكم فى شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع

الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة (الحق من ربك) الذى
أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) أى من الشاكين ان ذلك
كذلك وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى
يا أيها النبى اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا أيها السامع كائنا من كان هذا التمثيل والبرهان
الذى ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ﴿ قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) أى فمن جادلك
فى عيسى وقيل فى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعنى بان عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أى هلموا
والمراد منه المجىء وأصله من العلو بالرأى والعزم كما تقول تعال نتفكر فى هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم)
أى يدع كل منا ومنكم أبناءه (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قيل أراد بالابناء الحسن والحسين
وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة أهل
الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن
والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أى لعنة الله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم فى أمر
عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة
قالوا حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان ذا
رأيهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان
أبيتم الا الاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى
صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لأرى
وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى
الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وأن نتركك على دينك ونتركنا على ديننا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا
قال انى أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا
وان نؤدى اليك فى كل سنة ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا
وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى
نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى
نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا
ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما
ضم الابناء والنساء فى المباهلة قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ

أمر يفض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى نفسه بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على الأنفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ومخالف انهم أجابوا الى المباهلة لأنهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم ❁ قوله تعالى (ان هذا) يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله (لهو القصص الحق) وأصله من القص وهو تتبع الأثر والقصص الخبر الذي تتتابع فيه المعاني (وما من اله الا الله) انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم وعلى جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية (وان الله لهو العزيز) أي الغالب المنتقم من عصاه وخالف أمره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لأن عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله عليم بالمفسدين) أي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم ❁ قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا واليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا أي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف ولا ميل فيها لأحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء أي عدل لا تختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما أمروهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى تعالوا الى أمر عدل نصف وهو أن لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع أحبارنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لأن السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع أحدا في معصية الله (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عما أمرتهم به (فقولوا) أنتم لهؤلاء (اشهدوا بأنا مسلمون) أي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان أبا سفيان أخبره ان هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهو بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين و يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن

(ان هذا) الذي قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) هو فصل بين اسم ان وخبرها أو مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان وجاز دخول اللام على الفصل لأنه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب الى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ ومن في (وما من اله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم (وان الله لهو العزيز) في الانتقام (الحكيم) في تدبير الأحكام (فان تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا (فان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (قل يا أهل الكتاب) هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء) أي مستوية (بيننا وبينكم) لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله وعن عدي ابن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أي لزمتكم الحجة فاعترفوا وسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع اعترف بأني أنا الغالب وسلم الى الغلبة

(ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان
وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين
ابراهيم وموسى ألف سنة وبين عيسى ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم تحدث الا بعد
عهده بأزمنة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره (حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقاء وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته ها أنتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى وأبو عمرو (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه (وأنتم لا تعلمون) وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بانه برىء من دينهم فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كانه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح أو وما كان من المشركين كما لم يكن منهم (١)

لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون.
لفظ الحديث أحد روايات البخارى وقد أخرجه مطولا من هذا ٢ وفيه زيادة قوله البر[illegible]
الارسيين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله بن أريس رجل كان فى الزمن الاول
بعث الله نبيا فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى أتباع عبد الله بن أردس وهم الاروسية وقيل
الاريسون نصم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود
والنصارى الذين صددتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك ۞ قوله عز وجل (ياأهل الكتاب لم تحاجون
فى ابراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا
عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله
ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود
والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة أنه
كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه وأخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثتا بعد
نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة
عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف وسبعمائة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن
اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة و
وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الاسلام أيضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمن
طويل وكذلك ان القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم فى ابراهيم انه كان
مسلما وأجيب عنه بان الله عز وجل أخبر فى القرآن ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس فى التوراة [illegible]
ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون و بطل ما ادعاه اليهود والنصارى وقوله
تعالى (أفلا تعقلون) يعنى بطلان قولكم يامعشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال
(ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وهو موضع النداء يعنى ياهؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعنى [illegible]
والنصارى (حاججتم) أى جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم) يعنى فيما وجدتم فى كتبكم وأنزل [illegible]
أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس
لكم به علم) يعنى انه ليس فى كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا (والله يعلم) يعنى ما كان ابراهيم
عليه من الدين (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون فى ابراهيم ثم برأه الله تعالى
مما قالوا فيه وأعلمهم أن ابراهيم برىء من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعنى
كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعنى مائلا عن [illegible]
كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحد ويختتن ويضحى ويستقبل القبلة فى
صلاته وهو أحسن الاديان وأسهلها وأحبها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعنى [illegible]
الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له ۞ قوله عز وجل

(٢) قوله وفيه زيادة قوله الخ غير ظاهر فان لفظ البريسيين الذى جعله زائدا هو المذكور فى هذه الرواية والذى فى شرح
مسلم للنووى ان الرواية المشهورة الاريسيين وفيه الاريسيين بفتح الهمزة وكسر الراء فيهما والاريسيين بكسر الهمزة وتشديد [illegible]
وفى أول صحيح البخارى اليريسيين وفيه كلام آخر فى تفسير هذه الكلمة منه انهم الملوك ولم يذكر أن الملوك تفسير المضموم
لم يذكر مضموم الهمزة وذكر أن اتباع ابن أريس اليهود والنصارى ولم يذكر ابن اردس وبهذا يعلم ما هنا وما هناك اه مصححه

أولى الناس بإبراهيم) يعني أخصهم به وأقربهم منه (للذين اتبعوه) يعني الذين كانوا في زمانه وآمنوا به واتبعوا
شريعته (وهذا النبي) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعني هذه الأمة الإسلامية (والله
ولي المؤمنين) يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي ولاة
من النبيين وإن وليي أبي وخليل ربي إبراهيم ثم قرأ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين أخرجه الترمذي وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن
إسحق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان
من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا إن لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم ثأرا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم
ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط معهما الهدايا الأدم
وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له إن قومنا لك ناصحون
شاكرون ولأصحابك محبون وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب
خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وإنا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى
شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الأمر بعث
إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك أنهم
إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قالا
فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشي مروا هذا
الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو إلى صاحبه فقال
ألا تسمع كيف ٢ يرطنون بحزب الله وما أجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال
عمرو بن العاص ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي
وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وإنما كانت تلك التحية
لنا ونحن نعبد الأوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة
فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله تعالى قال
جعفر أنا قال فتكلم قال إنك ملك من ملوك الأرض من أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا
الظلم وإنما أحب أن أجيب عن أصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا
فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار فإن كنا عبيدا قد أبقنا
من أربابنا فارددنا عليهم فقال النجاشي أعبيد هم أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من
العبودية فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو ولا قطرة قال جعفر سلهما هل
أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي إن كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا قيراط
فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وإياهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا
غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم إلينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال
جعفر أما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذي تحولنا إليه فهو
دين الله الإسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر
تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع إليه كل قسيس وراهب
فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين

أولى الناس بإبراهيم) إن
أخصهم به وأقربهم منه من
الولي وهو القرب (للذين
اتبعوه) في زمانه وبعده
(وهذا النبي) خصوصا
خص بالذكر لخصوصيته
بالفضل والمراد محمد عليه
السلام (والذين آمنوا) من
أمته (والله ولي المؤمنين)
ناصرهم

٢ قوله يرطنون الذي في
كتب اللغة أن الرطانة في
الكلام بالأعجمية وهذا
ليس منه فلم يكن لهذه اللفظة
معنى يفهم على الحقيقة
اه مصححه

يوم القيامة نبياص سلاة اوا ثالم ثم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين قال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وأنزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴿ قوله تعالى (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة ابن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة أي تمنت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر (وما يضلون الا أنفسهم) يعني ان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين (وما يشعرون) يعني ان وبال ذلك يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك الا أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم (يا أهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفرون بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وأنتم تشهدون) يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة وذلك ان أحبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض أظهروا ذلك وشهدوا انه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كان في قلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم ويجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بالقاء الشبهات فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك أنهم تواطؤا على اظهار الاسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وأنه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من التلبيس على الناس (وتكتمون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وأنتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وأنتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب ﴿ قوله عز وجل (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم

(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا أنفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم (وما يشعرون) بذلك (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها (وأنتم تشهدون) تعترفون بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون انها حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) تخلطون الايمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (وتكتمون الحق) نعت محمد عليه السلام (وأنتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب) فيما بينهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أي القرآن (وجه النهار) ظرف أي أوله يعني أظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار (واكفروا آخره) واكفروا به في آخر

آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا أن محمداً ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا
كذبه فإذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا إنهم أهل الكتاب وأعلم به منا فيرجعون
عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك أنه لما صرف إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن
الأشرف لأصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد في أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا إلى
قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون إلى قبلتنا فأطلع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه الآية ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه
وأنشدوا في معناه

من كان مسروراً بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقوله (لعلهم يرجعون) يعني عنه أي إنا ألقينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما
دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا
هذا الإعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك في قلوب بعض من كان في إيمانه ضعف ﴿ قوله تعالى (ولا تؤمنوا
إلا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالأول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا
إلا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم التي أنتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم أي
ردفكم (قل إن الهدى هدى الله) أي إن الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا
فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الأول وهو إخبار عن قول اليهود
بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم
والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وإنزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا
أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في أثناء ذلك قل إن
الهدى هدى الله والمعنى أن الذي أنتم عليه إنما صار ديناً بحكم الله وأمره فإذا أمر بدين آخر وجب اتباعه
والانقياد لحكمه لأنه هو الذي هدى إليه وأمر به وقيل معناه قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله وقد جئتكم
به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى بكسر الألف فيكون قول اليهود
تاماً عند قوله إلا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد إن الهدى هدى الله (أن يؤتى
أحد مثل ما أوتيتم) وتكون أن بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى
(أو يحاجوكم عند ربكم) يعني إلا أن يحاجوكم أي اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم
أي عند فعل ربكم وقيل أو في قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحداً مثل ما أعطيتم يا أمة
محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في
الكلام اختصار تقديره آن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه
ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن
أنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة مرجوع إلى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى أن لأنهما حرفا شرط وجزاء
يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وإن يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد إن الهدى هدى الله
ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر
المؤمنين حسدوكم فقل إن الفضل بيد الله فإن حاجوكم فقل إن الهدى هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر
عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا
عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عز وجل لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا من تبع دينكم

(لعلهم يرجعون) لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله) ولا تؤمنوا متعلق بقوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى الله من شاء هداه حتى أسلم أو ثبت على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وكتمكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله

(قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم أى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر
وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم
ومعنى قوله ان يؤتى لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشئ آخر يعنى ان ما بكم من الحسد والبغى ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من
العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام يعنى أألأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
من الكتاب تحسدونهم
وقوله أو يحاجوكم على
هذا معناه دبرتم ما دبرتم
لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
ولما يتصل به عند كفركم به
من محاجتهم لكم عند ربكم
(والله واسع) أى واسع
الرحمة (عليم) بالمصلحة
(يختص برحمته) بالنبوة
أو بالاسلام (من يشاء والله
ذو الفضل العظيم ومن أهل
الكتاب من ان تأمنه
بقنطار يؤده اليك) هو
عبد الله بن سلام استودعه
رجل من قريش ألفا ومائتى
أوقية ذهبا فاداه اليه (ومنهم
ان تأمنه بدينار لا يؤده
اليك) هو فنحاص بن
عازوراء استودعه رجل من
قريش دينارا ...
وقيل المأمونون على الكثير
النصارى لغلبة الامانة عليهم
والخائنون فى القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم (الا
ما دمت عليه قائما) الا مدة
دوامك عليه يا صاحب الحق
قائما على رأسه ملازما له
يؤده ولا يؤده بكسر الهاء
مشبعة مكى وشامى ونافع
وعلى وحفص واختلس
أبو عمرو فى رواية غيرهم بسكون الهاء (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لا يؤده (بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين وادعوا
سبيل) أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل أى لا يتطرق علينا اثم وذم فى شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من
أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم
فى كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا

ولا تصدقوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم أو يقدروا على
ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا
للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا ﴿﴾ وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعنى قل لهم يا محمد ان
التوفيق للايمان والهداية للاسلام (بيد الله) أى انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه
من يشاء) يعنى الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه
تكذيب لليهود فى قولهم ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليكم وانما
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأصل الفضل فى اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان والفاضل
الزائد على غيره فى خصال الخير (والله واسع) أى ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) أى بمن يتفضل عليه وهو
للفضل أهل (يختص برحمته) يعنى بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء)
يعنى من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى يجعلها
من باب الاختصاص وللفاعل أن يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم) ﴿﴾ قوله
عز وجل (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) الآية
نزلت فى اليهود أخبر الله عز وجل ان فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير
والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام وأصحابه
ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس فى هذه
الآية أودع رجل من قريش عبد الله بن سلام ألفا ومائتى أوقية من ذهب فأداها اليه فذلك قوله تعالى ومن
أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل أهل الامانة هم النصارى وأهل الخيانة هم
اليهود لان مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم فى الدين وأخذ ماله بأى طريق كان (الا ما دمت عليه قائما) قال
ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه يا صاحب
الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل أراد انه ان
أودعته شيأ ثم استرجعته منه فى الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان اخرت استرجاع ما أودعته
أنكره ولم يرده عليك (ذلك) أى سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعنى اليهود (ليس علينا فى
الاميين سبيل) يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج فى أخذ أموال العرب وذلك ان اليهود قالوا أموال
العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقيل
ان اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل انهم
قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب فهو لنا وانما ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا فى أخذها
منهم بأى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا ...
بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم

وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعني اليهود (وهم يعلمون) يعني أنهم كاذبون ثم إنه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) أي ليس الأمر كما قالوا بل عليهم سبيل والمعنى بلى يحرم ذلك عليهم فهو إثبات لما نفوه وحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من أوفى أي ولكن (من أوفى بعهده) أي بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي أنزل عليه وبأداء الأمانة التي ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة إلى الموفي (واتقى) يعني الكفر والخيانة ونقض العهد (فإن الله يحب المتقين) يعني الذين يتقون الشرك (ق) عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وفي رواية إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر ﴿ قوله عز وجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية في أحبار اليهود ورؤسائهم أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب الذين كتموا عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التي كانوا يأخذونها من أتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا إنه ليس علينا في الأميين سبيل وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا أنه من عند الله وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فأنزل الله تصديق ذلك إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الأشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه قلت إنه إذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية وأخرجه الترمذي وأبو داود وقالا إن الخصومة كانت بين الأشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الآية في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه (خ) عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلا أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية وقيل الأقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى إن الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به ومعنى إن الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الأمانة وأيمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من حطام الدنيا وذلك لأن المشتري يأخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعني كلاما يسرهم أو ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) أي ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم

إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من أوفى بعهده واتقى) جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده يرجع إلى الله تعالى أي كل من أوفى بعهد الله واتقاه (فإن الله يحب المتقين) أي يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى من ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء وقيل نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي أهل الكتاب ويجوز أن يرجع الضمير إلى من أوفى أي كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود وأخذ الرشوة على ذلك (إن الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده إلى الله (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب (ولا يكلمهم الله) بما يسرهم (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) نظر رحمة (ولا يزكيهم) ولا يثني عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم

(وان منهم) من أهل الكتاب (لفريقا) هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم (يلوون

ولايزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطي وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله ويقول الله له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والساقي المسبل عما أسفل والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك ﴿ قوله عز وجل (وان منهم) يعني من اليهود (لفريقا) يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (يلوون) أي يعطفون ويميلون وأصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها (ألسنتهم بالكتاب) يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدي ويحتمل أن يكون المعنى يلوون ألسنتهم بالكتاب لانهم يحرفونه الكتاب عما هو عليه ألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون ... أن يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا (لتحسبوه من الكتاب) يعني لتظنوا أن ... ومدلوه من الكتاب الذي أنزله الله على أنبيائه (وما هو من الكتاب) يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعني الذي يقولونه ويغيرونه انما كررهما بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعني كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس فيه ﴿ قوله عز وجل (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك ان أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله هذه الآية ما كان لبشر أي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع أن يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد ... ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل ذلك يمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني قال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الرباني الذي

(ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف واللي الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والضمير في (لتحسبوه) يرجع الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (من الكتاب) أي التوراة (وما هو من الكتاب) وليس هو من التوراة (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم (وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهي السنة أو فصل القضاء (والنبوة ثم يقول) عطف على يؤتيه (للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا ...

المصدرية أي (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل أن تكون متضمنة لمعنى الشرط لتؤمنن سادّ مسدّ جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به (ثم جاءكم) معطوف على آتيتكم والعائد منه إلى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به (رسول مصدق لما معكم) من الكتاب الذي معكم (لتؤمنن به) للرسول (ولتنصرنه) أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما آتيتكم حمزة وما مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل أي أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتيناكم مدني (قال) أي الله (أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) أي قبلتم عهدي وسمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا معكم على ذلك من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الإيمان بالنبي الجائي (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفار (أفغير دين الله يبغون) دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل

محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل إن المراد من الآية أن الأنبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أممهم بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين ۞ قوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها فأما التخفيف في قراءة من قرأ بفتح اللام فمعنى الآية وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لتؤمنن به يعني عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقك لتفعلن لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية وإذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه ۞ وقوله (ثم جاءكم رسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك أن الله وصفه في كتب الأنبياء المتقدمة وشرح فيها أحواله فإذا جاءت صفاته وأحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الإيمان به والانقياد لقوله ولأمره (لتؤمنن به) لأنه القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال البغوي قال الله عز وجل للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والأنبياء فيهم كالمصابيح أخذ عليهم الميثاق في أمر محمد صلى الله عليه وسلم (أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) الآية وقال الإمام فخر الدين الرازي يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على أن الانقياد واجب فإذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فإذا أخبرهم بعد ذلك أن الله أمر الخلق بالإيمان به عرفوا عند ذلك وجوبه فتقرير هذا الدليل في عقولهم هو المراد من الميثاق (قال أأقررتم) يعني قال الله تعالى أأقررتم فإن فسر بأن أخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالإيمان به والنصرة له وإن فسر بأن أخذ الميثاق كان على الأمم كان معناه قال كل نبي لأمته أأقررتم وذلك لأنه تعالى أضاف أخذ الميثاق إلى نفسه وإن كان النبيون أخذوه على الأمم فلذلك طلب هذا الإقرار وأضافه إلى نفسه وإن وقع من الأنبياء والمقصود أن الأنبياء بالغوا في إثبات هذا الميثاق وتأكيده على الأمم وطالبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالإشهاد (وأخذتم على ذلكم إصري) أي عهدي والإصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد (قالوا أقررنا) أي قال النبيون أقررنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا) يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم الذين أخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا وهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا ويدل عليه أن أصل الشهادة العلم والبيان (وأنا معكم من الشاهدين) يعني قال الله لمعشر الأنبياء وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أتباعكم أو قال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم (فمن تولى) أي أعرض عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الإقرار (فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون من الإيمان والطاعة ۞ قوله عز وجل (أفغير دين الله يبغون) وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا وادعى كل فريق منهم أنه على دين إبراهيم عليه السلام فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله

أفغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الإنكار والتوبيخ يعني أفبعد أخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم أن دين إبراهيم هو دين الله الإسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر أي أفغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة رداً على قوله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (وله أسلم) أي خضع وانقاد (من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة وإباء من النفس واختلفوا في معنى قوله طوعاً وكرهاً فقيل أسلم أهل السموات طوعاً وأسلم بعض أهل الأرض طوعاً وبعضهم كرهاً من خوف القتل والسبي وقيل أسلم المؤمن طوعاً وانقاد الكافر كرهاً وقيل هذا في يوم أخذ الميثاق حين قال ألست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعاً ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرهاً وقيل أسلم المؤمن طوعاً فنفعه إسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرهاً عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل إنه لا سبيل لأحد من الخلق إلى الامتناع على الله في مراده فأما المسلم فينقاد لله فيما أمره أو نهاه عنه طوعاً وأما الكافر فينقاد لله كرهاً في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (وإليه ترجعون) قرئ بالتاء والياء والمعنى أن مرجع الخلق كلهم إلى الله يوم القيامة وفيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (قل آمنا بالله) لما ذكر الله عز وجل في الآية المتقدمة أخذ الميثاق على الأنبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقاً لما معهم بين في هذه الآية أن من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقاً لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا بالله لأنه تعالى خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على أنه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى إلى الخلق إلا هو ثم قال آمنا بالله تنبيهاً على أنه حين قال هذا القول وافقه أصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا لا إله غيره ولا رب سواه وإنما قدم الإيمان بالله على غيره لأنه الأصل (وما أنزل علينا) يعني وقل يا محمد وصدقنا أيضاً بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله وإنما قدم ذكر القرآن لأنه أشرف الكتب وأنه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل (وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى) إنما خص هؤلاء الأنبياء بالذكر لأن أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والأسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا أنبياء ثم جمع جميع الأنبياء فقال (والنبيون) أي وما أوتي النبيون (من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته أنه يؤمن بجميع الأنبياء فإن قلت لم عدى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعاً لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر (ونحن له مسلمون) أي موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في عبادتنا ﴿ قوله عز وجل (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) يعني أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام وأن كل دين سواه غير مقبول عنده لأن الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه (وهو في الآخرة من الخاسرين) يعني الذين وقعوا في الخسار

(وله أسلم من في السموات) الملائكة (والأرض) الإنس والجن (طوعاً) بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه (وكرهاً) بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعاً وكرهاً على الحال أي طائعين ومكرهين (وإليه ترجعون) فيجازيكم على الأعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء في الثاني وفتح الجيم أبو عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذا وحد الضمير في قل وجمع في آمنا أو أمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالاً من الله لقدر نبيه وعدى أنزل هنا بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين إذ الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسول فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال صاحب اللباب الخطاب في البقرة للأمة لقوله قولوا فلم يصح إلا إلى لأن الكتب منتهية إلى الأنبياء وإلى أمتهم جميعاً وهنا قال قل وهو خطاب للنبي عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لأن الكتب منزلة عليه لا شركة للأمة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا (وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء (وما أوتي موسى وعيسى والنبيون) ذكر في البقرة وما أوتي موسى ولم يكررها هنا لتقدم ذكر الإيتاء حيث قال لما آتيتكم (من ربهم) من عند ربهم (لا نفرق بين أحد منهم) في الإيمان كما فعلت اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في عبادتنا (ومن يبتغ غير الإسلام) يعني التوحيد وإسلام الوجه لله أو غير دين محمد عليه السلام (ديناً) تمييز (فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة

وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا ﴿ قوله عز وجل (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم) نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الأنصاري وطعمة بن أبيرق وحجوج بن الأسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قوما كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم أي تصديقهم إياه وإقرارهم بما جاء به من عند ربه (وشهدوا أن الرسول حق) يعني وبعد أن أقروا وشهدوا أن محمدا رسول الله إلى خلقه وأنه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي ثبتت النبوة (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم إلى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة إلى الجنة والثواب فإن قلت كيف قال في أول الآية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في آخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لأن قوله كيف يهدي الله قوما كفروا إنما هو مختص بأولئك المرتدين عن الإسلام ثم إنه تعالى عمم ذلك الحكم في آخر الآية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الإسلام والكافر الأصلي وإنما سمي الكافر ظالما لأنه وضع العبادة في غير موضعها (أولئك جزاؤهم) يعني الذين كفروا بعد إيمانهم (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها) أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحرث بن سويد الأنصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية [illegible] بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن إسلامه (وأصلحوا) أي وضموا إلى التوبة الأعمال الصالحة فبين أن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف إليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات (فإن الله غفور رحيم) أي غفور لقبائحهم في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل غفور بإزالة العقاب رحيم بإعطاء الثواب ﴿ قوله عز وجل (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد إيمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد إقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني بإقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في أحد عشر رجلا من أصحاب الحرث بن سويد الذين ار[illegible]

كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم) والواو في (وشهدوا أن الرسول حق) للحال وقد مضمرة أي كفروا وقد شهدوا أو للعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا (و[illegible] الرسول أي محمدا حق أو البينات) أي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي ما داموا مختارين الكفر أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفارا (أولئك) مبتدأ (جزاؤهم) مبتدأ ثان خبره (أن عليهم لعنة الله) وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك (والملائكة والناس أجمعين خالدين) حال من الهاء والميم في عليهم (فيها) في اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح (فإن الله غفور) لكفرهم (رحيم) بهم ونزل في اليهود (إن الذين كفروا) بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت أو نزل في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون (لن تقبل توبتهم) أي إيمانهم عند اليأس لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا

عن[illegible]

عن الاسلام ولما رجع الحرث الى الاسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى أردنا
الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحرث فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام
قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على الكفر ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قلت قد وعد الله
قبول التوبة عمن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال
الحسن وعطاء وقتادة والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال
وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فان الذي يموت على
الكفر لا تقبل توبته كأنه قال ان اليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل
توبتهم وقال ابن عباس هم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال
أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك
غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم
أي مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى قد وعد ان يقبل التوبة من
عباده وانه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور
رحيم علم أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذي لا تقبل التوبة
منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل
مشرك ما أقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم ﴿ وقوله تعالى
(وأولئك هم الضالون) يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل
الحق وأخطؤا منهاجه ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحرث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات
منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام
فالآية عامة في جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا) أي قدر ما يملأ الارض
من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها
وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وتصدق على كفره لم ينفعه ذلك وكذلك
لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من
جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيأ في الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا
قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن الكافر قدر على ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله
في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا ملء
الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (أولئك) اشارة الى من مات
على الكفر (لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض
من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي
شيأ فأبيت الا الشرك لفظ مسلم ﴿ قوله عز وجل (لن تنالوا البر) قال ابن عباس يعني الجنة وقيل
البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما
تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه أي توسع في
طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير
المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان

(وأولئك هم الضالون) ان
الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فلن يقبل من أحدهم
ملء الارض) الفاء في
فلن يقبل يؤذن بأن
الكلام بني على الشرط
والجزاء وان سبب امتناع
قبول الفدية هو الموت
على الكفر وترك الفاء فيما
تقدم يشعر بأن الكلام
مبتدأ وخبر ولا دليل فيه
على التسبب (ذهبا)
تمييز (ولو افتدى به) أي
فلن يقبل من أحدهم فدية
ولو افتدى بملء الارض
ذهبا قال عليه السلام يقال
للكافر يوم القيامة لو كان
لك ملء الارض ذهبا
أكنت مفتديا به فيقول
نعم فيقال له لقد سئلت
أيسر من ذلك قيل الواو
لتأكيد النفي (أولئك
لهم عذاب أليم) مؤلم
(وما لهم من ناصرين)
معينين دافعين للعذاب
(لن تنالوا البر) لن تبلغوا
حقيقة البر أو لن تكونوا
أبرارا أو لن تنالوا بر الله
وهو ثوابه

(حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل في هذه الآية وقال الواسطي الوصول إلى البر بإنفاق بعض المحاب وإلى الرب بالتخلي عن الكونين وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا بري بكم إلا ببركم بإخوانكم الحاصل به الوصول إلى المطلوب بإخراج المحبوب وعن عمر ابن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها قال لأن السكر أحب إلي فأردت أن أنفق مما أحب (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) أي هو عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الأولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أي من أي شيء كان إنفاقه طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه ولما قال اليهود للنبي عليه السلام إنك تدعي أنك على ملة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لإبراهيم ونحن نحله فقالت اليهود إنها لم تزل محرمة في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم (كل الطعام) أي المطعومات التي فيها النزاع دون ما هو حرام قبل ذلك كلمة واحدة (كان حلا لبني إسرائيل) أي حلالا وهو مصدر نعت به يقال حل الشيء حلا ولذا استوى في صفته المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم (إلا ما حرم إسرائيل) يعقوب (على

البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس مسلم فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالأعمال الصالحة حتى تكونوا أبرارا فتدخلوا في زمرة الأبرار ومن قال إن البر هو الجنة قال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدي إلى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعني من خيار أموالكم وأنفسها إليكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو أن تنفق من مال أنت محتاج إليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أفضل فقال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ٧ ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان واختلفوا في هذا الإنفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة يعني لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة أموالكم فعلى هذا القول قيل إن الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد لأنه ترغيب في إخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها جميع الصدقات وقال الحسن كل شيء أنفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فإنه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح أو قال ذلك مال رايح أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه قوله بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء وتكرر للمبالغة وهي مبنية على السكون فإن وصلت خفضت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح أي ذو ربح وفي الرواية الأخرى ذلك مال رايح معناه رائح عليك نفعه وثوابه وبيرحاء اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لأبي طلحة وروي عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فقال عمر إن الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما أعطاني الله تعالى فما كان شيء أحب إلي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال لولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال له سبل كان يحبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك [illegible] وكان زيد وجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال أما إن الله قد قبلها وروي أن أبا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقوله تعالى (وما تنفقوا من شيء) يعني من أي شيء كان من طيب تحبونه أو من خبيث تكرهونه (فإن الله به عليم) أي يعلمه ويجازيكم به ۞ قوله عز وجل (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على

---

٧ قوله ولا تمهل في بعض النسخ ولا تهمل وقوله بعد ألا وقد كان ليس من آخر الحديث فإنه مذكور في غير هذا المحل وقد كان لفلان كذا اهـ مصححه

نفسه من قبل أن تنزل التوراة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل وألبانها وأنت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعني ليس الامر على ما ادعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب و بقيت تلك الحرمة في أولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا و بان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود أنكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم وأخبر أن كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده فقد حصل النسخ و بطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض أنواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها و بطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما أخبر أن ذلك ليس في التوراة علم ان الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل أنواع الطعام أو سائر المطعومات كان حلا أي حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل وألبانها روى الطبري بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روي عن الضحاك أن يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا أن يذبح أحدهم وفي رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال أما اني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فأتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في آخرين أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان رجلا بطشا قويا فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء و يعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقاء أي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق و يخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما أصاب يعقوب ذلك

لنفسه من قبل أن تنزل التوراة) و بالتخفيف مكي و بصري وهو لحوم الابل وألبانها وكانا أحب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل وألبانها لتحريم اسرائيل ذلك على نفسه

(قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه ان ذلك كان محرما في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام (من بعد ذلك) من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة (فأولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون الى البينات (قل صدق الله) في اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أي ثبت ان الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهي ملة الاسلام التي عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لابراهيم ولمن تبعه (حنيفا) حال من ابراهيم أي مائلا عن الاديان الباطلة (وما كان من المشركين) ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (ان أول بيت وضع للناس) والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان أول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة قيل أول من بناه ابراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الارض وقوله وضع للناس في موضع جر صفة لبيت والخبر (للذي ببكة) أي للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها [illegible]

وصف له الاطباء أن يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسأل ربه أن يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراما على بني اسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل أنواع الطعام حلالا لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا آكله ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى أن قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا أو صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شئ من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على أنفسهم اتباعا لأبيهم ثم أضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فأتوا بالتوراة) يعني قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة (فاتلوها) أي فاقرؤها وما فيها حتى يتبين أن الأمر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعني فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى (فمن افترى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد وأصله من فري الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة في الوجود (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الحجة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله (فأولئك هم الظالمون) أي هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم فيما نعي عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التي كانوا يرتكبونها (قل صدق الله) يعني قل صدق الله يا محمد فيما أخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل وأولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل وألبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب تحريم اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في ان سائر الاطعمة كانت محللة على بني اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى [illegible] أنزل وأخبر وأنتم كاذبون يا معشر اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) أي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لأنها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) أي لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه قوله عز وجل (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وأرض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم أ[illegible] تعالى وأخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة فاتبعوا [illegible]

فاسعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر فى هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج وقوله ان أول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشئ الذى يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه شئ آخر أو لم يحصل والمعنى ان أول بيت وضع للناس أى وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج والطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعنى يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف أضافه الى نفسه مرة فى قوله وطهر بيتى وأضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله وأما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذى ببكة قيل هى مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفى اشتقاق بكة وجهان أحدهما انه من البك الذى هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها أى يزدحمون فى الطواف وهو قول محمد بن على الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثانى سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب أى تزيلها وسميت مكة أم رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها أو لان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت أم القرى لانها أصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء فى كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين أحدهما انه أول فى الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارضين وفى رواية عنه أن الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بألفى عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدى وقيل هو أول بيت بنى على الارض وروى عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين فى الارض أن يبنوا بيتا فى الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت ٣ واسمه الضراح وأمر من فى الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وقال ابن عباس هو أول بيت بناه آدم فى الارض قيل ان آدم لما أهبط الى الارض استوحش وشكا الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقى ذلك البناء الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقى موضع البيت أكمة بيضاء الى أن بعث الله ابراهيم عليه السلام فأمره ببنائه القول الثانى أن المراد من الاولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى أن رجلا قام الى على بن أبى طالب فقال ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع فى الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس يحج اليه وأول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل زاد البخارى فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعنى ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير

أو لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله (مباركا) كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيئات

٣ قوله واسمه الضراح الذى فى القاموس ان الضراح البيت المعمور فى السماء الرابعة اه مصححه

(وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ومار كا وهدى حالان من الضمير في وضع (فيه آيات بينات) علامات واضحات لا تلتبس على أ
(مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قد
الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد أو لاشتماله على آيات لان أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى
الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاءه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على أن (ومن دخله كان
آمنا) عطف بيان لآيات وان كان جملة ابتدائية أو شرطية من حيث المعنى لانه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم
وأمن داخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على

الآيات كأنه قيل فيه آيات
بينات مقام ابراهيم وأمن
داخله وكثير سواهما نحو
انمحاق الاحجار مع كثرة
الرماة وامتناع الطير من
العلو عليه وغير ذلك
ونحوه في طي الذكر قوله
عليه السلام حبب الي من
دنياكم ثلاث الطيب
والنساء وقرة عيني في الصلاة
فقرة عيني ليس من
بل هو ابتداء كلام لانها
ليست من الدنيا والثالث
مطوي وكأنه عليه السلام
ترك ذكر الثالث تنبيها
على أنه لم يكن من شأنه
أن يذكر شيأ من الدنيا
فذكر شيأ هو من الدين
وقيل في سبب هذا الاثر أنه
لما ارتفع بنيان الكعبة
وضعف ابراهيم عليه السلام
عن رفع الحجارة قام على
هذا الحجر فغاصت فيه قدماه
وقيل انه جاء زائرا من
الشام الى مكة فقالت له

امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع
قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه وأمان من دخله بدعوة ابراهيم
عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت
الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل في الحل بقود أو ردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم و
ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار لقوله عليه السلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه
السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار

الاجر فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تضاعف ويزيد
ثوابها عنده (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من أ
صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وهدى للعالمين) يعني انه قبلة المؤمنين يهتدون به الى جهة
صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى
للعالمين الى الجنة لان من قصده وصلى اليه أو حجه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته ۞ قوله تعالى (فيه
آيات بينات) أي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الآيات فقيل هي
قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها ان
الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل ينصرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا تؤذي بعضها
في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها
تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا أهلكه الله كما أهلك أصحاب الفيل وغيرهم
ومن الآيات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الآيات ومنها أن
الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل والمساعد في بنائه هو
اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت ۞ قوله تعالى (مقام ابراهيم) يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند
بناء البيت وكان فيه أثر قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي (ومن دخله كان آمنا) قيل لما
لآيات المذكورة عقيب قوله ان أول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم أن المراد بقوله ومن
دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه أيضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعني من أن
يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم أمن من القتل
والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا
وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فأمنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب أبو حنيفة الى أن من
وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا فالتجأ الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص أو الحد في الحرم
لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم
وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفي منه في الحرم وأجمعوا على
أنه لو قتل في الحرم أو سرق أو زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الآية ومن د
معظما له متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب

أنى لكم تنسبها قبل ذلك ﴿ قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) أي ولله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى الله عليه وسلم الحج من أركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

(فصل) في فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم أي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني آدم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمر موقوفا (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن أبي سعيد الخدري ان النبي عليه السلام قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا وقال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذي هذا حديث غريب

﴿فصل﴾ في أحكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل أو حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا بغيره فأما المستطيع

منه جهنم مسيرة مائتي عام (ولله على الناس حج البيت) أي استقر له عليهم فرض الحج حج البيت بكسر الحاء غير أبي بكر وهو اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان في مصدر حج (من) في موضع جر على أنه بدل البعض من الكل (استطاع اليه سبيلا) فسره النبي عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير في اليه للبيت أو للحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيل اليه ولما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل

بنفسه فهو أن يكون قويا قادرا على المشي ويجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وإن المرفوع ما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان نستثني من ظاهر الآية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل بأي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان أحدهما أن يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا أمره أن يحج عنه أو قادر على مال يجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج أما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ويجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ويجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله أو أخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط أن تكون منازل المياه مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق أهلها لجدب أو غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي أو لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك وأما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا أو به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده أو أجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من أوجب الحج ببذل الطاعة ما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع أخرجه في الصحيحين ۞ قوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) يعني ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من أصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به

(ومن كفر) أي جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز أن يكون من الكفران أي ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج (فان الله غني عن العالمين) مستغن عنهم وعن طاعتهم وفي هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد منها اللام وعلى أي انه حق واجب لله في رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ولان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه

فنزلت

درات ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل انه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فان الله غنى عن العالمين ﴿ قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعنى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق ومعنى لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) أى والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) يعنى لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم (تبغونها عوجا) يعنى زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء فى الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشئ الذى يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء فى قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل فى سبيل الله بالقاء الشبه فى قلوب الضعفاء (وأنتم شهداء) قال ابن عباس يعنى وأنتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب فى التوراة وان دين الله الذى لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات التى تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة فى قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس اليهودى وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين بنفر من الاوس والخزرج وهم فى مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما أوس بن قيظى أحد بنى حارثة من الاوس وجبار ابن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا فقال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رأيت يوما أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يعنى شاسا اليهودى وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر يوجب الهلاك فى الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفى الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف

(قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) الواو للحال والمعنى لم تكفرون آيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال ان الله شهيد على أعمالكم ومجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) الصد المنع (عن سبيل الله من آمن) عن دين حق علم انه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون من أراد الدخول فيه بجهدهم وبحل (تبغونها) تطلبون لها حب على الحال (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك (وأنتم شهداء) انها سبيل الله التى لا يصد عنها الا ضال مضل (وما الله بغافل عما تعملون) من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قيل مر شاس بن قيس اليهودى على نفر من الانصار من الاوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتألفهم فأمر شابا من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبى عليه السلام فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وألف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية (وكيف

تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) كلمة كيف كلمة تعجب والتعجب إنما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لأن تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا فحالا وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم إلى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم أما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد ابن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى (ومن يعتصم بالله) أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجاء إلى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم (فقد هدي إلى صراط مستقيم) أي إلى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي إلى الجنة ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما أنه منسوخ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني أنها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس ووجه هذا الاختلاف يرجع إلى معنى الآية فمن قال إنها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه وهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال إنها محكمة قال إن حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقى وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لأن التكليف في تلك الحالة مرفوع عنه وكذلك قوله وأن يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أنعم الله به عليه بالبال وأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وأن يذكر فلا ينسى فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الأمر بالإقامة على الإ

تكفرون) معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب أي من أين يتطرق إليكم الكفر (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية (وفيكم رسوله) وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه أو بكتابه أو هو حث لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدي إلى صراط مستقيم) أرشد إلى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أو هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم

المعنى كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الإسلام
المعنى لا تتركوا الإسلام فإن الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وأنتم على الإسلام لأنه لما كان تمكنهم من الثبات
على الإسلام حتى إذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الإسلام صار الموت على الإسلام بمنزلة ما قد دخل في إمكانهم
وقيل معناه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون إلى الله أموركم محسنون الظن به عز وجل عن
ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن تكون
طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ۞ قوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا) أي تمسكوا
بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية وسمي الإيمان حبلا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال
الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي يتوصل إليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس
معناه تمسكوا بدين الله لأنه سبب يوصل إليه وقيل حبل الله هو القرآن لأنه أيضا سبب يوصل إليه أفراد
مسلم من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب
الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به
ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما
تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا)
يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا كما كنتم متفرقين في الجاهلية مدابرين يعادي
بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي
أنتم عليها فيه النهي عن التفرق والاختلاف والأمر بالاتفاق والاجتماع لأن الحق لا يكون إلا واحدا
وما عداه يكون جهلا وضلالا وإذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لأن كل
ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا
بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال ۞ قوله
تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) قال محمد بن إسحاق
وغيره من أهل الأخبار كان الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل ثم تطاولت تلك
العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وسبب ذلك أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده
ونسبه قدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له حين
سمع به ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام فقال له سويد لعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعرضها علي فعرضها عليه فقال إن هذا الكلام حسن ومعي أفضل من هذا قرآن أنزله الله عز وجل علي
نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال إن هذا القول حسن ثم انصرف إلى المدينة
فلم يلبث أن قتله الخزرج يوم بعاث وإن قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحيسر أنس بن رافع ومعه
فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس إليهم وقال لهم هل لكم إلى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال أنا
رسول الله بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى أن لا يشركوا بالله شيئا وأنزل علي الكتاب ثم ذكر الإسلام

الموت (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم (جميعا) حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا بإجماع الأمة دليله (ولا تفرقوا) أي ولا تتفرقوا عنه ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) كانوا في الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألف بين قلوبهم بالإسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا إخوانا

وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فأخذ أبو الحيسر
حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن
معاذ أن هلك فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل
موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث
وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلانى وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله
رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى اليهود
قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا
عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم
وهم أهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم
معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم
لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا
انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم
الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين
الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم
فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم
من الانصار اثنا عشر رجلا وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلانى وذكوان
ابن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء
خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف الآية فان وفيتم فلكم الجنة
وان غشيتم شيأ من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فأمركم الى الله عز وجل ان شاء
عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير
ابن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى
بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط
بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين
الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد
ابن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما مشركان فأخذ أسيد بن
حضير حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسان فى الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه
قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان
ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما فى أنفسكما حاجة قال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان
كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه
القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف
تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين

فقام واغتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه
أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في
ناديهم فلما نظر سعد الى أسيد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما
وقف أسيد على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل
الا ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك
ليحقروك فقام سعد مغضبا للذي ذكر من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغنيت شيأ
فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا انما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال
لأسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال أسعد
لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك أحد منهم فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا
ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه
مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام في وجهه قبل أن يتكلم من اشراق وجهه وتسهله
ثم قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي
ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل عامدا الى نادي
قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من
عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة
قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار بني عبد الاشهل
رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل أسعد فأقام عنده يدعو
الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار
أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه
ويطيعونه فوقفهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد
والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج
قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق
وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين
من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما
أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فأسلم فأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا
ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة احدى نساء بني النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي
أم منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه
العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما
جلسنا أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من
الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو
في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما
دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج

اليكم فى الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله وخذ لنفسك ولربك
ماشئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم
قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال
والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة
ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال
يارسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعنى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرك الله
أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم منى
وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر
نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فأخرجوا اثنى عشر نقيبا تسعة من
الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم
تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه
فمن الآن فهو والله خزى فى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال
وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا
بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده
البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة
بأنفذ صوت ماسمعته قط ياأهل الجباجب هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا أزب العقبة يعنى شيطان العقبة اسمع أى عدو الله اما والله لافرغن
لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق
لئن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى
رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى
منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا
وانه والله ما حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركى
قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم
الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان جديدان قال فقلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم
بها فيما قالوا ياجابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها
الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الى وقال والله لتنتعلنهما قال أبو جابر مه والله أحفظت الفتى فاردد اليه
نعليه قال فقلت لا أردهما قال والله ياصالح لئن صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد
شدوا العقد فلما قدموها أظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها فأمرهم بالهجرة
الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى ثم عامر
ابن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح
بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا يعنى يامعشر الانصار نعمة الله عليكم يعنى
بالاسلام اذ كنتم أعداء يعنى قبل الاسلام فألف بين قلوبكم يعنى بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام

(وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فأنقذكم منها) بالاسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وأنث لاضافته الى الحفرة

فأصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يا معشر الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعني على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع في النار الا أن تموتوا على كفركم (فأنقذكم منها) أي خلصكم بالايمان من الوقوع في النار (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ۞ قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام في قوله ولتكن لام الامر أي لتكن منكم أمة دعاة الى الخير وقيل ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل أوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الامة في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن ادخال لفظة من في قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا والخير المذكور في الآية هو كل شيء يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية على الاسلام والمعنى لتكن أمة أي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس أولا وهو الخير ثم أتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره ۞ قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد والتأكيد كرر للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال أبو أمامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا بعد

وشفا الحفرة حرفها ولامها واو فإذا ثني شفوان (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته) أي القرآن الذي فيه أمر ونهي ووعد ووعيد (لعلكم تهتدون) لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) بما استحسنه الشرع والعقل (وينهون عن المنكر) عما استقبحه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصي والدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له الا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته فانه يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا أو للتبيين أي وكونوا أمة يأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك هم المفلحون) أي هم الاخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) بالعداوة (واختلفوا) في الديانة وهم اليهود والنصارى فانهم اختلفوا وكفر

ايمانهم ثم أخذ بيدى وقال ان بارض منهم كثيرا وفى رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله أكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذى عن أبى غالب قال رأى أبو أمامة رؤساء منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابى أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال حديث حسن ﴿ وقوله تعالى (من بعد ما جاءهم البينات) يعنى الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل فى التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (وأولئك لهم عذاب عظيم) يعنى لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم فى الآخرة وفيه زجر للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا خلع ربقة الاسلام من عنقه أخرجه أبو داود أراد بربقة الاسلام عقد الاسلام وأصله ان الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها الغنم الواحد من العرا ربقة وروى البغوى بسنده عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد ﴿ قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعنى اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفى بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعنى من السرور والفرح وان ناله مكروه اسود وجهه وارْبَدّ لونه من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعنى من الحزن فعلى هذا ابياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان المؤمن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنار وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله وأما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيآت حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكدورته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثانى بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل فى الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة فى بياض الوجوه وسوادها ان أهل الموقف اذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من أهل السعادة واذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من أهل الشقاوة (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال أكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء فى ذلك فروى عن أبى ابن كعب انه قال أراد به الايمان يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر فى الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا أهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فأقول أى رب أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك (ق) عن

بعضهم بعضا (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق (وأولئك لهم عذاب عظيم) ونصب (يوم تبيض وجوه) أى وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم أو بعظيم أو باذكروا (وتسود وجوه) أى وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة (فأما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بعد ايمانكم) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبى وهو الظاهر أو هم المرتدون أو المنافقون أى أكفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا أو أهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا
دوني فلأقولن أي رب أصحابي أصحابي فيقال لي لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقاً لمن بدل
بعدي (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال
من أمتي فيحلؤون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على
أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وقاتلهم وهم الحرورية (م) عن
زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي لما ساروا إلى الخوارج فقال علي أيها الناس إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا
صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز
صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤون القرآن
لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم
أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً قال سمعته يقول وأهوى بيده إلى العراق يخرج منهم قوم يقرؤون
القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والأهواء من هذه
الأمة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد إيمانهم هو خروجهم من الجماعة
ومفارقتهم في الاعتقاد (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال فتناً
كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا
وقال الحرث الأعور سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول على المنبر إن الرجل ليخرج من أهله فما
يؤوب إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به الجنة وإن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملاً
يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة ۞ وقوله
تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففي رحمة الله) يعني في جنة الله
وإنما سميت الجنة رحمة لأنها دار رحمة وفيه إشارة إلى أن العبد وإن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله
له (هم فيها خالدون) قيل إنما كرر كلمة في لأن في كل واحدة منهن معنى غير الأخرى المعنى أنهم في رحمة الله
وأنهم في الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت (نتلوها عليك بالحق)
أي بالمعنى الحق لأن المتلو حق (وما الله يريد ظلماً للعالمين) يعني لا يعاقب أحداً بغير جرم واستحقاق للعقوبة
وإنما ذكر الظلم هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما الذين اسودت وجوههم إلى قوله فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون أخبر أنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحداً من خلقه
(ولله ما في السموات وما في الأرض) لما ذكر الله أنه لا يريد ظلماً للعالمين لأنه لا حاجة به إلى الظلم وذلك أن
الظالم إنما يظلم غيره ليزداد مالاً أو عزاً أو سلطاناً أو يتم نقصاً فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنياً
عن ذلك وله صفة الكمال أخبر أن له ما في السموات وما في الأرض وأن جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده
وإذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحداً من خلقه لأنهم عبيده وفي قبضته ثم
قال (وإلى الله ترجع الأمور) يعني وإليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي
الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحداً منهم ۞ قوله عز وجل (كنتم خير أمة) سبب نزول هذه
الآية أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل
وسالم مولى حذيفة نحن أفضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعونا إليه فأنزل الله هذه الآية واختلف
في معنى كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا

(وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) ففي نعمته وهي الثواب المخلد ثم استأنف فقال (هم فيها خالدون) لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وما الله يريد ظلماً للعالمين) أي يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحداً بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن (ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور) فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ترجع شامي وحمزة وعلي كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة أو كنتم في علم الله أو في اللوح خير أمة أو كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به

مانسبة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفوراً
رحيماً فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية
خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم منذ أنتم خير أمة وقيل
قوله خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في الدنيا
خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقد
يحتمل أن يكون كان بمعنى صار بمعنى قوله كنتم أي صرتم خير أمة فأما المخاطبون بهذا من
قال ابن عباس في قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن
عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال أنتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال
الضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني انهم كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل
المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران ولا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم ان بعدهم قوماً يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون
ولا يستحلفون (ق) عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين
ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني أصحابي
والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم
وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا
نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج
قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره
قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه
عام في حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في
قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن وأصل الامة الجماعة المجتمعة على الشيء وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم
الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد
أبى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى
على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار أخرجه الترمذي عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل و
أخرجه أبو داود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي كمثل المطر لا يدرى آخره خير أم
أخرجه الترمذي وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف
ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع الجواد ثلاثاً ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى
تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي سألت محمداً يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال تخالد بن أبي بكر
مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس في سائر الابواب عن أبي سعيد الخدري

[illegible]

يجمعهم الاقدام والالباس ديجو الكرم فيه (بالمعروف) بالايمان وطاعة الرسول (٢٨٩) (وتنهون عن المنكر) عن الكفر وكل

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذي (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً وسبعمائة ألف متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي أخرجه الترمذي وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي ۞ وقوله تعالى (أخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت (خ) عن أبي هريرة قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك (وتؤمنون بالله) أي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم أن يكون مقدماً على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله أمر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولاً فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان ۞ وقوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به (لكان خيراً لهم) يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعني من أهل الكتاب (المؤمنون) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من النصارى (وأكثرهم الفاسقون) أي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلاً في دينه وهؤلاء كفرهم فاسقون ۞ قوله عز وجل (لن يضروكم الا أذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لاسلامهم فأنزل الله تعالى لن يضروكم الا أذى يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الا أذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديد أو القاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) يعني منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فأعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون أن يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت

مجاور (وتؤمنون بالله) وتدومون على الايمان به أو لأن أو لا تقتضي الترتيب (ولو آمن أهل الكتاب) بمحمد عليه السلام (لكان خيراً لهم) لكان الايمان خيراً لهم مما هم به لانهم انما آثروا دينهم عن دين الاسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيراً لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الايمان به من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله ابن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون في الكفر (لن يضروكم الا أذى) الا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكن لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم اذ لو كان معطوفاً عليه لقيل ثم لا ينصروا

وانما استؤنف ليؤذن ان الله لا ينصرهم قاتلوا أو لم يقاتلوا وتقدير الكلام أخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم انهم لا ينصرون وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار (ضربت) الزمت

(عليهم الذلة) أي على اليهود (أينما ثقفوا) وجدوا (إلا بحبل من الله) في محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره
أو متمسكين بحبل من الله (وحبل من الناس) والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال إلا في حال
اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) الفقر عقوبة لهم على قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء أو خوف الفقر مع قيام اليسار (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق) ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ثم قال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده (ليسوا سواء) ليس أهل الكتاب مستوين (من أهل الكتاب) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة (أمة قائمة) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام أي
استقام وهم الذين أسلموا منهم (يتلون آيات الله) القرآن (آناء الليل) ساعاته واحدها إنى كمعى أو أنو كقنو أو إنى كنحى (وهم يسجدون) يصلون وقيل يريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن القرآن في ساعات الليل مع السجود

عليهم الذلة) يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به والمراد بالذلة قتلهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لأنها ذلة وصغار وقيل ذلتهم أنك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد (أينما ثقفوا) أي حيثما وجدوا وصودفوا (إلا بحبل من الله) يعني إلا بعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة (وحبل من الناس) يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وإنما سمي العهد حبلا لأنه سبب يوصل إلى الأمن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى أنهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لأن الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على أنها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على أن المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو أن اليهودي يظهر من نفسه الفقر وإن كان غنيا موسرا (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأنهم) أي بسبب أنهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل ۞ قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم إلا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى ليسوا سواء قولان أحدهما أنه كلام تام يوقف عليه والمعنى أن أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوي اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم بأمر الله الثابتة على الحق والقول الثاني أن قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه ۞ (من أهل الكتاب أمة قائمة) فيه اختصار وإضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الأمة الأخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب أن ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الآخر قال أبو ذؤيب

دعاني إليها القلب إني لأمره ۞ مطيع فلا أدري أرشد طلابها

أراد أم غير فاكتفى بذكر أحد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة إلى إضمار الأمة المذمومة لأنه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق فأعلم الله أن منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا إلى أن نقول وأمة غير قائمة وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال ابن عباس قائمة أي قائمة على أمر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة أي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة في الصلاة (يتلون آيات الله) أي يقرؤن كتاب الله عز وجل (آناء الليل) يعني ساعاته (وهم يسجدون) يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لأن التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي الصلاة بالليل وقيل هي صلاة العشاء لأن اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل أنه أراد بالسجود الخضوع والخشوع لأن العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطاء في قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يريد أربعين رجلا

(يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف) بالإيمان وسائر أبواب البر (وينهون عن المنكر) عن الكفر
(ويسارعون في الخيرات) يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون (٢٩١) في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة تالون
مؤمنون ووصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في القيام به (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من الصالحين) من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو مخير غيرهم بالتاء وعدي يكفر الى مفعولين وان كان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أي فلن تحرموا جزاءه (والله عليم بالمتقين)
بشارة للمتقين بجزيل الثواب (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أي من عذاب الله (وأولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) في المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما يتقربون به الى الله مع

رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الأنصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لأن إيمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع أنبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعني غير مداهنين كمداهنة اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعني بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب في أمر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى (وأولئك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) أي من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لأن الصلاح ضد الفساد فإذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له أعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى وأولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين ۞ قوله عز وجل (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرئ بالياء لأن الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني أهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه لكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فأخبر الله تعالى أنهم فازوا بالدرجات العلى وما عملوه من خير يجازون به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو أهل الكتاب أيضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير أيها المؤمنون فلن تكفروه أي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه أو تمنعوه بل يشكر لكم ويجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا أهل الايمان والتقوى ۞ قوله عز وجل (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الأموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والأموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم أموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان أبا جهل كان كثير الافتخار بالأموال وأنفق أبو سفيان مالا كثيرا يوم بدر وأحد على المشركين وقيل ان الآية عامة في جميع الكفار لأن اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغني أي لن تدفع عنهم أموالهم بالفدية ولا أولادهم بالنصرة من عذاب الله ولا أولادهم بالنصرة وانما خص الأموال والأولاد بالذكر لأن الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالأولاد فأعلم الله تعالى ان الكافر لا يغني شيء من ذلك في الآخرة ولا يخلصه من عذاب الله وهو قوله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ولا يفارقونها ۞ قوله عز وجل (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) قيل أراد نفقة أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل أراد نفقات جميع الكفار

وصدقاتهم في الدنيا وقيل أراد نفقة المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لأن انفاقهم إما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فإن كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر في الآخرة في حق المسلم فضلاً عن الكافر وإن كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق أو يعمل أعمال البر فإن كان كافراً فإن الكفر محبط أعمال البر فلا ينتفع بما أنفق في الدنيا لأجل الآخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد بما أنفق وجه الله فإنه لا ينتفع بنفقته في الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلاً فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين وأهل اللغة أن الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني أن الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الأنباري من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لأنها سواء كان فيها برد فهي مهلكة أو حر فهي مهلكة أيضاً (أصابت) يعني الريح التي فيها صر (حرث قوم) أي زرع قوم (ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه (فأهلكته) يعني فأهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقة الكفار في ذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفعوا به

فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا إبطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين فعلى هذا زال الإشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة المقصود من الجملتين وبين أجزاء كل واحدة منهما فإن جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان أن يكون التقدير مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لم يبق منه شيء وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعني بأن لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) يعني أنهم فاستحقوا عقابه فأبطل نفقاتهم وأهلك حرثهم وقيل ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله عز وجل فنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول أن الآيات المتقدمة في ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون إليهم الأسرار ويطلعونهم على الأحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول أن الله ذكر في سياق هذه الآية وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد به جميع أصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لأن الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهياً عن جميع الكفار والبطانة الرجل المطلع على سر واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلاناً إذا اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل أن الذي يخصه الإنسان بمزيد القرب يسمى بطانة لأنه يستبطن أمره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والمعنى لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين أي لا تتخذوا بطانة من دون أهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا أولياء ولا أصفياء من غير أهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى (لا يألونكم خبالاً) يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لأن أصل الخبال الفساد الذي يلحق الإنسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ما عنتم) أي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من

كفرهم (كمثل ريح) بكمثل مهلك ريح وهو الحرث أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح (فيها صر) برد شديد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مبتدأ وخبر في موضع جر صفة لريح مثل (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر (فأهلكته) عقوبة على كفرهم (وما ظلمهم الله) بإهلاك حرثهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة أو يكون الضمير للمنافقين أي وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول ونزل نهياً للمؤمنين عن مصافاة المنافقين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وفي الحديث الأنصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالاً) في موضع النصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون في فساد دينكم يقال ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالاً على التمييز أو على حذف في أي في خبالكم (ودوا ما عنتم) أي عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله

(قد بدت البغضاء من أفواههم) لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم ان ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفى صدورهم) من البغض لكم (أكبر) مما بدا (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم (ها أنتم أولاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاة منافقى أهل الكتاب (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء أو أولاء موصول صلته تحبونهم والواو فى (وتؤمنون بالكتاب كله) للحال وانتصابها من لا يحبونكم أى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم وقيل الكتاب للجنس (واذا لقوكم قالوا آمنا) أظهروا كلمة التوحيد (واذا خلوا) فارقوكم وخلا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد زيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى (ان الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم ما فى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل فى جملة المقول أى أخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيأ من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى اياك على ما يسرون فانى أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم (ان تمسسكم حسنة) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة (تسؤهم) تحزنهم اصابتها (وان تصبكم سيئة) اضداد ماذكر والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة (يفرحوا بها) باصابتها (وان تصبروا) على عداوتهم

وتكثر الهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) أى ظهرت العداوة من أفواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على أسرار المؤمنين (وما تخفى صدورهم) يعنى من العداوة والغيظ (أكبر) أى أعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعنى الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) يعنى ما بين لكم فتعملون به ﴿ قوله تعالى (ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار اليهم فى قوله (تحبونهم) والمعنى أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولا يحبونكم) يعنى اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة فى الدين وقيل تحبونهم يعنى تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الايمان وأنتم لا تعلمون ما فى قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت فى قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم أسراركم ولا يحبونكم أى لا يفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعنى وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم فى أيدى الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعنى ان الذين وصفهم فى الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) أى خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) الانامل جمع أنملة وهى طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض أظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يديه من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى به الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه وهى لكونها حالة فى القلب منتسبة اليه كنى عنها بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما حصل فى قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عالم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه فى قلوبهم ﴿ قوله عز وجل (ان تمسسكم) أى تصبكم أيها المؤمنون وأصل المس باليد ثم سمى كل ما يصل الى الشئ ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب أى أصابه (حسنة) المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معايشكم (تسؤهم) أى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) أى مساءة من اخفاق سرية لكم أو اصابة عدو منكم أو اختلاف يقع بينكم أو جدب ونكبة ومكروه يصيبكم (يفرحوا بها) أى بما أصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعنى على أذاهم وقيل ان

تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة (وتتقوا) أي تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا
عليه (لا يضركم) أي لا ينقصكم (كيدهم) أي عداوتهم ومكرهم (شيئاً) أي لأنكم في عناية الله وحفظه
(إن الله بما يعملون) قرئ بالياء على الغيبة والمعنى أنه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيعاقبهم
عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى أنه عالم بما تعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم
عليه (محيط) أي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شيء منه ﴿ قوله عز وجل (وإذ غدوت من أهلك
تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين إن هذا كان في يوم أحد وهو قول عبد الرحمن بن
عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن إسحق وقال الحسن ومجاهد
ومقاتل إنه يوم الأحزاب ونقل عن الحسن أيضاً أنه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الأول أصح لقوله
إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبي والواقدي
غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة يمشي على رجليه إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال
كما يقوم القدح قال محمد بن إسحق والسدي عن رجالهما إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها
فاستشاره فقال عبد الله بن أبي وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها
إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا
بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا
رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض أصحابه يا رسول الله اخرج بنا إلى
هذه الأكلب لئلا يروا أنا جبنا عنهم وضعفنا عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني قد رأيت في
منامي بقراً فأولتها خيراً ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولتها هزيمة ورأيت أني أدخلت يدي في درع
حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر وإن دخلوا علينا المدينة قاتلناهم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الأزقة فقال رجال من المسلمين
ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم من حبهم لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لأمته فلما رأوه قد لبس
السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا إليه
وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى
يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد
ما صلى بأصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فصلى عليه ثم خرج إليهم فأصبح بالشعب
من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره
وأصحابه إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فإذا عاينوكم ولوا الأدبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا
من هذا المقام ولما بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبد الله بن أبي ابن سلول شق عليه وقال
لأصحابه أطاع الولدان وعصاني ثم قال لأصحابه إن محمداً إنما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه أن أعداءهم
إذا عاينوهم انهزموا فإذا رأيتم أعداءهم فانهزموا أنتم فيتبعوكم فيصير الأمر إلى خلاف ما قاله محمد
فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين ألفاً والمشركون ثلاثة آلاف انخذل عبد الله بن أبي ابن سلول
بثلثمائة من أصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من أصحابه فقواهم الله
تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في أن تكون

(وتتقوا) أي تخافوا عنهم موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه (لا يضركم كيدهم شيئاً) مكرهم وكنتم في حفظ الله وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك لا يضركم مكي وبصري ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لأنه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغي أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم إلا أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد يا هذا (إن الله بما تعملون) بالتاء سهل أي من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) فاعل بكم ما أنتم أهله وبالياء غيره أي أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه (وإذ غدوت من أهلك) واذكر يا محمد إذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة والمراد غدوه من حجرة عائشة رضي الله عنها إلى أحد (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وهو حال (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال يتعلق بتبوئ

بكر تعة بدر فعلموا المدبرين وعلموا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله أن يقطعهم عن هذا العمل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا أن ظفرهم يوم بدر إنما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم إن الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فهزموا المسلمين وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من أمر غزوة أحد ما كان وذلك قوله تعالى وإذ غدوت من أهلك أي واذكر إذ غدوت من أهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من أهلك فنص الله تعالى على أنها من أهله تبوئ المؤمنين أي تنزل المؤمنين مقاعد للقتال أي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ معسكرا للقتال (والله سميع) يعني لأقوالكم (عليم) بنياتكم وما في ضمائركم ۞ قوله عز وجل (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) أي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانا جناحي العسكر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم أبو جابر السلمي وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن أبي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا (والله وليهما) أي ناصرهما وحافظهما ومتولي أمرهما بالتوفيق والعصمة فإن قلت الهم العزم على فعل الشيء والآية تدل على أن الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس وإذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس إنهم أضمروا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق) عن جابر قال نزلت فينا إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما وجه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة أن الله وليهم وأن تلك الهمة لم تخرجهم من ولاية الله تعالى ۞ وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل من وكل أمره إلى غيره إذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به والتوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الأمر إلى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلوا إلا عليه وأن لا يفوضوا أمورهم إلا إليه ۞ قوله عز وجل (ولقد نصركم الله ببدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر (وأنتم أذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فإن المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك

(والله سميع عليم) سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي فاستشاره فقال أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط إلا أصاب منا وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم فقال عليه السلام إني رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلمة فأولتها هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فلم يزل به قوم يشتعلون في الشهادة حتى لبس لأمته ثم ندموا فقالوا الأمر إليك يا رسول الله فقال عليه السلام لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال (إذ همت) بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم (طائفتان منكم) حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكان عليه السلام خرج إلى أحد في ألف والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله (أن تفشلا) أي بأن تفشلا أي بأن تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور (والله وليهما) محبهما أو ناصرهما أو متولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه قال جابر والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به لأخبرنا الله بأنه ولينا ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة فقال (ولقد نصركم الله ببدر) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به أو ذكر بدر ليعد أحد للجمع بين الصبر والشكر (وأنتم أذلة) لقلة العدد فإنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل والعدد فإنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا

(فاتقوا الله) في الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر (إذ) ظرف لنصركم على أن تقول لهم ذلك يوم بدر أي نصركم الله وقت مقالتكم هذه أو بدل ثان من إذ غدوت على أن تقول لهم ذلك يوم أحد (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) منزلين شامي منزلين أبو حيوة أي للنصرة ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر (بلى) إيجاب لما بعد لن أي يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (إن تصبروا) على القتال (وتتقوا) خلاف الرسول عليه السلام (ويأتوكم) يعني المشركين (من فورهم هذا) هو من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التي لا ريث بها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخي الأمر المطلق على الفور لا على التراخي والمعنى أن يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم [illegible] واعتمل

أنهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان أكثرهم رجالة ولم يكن
إلا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان
السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعني في الثبات مع
النبي صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعني بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته ۞ قوله عز وجل (إذ
تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون في أن هذا
الوعد بإنزال الملائكة هل حصل يوم بدر أو يوم أحد على قولين أحدهما أنه كان يوم بدر قال قتادة كان
يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من
الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر هاهنا (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من
فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف
كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في معركة إلا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا
يقاتلون إنما يكونون عددا ومددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين إلى يوم القيامة وقال الشعبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق
عليهم فأنزل الله تعالى ألن يكفيكم إلى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم
الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد أمدوا بألف من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب واحتج
لهذا القول أيضا بأن الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وظاهر هذا يقتضي
أن نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولأن
المدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج إلى الإمداد أكثر القول الثاني أن هذا الوعد بإنزال الملائكة
يوم أحد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن إسحاق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل أتاه به فنثره وقال ارم
ارم أبا إسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال
رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان
كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بأن المدد كان يوم بدر
بألف من الملائكة كما نص عليه في سورة الأنفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا ولأن
الكفار كانوا يوم بدر ألفا أو ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فإنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر
فأنزل الله يوم بدر ألفا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار
وعدد المسلمين يوم أحد ألفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف
من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر وأجيب عن الاحتجاج الأول لهذا القول بأنه
تعالى أمدهم يوم بدر بألف كما ذكر في سورة الأنفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كرزا الكفار قريش شق عليهم وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم [illegible]
عن الثاني وهو أن الكفار كانوا يوم بدر ألفا فأنزل الله ألفا وفي يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة
آلاف بأن هذا تقريب حسن ولله أن يمد بما شاء في أي وقت شاء وظاهر الآية [illegible] تكرمة في قوله تعالى (إن
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد [illegible]
انهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب فأمدهم الله بالملائكة حين حاصروا قريظة
عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع

مسومين) بكسر الواو مكي وأبو عمرو وعاصم وسهل أي معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامة يعرف بها في الحرب والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها غيرهم بفتح الواو أي معلمين قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت ألف فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وما جعله الله) الضمير يرجع إلى الإمداد الذي دل عليه أن يمدكم (إلا بشرى لكم) أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر إلا من عند الله) لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة (العزيز) الذي لا يغالب في أحكامه (الحكيم) الذي يعطي النصر لأوليائه ويبتليهم بجهاد أعدائه واللام في (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر إلا من عند الله أو يمددكم ربكم (أو يكبتهم) أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لأجله (فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم (ليس لك من الأمر شيء) اسم ليس شيء والخبر لك من الأمر حال من شيء لأنها صفة مقدمة (أو يتوب عليهم) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم وليس لك من الأمر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا (أو يعذبهم) إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء أو بمعنى إلا أن وعن ابن عيسى بمعنى حتى أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو [illegible] الركوع

سورة الأنفال وذكرها ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وإن حملناه على أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لأنه ليس فيها ذكر الألف المردفة (مسومين) قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو أراد أن الله سومهم ومعناه معلمين فسوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفوني إنني أنا ذاكم ❊ شاكي سلاح في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل إلى الملائكة والمعنى أنهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم وأذنابها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر تسوموا فإن الملائكة تسومت بالصوف الأبيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بسيما القتال ۞ قوله تعالى (وما جعله الله) يعني هذا الوعد والمدد (إلا بشرى لكم) يعني بشارة بأنكم تنصرون فتستبشرون به (ولتطمئن) أي ولتسكن (قلوبكم به) أي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر إلا من عند الله) يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فإن النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الإعراض عن الأسباب والإقبال على مسبب الأسباب (العزيز الحكيم) يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لأن العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى أن المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا أي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (أو يكبتهم) أصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى أنه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أو الإهلاك أو اللعن والخزي (فينقلبوا خائبين) أي بالخيبة لم ينالوا شيئا مما أملوه من الظفر بكم ۞ قوله عز وجل (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم) في سبب نزول هذه الآية فقيل إنها نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه

الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا
لك الحمد فانزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن أبي هريرة قال لما رفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش
ابن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد
في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية سماهم في
رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما أنزل الله
ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا في سببها
فقيل ان عتبة بن أبي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن أنس بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح
قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء وقيل
أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه أن أكثرهم يسلمون
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد ان يدعو عليهم فنزلت
هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك
من أمر مصالح عبادي شيء الا ما أوحي اليك فان الله تعالى هو مالك أمرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم
فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه
تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلقي شيء الا ما وافق أمري
انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله
ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا
أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر أمري في ذلك كله قال
بعض العلماء والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض
الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم أو سيولد من بعضهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى
من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعهم لكن اقتضت حكمة
الله وما سبق في علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم
بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الآخرة
وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما نعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله
ما في السموات وما في الارض) هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون الامر
لمن له ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الا لله تعالى وليس لاحد معه امر (يغفر لمن يشاء) بفضله
ورحمته (ويعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله (والله غفور
رحيم) يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك
على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة
لكان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب ۞ قوله
عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) أراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول
الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل
ولم يكن للمديون ما يؤدي قال له صاحب الدين زدني في المال حتى أزيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك
مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم أصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله)

فنتشفى منهم وقيل أراد ان
يدعو عليهم فنهاه الله تعالى
لعلمه ان فيهم من يؤمن
(فانهم ظالمون) مستحقون
للتعذيب (ولله ما في
السموات وما في الارض)
أي الامر له لا لك لان ما في
السموات وما في الارض
ملكه (يغفر لمن يشاء)
للمؤمنين (ويعذب من
يشاء) الكافرين (والله
غفور رحيم يا أيها الذين
آمنوا لا تأكلوا الربوا
أضعافا مضاعفة) مضعفة
مكي وشامي هذا نهي عن
الربا مع التوبيخ بما كانوا
عليه من تضعيفه كان
الرجل منهم اذا بلغ الدين
محله يقول اما ان تقضي
حقي أو تربي وأزيدك في
الاجل (واتقوا الله) في
أكله

(لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم

يعني في أكل الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) أي لكي تسعدوا وتنجوا في الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو أكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان أكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) يعني واتقوا أيها المؤمنون ان تستحلوا شيأ مما حرم الله فان من استحل شيأ مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا التهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قال بعضهم ان هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في هذه الآية تنويه بتأنيس المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين (وأطيعوا الله) يعني فيما أمركم به أو نهاكم عنه من أكل الربا وغيره (والرسول) أي وأطيعوا الرسول أيضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق في هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (لعلكم ترحمون) أي لكي ترحموا ولا تعذبوا اذا أطعتم الله ورسوله فان طاعة الله معصية رسوله ليست بطاعة ۞ قوله عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس أيضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن أبي طالب الى أداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا قال من قال الى جميع الطاعات وروي عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) أي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وقيل اشعارا بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) أي عرض الجنة (السموات والارض) يعني كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد وصفها بالسعة وانما خص العرض للمبالغة لان الطول في العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت بأوسع شيء علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهي عريضة ۞ على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروي ان هرقل أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وروي طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده أصحابه فقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال عمر بن الخطاب أرأيتم اذا جاء الليل فأين يكون

على طاعته وطاعة رسوله بقوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وفيه رد على المرجئة في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال أهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة) سارعوا مدني وشامي لمن أثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هي الصلوات الخمس أو التكبيرة الاولى أو الطاعة أو الاخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات (عرضها السموات والارض) أي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها

بالسعة والبسط فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لانه في العادة أدنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وما روي ان الجنة في السماء السابعة أو في السماء الرابعة فمعناه ان جهتها الا انها بعينها كما يقال في الدار بستان وان كان يزيد عليها لان المراد ان بابه اليها

(أعدت) في موضع جر صفة نعتا أيضا أي جنة واسعة معدة (للمتقين) ودلت الآيتان على ان الجنة والنار مخلوقتان لم التقى من يتقى الشرك
كأنه قيل وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله أو من يتقى المعاصي وان كان المراد الثاني فهي لهم بغير عقوبة
وان كان الاول فهي لهم إشانى العاقبة و يوقع عليه ان جعل (الذين ينفقون في السراء والضراء) في حال اليسر

النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا ان لتأتي في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى فان قلت قال الله
تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب أهل السنة انها في السموات واذا
كانت الجنة في السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض قلنا المراد من قولنا انها في السموات
انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفي السماء هي أم في الارض فقال أي
أرض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هي قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم الفردوس فقال سقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم
تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والارض (أعدت للمتقين)
أي هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن ۞ قوله عز وجل (الذين ينفقون في السراء
والضراء) يعني في العسر واليسر لا يتركون الانفاق في كلتا الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في
حال فرح وسرور ولا في حال محنة و بلاء وسواء كان الواحد منهم في عرس أو حبس فانهم لا يدعون الاحسان
الى الناس فاول ماذكر الله من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه أشق على النفس وكانت الحاجة الى
اخراج المال في ذلك الوقت أعظم الاحوال المحتاج اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين
عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من
الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي
أحب الى الله تعالى من عابد بخيل أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا
ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا لزقت كل
حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجبة الدرع من الحديد (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول
الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق
ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة
كل خزنة باب أي فل هلم فقال أبو بكر يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لارجو أن تكون منهم قوله أي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك
عليه وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس
الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ هو أن يمتلئ غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل و يصبر عليه
و يسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء و يردون غيظهم في أجوافهم وهذا الوصف من
أقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن أنس الجهني عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم
غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء
أخرجه الترمذي وأبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة
انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان خادما لها غاظها فقالت
لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء (والعافين عن الناس) يعني اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه فتكون

والعسر مبتدأ وعطف
عليه والذين اذا فعلوا
فاحشة وجعل الخبر أولئك
وان جعل وصفا للمتقين
وعطف عليه والذين اذا
فعلوا فاحشة والواو فان
قلت الآية تدل على أن
الجنة معدة أي أعدت
للمتقين والتائبين دون
المصرين قلت جاز أن
تكون معدة لهما ثم يدخلها
بفضل الله وعفوه غيرهما
كما يقال أعدت هذه المائدة
للامير ثم قد يأكلها أتباعه
ألا ترى انه قال واتقوا النار
التي أعدت للكافرين ثم
قد يدخلها غير الكافرين
بالانفاق وافتتح بذكر
الانفاق لانه أشق شيء على
النفس وأدله على
الاخلاص ولانه كان في
ذلك الوقت أعظم الاعمال
للحاجة اليه في مجاهدة
العدو ومواساة فقراء
المسلمين وقيل المراد
الانفاق في جميع الاحوال
لانها لا تخلو من حال مسرة
ومضرة (والكاظمين
الغيظ) والممسكين الغيظ
عن الامضاء يقال كظم
القربة اذا ملأها وشد فاها
ومنه كظم الغيظ وهو أن

يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على
انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا (والعافين عن الناس) أي اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت
أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه

الآية على العموم وقيل أراد بالناس المماليك لسوء أدب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم وأساء إليهم وهو قريب من القول الأول (والله يحب المحسنين) يحتمل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل أن تكون للعهد فتكون إشارة إلى المذكورين في الآية والإحسان إلى الغير إنما يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه وقيل الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم بإحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح وقيل الإحسان وقت الإمكان وليس عليك في كل وقت إحسان وقيل الإحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال إحسانا إلى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فإن محبة الله تعالى للعبد أعظم درجات الثواب ۞ قوله عز وجل (والذين إذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضي الله عنه قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب ذنبا أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع أنفك أذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في نبهان التمار أتته امرأة تبتاع منه تمرا فقال لها إن هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين أحدهما أنصاري والآخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف الأنصاري على أهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما أرادت المرأة أن تأخذه منه دخل على أثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الأنصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله في الإخوان مثله وذكرت له الحال والأنصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فأتى به إلى أبي بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجا فقال الأنصاري هلكت وذكر القصة فقال أبو بكر ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فأنزل الله عز وجل والذين إذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما أذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله تعالى (أو ظلموا أنفسهم) ظلم النفس ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو أي ذنب كان (ذكروا الله) يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وأن الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الأكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب ۞ وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعني لأجل ذنوبهم فتابوا منها وأقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على أن لا يعودوا إليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا إلى فضله وكرمه وإحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على أن العبد لا يطلب المغفرة إلا منه وأنه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على إزالة ذلك العقاب عنه فثبت أنه لا يجوز طلب المغفرة إلا منه (ولم يصروا على ما فعلوا) يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا وقيل الإصرار هو ترك الاستغفار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة أخرجه أبو داود وقال حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل (وهم يعلمون) قال ابن عباس وهم يعلمون أنها معصية وإن لم يغفرها

(والله يحب المحسنين) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون أو للعهد فيكون إشارة إلى هؤلاء. عن الثوري الإحسان أن تحسن إلى المسيء فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة (والذين إذا فعلوا فاحشة) فعلة متزايدة القبح ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (أو ظلموا أنفسهم) قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما (ذكروا الله) بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين. قيل بكى إبليس حين نزلت هذه الآية (ومن يغفر الذنوب إلا الله) من مبتدأ ويغفر خبره وفيه ضمير يعود إلى من وإلا الله بدل من الضمير في يغفر والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب إلا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب وإشعار بأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم (ولم يصروا على ما فعلوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم والإصرار الإقامة قال عليه السلام ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار (وهم يعلمون) حال من الضمير في ولم يصروا أي وهم يعلمون أنهم أساؤوا أو وهم يعلمون أنه لا يغفر ذنوبهم إلا الله. وقيل

وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها

﴿فصل في فضل الاستغفار﴾ عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه ما شاء أن ينفعني واذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن أو قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الى آخر الآية أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (ق) عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذا أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى ان عبدي أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت فقد غفرت لك قال عبد الاعلى لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة اعمل ما شئت عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها أي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروى بكسرها والضم أشهر وهو ما يقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وقال حديث حسن صحيح على شرط البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره أو قال عسى ان يغفره الله الا من مات مشركا ومن قتل مؤمنا متعمدا أخرجه أبو داود انتهى ﴿قوله عز وجل﴾ (أولئك) اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية (جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار) معنى الآية ان المطلوب بالتوبة أمران أحدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب واليه الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار أي ذلك لهم ذخر لا يبخس وأجر لا يوكس (خالدين فيها) أي في الجنات (ونعم أجر العاملين) أي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة ﴿قوله عز وجل﴾ (قد خلت من قبلكم سنن) يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستئصال لانهم خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل أمة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن أي شرائع وقيل سنن أي أمم والسنة الامة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية

(أولئك) الموصوفون (جزاؤهم مغفرة من ربهم) ستر ذنوبهم (وجنات) برحمته (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات نزلت في تمار قالت امرأة تريد التمر في بيتي تمر أجود فادخلها بيته وضمها الى نفسه وقبلها وندم فأتى أنصاري استخلفه النبي وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فأتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها وندم وساح في الارض صارخا فاستغفر الله تعالى (قد خلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائعه

(فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعتبروا بهم (هذا) أي القرآن أو ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) من الضلالة (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك (ولا تهنوا) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أو جرح وهو تسلية من الله لرسوله والمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم (وأنتم الاعلون) وحالكم انكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الاعلون بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة وان جندنا لهم الغالبون أو وأنتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر أو لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي أي ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة (ان يمسسكم قرح) بضم القاف حيث كان كوفي غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها (فقد مس القوم قرح مثله) أي ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم الى القتال فأنتم أولى ان لا تضعفوا (وتلك) مبتدأ (الايام) صفته والخبر (نداولها) نصرفها (بين الناس) أي نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطي لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب * فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر *

الكافر فانه يمهل ويستدرج ليلعبهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجله لاهلاككم (فسيروا في الارض) أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف أحوال الماضين بقوله (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فرغب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه أيضا زجر الكافر عن كفره لانه اذا تأمل أحوال الكفار واهلاككم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له أثر في النفس كما قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وفي هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة أحد يقول فاني انما أمهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لهم في اهلاككم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم وأوليائه وهلاك أعدائه ﴿ قوله تعالى (هذا) يعني القرآن وقيل هو اسم اشارة الى ما تقدم من أمره ووعيده (بيان للناس) يعني عامة (وهدى) يعني من الضلالة (وموعظة للمتقين) يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة البيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون بهما دون غيرهم ﴿ قوله عز وجل (ولا تهنوا ولا تحزنوا) نزلت يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تهنوا أي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لانهم في الجنة (وأنتم الاعلون) يعني بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الاعلون وقيل وأنتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وأنتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وأنتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) أي اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بأن ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم ألم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم أيها المسلمون قرح يوم أحد (فقد مس القوم) يعني الكفار (قرح مثله) يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول أي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان أيام الدنيا هي دول بين الناس

فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا
وأسروا سبعين وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين ٢
(خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا وهم
الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان
رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزمهم الله قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن
قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر
أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله
لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول
يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو
سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة
ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك
عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذي عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر
والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان

* ان لنا عزى ولا عزى لكم * فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا
* الله مولانا ولا مولى لكم * قال البغوي وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال أبو سفيان
يوم بيوم وان الأيام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة
تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد للكفار على المسلمين
لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني انما جعل الدولة للكفار
على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا
بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي ليعرفهم بأعيانهم الا أن سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا
وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لأن الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى
ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم
أولياء الله فأضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم
موضع الحكم لأن الحكم لا يحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعني وليكرم قوما منكم بالشهادة
ممن أراد أن يكرمهم بها وذلك لأن قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم
يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين
بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم
يرزقون فأرواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وأرواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لأن الله
شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لأنهم يشهدون يوم القيامة مع الأنبياء والصديقين على الأمم لأن الشهادة
تكون للأفضل فالأفضل من الأمة ولأن منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين)
يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بألسنتهم
ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليمحص الله الذين
آمنوا) أي وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم وأصل المحص في اللغة التنقية والازالة (ويمحق الكافرين)

(وليعلم الله الذين آمنوا) أي بداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون (وليمحص الله الذين آمنوا) التمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم

٢ قوله (خ) عن البراء كأنه رواه بالمعنى اذ رواية البخاري في غزوة أحد تغاير هذه لفظا اه مصححه

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى لا تحسبوا (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقه لأنه منتف بانتفائه تقول ما علم الله فى فلان خيرا أى ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيها ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل (ويعلم الصابرين) نصب باضمار أن والواو بمعنى الجمع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن أو جزم للعطف على يعلم الله وانما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى المشركين وكان رأيه فى الاقامة بالمدينة يعنى وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل اخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصرانى فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولما رمى ابن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه المشركين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل هو الشيطان ألا ان محمدا قد قتل ففشا فى الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل (وما محمد الا رسول قد خلت) مضت (من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين أظهر

أى يقتلهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم فهو محقهم واستئصالهم ﴿ قوله عز وجل (أم حسبتم) أى بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا أيها المؤمنون (أن تدخلوا الجنة) وتنالوا كرامتى وثوابى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازى ظاهر الآية يدل على وقوع النفى على العلم والمراد وقوعه على نفى المعلوم والتقدير أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره أن العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدى النفى فى الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز فى انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم فجرى النفى على العلم للايجاز على سبيل التوسع فى الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اشكال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين أى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبرى يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم على ما أمرته به (ويعلم الصابرين) يعنى فى الحرب وعلى ما نالهم فى ذات الله عز وجل من جراح وألم ومكروه وفى هذه الآية معاتبة لمن انهزم يوم أحد والمعنى أم حسبتم أيها المنهزمون أن تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على ألم الجراح والضرب وثبتوا الصبر وهم من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم ﴿ قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) قال ابن عباس لما أخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فأراهم الله يوم أحد فلم يلبثوا أن انهزموا الا من شاء الله منهم فأنزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت أى تطلبون أسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل أن تلقوه أى من قبل أن تلقوا يوم أحد (فقد رأيتموه) يعنى رأيتم ما كنتم تتمنون والهاء فى رأيتموه عائدة على الموت أى رأيتم أسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين أيديكم (وأنتم تنظرون) قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس فى عينك علة أى رأيته رؤية حقيقية وقيل معناه وأنتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم ﴿ قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال أهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد فى ... رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا أو علينا الا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل ... يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وأصحابه على

المشركين فهزموهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب
به العدو حتى يثخن فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر
في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت
الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن
الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه
ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها
فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضي
الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قمئة يريد
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قد قتلت
محمدا وصاح صارخ ألا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الي عباد الله الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه
المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال
ارم فداك أبي وأمي وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه
جعبة النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله
وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان
يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت أحسن ما كانت فلما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول
الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان أبي قبل ذلك يلقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فيقول النبي صلى الله
عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة
ثم استقبله وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدى عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله
أصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي أنا أقتلك
فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله
على قوم أدموا وجه نبي الله قالوا وفشا في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا
رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم وقال اناس
من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان
محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه
وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء
يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو
يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران تحت

المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلى أن اسكت فمارت إليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو أنبيائهم فعليكم أنتم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بما هو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لأنه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فأكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسم الله سبحانه وتعالى فسماه محمدا وأحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده ٭ ببرهانه والله أعلى وأمجد ٭ أغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهور يلوح ويشهد ٭ وشق له من اسمه ليجله ٭ فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبي موسى الأشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو آخر الأنبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وإنك لمن المرسلين (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) يعني أتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل وترجعون إلى دينكم الأول يقال لكل من رجع إلى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام أن الله تعالى بين أن موت محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الأنبياء قبله وإن أتباعهم ثبتوا على دين أنبيائهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعني فيرتد عن دينه ويرجع إلى الكفر (فلن يضر الله شيأ) يعني بارتداده لأن الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لأنه تعالى غني عن العالمين وإنما يضر المرتد والكافر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا لأنهم شكروا نعمة الله عليهم بالإسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جرير عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه وكان علي يقول أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله تعالى ﴿قوله عز وجل﴾ (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) أي بأمر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الأرواح فلا يموت أحد إلا بإذن الله تعالى وأمره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو وإعلامهم أن الجبن لا ينفع وأن الحذر لا يدفع القدر وأن أحدا لا يموت قبل أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك وإذا جاء الأجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والجبن وفي الآية أيضا ذكر حفظ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه وإسلام أصحابه له فأنجاه الله تعالى من عدوه سالما لم يضره شيء (كتابا مؤجلا) يعني موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن الله تعالى كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أو تقديمه أو تأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لأن فيه آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها ما نشاء على ما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا الغنيمة (ومن

(أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة للإنكار أي جعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) وإنما ضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا (وما كان) وما جاز (لنفس أن تموت إلا بإذن الله) أي بعلمه أو بأن يأذن ملك الموت في قبض روحه والمعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو وإعلام بأن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك (كتابا) مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد) بقتاله (ثواب الدنيا) أي الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) من ثوابها (ومن

(يرد ثواب الآخرة نؤته منها) يعني من يرد بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد واعلم أن هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من أراد بعمله الدار الآخرة يجزاؤه أيضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله ۞ وقوله تعالى (وسنجزي الشاكرين) يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يريدوا بأعمالهم الا الله تعالى والدار الآخرة ۞ قوله عز وجل (وكأين من نبي) أي وكم من نبي (قتل معه) وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف ففيه أوجه أحدها أن يكون القتل راجعا الى النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا كذلك الوجه الثالث أن يكون القتل نال الربيين لا النبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي أصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد وحجة هذه القراءة ما روي عن سعيد ابن جبير أنه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال ۞ وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل ألف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع (فما وهنوا) أي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من ألم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء وأتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد (والله يحب الصابرين) يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع أوليائه وأصفيائه ۞ ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعني قول الربيين (الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (واسرافنا في أمرنا) يعني ما أسرفنا فيه فتخطينا الى العظائم من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت أقدامنا) لكيلا نزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة

يرد ثواب الآخرة) أي اعلاء كلمة الله والدرجة في الآخرة (نؤته منها وسنجزي الشاكرين) وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد (وكأين) أصله أي دخل عليه كاف التشبيه وصار في معنى كم التي للتكثير وكائن بوزن كاعن حيث كان مكي (من نبي قاتل) قتل مكي وبصري ونافع (معه ربيون) حال من الضمير في قتل أي قتل كائنا معه ربيون (كثير) والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها والفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب (فما وهنوا) فما فتروا عند قتل نبيهم (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الامان من أبي سفيان (والله يحب الصابرين) على جهاد الكافرين (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أي وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها (واسرافنا في أمرنا) تجاوزنا حد العبودية (وثبت أقدامنا) في القتال

(وانصرنا على القوم الكافرين) فالعبد وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصر على الاعداء لانه أقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) أي النصرة والظفر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) المغفرة والجنة وخص

بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده (والله يحب المحسنين) أي هم محسنون والله يحبهم (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم) يرجعوكم الى الشرك (فتنقلبوا خاسرين) قيل هو عام في جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شئ حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وعن السدي ان تستكينوا الى أبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم. وقال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم (بل الله مولاكم) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) الرعب شامي وعلي وهما لغتان قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بما أشركوا بالله) بسبب اشراكهم أي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يرد أن هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ٭ ولا ترى الضب بها ينجحر ٭ أي ليس بها ضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا لا ينجحر (ومأواهم) مرجعهم (النار وبئس مثوى الظالمين) النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الى المدينة قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أي حقق

الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى أنهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا (فآتاهم الله ثواب الدنيا) يعني النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعني الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهي أنهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم أحد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على أعقابكم) يعني يرجعوكم الى أمركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعني مغبونين في الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعني انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين ۞ قوله عز وجل (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان أبا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله (بما أشركوا بالله) يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (ما لم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار أي مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) أي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بما اكتسبوا بما أوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها ۞ قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما

(إذ تحسونهم) تقتلونهم قتلاً ذريعاً عن ابن عيسى حسه أبطل حسه بالقتل (بإذنه) بأمره وعلمه (حتى إذا فشلتم) (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم (وعصيتم) أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة (من بعد ما أراكم ما تحبون) من الظفر وقهر الكفار ومتعلق إذا محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أحد إلى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من الصحابة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك أن الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل إن الله وعد المؤمنين النصر بأحد فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (إذ تحسونهم) يعني إذ تقتلون الكفار قتلاً ذريعاً وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل (بإذنه) يعني بعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر إلى أن كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم أن الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض أي قوم ما مقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير أمير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبوراً بعدما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضاً وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى إبليس إن محمداً قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله (وعصيتم) يعني أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله ابن مسعود ما شعرت أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعني يا معشر المسلمين يعني عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا إليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعني ولقد عفا الله عنكم أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم أيها المخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لأنه نصرهم أولاً ثم عفا عن المذنبين منهم ثانياً لأنه ذو الفضل والطول والإحسان وفي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة مؤمن وأن الله تعالى يعفو بفضله وكرمه إن شاء لأنه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك ۞ قوله عز وجل (إذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم إذ تصعدون لأن عفوه عنهم لا بد أن يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الأمر هو ما بينه بقوله إذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا إذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الإصعاد وهو الذهاب في الأرض والإبعاد فيها وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء من

(منكم من يريد الدنيا) أي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى إذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع إخوانكم وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (ومنكم من يريد الآخرة) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم) أي كف معونته عنكم فغلبوكم (ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لأنه يجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه (ولقد عفا عنكم) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) بالعفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة وانتصب (إذ تصعدون) تبالغون في الذهاب في صعيد

الارض والاصعاد الذهاب في صعيد الارض أو الابعاد فيه بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو باضمار اذكروا (ولا تلوون على أحد) ولا تلتفتون
وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم (والرسول يدعوكم) يقول الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة في موضع الحال (في
أخراكم) في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم
وأولاهم بتأويل مقدمتهم
وجماعتهم الاولى (فأثابكم)
عطف على صرفكم أي
فجزاكم الله (غما) حين
صرفكم عنهم وابتلاكم
(بغم) بسبب غم أذقتموه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعصيانكم أمره
أو غما مضاعفا بعد
غم وغما متصلا بغم من
الاغتمام بما أرجف به من
قتل رسول الله عليه
السلام والجرح والقتل
وظفر المشركين وفوت
الغنيمة والنصر (لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم)
لتتمرنوا على تجرع الغموم
فلا تحزنوا فيما بعد على
فائت من المنافع (ولا
ما أصابكم) ولا على
مصيب من المضار (والله
خبير بما تعملون) عالم
بعملكم لا يخفى عليه شيء
من أعمالكم وهذا ترغيب
في الطاعة وترهيب عن
المعصية (ثم أنزل عليكم
من بعد الغم أمنة نعاسا)
ثم أنزل الله الامن على
المؤمنين وأزال عنهم
الخوف الذي كان بهم حتى
نعسوا وغلبهم النوم عن
أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن ... قال
ونعاسا بدل من أمنة أو هو مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والاصل أنزل عليكم نعاسا ذا أمنة اذ النعاس ليس
الامن ويجوز أن يكون أمنة مفعولا له أو حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على انه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) يعني النعاس تغشى بالياء
والامالة حمزة وعلي أي الامنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق واليقين

الصعود وهو الارتقاء من أسفل الى أعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية
قولان أحدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب
(ولا تلوون على أحد) أي لا تعرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب
(والرسول يدعوكم في أخراكم) أي في آخركم ومن ورائكم يقول الي عباد الله أنا رسول الله من كر
فله الجنة (فأثابكم غما بغم) يعني فجزاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم
فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد
يجوز استعماله في الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فأصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء
كان خيرا أو شرا فتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان
على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه ● أداهم سودا أو محدرجة سمرا

جعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والباء في قوله غما بغم
بمعنى مع أو بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم
واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من القتل
والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا ان محمدا صلى الله عليه
وسلم قد قتل فأنساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره
فجزاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين
عليهم والغم الثاني حين أشرف أبو سفيان عليهم وذلك ان أبا سفيان وأصحابه وقفوا بباب الشعب فلما
نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأهمهم ذلك ۞ قوله تعالى (لكيلا) في
لفظة لا قولان أحدهما انها باقية على أصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله
عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) لان عفوه يذهب كل هم وحزن
وقيل معناه فأثابكم غما أنساكم الحزن على ما فاتكم وما أصابكم وقد روي انهم لما سمعوا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قد قتل نسوا ما أصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على
ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي أصابهم القتل
والهزيمة (والله خبير بما تعملون) أي هو عالم بجميع أعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها ۞ قوله
عز وجل (ثم أنزل عليكم) يا معشر المسلمين (من بعد الغم) الذي أصابكم (أمنة نعاسا) يعني أمنا والامنة
والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد
باقيا والنعاس أخف من النوم والمعنى أعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان أمنكم أمنا تنامون معه
لان الخائف لا يكاد ينام فأمنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس
تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن تغشاهم
النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه وأخرجه الترمذي

(وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) ما بهم الا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم (يظنون بالله غير الحق) في حكم المصدر أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم (ظن الجاهلية) بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن الا

قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد وذكره نحو رواية البخاري وزادوا الطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق وفي رواية أخرى له قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أراهم وما منهم يومئذ أحد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال الزبير بن العوام لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف أرسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعني المنافقين أراد الله أن يميز المؤمنين من المنافقين فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب أمن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يعني حملتهم أنفسهم على الهم لان أسباب الخوف وهي قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعني يظنون أن الله لا ينصر محمدا وأصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان أمره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير ظن الحق الذي يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) أي كظن أهل الجاهلية (يقولون) يعني المنافقين (هل لنا) أي ما لنا (من الامر من شئ) وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين في هذه الواقعة وأشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شئ وهو استفهام على سبيل الانكار أي ما لنا أمر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شئ انما هو للمشركين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (ان الامر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي أخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم تقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا وعن ابن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قيل ان الذي قال هل لنا من الامر من شئ هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شئ هو معتب بن قشير (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) أي قضي عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعني الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لا يدفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وأن يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها والظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيه (وليبتلي الله ما في صدوركم) أي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي أولياء

أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الامر من شئ) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل ان الامر) أي النصر والغلبة (كله لله) ولأوليائه المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للامر ولله خبران كله بصري وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) خوفا من السيف (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) أي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولأوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر الطائفة أو صفة أخرى أو حال أي قد أهمتهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر

كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف (قل لو كنتم في بيوتكم) أي من علم الله منه انه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم

(وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها (ان الذين تولوا منكم) انهزموا (يوم التقى الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع أبي سفيان للقتال بأحد (انما استزلهم الشيطان) دعاهم الى الزلة وحملهم عليها (ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فلا ضافة الى الشيطان اطمع وتقريب والتعليل بكسبهم توبيخ وتأديب وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد الا ثلاثة عشر رجلا منهم أبو بكر وعلي وطلحة وابن عوف وسعد بن أبي وقاص والباقون من الانصار (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) كابن أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) أي في حق اخوانهم في النسب أو في النفاق (اذا ضربوا في الارض) سافروا فيها للتجارة أو غيرها (أو كانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى وأصابهم موت أو قتل (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) اللام يتعلق بلا تكونوا أي لا تكونوا كهؤلاء في النطق بذلك القول [illegible] ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم أو بقالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة في قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب (والله يحيي ويميت) رد لقولهم ان القتال يقطع الآجال أي الامر بيده قد يحيي المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم يعملون مكي وحمزة وعلي أي الذين كفروا (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) متم وبابه بالكسرة كوفي غير عاصم تابعهم حفص الا في هذه السورة كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم في جميع القرآن فالضم من يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) ما تجمعون من الدنيا ومجرور [illegible] وبالتاء حفص

الله ما في صدوركم فاضاف الابتلاء اليه تعظيما لشأن أوليائه المؤمنين (وليمحص ما في قلوبكم) قال قتادة أي يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القاء الامنة وصرف العدو واظهار أسرار المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات ﴿ قوله عز وجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) أي انهزموا وأدبروا منكم يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) أي طلب زلتهم كما يقال استعجله أي طلب عجلته وقيل [illegible] الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لانه أمرهم بها (ببعض ما كسبوا) يعني بعصيانهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا أن يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم [illegible] ان عثمان عوتب في هزيمته يوم أحد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعني لمن تاب وأناب (حليم) لا يعجل بالعقوبة ولا يستأصلهم بالقتل ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين (اذا ضربوا في الارض) يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها (أو كانوا غزى) جمع غاز أي غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا (لو كانوا عندنا) يعني مقيمين (ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعني قولهم وظنهم (حسرة في قلوبهم) يعني غما وأسفا (والله يحيي ويميت) هذا رد على المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيي والمميت هو الله تعالى فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل ينجي أحدا من الموت (والله بما تعملون بصير) يعني ان الله تعالى مطلع على ما تعملون من خير أو شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله تعالى هو المحيي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان أقام في بيته عند أهله فلا تقولوا أنتم أيها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلان يموت في الجهاد [illegible]

(ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون) لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله في هذا الموضع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن تغنى عن البرهان

المغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط

الثواب فان ذلك خير له من أن يموت في بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة) يعني في العاقبة (خير مما تجمعون) يعني من الغنائم والمنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله أو الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا (ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون) يعني لإلى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله خوفا من ناره أمنه مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله تعالى شوقا الى جنته أناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من أسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لإلى الله تحشرون ۞ قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم أي سهلت لهم أخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى ألقى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعني جافيا (غليظ القلب) يعني قاسي القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) أي لنفروا عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم أحد عندك (فاعف عنهم) أي تجاوز عن زلاتهم وما أتوا يوم أحد (واستغفر لهم) أي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص لك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم اختلف العلماء في المعنى الذي من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما أحبوا أو كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق عليهم ذلك وقال الحسن قد علم الله تعالى ان ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن أراد الله أن يستن به من بعده من أمته وقيل انما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الامة وانما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم في أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم شاور في أسارى بدر وهو من أمر الدين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح أمره علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة

وشاور اذا شاورت كل مهذب * لبيب أخي حزم لترشد في الامر * ولا تك ممن يستبد برأيه

وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولاً في زعمهم أن من سافر من اخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فان الدنيا زاد المعاد فاذا وصل العبد الى المراد لم يحتج الى الزاد (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا رحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) ما كان منهم يوم أحد مما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) أي في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم أو لتقتدي بك أمتك فيها وفي الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت فلانا أظهرت ما عندي وما عنده من الرأي وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل أخذته من مأخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجة

فتعجزوا ولا تستخرج من العسكر * ألم تر أن الله قال لعبده * وشاورهم في الأمر حتما بلا تنكير

﴿ قوله تعالى (فإذا عزمت) يعني على المشاورة (فتوكل على الله) أي فاستعن بالله في أمورك كلها وثق به ولا تعتمد إلا عليه فإنه ولي الإعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد على شيء إلا على الله تعالى في جميع أموره وان المشاورة لا تنافي التوكل (إن الله يحب المتوكلين) يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم ﴿ قوله عز وجل (إن ينصركم الله) يعني إن يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعني من الناس لأن الله تعالى هو المتولي نصركم (وإن يخذلكم) كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم إلى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) أي من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لا على غيره لأن الأمر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد في كل الأمور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ قوله عز وجل (وما كان لنبي أن يغل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروي عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فإذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وأن لا تقسم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري قالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل فلا نقسم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا أنها نزلت في طائفة غلت من أصحابه وقيل إن الأقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم فأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن إسحق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لنبي أن يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشيء في خفية يقال غل فلان يغل قرئ بفتح الياء وضم الغين أي وما كان لنبي أن يخون لأن النبوة والخيانة لا يجتمعان لأن النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا تليق به الخيانة لأنها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته في شيء لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الأمة لأنه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على أن المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل على نفي الغلول عن الأنبياء وقيل معناه ما كان لنبي الغلول أراد ما غل

(فإذا عزمت) فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) في إمضاء أمرك على الأرشد لا على المشورة (إن الله يحب المتوكلين) عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض في الأمور إليه وقال ذو النون خلع الأرباب وقطع الأسباب (إن ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم وإنما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته (وإن يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانه وهو ترك المعونة أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يقتضي ذلك (وما كان لنبي أن يغل) مكي وأبو عمرو وعاصم أي يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيأ من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية ويقال أغله إذا وجده غالا والمعنى ما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى هذا لأن معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فنزلت الآية

نبي قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول وإذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة أنهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي أن يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين وله معنيان أحدهما أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لنبي أن يخان أي تخونه أمته والثاني أن يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي أن يخون أي ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعني بالشيء الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشيء في النار فيكلف أن ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله وقيل معناه انه يأتي باثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب أو شرا فهو تجزى به يوم القيامة ويوفى جزاء عمله (وهم لا يظلمون) يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازى كل على عمله

﴿فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد الغال﴾ وقد تقدم ان أصل الغلول هو أخذ الشيء في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن أبي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم أهداه له أحد بني الضبيب وفيه اذ جاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذي لا يدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين أخرجه أبو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا

(ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) أي يأت بالشيء الذي غله بعينه حاملا له على ظهره كما جاء في الحديث أو يأت بما احتمل من وباله وإثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاءها وافيا ولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل به وهو ومن يغلل بل جيء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا أو شرا مجزي موفى جزاءه علم أنه غير متخلص من تبعة ما كسب (وهم لا يظلمون) أي جزاء كل على قدر كسبه

متاعه واضربوه أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه أخرجه أبو داود ﴿ قوله تعالى
(أفمن اتبع رضوان الله) يعني فترك الغلول فلم يغل (كمن باء) أي رجع (بسخط من الله) يعني بغضب من
الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل
في معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون
وتخلف عنه جماعة من المنافقين فأخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله أفمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف
عنه بقوله كمن باء بسخط من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعني الغال أو المتخلف عن النبي صلى الله
عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من
اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن
باء بسخط من الله العذاب الأليم والمعنى أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم
درجات عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله
فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لأهل الثواب والدركات لأهل النار ولان الله وصف من باء
بسخط من الله ان مأواهم جهنم وبئس المصير فدل على أن الضمير في قوله هم درجات عند الله راجع الى
وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه ﴿ قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين)
يعني أحسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا من الله ومنه قوله لقد
من الله على المؤمنين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم و
يعرفون نسبه وليس حي من أحياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى
ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من أن يكون له فيهم نسب وقيل أراد بالمؤمنين
المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير
بني آدم وقيل من أنفسهم يعني أنه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على
المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب الأليم ويوصلهم الى
الثواب في جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما
يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأفعاله يعرفون صدقه وأمانته فكان ذلك أقرب الى تصديقه
والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوج رسول الله صلى
وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذي
جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل
لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا
رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان العرب
جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وأنعم عليهم وأحسن اليهم
بان بعث فيهم رسولا من أنفسهم أنقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم
وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلو عليهم آياته) يعني يقرأ عليهم
كتابه الذي أنزل عليه بعد ان كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شئ من الوحي السماوي (ويزكيهم)
أي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن
والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله

(أفمن اتبع رضوان الله) أي رضا الله فقيل هم المهاجرون والانصار (كمن باء بسخط من الله) وهم المنافقون
والكفار (ومأواه جهنم
وبئس المصير) المرجع
(هم درجات عند الله) هم
متفاوتون كما تتفاوت
الدرجات أو ذوو درجات
والمعنى تفاوت منازل
المثابين منهم ومنازل
المعاقبين والتفاوت بين
الثواب والعقاب (والله
بصير بما يعملون) عالم
بأعمالهم ودرجاتهم فيجازيهم
على حسبها (لقد من الله
على المؤمنين) على من
آمن مع رسول الله عليه
السلام من قومه وخص
المؤمنين منهم لانهم هم
المنتفعون بمبعثه (اذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم)
من جنسهم عربيا مثلهم
أو من ولد اسمعيل كما انهم
من ولده والمنة في ذلك من
حيث انه اذا كان منهم
كان اللسان واحدا فيسهل
أخذ ما يجب عليهم أخذه
عنه وكانوا واقفين على
أحواله في الصدق والامانة
فكان ذلك أقرب لهم الى
تصديقه وكان لهم شرف
بكونه منهم وفي قراءة
رسول الله من أنفسهم
أي من أشرفهم (يتلو
عليهم آياته) أي القرآن
بعدما كانوا أهل جاهلية لم
يطرق أسماعهم شئ من
الوحي (ويزكيهم)
ويطهرهم بالايمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة)
القرآن والسنة (وان كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

(لفي ضلال) عمى وجهالة (مبين) ظاهر لا شبهة فيه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وان الشأن والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين (أولما أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها)

عليه وسلم (لفي ضلال مبين) يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا وبدأهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (أولما أصابتكم مصيبة) يعني ما أصابهم يوم أحد (قد أصبتم مثليها) يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في أول الأمر يوم أحد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة (قلتم أنى هذا) أي من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار (قل هو من عند أنفسكم) يعني أنما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وأيضا أمر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لأجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى وقد أمرك ان تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارى وبين أن يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر لم يسنده البغوي وأسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو من عند أنفسكم يعني بأخذكم الفداء واختياركم القتل لأنفسكم (ان الله على كل شيء قدير) يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة ۞ قوله عز وجل (وما أصابكم) يعني من القتل والجراح والهزيمة (يوم التقى الجمعان) يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد (فبإذن الله) يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمته وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا أن ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) أي ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم والمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذي أظهر الايمان بلسانه وأضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الأرض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لأن له جحرا في الأرض له بابان اذا طلب من أحدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع لنفسه طريقين أحدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من أيهما طلب خرج من الآخر وقيل لأنه دخل في الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) القول لعبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى أحد في ألف رجل حتى اذا كان ع بالشوط بين أحد والمدينة انخذل عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس وقال ما ندري علام نقتل أنفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري أخو بني سلمة وهو يقول يا قوم أذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي لأجل دين الله وطاعته أو ادفعوا يعني عن أموالكم وأهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قالوا) يعني المنافقين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أي

يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو في موضع رفع صفة لمصيبة (قلتم أنى هذا) من أين هذا (قل هو من عند أنفسكم) لاختياركم الخروج من المدينة أو لترككم المركز لما أصيب نقاتم وأصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع وعطف الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده أو على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا (ان الله على كل شيء قدير) فيقدر على النصر وعلى منعه (وما أصابكم) ما بمعنى الذي وهو مبتدأ (يوم التقى الجمعان) جمعكم وجمع المشركين بأحد والخبر (فبإذن الله) فكائن باذن الله أي بعلمه وقضائه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) للمنافقين وهو كلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا في سبيل الله)

للآخرة كما تقاتل المؤمنون (أو ادفعوا) أي قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم تقاتلوا للآخرة وقيل أو ادفعوا بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أي لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم

ع قوله بالشوط بشين معجمة مفتوحة فواو ساكنة فطاء مهملة كما في الزرقاني على المواهب

لو علم ان اليوم يجري فيه قتال لاتبعنا كم ولم نرجع ولو علموا اماتبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناك (هم للكفر) يعني المنافقين الى الكفر (يومئذ أقرب منهم للايمان) أي الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما أظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر (يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم) يعني يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطأة القلب اللسان على شيء واحد وهو التوحيد (والله أعلم بما يكتمون) يعني من النفاق (الذين قالوا لاخوانهم) نزلت في عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وفي المراد باخوانهم قولان أحدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا باحد فيكون اخوانهم في النسب لا في الدين والقول الثاني ان المراد باخوانهم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا لاخوانهم أي عن اخوانهم الذين قتلوا باحد لو أطاعونا ما قتلوا الا انهم بعد ان قتلوا الا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبد الله بن أبي وأصحابه لاخوانهم يعني في النفاق (وقعدوا) يعني عن الجهاد (لو أطاعونا) يعني هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا يعني في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانصراف عنه (ما قتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعني قل لهم يا محمد (فادرؤا) أي فادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعني ان الحذر لا ينفع من القدر وفي الآية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول أجله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال أكثر المفسرين انها نزلت في شهداء أحد ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا أحياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية أخرجه أبو داود (م) عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يا رب نريد ان ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمر وقد ذكر أبو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله أما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على ان الارواح

ليس شيء ولا يقاتل لشدة قتال اشاعوا ابقاء النفس في التهلكة (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعني أنهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين (يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم) أي يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره وذكر الافواه للتأكيد ونفي المجاز (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين قالوا) أي ابن أبي وأصحابه وهو في موضع رفع على هم الذين قالوا أو على الابدال من واو يكتمون أو نصب على الذم أعني أو على البدل من الذين نافقوا أو جر على البدل من الضمير في أفواههم أو قلوبهم (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وقعدوا) أي قالوا وقد قعدوا عن القتال (لو أطاعونا ما قتلوا) لو أطاعنا اخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) بان الحذر ينفع من القدر وخذوا حذركم من الموت أو معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل في قتلى أحد (ولا تحسبن) شامي وحمزة وعلي وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (الذين قتلوا) قتلوا شامي (في سبيل الله أمواتا

باقية

باقية لا تفنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم و يجازى بالثواب وان المسيء يعذب و يجازى بالعقاب قبل يوم
القيامة وهو مذهب أهل السنة أيضا فقوله أرواحهم في جوف طير خضر أي يجعل الله أرواح الشهداء في
جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بأن الارواح أجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من
الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم و يتألم بالعذاب فغير مستحيل ان
يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا أو يجعل في جوف طير فيسرح في الجنة وتأوي الى تلك القناديل وقد تعلق
بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة و يقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة
وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة و يزعمون أن هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف
و بدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء
في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع
جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله أعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مهتم فقال
مالي أراك منكسرا قلت يارسول الله استشهد أبي يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقي الله به
أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك وكلمه كفاحا وقال ياعبدي تمن علي
أعطيك قال يارب تحييني فأقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء بئر معونة
وهي بئر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن اسحق عن أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء
عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال اني لا أقبل هدية مشرك ثم عرض عليه
الاسلام وأخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يامحمد ان الذي تدعو اليه
حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى
أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين
وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت ونافع بن بديل بن
ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة بعد أحد بأربعة أشهر فساروا
حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان ياأهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليكم واني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر
البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ
عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم
عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم
فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم
تركوه و به رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري
ورجل من الانصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله
ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو

ابن أمية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري لكني لا أرغب عن موطن
قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن أمية الضمري أسيرا فلما أخبرهم انه من مضر
أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبي براء وقد كنت
لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما أصاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن
هشام بن عروة عن أبيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض
حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن أبي براء ان عامر بن الطفيل أخفر ذمة
أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول
له في قسم الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن
صعصعة ابن ستين لم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج في أصل اذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات
منه (ق) عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي
رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخا لام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال
لهم خالي أتقدمكم فان أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم
فأمنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أومؤا الى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله
أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم الا رجلا أعرج صعد الجبل قال همام وأراه آخر
معه فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ
ان بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان
وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأمدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون
بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا
يدعو في الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال أنس فقرأنا فيهم
قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ولمسلم قال جاء ناس الى النبي صلى الله
عليه وسلم فسألوه أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر
نحو ما تقدم وقيل ان أولياء الشهداء وأهليهم كانوا اذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن
في النعمة والرخاء وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا في القبور فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم
واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أي ولا تظنن الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا يظنن ظان ان الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا يعني
كأموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله (بل أحياء) أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون من
قتل في سبيل الله حيا فاما أن يكون المراد انهم سيصيرون أحياء في الآخرة أو يكون المراد انهم أحياء في
الحال وعلى تقدير انهم أحياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية أو اثبات الحياة
فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون أحياء في الآخرة قال معنى
الآية بل هم أحياء في الذكر وانهم يذكرون بخير أعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم أحياء
في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى أثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء يعني في حال
ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح أو للجسم والروح

بل أحياء) بل هم أحياء

(عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون [illegible] أحياء وصف لحالهم
التي هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين) حال من الضمير في يرزقون (بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم
من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبي عليه السلام

معناه أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الأرواح دون الأجساد وقال بعض المفسرين إن أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة ومن أثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالأحياء وقيل إن الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الأرض كثيرا وروي أنه لما أراد معاوية أن يجري الماء على قبور الشهداء أمر أن ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا إليهم فأخرجناهم طاب الأبدان فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فتبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه ۞ وقوله تعالى (عند ربهم) يعني في محل كرامته وفضله (يرزقون) يعني من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والإحسان والإفضال في دار النعيم (ويستبشرون) أي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للإنسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعني من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على منهج الإيمان والجهاد لعلمهم بأنهم إذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوه فهم بذلك مستبشرون وقيل إن الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر إخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فأخبرهم الله عز وجل أني قد أنزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم إليه من الكرامة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبر إخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (ألا خوف عليهم) يعني في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى أن الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر أنهم أيضا يستبشرون لأنفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الأول كان لغيرهم والاستبشار الثاني لأنفسهم خاصة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) يعني كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين

﴿فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله﴾ (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه [3] إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط

لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وقيل هذا الرزق في الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لأنه لا يبقى للتخصيص فائدة (ويستبشرون بالذين) بإخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء (ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل) يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة (وأن الله) عطف على النعمة والفضل وإن الله بالكسر على الاستئناف وعلى أن الجملة اعتراض (لا يضيع أجر المؤمنين) بل يوفر عليهم

[3] قوله لا يخرجه إلا جهادا الخ قال النووي في شرح مسلم هكذا هو في جميع النسخ جهادا بالنصب وكذا قال بعده وإيمانا بي وتصديقا وهو منصوب على أنه مفعول له وتقديره لا يخرجه المخرج ولا يحركه المحرك إلا الإيمان والجهاد والتصديق اهـ نقله مصححه

يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن
عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى
يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من
نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم
كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فإن عليه طابع
الشهداء أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي مفرقا في موضعين (ق) عن أبي [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال
رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه
وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى
الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من القرصة أخرجه الترمذي والنسائي
نحوه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه
أبو داود ﴿ قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال أكثر المفسرين إن أبا سفيان وأصحابه
لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب
أردفتم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي
سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد إلا من حضرنا بالأمس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله إن
أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني إنه لا ينبغي لي ولك أن نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن
ولست بالذي أوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخواتك فتخلفت
عليهن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو
وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة
ابن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من أصحابه حتى بلغوا حمراء الأسد وهي
من المدينة على ثلاثة أميال (ق) عن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح
للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم قالت لعروة يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي
الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في أثرهم
فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير قال ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي
بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون
عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله كان
قد أعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالر

(الذين استجابوا لله والرسول) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح

أجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جل أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وبهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط قال أبو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله اني أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت أبياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردي بأسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالجيل
اني نذير لاهل السيل ضاحية * لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وحش تنابله * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنا محمدا رسالة وأحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا وافيتموه فأخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لي أن لا أخرج اليها وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة فلأن يكون الخلف من قبلهم أحب الي من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم اني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل أضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن لي هذه القلائص وانطلق الى محمد فأثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال نعيم أين تريدون قالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأي رأيتم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أفتريدون أن تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فأما الجبان فانه رجع وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين

(من بعد ما أصابهم القرح) الجرح روي ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبي أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فخرج يوم الأحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (للذين أحسنوا منهم واتقوا) من للتبيين ومثلها في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (أجر عظيم) في الآخرة (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين استجابوا (ان الناس قد جمعوا لكم) روي ان أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت

غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول أي أجابوا الله وأطاعوه في جميع أوامره وأطاعوا الرسول أيضا (من بعد ما أصابهم القرح) يعني من بعد ما نالهم من ألم الجراح (للذين أحسنوا منهم واتقوا) يعني أحسنوا طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه (أجر عظيم) يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة ﴿ قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكرهم وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه أحدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا أو قال قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد والوجه الثاني ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث أن المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد أبي سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد أتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق أحد منكم (ان الناس) يعني أبا سفيان وأصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعني الجموع الكثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فاخشوهم) أي خافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف يقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) أي كافينا الله هو الذي يكفينا أمرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شبع وري * أي يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل يعني ونعم الموكول اليه في الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله تعالى الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم وانه الذي يستقل بأمورهم كلها (خ) عن ابن عباس قال في ... ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ﴿ قوله تعالى (فانقلبوا) أي فانصرفوا ورجعوا من وجههم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) أي بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) أي تجارة وربح وهو ما أصابوا في سوق بدر من الربح وقيل الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم يمسسهم سوء) أي لم يصبهم أذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ...

ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي ان أرجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم والله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام والله لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الاول نعيم وهو جمع أريد به الواحد أو كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه عنهم والثاني أبو سفيان وأصحابه (فاخشوهم) فخافوهم (فزادهم) أي القول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم أو القول أو نعيم (ايمانا) بصيرة وايقانا (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله أي الذي يكفينا الله يقال حسبه الشيء اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه في معنى اسم الفاعل (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا بنعمة من الله) وهي السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الربح في التجارة فأصابوا بالدرهم درهمين (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير في انقلبوا أي كذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء (واتبعوا رضوان الله) بجراءتهم وخروجهم

إلى وجهة العدو وهلي أثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (إنما ذلكم
ذلكم أي إنما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو نعيم (يخوف أولياءه) أي المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم
الإشارة ويخوف الخبر (فلا تخافوهم) أي أولياءه (وخافون إن كنتم مؤمنين) لأن الإيمان يقتضي أن يؤثر العبد خوف الله على خوف
غيره وخافوني في الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما أبو عمرو في الوصل (ولا يحزنك) يحزنك في كل القرآن نافع إلا في سورة الأنبياء
لا يحزنهم الفزع الأكبر (الذين يسارعون في الكفر) يعني لا يحزنوك لخوف أن يضروك ألا ترى إلى قوله (إنهم لن يضروا الله شيئا)
أي أولياء الله يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم

عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعني أنه تعالى تفضل عليهم
بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بإلقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا ۞ قوله عز وجل (إنما
ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعني إنما ذلكم التخويف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بأن ألقى ذلك
في أفواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله أولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين
بأوليائه وقيل معناه يعظم أولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن
قتال المشركين وأولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأولياء الله هم
المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان إذا خوفهم ولا يطيعونه إذا أمرهم (فلا تخافوهم) يعني فلا تخافوا
أولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم (وخافون) أي جاهدوا في سبيلي مع رسولي فإني وليكم
وناصركم (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بوعدي إني متكفل لكم بالنصر والظفر ۞ قوله تعالى (ولا
يحزنك الذين يسارعون في الكفر) قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم
ارتدوا عن الإسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فإن هذا المقصود
لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون
في نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فإنك منصور عليهم (إنهم لن يضروا الله شيئا) يعني بمسارعتهم في
الكفر إنما يضرون أنفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أولياء الله شيئا (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في
الآخرة) يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الآية دليل
على أن الخير والشر بإرادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة
(إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان
فكأنهم أعطوا الإيمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشتري من إعطائه شيئا وأخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا
الله شيئا) يعني باستبدالهم الكفر بالإيمان وإنما ضروا أنفسهم بذلك (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة
۞ قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء والياء فمن قرأ بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد
إملاءنا للكفار خيرا لأنفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار إملاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي
مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير (إنما نملي لهم) الإملاء الإمهال والتأخير وأصله من الملاوة
وهي المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا أن إمهالنا إياهم بطول العمر والإنساء في الأجل
(خير لأنفسهم) ثم قال تعالى (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) يعني إنما نمهلهم ونؤخر في آجالهم ليزدادوا إثما
(ولهم عذاب مهين) يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال سئل

ثم بين كيف يعود وباله
عليهم بقوله (يريد الله أن
لا يجعل لهم حظا في الآخرة)
أي نصيبا من الثواب (ولهم)
بدل الثواب (عذاب
عظيم) وذلك أبلغ ما ضر به
الإنسان نفسه والآية تدل
على إرادة الكفر والمعاصي
لأن إرادته أن لا يكون لهم
ثواب في الآخرة لا تكون
بدون إرادة كفرهم
ومعاصيهم (إن الذين
اشتروا الكفر بالإيمان)
أي استبدلوه به (لن يضروا
الله شيئا) هو نصب على
المصدر أي شيئا من الضرر
الآية الأولى فيمن نافق
من المتخلفين أو ارتدوا عن
الإسلام والثانية في جميع
الكفار أو على العكس
(ولهم عذاب أليم ولا يحسبن)
وثلاثة بعدها مع ضم الباء
في يحسبنهم بالياء مكي وأبو
عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها
بالياء مدني وشامي إلا

يحسبنهم فإنها بالتاء الباقون الأوليان بالياء والأخريان بالتاء (الذين كفروا) فيمن قرأ بالياء رفع أي ولا يحسبن الكافرون وأن مع اسمه
وخبره في قوله (أنما نملي لهم خير لأنفسهم) في موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا إملاءنا خيرا لأنفسهم وما مصدرية
وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالتاء نصب أي ولا تحسبن الكافرين
وأنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل من الكافرين أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين والإملاء
لهم إمهالهم وإطالة عمرهم (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة
قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما والآية حجة لنا على المعتزلة في مسألتي الأصلح وإرادة المعاصي
(ولهم عذاب مهين) واللام في

رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأى الناس شر قال من طال
عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة إلا
والموت خير لها وقرأ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقرأ
من عند الله وما عند الله خير للابرار وقال ابن الانبارى قال جماعة من أهل العلم أنزل الله عز وجل
فى قوم يعاندون الحق سبق فى علمه أنهم لا يؤمنون فقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما بعنادهم الحق ور...
الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج من
الله ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون أبدا وان
نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى انه يطيل أعـ...
قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا واثما وبغيا ۞ قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أ...
يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال الكلبى قالت قريش يا محمد تزعم أن
من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك على دينك فهو فى الجنة والله عنه راض أ...
فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عرضت على أمتى فى صورها فى الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بى ومن يكفر
فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن
يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ما بال أ...
طعنوا فى علمى لا تسألونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا أنبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى
فقال من أبى يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن
اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون فهل أنتم منتهون
نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر
فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فاظهر الله نفاقهم يو...
وأنزل هذه الآية واختلفوا فى معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس وأكثر المفسرين الخطاب للكفار
والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق
حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل خطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أ...
من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى المنافق من المؤمن
الخالص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى ا...
وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم أحد بالقاء الجميع فى الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ا...
وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا أظهر نفاقه وكفره وقيل فى معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق
والكافر بالجهاد والهجرة وقيل فى معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين فى أصلاب الرجال المشركين
وأرحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع أولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما أنتم عليه
من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى يفرق بينكم وبين من فى أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين
فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وما كان الله ليطلعكم على الغيب)
الخطاب فى قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد أخبرنا عمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى
وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر أو منافق لانه
لا يعلم الغيب أحد غيره وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن
من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ا...

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين لتأكيد النفى (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حمزة وعلى والخطاب فى أنتم للمصدقين من أهل الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحى الى نبيه واخباره بأحوالكم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) وما كان الله ليؤتى أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما فى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها

وإنما هو (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) أي ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بأن في الغيب كذا وان

ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعني انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا أقر بجميع الرسل كان مقرا بأحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتتقوا) يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي وأطلعته على ما أشاء من غيبي وأعلمته المنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فلكم أجر عظيم) يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة ﴿ قوله عز وجل (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم (بل هو) يعني البخل (شر لهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه أبو داود وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول ان أكثر العلماء ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره ﴿ وقوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شدقاه وقيل انهما مضغتان في أصل الحنك وقيل هو منحنى اللحيين أسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن أبي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في أعناقهم أطواق من النار وقيل يكلفون يوم

فلما في قلبه النفاق وقلما في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول وان أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص (وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) في الآخرة ونزل في مانعي الزكاة (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان (بل هو) أي البخل (شر لهم) لان أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) تفسير لقوله بل هو شر لهم أي سيجعل مالهم الذي منعوه من الحق طوقا في أعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوق في عنقه فينهشه ويدفعه الى النار

القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم في الدنيا وإن حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقد قال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي يحملون وزره وإثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الأمر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علماً يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي وفي رواية أبي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من أفواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم ﴿ قوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون وتبقى أملاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وعلم فما لهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله (والله بما تعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين ﴿ قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيي ابن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد ابن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضاً حسناً فدخل أبو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناساً كثيراً قد اجتمعوا الى فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقاً فان الله اذاً لفقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولاً عظيماً زعم ان الله فقير وانهم عنه أغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فأنزل الله تصديقاً لأبي بكر وتكذيباً لفنحاص ورداً عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلو أن يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد أو قالوها استهزاء وأيهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر في كفره وضلاله (سنكتب ما قالوا) يعني قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء لان ذلك كذب وافتراء سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف أعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يجازوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سنكتب ما قال هؤلاء ونكتب ما فعله أسلافهم فيجازى كلا الفريقين بما هو أهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان قتله أسلافهم وآباؤهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في الآية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بأنفسهم ونكتب عليهم أيضاً رضاهم بقتل آبائهم الانبياء وانما ضم قتل الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى به من الفقر اعلاماً بذلك انهما أخوان في العظم وان هذا القول منهم

(ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله والاصل في ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها (والله بما تعملون خبير) وبالياء مكي وأبو عمرو فالتاء على طريق الالتفات وهو أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً وقالوا ان اله محمد يستقرض منا فنحن اذاً أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه أعد له كفاءه من العقاب (سنكتب ما قالوا) سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوه في الصحائف أو سنحفظه اذ الكتاب من الخلق ليحفظ ما فيه فسمي به مجازاً وما مصدرية أو بمعنى الذي (وقتلهم الانبياء بغير حق) معطوف على ما جعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذاناً بانهما في العظم أخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول

تأويل

ما ولها ارتكبوه من العظائم وانهم أصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبيح (ونقول) يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) أي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) أي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر وأقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت أيديكم) انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان أكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير جرم بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن ﴿ قوله عز وجل (الذين قالوا ان الله عهد الينا) قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن صيف ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب من اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فأنزل الله تعالى الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني أمرنا وأوصانا في كتبه (أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى أمر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فأي معجزة أتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من أعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان أو الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم) يعني يا معشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلتم) يعني ما طلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء وأراد بذلك فعل أسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل أسلافهم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى

(ونقول) لهم يوم القيامة (ذوقوا عذاب الحريق) أي عذاب النار كما أذقتم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما أضيف الى الله تعالى لانه بأمره كما في قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة (٢٣١) (ذلك) اشارة الى ما تقدم من عقابهم (بما قدمت أيديكم) أي ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصي والاضافة الى اليد لان أكثر الاعمال يكون بالايدي فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب ولانه يقال للآمر بالشيء فاعله فذكر الايدي للتحقيق يعني انه فعل نفسه لا غيره بامره (وان الله ليس بظلام للعبيد) وبان الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم (الذين قالوا) في موضع جر على البدل من الذين قالوا أو نصب باضمار أعني أو رفع باضمارهم (ان الله عهد الينا) أمرنا في التوراة وأوصانا (ان لا نؤمن) بان لا نؤمن (لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) أي يقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فان جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان أكل النار القربان سبب الايمان للرسول الآتي به لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سواء (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) بالمعجزات سوى القربان (وبالذي قلتم) أي بالقربان يعني قد جاء أسلافكم الذين أنتم على ملتهم وراضون بفعلهم (فلم قتلتموهم) أي ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم تؤمنوا بالذي أتى به ولم قتلتموهم (ان كنتم صادقين) في قولكم انما نؤخر الايمان لهذا

(فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) فإن كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الامم بأنبيائها كذلك (جاؤا بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (والزبر) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة و بالزبر شامى (والكتاب) جنسه (المنير) المضئ وقيل هما واحد فى الاصل وانما ذكر لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب الهادى (كل نفس) مبتدأ والخبر (ذائقة الموت) وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم اياك فمرجع الخلق الى فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر وذلك قوله (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أى تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فان الدنيا ليست بدار الجزاء (فمن زحزح) بعد والزحزحة الابعاد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها (لتبلون) والله لتبلون أى لتختبرن (فى أموالكم) بالانفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات (وأنفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على ان النفس هى الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا فى شرح التأويلات

الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعنى هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعنى مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) أى الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمى الكتاب الذى فيه الحكمة زبورا لانه يزبر أى يزجر عن الباطل و يدعو الى الحق (والكتاب المنير) أى الواضح المضئ وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل ۞ قوله عز وجل (كل نفس ذائقة الموت) يعنى ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه فانه المنزل فلما نزلت كم ملك الموت قالوا يارسول الله انما نزلت فى بنى آدم فأين ذكر الموت للجن والانس والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز وجل مما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فما أحد يموت الا و يدفن فى التربة التى خلق منها فان الحور ولولدان نفوس مخلوقة فى الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل فى قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لا تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شئ ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص و يحتمل أن يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى (وانما توفون أجوركم) يعنى توفون جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) يعنى فمن نجا وبعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) يعنى أن العيش فى هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بأنها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان أنه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفأس والقدر ونحوها والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية أن منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التى يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل و يزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هى متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهى له متاع و بلاغ الى ما هو خير منها (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين زاد الترمذى وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ۞ قوله عز وجل (لتبلون) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أى لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردىء وذلك فى وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار فى وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر (فى أموالكم) يعنى بالابتلاء فى الاموال بالنقصان منها وقيل بأداء ما فرض فيها من الحقوق (وأنفسكم) يعنى بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها و

(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في أبي
بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فنحاص سيد بني
قينقاع يستمده وكتب إليه معه كتابا وقال لأبي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح
بالسيف إلى فنحاص وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر أن
يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري
نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الأشرف اليهودي وذلك أنه كان يهجو النبي صلى الله
عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله قال نعم قال ائذن لي
فلأقل قال فأتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال إن هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله
لتملنه قال إنا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا
قال فما ترهنني أرهنني نساءكم قال أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا قال له ترهنون أولادكم قال يسب ابن
أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح قال نعم وواعده أن يأتيه بالحرث
وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل إليهم قالت امرأته إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم
قال إنما هو محمد ورضيعي أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد إني إذا جاء فسوف أمد يدي
إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي
فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي أن أشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لي أن أعود قال
فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه وزاد في رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب
السير والمغازي فاختلف عليه أسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد
صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى
بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا وقد أبطأ
علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرناه بقتل كعب بن الأشرف وجئنا برأسه إليه
وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وأنزل الله عز وجل في شأن كعب بن الأشرف اليهودي
لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين
أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالأذى قول اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من
افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الأشرف يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين
فهذا هو الأذى الكثير (وإن تصبروا وتتقوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يعني وإن
تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه والتقوى
عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي (فإن ذلك من عزم الأمور) أي من صواب التدبير الذي لا شك أن الرشد
فيه ولا ينبغي لعاقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه
وقيل معناه فإن ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمتم الأخذ به ۞ قوله تعالى (وإذ أخذ الله) أي واذكر
يا محمد وقت إذ أخذ الله (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل
المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والأحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والإلزام لبيان
ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (لتبيننه للناس) يعني ليبينن ما في الكتاب وليظهرنه للناس حتى

(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) كالطعن في الدين وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك (وإن تصبروا) على أذاهم وتتقوا مخالفة أمر الله (فإن ذلك) فإن الصبر والتقوى (من عزم الأمور) من معزومات الأمور أي مما يجب العزم عليه من الأمور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه للناس

يعلموه وذلك ان الله أوجب على علماء التوراة والانجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يكتمونه) يعني ولا يخفون ذلك عن الناس (فنبذوه) يعني الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) أي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعني المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشترون) ذمهم على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي ولأبي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة لولا ما أخذ الله عز وجل على أهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت أريد أن تحدثني فقال أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت اما أن تحدثني واما أن أحدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثا قوله عز وجل (لا تحسبن الذين يفرحون) قرئ بالتاء على الخطاب أي لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين (ق) عن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون قال ابن عباس ومالكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه (بما أتوا) يفرحون بما فعلوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي ويحبون أن يحمدهم الناس على شئ لم يفعلوه وقيل عنى بذلك قوما من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاص وأشيع وغيرهما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أي تقول الناس لهم علماء وليسوا بأهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن أهل الصوم والصلاة وأحبوا أن يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما أتوا من تبديلهم التوراة وأحبوا أن

(ولا تكتمونه) عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن وبالياء مكي وأبو عمرو وأبو بكر لانهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أي لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على أنه يجب على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة او دفع أذية أو لبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار (واشتروا به ثمنا قليلا) عرضا يسيرا (فبئس ما يشترون) والخطاب في (لا تحسبن) لرسول الله واحد المفعولين (الذين يفرحون) والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين (بما أتوا) بما فعلوا وهي قراءة أبي وجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل قال الله انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا وقرأ النخعي بما آتوا أي أعطوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا

عن ذلك وقيل ان يهود خيبر أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم وأحبوا أن يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أي فلا تظننهم بمنجاة من العذاب الذي أعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود أو المنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من أحب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح أو ينسب الى العلم وليس هو كذلك ۞ قوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض) يعني انه تعالى مالك ما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن أغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شيء كيف يكون فقيرا (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بالحلم ۞ قوله عز وجل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) قال ابن عباس ان أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا أيها الناس فيما خلقته وأنشأته من السموات والارض لمعاشكم وأرزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر بأنهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون أرزاقكم في النهار وتسكنون في الليل لراحة أجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا أولي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية يعني الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني فقتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فأخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ونحوه ۞ قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من

فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) بمنجاة منه (ولهم عذاب أليم) مؤلم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ما بين من العلماء وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين وتوصلهم بذلك الى أغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك أمرهما وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير (والله على كل شيء قدير) فهو يقدر على عقابهم (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات) لادلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر (لاولي الالباب) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان العرض المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكي أن في بني اسرائيل من اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت الا من ذلك (الذين) في موضع جر نعت لاولي أو نصب باضمار أعني أو رفع باضمارهم (يذكرون الله) يصلون (قياما) قائمين (وقعودا) قاعدين (وعلى جنوبهم) أي مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل في يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا أو المراد الذكر على كل حال لان الانسان لا يخلو عن هذه الاحوال وفي الحديث من أحب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر

الاحوال فلا يصلون في كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب أخرجه الترمذي وقال فيه ما عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه أن يصلي على جنب ويومئ برأسه ايماء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلي مستلقيا على ظهره فان قدر وحجة الشافعي ظاهر الآية وهو قوله تعالى وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال أكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود والكون على جنبه (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل أحيانه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة أخرجه أبو داود والترة النقص وقيل هي هنا التبعة قوله تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض) أصل الفكر اعمال الخاطر في الشئ وترددا في ذلك الشئ وهو قوة متطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك أخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا ان لها قادرا مدبرا حكيما لان عظم آثاره وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفي كل شئ له آية ۞ تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) أي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في السموات والارض قائلين ربنا (ما خلقت هذا باطلا) يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على كمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن أن تخلق شيأ عبثا بغير حكمة (فقنا عذاب النار) يعني يا من وحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم كيفية الدعاء فمن أراد أن يدعو فليقدم الثناء على الله أولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك يأتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أي أهنته وأذللته وقيل أهلكته وقيل فضحته وأبلغت في اذلاله والخزي ضرب من الاستخفاف أو انكسار يلحق الانسان من الحياء المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد أخبر الله انه لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله انك من تدخل النار فقد أخزيته والمؤمن لا يخزى قلت قد ذكر العلماء في الجواب وجوها أحدها ما روي عن أنس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من تخلده وروي نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا انما يصح على مذهب أهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار أما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله تعالى فقد أخزيته

ذكر الله (ويتفكرون في خلق السموات والارض) وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعها فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر (ربنا ما خلقت هذا باطلا) أي يقولون ذلك وهو في محل الحال أي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا اشارة الى الخلق على أن المراد به المخلوق أو الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا (سبحانك) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك فقنا (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أهنته أو أهلكته أو فضحته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه في أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تأديبه وان فوق ذلك لخزيا

في الجواب أن المدخل في النار مخزي في حال دخوله وإن كانت عاقبته أن يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد أخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر ابن عبد الله في عمرة فأتيت إليه أنا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار إن دون ذا لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لأن من أدخل النار فقد أخزي بدخوله إياها وإن أخرج منها وذلك الخزي هو هتك الخزي وفضيحته وقال ابن الأنباري حمل الآية على العموم أولى من نقلها إلى الخصوص إذ لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله أهل المعاني وهو أن الخزي يحتمل معاني منها الإهانة والإهلاك والإبعاد وهذا المسكة لم ومنها الاستحياء يقال خزي خزاية إذا استحى وإذا عمل عملا يستحى منه وخجل فيكون خزي المؤمن الذي يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار إلى أن يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب أن لفظ الإخزاء مشترك بين التخجيل والإهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والإثبات على معنييه جميعا وحينئذ يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه أن قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضي نفي الإخزاء مطلقا وإنما يقتضي أن لا يحصل الإخزاء حال ما يكونون مع النبي وهذا النفي لا يناقضه إثبات الإخزاء في الجملة لاحتمال أن يحصل ذلك الإثبات في وقت آخر والله أعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها (من أنصار) يعني ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب ﴿ قوله عز وجل (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان) قال ابن عباس وأكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا إلى الله بإذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القرآن قال إذ ليس كل أحد لقي النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فإذا وفقه الله تعالى للإيمان به فقد فاز به وذلك لأن القرآن مشتمل على الرشد والهدى وأنواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كأنه ينادي إليها واللام في للإيمان بمعنى إلى يعني ينادي إلى الإيمان (أن آمنوا بربكم فآمنا) أي فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أي كبائر ذنوبنا (وكفر عنا سيئاتنا) أي صغائر ذنوبنا وقيل إن الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وإنما أعاد كرهما تأكيدا لأن الإلحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب إليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الأبرار) يعني في جملتهم وزمرتهم والأبرار هم الأنبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة أتباعهم وأشياعهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) يعني على ألسنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فإن قلت كيف سألوا الله إنجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه أنهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجأ إلى الله تعالى والتذلل له وإظهار الخضوع والعبودية كما أن الأنبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع إليه والالتجاء إليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على ألسنة رسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوا أن يجعلهم مستحقين لها وقيل إنما سألوا تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء وقالوا قد علمنا أنك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة) يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فإن قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب

(ربنا إننا سمعنا مناديا) تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع فأغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وأن يقال يقال سمعت كلام فلان والمنادي هو الرسول عليه السلام أو القرآن (ينادي للإيمان) لأجل الإيمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادي إذ لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان (أن آمنوا) بأن آمنوا أو أي آمنوا (بربكم فآمنا) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء في الإيمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا (وكفر عنا سيئاتنا) صغائرنا (وتوفنا مع الأبرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والأبرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أي على تصديق رسلك أو ما وعدتنا منزلا على رسلك أو على ألسنة رسلك وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب أو النصرة على الأعداء وإنما طلبوا إنجاز ما وعد الله

والله لا يخلف الميعاد لأن معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد والمراد اجعلنا ممن لهم الوعد إذ الوعد غير مبين لمن هو أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا إلى عدتك يؤيده قوله (ولا تخزنا يوم القيامة) أو هو إظهار للخضوع

[illegible]

(أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) [illegible]

(بعضكم من بعض) [illegible] أي بعضكم كبعض [illegible]

[illegible] (وأوذوا في سبيلي) [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في سبيلي [illegible]

[illegible] من مكة [illegible] إلى الحبشة [illegible] إلى المدينة [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة [illegible]

(وقاتلوا وقتلوا) يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار (لأكفرن

عنهم سيئاتهم) [illegible] (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا

من عند الله) [illegible] لكن [illegible] واب الذي أعطاهم [illegible]

[illegible] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] فقراء المهاجرين الذين [illegible] بهم المكاره [illegible]

[illegible] إلى سلطان لم تقض [illegible] في صدره [illegible]

[illegible] الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا وأوذوا في سبيلي [illegible]

[illegible] الملائكة [illegible]

في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

[illegible] حسن الإثابة [illegible] الصادق [illegible]

[illegible] وقال الحسن [illegible] الله [illegible]

(ثوابا) في موضع

[illegible] وهو جواب قسم محذوف [illegible] (من عند الله) لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم [illegible]

[illegible] للمؤمنين [illegible] أعداء الله [illegible] من الخير [illegible]

إنه التي والذين [illegible]

[illegible]

السيئة [illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible] كانت

[illegible] (فالذين هاجروا

من ديارهم) [illegible]

[illegible] (وأوذوا في سبيلي)

[illegible] والضرب [illegible]

المال [illegible] في سبيل الدين

(وقاتلوا وقتلوا) [illegible]

المشركين واستشهدوا

وقتلوا [illegible] وقتلوا

[illegible] على القديم [illegible]

[illegible] دليل على

[illegible] الترتيب

[illegible] (لأكفرن عنهم

سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) [illegible]

[illegible]

[illegible] كرامة [illegible]

[illegible] الأوهام

إدراك [illegible]

[illegible] شأن [illegible]

[illegible] النبي

[illegible] السلام [illegible]

على [illegible]

[illegible] إلى النجم

فقال أشهد

[illegible]

الله [illegible]

السلام لا

[illegible]

[illegible]

قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) نزلت في المشركين وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين إن أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فأنزل الله تعالى هذه الآية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الأمة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الأرض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الأرباح والمكاسب (متاع قليل) أي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة (ثم مأواهم) يعني مصيرهم في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) أي وبئس الفراش هي ۞ قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا) أي جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعني من فضل الله وكرمه وإحسانه (وما عند الله) يعني من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع (خير للأبرار) يعني ذلك الفضل والنعمة التي أعدها الله للمطيعين الأبرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فإنه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو في مشربة وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي ۞ قوله عز وجل (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم) قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمني أهل الكتاب وهذا القول أولى لأنه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى الجنة فقال تعالى وإن من أهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل إليكم يعني ويؤمن بما أنزل إليكم أيها المؤمنون يعني القرآن وما أنزل إليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والزبور (خاشعين لله) يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الرياسة والمأكل والرشا كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) إشارة إلى من هذه صفته من أهل الكتاب (لهم أجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) والخطاب لكل أحد أو للنبي عليه السلام والمراد غيره ولأن مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا في النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي تقلبهم في البلاد متاع قليل وأراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لأنفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم) عن الشرك (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا) النزل والنزل ما يقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام في لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله) صفة له (وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للأبرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك أي لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا نزلت في ابن سلام وغيره من مسلمي أهل الكتاب أو في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) دخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما (وما أنزل إليكم) من القرآن (وما أنزل إليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أي غير مشترين (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين

(ان الله سريع الحساب) لغرقته فى كل شئ (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على الدين وتكاليفه الـ... رضى

أعد الله يوفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من أعمال العباد فيجازى كل أحد على قدر عمله لانه سريع الحساب ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعنى على دينكم الذى أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعانى قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا قيل فى معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعنى الكفار والاعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعنى داوموا واثبتوا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعد لقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان وقيل ان المرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط أخرجه مسلم (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظى يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بينى وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتمونى وقال أهل المعانى فى معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على بلائى وصابروا على نعمائى ورابطوا على مجاهدة أعدائى واتقوا محبة سوائى لعلكم تفلحون بلقائى وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا فى دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون فى دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والقرار ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا فى دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة النساء وهى مدنية﴾

وهى مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بنى آدم (اتقوا ربكم) أى احذروا أمره أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام وانما أنث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به المذكر فهو كما قال بعضهم

أبوك خليفة ولدته أخرى ۞ وأنت خليفة ذاك الكمال

فانه قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعنى حواء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصيرى فلما استيقظ رفع رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن الى فمال اليها واختلفوا فى أى وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت فى الجنة بعد دخوله اياها (وبث منهما) يعنى نشر وأظهر من آدم

عنه الصبر حبس النفس على المكروه بنفى الجزع (وصابروا) أعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا (ورابطوا) وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه ولعل لترجيه المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا فى محنتى وصابروا فى نعمتى ورابطوا أنفسكم فى خدمتى لعلكم تفلحون تظفرون بقربى قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب (سورة النساء) نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وسبعون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الناس) يا بنى آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (وخلق منها زوجها) معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه (وبث منهما) ونشر من آدم وحواء رجالا

(رجالا كثيرا ونساء) كثيرة أي وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها وعلى خلقكم والخطاب في يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي تقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابقة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه في التراب (واتقوا الله الذي تساءلون به) والاصل تتساءلون فأدغمت التاء في السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفي على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف (والارحام) بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى أي واتقوا الارحام ان تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو بالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشيء واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا أو عالما (وآتوا اليتامى أموالهم) يعني الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتيم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان سموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ان أونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار

(رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذي تساءلون به) انما كرر ذلك التقوى للتأكيد وانه أهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله واحلف عليك بالله وأستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام أن تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم أن يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك أيضا الاحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه قوله ينسأ في أثره أي يؤخر له في أجله (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت به وكلمته واذا أتاها القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر وأخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى ﴿ قوله عز وجل (وآتوا اليتامى أموالهم) نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على أبيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات أبوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا أونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى

(ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم أو ولا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال ا[ليتامى] بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتبدل بمعنى الاستبدال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى

وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون إليه من [نفقة] وكسوة والقول الأول هو الصحيح إذ المراد باليتامى البالغون لأنه لا يجوز دفع المال إلى اليتيم إلا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولا تتبدلوا) أي ولا تستبدلوا (الخبيث بالطيب) يعني الخبيث الذي هو حرام [عليكم بالطيب الذي هو حلال لكم] من أموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء وربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم [illegible] فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل إنه ليس بإبدال حقيقة وإنما هو [أخذه] مستهلكا وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وإنما كان يأخذ الميراث الأكابر الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل أموالهم فنهوا عن ذلك (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) يعني مع أموالكم وقيل معناه ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم في الإنفاق واعلم أن الله تعالى نهى عن أكل مال اليتيم وأراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وإنما ذكر الأكل لأنه معظم المقصود (إنه كان حوبا كبيرا) يعني أن أكل مال اليتيم من غير حق إثم عظيم والحوب الإثم ۞ قوله عز وجل (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) يعني وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن قوله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى [فانكحوا] ما طاب لكم من النساء إلى قوله أو ما ملكت أيمانكم قال يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر [وليها] فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء إلى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في إكمال الصداق وإن كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها إلى أن تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وأنزل هذه الآية وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر [من النساء] أو أكثر فإذا صار معدما من مؤن نسائه مال إلى مال يتيمه الذي في حجره فأنفقه فقيل لهم لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم إلى أخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في [النساء] ويتزوجون ما شاؤوا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى يقول فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لأن النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص الله تعالى في نكاح أربع فقال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) يعني ما حل لكم من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لأن قوله فانكحوا أمر والأمر للوجوب وأجيب عنه بأن قوله تعالى فانكحوا إنما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم

(ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) إلى متعلقة بمحذوف وهو في موضع الحال أي مضافة إلى أموالكم والمعنى ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (إنه) إن أكلها (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما (وإن خفتم ألا تقسطوا) أي ألا تعدلوا أقسط أي عدل (في اليتامى) يقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة لا غير وأما أيتام فجمع يتيم (فانكحوا ما طاب لكم) ما حل لكم (من النساء) لأن منهن ما حرم الله كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة لأن ما يجيء في صفات من يعقل فكأنه قيل الطيبات من النساء ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات أو كانوا يتحرجون من الولاية في أموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع أن الجور يقع بينهن إذا كثرن فكأنه قيل إذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وإن خفتم أن لا تقسطوا في نكاح

اليتامى فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة أي أدركت (مثنى وثلاث ورباع) نكرات وإنما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه
دل كلام سيبويه وعن ابن النصب على الحال من النساء أو مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا

يعني لأن ينكح إلى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم الآية فحكم في هذه السورة بأن
ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على أنه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع)
معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا وهو غير منصرف لأنه اجتمع فيه أمران العدل والوصف والواو
بمعنى أو في هذا الفصل لأنه لما كانت أو بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة أو وقيل إن الواو أفادت أنه
يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسما من هذه الأقسام بحسب حاله فإن قدر على نكاح اثنتين فاثنتان وإن
قدر على ثلاث فثلاث وإن قدر على أربع فأربع لأنه يضم عددا وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز لأحد أن يزيد
على أربع نسوة وأن الزيادة على أربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها أحد من
الأمة ويدل على أن الزيادة على أربع غير جائزة وأنها حرام ما روي عن الحرث بن قيس أو قيس بن الحرث
قال أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعا أخرجه
أبو داود عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا أخرجه الترمذي قال العلماء فيجوز للحر أن يجمع بين أربع نسوة
حرائر ولا يجوز للعبد أن ينكح أكثر من امرأتين وهو قول أكثر العلماء لأنه خطاب لمن ولي وملك وذلك
للأحرار دون العبيد وقال مالك في إحدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد أن يتزوج بأربع نسوة واستدل
بهذه الآية وأجاب الشافعي بأن هذه الآية مختصة بالأحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فإن خفتم ألا تعدلوا
فواحدة أو ما ملكت أيمانكم والعبد لا يملك شيئا فثبت بذلك أن المراد من حكم الآية الأحرار دون العبيد
وقوله تعالى (فإن خفتم) يعني فإن خشيتم وقيل فإن علمتم (ألا تعدلوا) يعني بين الأزواج الأربع (فواحدة)
يعني فانكحوا واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) يعني ما ملكتم من السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق
مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن (ذلك أدنى) أي أقرب (ألا تعولوا) معناه أقرب من أن لا تعولوا الحذف
إنما هو لدلالة الكلام عليه ومعنى أن لا تعولوا أي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول أكثر المفسرين لأن أصل
العول الميل يقال عال الميزان إذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض إذا
جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك أدنى أن لا تضلوا وقال الشافعي رحمه الله تعالى معناه أن لا تكثر عيالكم وقد
أنكر على الشافعي من ليس له إحاطة بلغة العرب فقال إنما يقال لمن كثرة العيال أعال الرجل يعيل إعالة إذا
كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعي لأنه انفرد به ولم يوافقه عليه أحد وإنما قال هذه المقالة من أنكر على
الشافعي وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الأزهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد
بن أسلم في قوله ألا تعولوا أي لا تكثر عيالكم وروى الأزهري عن الكسائي قال عال الرجل إذا افتقر وأعال
إذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول إذا كثر عياله قال الأزهري وهذا يقوي قول
الشافعي لأن الكسائي لا يحكي عن العرب إلا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لأنه عربي فصيح
والذي اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري أن يعجل إلى إنكار ما لا يحفظه من لغات
العرب هذا آخر كلام الأزهري وبسط الإمام فخر الدين الرازي في هذا الموضع من تفسيره ورد على أبي بكر
الرازي ثم قال الطعن لا يصدر إلا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن أبي حاتم قال كان الشافعي
أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ألا تعيلوا بضم التاء وهو حجة
للشافعي (وآتوا النساء صدقاتهن) قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للأولياء قال أبو صالح كان الرجل إذا

العدد فتثنين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا قلت الذي أطلق لمن كح في الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجيء بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جيء بأو مكانها لذهب معنى التجويز (فإن خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الأعداد (فواحدة) فالزموا أو فاختاروا واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) سوى في اليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر (ذلك) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري (أدنى ألا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا إذا مال وعال الحاكم في حكمه إذا جار وحكي عن الشافعي رحمه الله أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر

عيالكم واعترضوا عليه بأنه يقال أعال يعيل إذا كثر عياله وأجيب بأن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق
عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من أعلام العلم حقيق
بالحمل على السداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا كأنه سلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (وآتوا النساء صدقاتهن

مهورهن (نحلة) من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل وأعطوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده و النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أي يدين به يعني وآتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم (فإن طبن لكم) للأزواج (عن شيء منه) أي من الصداق إذ هو في معنى الصدقات (ن

تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ولم يقل فإن وهبن لكم إعلاما بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة (فكلوه) الهاء يعود على شيء (هنيئا) لا إثم فيه (مريئا) لا داء فيه فسرهما النبي عليه السلام أو هنيئا في الدنيا بلا مطالبة مريئا في العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وهذه عبارة عن المبالغة في الإباحة وإزالة التبعة هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة في الوقف وهمزهما الباقون وعن علي رضي الله عنه إذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ليشتري بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا مريئا وشفاء ومباركا (ولا تؤتوا السفهاء) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا قدرة لهم على إصلاحها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف إلى الأولياء أموال السفهاء بقوله (أموالكم) لأنهم يلونها ويمسكونها (التي جعل الله لكم قياما) لأبدانكم ومعاشا لأهليكم وأولادكم قيما بمعنى قياما نافع وشامي كما جاء عوذا بمعنى عياذا وأصل قيام قوام فقلبت الواو ياء لانكسار

زوج ابنته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل إن ولي المرأة كان إذا زوجها فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها إلا قليلا ولا كثيرا وإن كان زوجها غريبا حملوها إليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهله وقال الحضرمي كان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بتسمية المهر في العقد (ق) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار في العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للأزواج وهذا أصح وهو قول الأكثرين لأن الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الأزواج أمرهم الله تعالى بإيتاء نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال (نحلة) يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل عطية بطيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهي أخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث إنه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى (فإن طبن) يعني النساء المتزوجات (لكم) يعني للأزواج (عن شيء منه) يعني من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لأنها لو وهبت المرأة لزوجها كل الصداق جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فإن طابت نفوسهن عن شيء من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظها واحد ومعناها الجمع (فكلوه) يعني ما وهبنه لكم (هنيئا مريئا) يعني طيبا سائغا وقيل الهني الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة وفي الآية دليل على إباحة هبة المرأة صداقها وأنها تملكه ولا حق للولي فيه
تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى أن يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الأولاد خاصة يقول لا تعط مالك الذي هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر إلى أيديهم أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد لا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده خير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته إياه وأنفق عليه منه حتى يبلغ وإنما أضاف المال إلى لأنهم قوامها ومدبروها وأصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل في الأمور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذي يكون مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع وقيل إن السفهاء المذكورين في هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وإنما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق أموالكم (التي جعل الله لكم قياما) يعني قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن

السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكان
له بضاعة يقلبها ويقول لولاها لتمندل بي بنو العباس (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال
فلا يأكلها الانفاق (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم

سلمنا اليكم أموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا أن يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجيء منه وفيه دليل على جواز اذن الصبي العاقل في التجارة (حتى اذا بلغوا النكاح) أي الحلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد (فان آنستم منهم) تبينتم (رشدا) هداية في التصرفات وصلاحا في المعاملات (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله حتى ماء دجلة أشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة

معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم
جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص وهو الرشد في التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أي
طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابي حنيفة رحمه الله في دفع المال اليه عند بلوغ خمس وعشرين سنة

هلك أمه ق عليهم ولا تورث مالك أمر أتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وفكاك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) أي أطعموهم (واكسوهم) يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه أمر أن يجري رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه أراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعني قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر في القلب فيزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت أعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء أي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو أن يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وأنا أمين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل ﴿ قوله عز وجل (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت في ثابت ابن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) أي مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) أي أبصرتم وعرفتم (منهم رشدا) يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

﴿فصل﴾ في أحكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لم يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على أهله وعبيده وأجرائه وتصرفه في أحوال داره وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد ﴿المسئلة الثانية﴾ قال الامام أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى أمر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ أجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم أموالهم) وانما ندفع اليهم أموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية أنه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب أن لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد ﴿المسئلة الثالثة﴾ في بيان البلوغ وذلك بأربعة أشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء أما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فأحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية ويدل عليه ما روى

عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني
عرضت عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني أخرجاه في الصحيحين وهذا قول أكثر أهل العلم
وقال أبو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة
الاحتلام وهو انزال المني الدافق سواء أنزل باحتلام أو جماع فاذا وجد ذلك من الصبي أو الجارية حكم
لقوله تعالى وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا أما
الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في أولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من
قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك
على البلوغ في أولاد المسلمين فيه قولان أحدهما أنه يكون بلوغا كما في أولاد المشركين والثاني لا يكون
بلوغا في حق أولاد المسلمين لأنه يمكن الوقوف على مواليد أولاد المسلمين والرجوع الى قول آبائهم
الكفار فانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو
البلوغ بلوغا في حقهم وأما الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال
سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل ﴿المسألة
الرابعة﴾ في بيان الرشد وهو أن يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب
والمعاصي التي تسقط بها العدالة والاصلاح في المال هو أن لا يكون مبذرا والتبذير أن ينفق ماله فيما لا
محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو
لماله أو دينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة اذا كان
زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان مفسدا لماله لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسا وعشرين
غير أنه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لأن الله تعالى قال فان آنستم
رشدا فادفعوا اليهم أموالهم أمر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا أو
بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال اليه كما قبل
هذا السن ﴿المسألة الخامسة﴾ اذا بلغ الصبي أو الجارية وأونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع
سواء تزوج أو لم يتزوج وقال مالك ان كانت امرأة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها
ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب ﴿المسألة السادسة﴾ اذا بلغ الصبي رشيدا زال
الحجر فلو عاد سفيها بعد فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين أحدهما
يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يحجر عليه لأن حكم الدوام أقوى من
الابتداء وعند أبي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق
ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع أرضا سبخة بستين ألف درهم فقال علي
عثمان ولا حجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك في بيعك فأتى علي
فقال احجر على هذا فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير
اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه ۞ وقوله تعالى (ولا تأكلوها اسرافا)
للأولياء يعني يا معشر الأولياء لا تأكلوا أموال اليتامى بغير حق (وبدارا أن يكبروا) يعني لا تبادروا
ورشدهم فتفرطوا في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ۞ ثم بين
حال الأولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) أي فليمتنع من أكل مال
يرزؤه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فليأكل بالمعروف)
أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير

ثم (ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا) ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فاسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال وان يكبروا في موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز أن يكونا مفعولا لهما أي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من أكلها أي يحترز من أكل مال اليتيم واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في أكله عن ابراهيم ما سد الجوعة ووارى العورة

بين ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروي عن عمر وابن عباس وابن جبير وأبي العالية وعبيدة السلماني وأبي وائل ومجاهد ومقاتل أنه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء فذهب قوم إلى أنه يلزمه القضاء إذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه فإذا أيسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإذا أيسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالأجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة ثم القائلون بجواز الأكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل بأطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فأما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيئا فإن أخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيئا وروي أن رجلا قال لابن عباس إن لي يتيما وإن له إبلا أفأشرب من لبن إبله فقال ابن عباس إن كنت تبغي ضالة إبله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف أن يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم وقوله تعالى (فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) هذا أمر إرشاد وليس بواجب أمر الله تعالى الولي بالإشهاد على دفع المال إلى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لأنه إذا كانت عليه بينة كان أبعد من أن يدعي عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصي وتسقط عنه اليمين عند إنكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا به

۞ قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) نزلت هذه الآية في أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كجة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا من ماله وذلك أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وإنما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الإرث إلا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت أم كجة امرأة أوس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته منه شيئا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله إن ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكي عدوا فأنزل الله هذه الآية وبين أن الإرث ليس مختصا بالرجال بل هو أمر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني الذكور من أولاد الميت وعصبته نصيب أي حظ مما ترك الوالدان والأقربون يعني من الميراث (وللنساء نصيب) يعني وللإناث من أولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر) يعني من المال المخلف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيئا فإن الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فأنزل الله تعالى يوصيكم الله في أولادكم الآية فلما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرفجة أن ادفعا إلى أم كجة الثمن مما ترك وإلى بناته الثلثين ولكما باقي المال ۞ قوله عز وجل (وإذا حضر القسمة) يعني قسمة الميراث فعلى هذا

(فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) بأنهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد [illegible] اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب أو هو راجع إلى قوله فليأكل بالمعروف أي ولا يسرف فإن الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى إلى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير في منه يعود إلى ما ترك (نصيبا) نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا (مفروضا) مقطوعا لا بد لهم من أن يحوزوه روي أن أوس بن ثابت ترك امرأته أم كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت أم كجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة

القول يكون الخطاب للوارثين (أولوا القربى) يعنى القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) ا
قسم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارزقوهم منه) أي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة
العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية الموار
نزلت آية المواريث جعلت لأهلها ونسخت هذه الآية وهي رواية مجاهد عن ابن عباس وقوا
المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهي الرواية الأخرى عن ابن عباس
وهو قول أبي موسى الأشعري والحسن وأبي العالية والشعبي وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجا
والنخعي والزهري ثم اختلف العلماء بعد القول بأنها محكمة هل هذا الأمر أمر وجوب أو ندب على قو
أحدهما أنه واجب فقيل إن كان الوارث كبيرا وجب عليه أن يرضخ لمن حضر القسمة شيأ من المال
تطيب به نفسه وإن كان الوارث صغيرا وجب على الولي أن يعتذر إليهم ويقول إني لا أملك هذا المال
هؤلاء الضعفاء قال ابن عباس إن كان الورثة كبارا رضخوا لهم وإن كان الورثة صغارا اعتذر إليهم
الولي أو الوصي إني لا أملك هذا المال وإنما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لأعطيتكم وإن يكبروا فسيعر
حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب في مال الصغار والكبار فإن كان الورثة كبا
تولوا إعطاءهم بأنفسهم وإن كانوا صغارا أعطى وليهم وروى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني
أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لأجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان
وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة الأعيان فإذا آل الأمر إلى قسمة الأرضين والرقيق و
ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والأواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحي
قسمته والقول الثاني إن هذا الأمر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والإيجاب وهذا القول هو
الذي عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق
حيث لم يبين علمنا أن ذلك غير واجب وقيل في معنى الآية أن المراد بالقسمة الوصية فإذا حضر الوصية من
لا يرث من الأقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الوصي أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقولوا
لهم قولا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولا معروفا) هو أن لا يتبع العطية بالمن والأذى في قوله تعالى (وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعني أولادا صغارا (خافوا عليهم) يعني الفقر قيل هذا خطاب للذين
يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغنون
شيأ قدم لنفسك أعتق وتصدق وأعط فلا يزالون به حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وأمر
أن يأمروه أن ينظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما أنكم تكرهون بقاء أولادكم في
الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الصغار من ماله
هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا العمل لنفسك فلا ترضه لأخيك المسلم وكأنه لو كان هذا إتلاف
الموصى لسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم
وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد أن يوصي بشيء فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وأ
أموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لأقاربه المحتاجين وقيل الآية تحتمل أن تكون خطابا لمن حضر أجله
ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم إن
نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها أن لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وإن كانت قد نزلت بعد تقديره
كان المراد منها أن يوصي بالثلث أو بأقل منه إذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة أنهم
بالقليل لأجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد
الصحيح الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعني

(أولوا القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين) من الأجانب (فارزقوهم) فأعطوهم (منه) مما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا في الابتداء ثم نسخ بآية الميراث (وقولوا لهم قولا معروفا) عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف أن يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم

فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما في حيزه صلة للذين أي وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الأوصياء أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بني ويا ولدي (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين فهو مصدر في موضع الحال (إنما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم (نارا) أي يأكلون ما يجر إلى النار فكأنه نار روي أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأذنيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا (وسيصلون) شامي وأبو بكر أي سيدخلون (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد إليكم ويأمركم (في أولادكم) في شأن ميراثهم وهذا إجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الأنثيين) أي للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد حال الاجتماع أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل عليه أنه أتبعه حكم الانفراد بقوله

يأكلهم وقيل هو خطاب لأولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته أن يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره إذا كان في حجره والمقصود من الآية من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت إليه في حقه ما يحب أن يفعل بأولاده من بعده (فليتقوا الله) يعني في الأمر الذي تقدم ذكره (وليقولوا قولا سديدا) يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمره أن يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وأن لا يحيف في وصيته والقول السديد من الأوصياء وأولياء اليتامى أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل ﴿ قوله عز وجل (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) قال مقاتل وابن حيان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن أخيه وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق (إنما يأكلون في بطونهم نارا) يعني سيأكلون يوم القيامة فسمى الذي يأكلون نارا بما يؤول إليه أمرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وقيل إنما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد أن أكل مال اليتيم ظلما يفضي به إلى النار وإنما خص الأكل بالذكر وإن كان المراد سائر أنواع الإتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالأكل لأنه معظم المقصود وإنما ذكر البطون للتأكيد كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني (وسيصلون سعيرا) يعني بأكلهم أموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وإن تخالطوهم فإخوانكم وقد توهم بعضهم أن قوله وإن تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لأن هذه الآية واردة في المنع من أكل أموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لأن أكل مال اليتيم بغير حق من أعظم الآثام وقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم وارد على سبيل الإصلاح في أموال اليتامى والإحسان إليهم وهو من أعظم القرب ﴿ قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروي عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني إلا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية أخرى فنزلت يوصيكم الله في أولادكم وفي رواية أخرى فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل

والكلبي نزلت في أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع [illegible]
يوم أحد وترك بنتين وامرأة وأخا (ق) عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع
من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبو
يوم أحد شهيدا وان عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضي الله
فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأعط
الثمن وما بقي فهو لك أخرجه الترمذي وقال السدي كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء
الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة
وخمس بنات فجاء الورثة وأخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل [illegible]
الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا تتضمن أحكام الفرائض و
قواعدها

(فصل في الحث على تعليم الفرائض) اعلم ان علم الفرائض من أعظم العلوم قدرا وأشرفها ذخرا
ذكرا وهي ركن من أركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة
بتحصيله وتكلموا في فروعها وأصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وأنزلها في كتابه
مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فاني مقبوض أخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب
وأخرجه أحمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة
فلا يجدان أحدا يخبرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض
فانه نصف العلم وهو أول علم ينسى وهو أول شئ ينزع من أمتي أخرجه ابن ماجه والدارقطني

(فصل في بيان أحكام الفرائض) اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان
عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن
الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وأم أو لاب أو لام وابن الاخ للاب والام أو للاب
وان سفل والعم للاب والام أو للاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت
وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من [illegible]
لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة
ثلاثة أصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات وأولاد
وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب
وبالفرض أخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض
السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض وأخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال
اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض

(فصل) وأسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان
يرث أحد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصباته يرثون المعتق والموانع
التي تمنع الميراث أربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روي عن أسامة بن
زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم أخرجاه في الصحيحين فأما الكفار
فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم وأديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف
والكفر يمنع التوارث أيضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي والى

الزهري والاوزاعي وأحمد واسحق لما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين أهل ملتين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث أهل ملتين شتى أخرجه أبو داود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له ولا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل أو خطأ لما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث أخرجه الترمذي وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند أهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا أو خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو أن يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا أو انهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته

(فصل) والسهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن ولد الاب والام والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا أو بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام أو للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين احداهما زوج وأبوان والاخرى زوجة وأبوان فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من أولاد الام ذكرهم وأنثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد أو ولد ابن أو اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الام ذكرا كان أو أنثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع

(فصل) روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وأنثاهم كأنثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان أما الاول وهو حجب النقصان فهو أن الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس وأما الثاني وهو حجب الحرمان فهو أن الام تسقط الجدات وأولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بأربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن وأولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو

قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعى والشافعى وأحمد وأولاد الاب يسقطون
الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى أن الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبى
بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبى الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة وأقرب
العصبات يسقط الابعد منهم فأقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد أحد
من الاخوة والاخوات للاب والام أو للاب يشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم
للاب ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان لاب وأم أو لاب فان استويا فى الدرجة فالذى هو لاب وأم أولى
ثم العم لاب وأم ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن أحد من
عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور
يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت
لاب وأم أو لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن
يعصب من فى درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذن من الثلثين شيأ حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن
فللبنتين الثلثان ولا شئ لبنت الابن فان كان فى درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن كان الباقى بينهما
للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام أو للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت وأخت كان
للبنت النصف والباقى وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين وأخت كان للبنتين الثلثان والباقى للاخت
ويدل على ذلك ما روى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للابنة
النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبى موسى فقال لقد
ضللت اذا وما أنا من المهتدين ثم قال أقضى فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن
السدس تكملة الثلثين وما بقى فللاخت فأخبر أبو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألونى ما دام هذا الحبر
فيكم أخرجه البخارى وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله أى يعهد اليكم ويفرض عليكم فى أولادكم
أى فى أولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب
الانسان بولده أشد من تعلقه بغيره ولهذا قسم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعنى ان الولد الذكر له مثل
ضعف سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من أهل الفرائض
كالابوين أخذوا فروضهم وما بقى بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعنى المتروكات
من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعنى بنتين فصاعدا (فلهن ثلثا ما ترك) وأجمعت الامة على أن للبنتين الثلثين
الا ما روى عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين وعنده ان فرض البنتين
النصف كفرض الواحدة وأجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور أيضا الوجه الاول ان الله تعالى قال
وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفى حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثانى
ان فى الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان فوق
ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعنى فاضربوا الاعناق وانما
سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه
الرابع قال علماء الجمهور انما أعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة
النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس
له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فجعل
للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان الله

(فان كن نساء) أى فان كانت الاولاد نساء خلصا يعنى بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) خبر ثان لكان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) أى الميت لان الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت

(وإن كانت واحدة فلها النصف) أي وإن كانت المولودة منفردة واحدة رفع على كان التامة والنصب أوفق لقوله فإن كن نساء فإن قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في الانفراد فما حكمهما حال الانفراد قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضي الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أعطوهما حكم الجماعة والذي يقتضي قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وذلك لأن من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فإذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين ولأنه قال في آخر السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما ولأن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان

(٣٥٣)

أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفي الآية دلالة على أن المال كله للذكر إذا لم يكن معه أنثى لأنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وقد جعل للأنثى النصف إذا كانت منفردة فعلم أن للذكر في حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير في (ولأبويه) للميت والمراد الأب والأم إلا أنه غلب الذكر (لكل واحد منهما السدس) بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها

ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الإجمال والسدس مبتدأ خبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف (مما ترك إن كان له ولد) هو يقع على الذكر والأنثى (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) أي مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما يبقى بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لأن الأب أقوى من الأم في الإرث بدليل أن له ضعف حظها إذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها فإن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين فلإمه بكسر الهمزة حمزة وعلي لمجاورة كسر اللام (فإن كان له) أي للميت (إخوة فلأمه السدس) إذا كان للميت اثنان من الإخوة والأخوات فصاعدا فلأمه السدس والأخ الواحد لا يحجب والأعيان والعلات والأخياف في حجب الأم سواء

بالثلثين لابني سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسألة وقوله تعالى (وإن كانت واحدة) يعني البنت واحدة (فلها النصف) يعني فرضها (ولأبويه) يعني أبوي الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه (لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) يعني أن للأب والأم مع وجود الولد أو ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم أن اسم الولد يقع على الذكر والأنثى فإذا مات الميت وترك أبوين وولدا ذكرا واحدا كان أو أكثر أو ترك بنات فإن للأم السدس بالفرض وللأب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب (فإن لم يكن له ولد) يعني للميت (وورثه أبواه فلأمه الثلث) يعني أن الميت إذا مات عن أبوين وليس له وارث سواهما فإن الأم تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الأب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما أثلاثا للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كان مع الأبوين أحد الزوجين فيفرض للأم ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة (فإن كان له) يعني للميت (إخوة) يعني ذكورا أو إناثا (فلأمه السدس) يعني لأم الميت سدس التركة إذا كان معها أب وأجمع العلماء على أن الثلاثة يحجبون الأم من الثلث إلى السدس وأن الأخ الواحد أو الأخت الواحدة لا تحجب الأم من الثلث إلى السدس واختلفوا في الأخوين فقال أكثرون من الصحابة يقولون إن الأخوين يحجبان الأم من الثلث إلى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الأخوان يردان الأم من الثلث إلى السدس وإنما قال الله تعالى فإن كان له إخوة والأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة فقال عثمان يا بني إن قومك حجبوها بأخوين ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلي وإنما نشأ هذا الاختلاف لأنهم اختلفوا في أقل الجمع وفيه قولان أحدهما أن أقل الجمع اثنان وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني وحجة هذا القول أنك إذا جمعت واحدا إلى واحد فهما جماعة لأن أصل الجمع ضم شيء إلى شيء وقال ابن الأنباري التثنية عند العرب أول الجمع ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبا كما القول الثاني أن أقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الأصح وإنما حجب العلماء الأم بالأخوين لدليل اتفقوا عليه وهو أن لفظ الإخوة يطلق

(من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية (يوصى بها) بفتح الصاد مكي وشامي وحماد ويحيى وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية لمجاورة يورث وكسر الاولى لمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر الصاد أي يوصي بها الميت (أو دين) والاشكال ان الدين مقدم على الوصية في الشرع وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب ان أو لا تدل على الترتيب ألا ترى أنك اذا قلت جاءني زيد أو عمرو كان المعنى جاءني أحد الرجلين فكان التقدير في قوله من بعد وصية يوصى بها أو دين من بعد أحد هذين الشيئين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وانما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام ألا ان الدين قبل الوصية ولانها تشبه الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع الدين (آباؤكم) مبتدأ (وأبناؤكم) عطف عليه والخبر (لا تدرون) وقوله (أيهم) مبتدأ خبره (أقرب لكم) والجملة في موضع نصب بتدرون (نفعا) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الاموال على غير حكمة والتفاوت في السهام بتفاوت المنافع وأنتم لا تدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا (من الله ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) أي زوجاتكم (ان لم يكن لهن ولد) أي ابن أو بنت (فان كان لهن ولد) منكم أو من غيركم (فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) والواحد والجماعة سواء في الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر…

على الآخرين فصاعدا وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس لا يرثون شيأ البتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن أبوين وأخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة أسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير أن يرثوا الاب شيأ معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام (من بعد وصية يوصى بها أو دين) يعني هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة أو لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما الى الآخر قال علي رضي الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على أن الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة ❁ قوله تعالى (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق… الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فأطو… الآباء والابناء أرفعكم درجة فان كان الوالد أرفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لان… لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وأبناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع ومنكم من يظن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له ولكن الله هو الذي دبر أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعني ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان عليما حكيما) يعني كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل عليما بخلقه قبل أن يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة أقوال أحدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا قيل لهم ان الله كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب ❁ قوله عز وجل (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين) … ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات من الازواج (ولهن) يعني للزوجات (الربع… تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) … الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله في الموجب السببي للرجل مثل حظ الا…

وأما ان الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فانهن يشتركن في الربع أو الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها ﴿ قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة) تقدير الآية وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب أكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبي قال سئل أبو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني لأستحيي من الله أن أرد شيئا قاله أبو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء ماخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لان أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية التي نزلت في آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول أبي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة أي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد الحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال أبو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة وما أعضل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء ما أعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخمر (ق) عن معدان بن أبي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا أدع بعدي شيأ أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر ألا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء واني ان أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله ألا يكفيك آية الصيف أراد ان الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليها ﴿ وقوله تعالى (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس) أراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال تعالى وله أخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما أضافوا الى أحدهما

الاثنين (وان كان رجل) يعني الميت وهو اسم كان (يورث) من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل (كلالة) خبر كان أي وان كان رجل موروث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث والكلالة تطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء (أو امرأة) عطف على رجل (وله أخ أو أخت) أي لأم فان قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره قلت أما افراده فلان أو لاحد الشيئين وأما تذكيره فلانه يرجع الى رجل لانه مذكر مبدوء به أو يرجع الى أحدهما وهو مذكر (فلكل واحد منهما السدس)

فان كانوا أ كثر من ذلك) من واحد (فهم شركاء فى الثلث) لامهم مستحقون بقرابة الام وهى لاترث أكثر من الثلث ولذا لا يفضل منهم ذكر على الانثى (من بعد وصية يوصى بها أودين) انما كررت الوصية لاختلاف الموضعين فالاول فى الاولاد والثانى فى الزوجة والثالث فى الزوج والرابع فى الكلالة (غير مضار) حال أى يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصى بزيادة على الثلث أو لوارث (وصية من الله) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية (والله عليم) بمن جار أو عدل فى وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما كان رجال فاعل مايدل عليه يسبح لانه لما قيل يسبح له علم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح واعلم ان الورثة أصناف أصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللاكثر الثلثان وبنت الابن وان سفلت وهى عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتى الصلب الا ان يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها والاخوات لاب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات لاب وهن كالاخوات لاب وأم عند عدمهن ويصير الفريقان عصبة مع البنت أو بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والاب وبالجد عند أبى حنيفة رحمه الله وولد الام فللواحد السدس وللاكثر الثلث وذكرهم وانثاهم سواء ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل والاب والجد والاب وله السدس مع الابن أو ابن الابن وان سفل

الى الآخر ورجما أضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها قال الفراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى أيهما أريد ويجوز اسناده اليهما أيضا (فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) وهذا اجماع العلماء أن أولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون فى الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء قال أبو بكر الصديق فى خطبته ألا ان الآية التى أنزل الله فى أول النساء من شأن الفرائض أنزلها فى الولد والوالد والام والآية الثانية فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التى ختم الله بها سورة النساء فى الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التى ختم بها الانفال أنزلها الله فى أولى الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ۞ وقوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها أودين) تقدم تفسيره وبقى شئ من الاحكام يذكر هنا وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفى معنى الآية ماروى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماحق امرئ له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد أن يوصى به أن يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الا وعندى وصيتى مكتوبة أخرجاه فى الصحيحين ففى ظاهر الآية والحديث مايدل على الاطلاق لكن ورد فى السنة مايدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص قال الثلث والثلث كثير انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على أن الوصية لاتجوز بأكثر من الثلث وان الوصية بالثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ماروى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر أخرجه الترمذى والنسائى عن أبى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه أبو داود وقوله تعالى (غير مضار) يعنى غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث فى الوصية وهو ان يوصى بأكثر من الثلث وقيل هو ان يوصى بدين ليس عليه أو يقر بماله أو بأكثره لاجنبى ويترك ورثته عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أودين الى قوله وذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذى وقال قتادة كره الله تعالى الضرار فى الحياة وعند الموت فهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار فى الوصية من الكبائر لان مخالفة أمر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار فى الوصية فدل على أن ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الوصية فى قدر مايخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفى الورثة كثرة فالاولى به ان لايوصى بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان فى المال كثرة أوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده فى القلة والكثرة ۞ وقوله تعالى (وصية من الله) أى فريضة من الله وقيل عهد امن الله لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم) يعنى انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من قسمة المواريث وقيل عليم بمن يجور فى وصيته وبمن لايجور (حليم) يعنى انه تعالى ذو حلم وذو اناة فى ترك المعاجلة بالعقوبة عمن يجور فى وصيته وقال أبو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لايستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل

ومع البنت أو بنت الابن وان سفلت السدس والباقي والجد وهو أبو الاب وهو كالاب عند عدمه الا في رد الام الى ثلث ما بقي والام ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وان سفل أو الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من أي جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما بقي بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وان كثرت لام كانت أو لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه الربع • والعصبات وهم الذين يرثون ما بقي من الفرض وأولاهم الابن ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم أبوه وان علا ثم الاخ لاب وأم ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وأم ثم ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم اعمام الاب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتي فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة باخوانهن لا غيرهن • وذوو الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب

الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تلك) اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا الى معنى من ولفظها أي يدخله فيهما مقدرين الخلود فيهما (وله عذاب مهين) هو انه عند الله ولا تعلق للمعتزلة بالآية فانها في حق الكفار اذ الكافر هو الذي تعدى

الحدود كلها وأما المؤمن العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال (واللاتي) هي جمع التي وموضعها رفع بالابتداء (يأتين الفاحشة) أي الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى (من نسائكم) من للتبعيض والخبر (فاستشهدوا عليهن) فاطلبوا الشهادة (أربعة منكم) من المؤمنين (فان شهدوا) بالزنا (فامسكوهن في البيوت) فاحبسوهن (حتى يتوفاهن الموت) أي ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) أو يعني الآن (سبيلا) غير منسوخ عن ابن عباس رضي الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة

هو العفو مع القدرة المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة ﴿ قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم أن يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ورضي بما قسم الله له وحكم عليه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله (ويتعد حدوده) يعني ويتجاوز ما أمر الله تعالى به (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من أهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (واللاتي) هو جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة (يأتين الفاحشة) يعني يفعلن الفاحشة يقال أتيت أمرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك أجمعوا على أن الفاحشة ههنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم) قيل من الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج أي اطلبوا أربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام أي اسمعوا شهادة أربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر ابن الخطاب انما جعل الله الشهود أربعة سترا يستركم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعني الشهود بالزنا (فامسكوهن في البيوت) أي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا (حتى يتوفاهن الموت) يعني تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان في أول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا

(م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم

(فصل) اتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى أن ناسخها حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى أن الآية منسوخة بآية الجلد التي في سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها وأجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو اختلفوا في جلد الثيب مع رجمه فذهب طائفة الى أنه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأحمد واسحق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وأما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال أبو حنيفة وحماد لا يقضي بالنفي أحد الا أن يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النساء وروي ذلك عن علي قال لان المرأة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وأن أبا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان أصحهما أنه يغرب نصف سنة على حده وان كان الزاني مجنونا أو غير بالغ فلا جلد عليه ۞ قوله عز وجل (واللذان) هو تثنية الذي (يأتيانها) يعني يأتيان الفاحشة (منكم) يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المراد بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء وبهذه الرجال لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحبس في البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست انقطعت مادة المعصية وأما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه وتحصيل قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل (فآذوهما) يعني عيروهما بالقول باللسان وهو أن يقال له أما خفت الله أما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وقيل هو باللسان واليد يؤذي بالتعيير ويضرب بالنعال (فان تابا) يعني من الفاحشة (وأصلحا) يعني العمل (فأعرضوا عنهما) أي اتركوهما ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) يعني انه تعالى يعود على عباده بمغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التي في سورة النور وهي قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد أحصن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الحديث أن

(واللذان) يريد الزاني والزانية وبتشديد النون مكي (يأتيانها منكم) أي الفاحشة (فآذوهما) بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فان تابا) عن الفاحشة (وأصلحا) وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (ان الله كان توابا رحيما) يقبل توبة التائب ويرحمه قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى في السحاقات والثانية في اللواطين والتي في سورة النور في الزاني والزانية وهو دليل ظاهر لابي حنيفة رحمه الله في انه يعزر في اللواطة ولا يحد وقال مجاهد آية الاذى في اللواطة

إنما التوبة) هي من تاب الله عليه اذا قبل توبته أي انما قبولها (على الله) وليس المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكنه تأكيد
لوعده يعني أنه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك (للذين يعملون السوء) الذنب (٣٥٩) لسوء عقابه (بجهالة) في موضع الحال
أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل أن ينظر الى ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا (فأولئك يتوب الله عليهم) عدة بأنه يفي بذلك واعلام بأن الغفران كائن لا محالة (وكان الله عليما) بعزمهم على التوبة (حكيما) حكم بكون الندم توبة (وليست
التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) أي ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى أن يزول
حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حال اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا

أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وقال أبو حنيفة لا رجم على اليهودي لان الشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج ﴿قوله تعالى إنما التوبة على الله) يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أي من الله قال أهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد شيأ أنجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعني الذنوب والمعاصي سميت سوأ لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها (بجهالة) قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شئ عصى الله به فهو بجهالة عمدا كان أو غيره كل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع علمه بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يعد في زمرة المصرين وقيل القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة أهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي الغرغرة أن يجعل المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الآية ان القريب هو أن يتوب الانسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فأولئك يتوب الله عليهم) يعني يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيما) قال ابن عباس علم ما في قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل في معنى الآية علم انه انما أتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأناب عن قريب ﴿قوله عز وجل (وليست التوبة للذين يعملون السيآت) قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون ألا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر أحدهم الموت) يعني وقع في النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال اني تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا أهملوا أمرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وأيضا انه تعالى أخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه قلت ليس الامر على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس

وعليه الاختار (ولا الذين يموتون) في موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيآت أي ليست التوبة للذين يعملون السيآت
يموتون (وهم كفار) قال سعيد بن جبير الآية الاولى في المؤمنين والوسطى في المنافقين والاخرى في الكافرين وفي بعض المصاحف بلا
مبتدأ خبره (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) أي هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الاصل أعددنا فقلبت الدال تاء * كان الرجل يرث
مورثه بان يلقي عليها ثوبه فيتزوجها

بلا مهر فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أي أن ترثوهن
على سبيل الارث كما تحاز
المواريث وهن كارهات
لذلك أو مكرهات كرها
بالفتح من الكراهة
وبالضم حمزة وعلي من
الاكراه مصدر في موضع
الحال من المفعول والتقييد
بالكره لا يدل على الجواز
عند عدمه لان تخصيص
الشيء بالذكر لا يدل على نفي
ما عداه كما في قوله ولا تقتلوا
أولادكم خشية املاق وكان
الرجل اذا تزوج امرأة ولم
تكن من حاجته حبسها
مع سوء العشرة لتفتدي
منه بمالها وتختلع فقيل
(ولا تعضلوهن) وهو
منصوب عطفا على أن ترثوا
ولا لتأكيد النفي أي لا يحل
لكم أن ترثوا النساء ولا
ان تعضلوهن أو مجزوم
بالنهي على الاستئناف
فيجوز الوقف حينئذ على
كرها والعضل الحبس
والتضييق (لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن) من
المهر واللام متعلقة بتعضلوا
(الا أن يأتين بفاحشة) هي
النشوز وايذاء الزوج وأهله
بالبذاء الا أن يكون سوء
العشرة من جهته فقد عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها
الخلع (مبينة) وبفتح الياء مكي وأبو بكر والاستثناء من أعم عام الظرف والمفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت أن
يأتين بفاحشة أو لا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو
المبيت والنفقة والاجمال في القول

في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيآت يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى
المؤمنين يعني قوله انما التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والاخرى في الكافر
يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة في المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على
وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى وليست التو
للذين يعملون السيآت الآية ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة
هذا القول تكون الآية منسوخة في حق المؤمنين ۞ وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار)
لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة
ما وعدوا به من العقاب (أولئك أعتدنا لهم) أي هيأنا لهم (عذابا أليما) ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين
آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) نزلت في أهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام
اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوي عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة
وعلى خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي
وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدي
ورثته من الميت أو تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه
نفسها وكانوا على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية
فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها
فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي
حتى يأتي أمر الله فيك فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعني
نكاح النساء وقيل معناه أن ترثوا أموالهن كرها يعني وهن كارهات (ولا تعضلوهن) أي ولا تمنعوهن
الازواج وأصل العضل المنع (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) يعني لتضجر فتفتدي ببعض مالها قيل
خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها
لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم
يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة
أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة
هي النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المرأة اذا نشزت أو زنت
للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ما ساق اليها
الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذي قبله والمعنى وآتوا
نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو أن

(فان كرهتموهن) لقبحهن أو سوء خلقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه) في ذلك الشيء أو في الكره (خيرا كثيرا) ثوابا جزيلا أو ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ماهو أصلح في الدين وأدنى الى الخير وأحبت ماهو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وانما صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا رأى امرأة فاعجبته بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها فقيل (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أي تطليق امرأة وتزوج أخرى (وآتيتم احداهن) وأعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال (قنطارا) مالا عظيما كما في آل عمران وقال عمر رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) أي بينا والبهتان أن تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو برىء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الافضاء فقال (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أي خلا بلا حائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة انها تؤكد حيث أنكر الاخذ وعلل بذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان والله أخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن أو قول النبي عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في أيديكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولما نزل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا الارث فهن كرها ولكن نخطبهن فننكحهن

لها كما تحب ان تصنع لك (فان كرهتموهن) يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فيجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الآية ندب الى امساك المرأة مع الكراهة لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله لكم في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان يتخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه

قوله عز وجل (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال وأراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الآية الاولى مضارة الزوجات اذا أتين بفاحشة وهي اما النشوز أو الزنا بين في هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل المرأة اذا أراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتيتم احداهن قنطارا) يعني وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور روي أن عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفقه منك يا عمر وفي رواية امرأة أصابت وأمير أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور أيسرها وأسهلها (ولا تأخذوا منه شيأ) يعني من القنطار الذي آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فان كان من الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك (أتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا) يعني ظلما وقيل باطلا (واثما مبينا) يعني أتأخذونه مباهتين آثمين ولا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لاي وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل أن يسترد شيأ بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى (وقد أفضى بعضكم الى بعض) أصل الافضاء في اللغة الوصول يقال أفضى اليه أي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضاء في هذه الآية قولان أحدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده أن الزوج اذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضاء هو أن يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبي الافضاء أن يكون معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبي حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقود على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بامانة

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) وقيل المراد بالنكاح الوطء أى لا تطؤوا ما وطئ آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوءة
أو بشبهة أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حالنا كان متناول (الا ما قد سلف)
لكن ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا المقت فى الحال فقال (انه كان فاحشة)
(ومقتا) وبغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود
يقال له المقتى (وساء سبيلا) وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى أول السورة نكاح ما طاب أى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال (حرمت عليكم أمهاتكم) والمراد تحريم نكاحهن عند البعض وقد ذكر المختار فى شرح المنار والجدة من قبل الام أو الاب ملحقة بهن (وبناتكم) وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته (وأخواتكم) لاب وأم أو لاب أو لام (وعماتكم) من الاوجه الثلاثة (وخالاتكم) كذلك (وبنات الاخ) كذلك (وبنات الاخت) كذلك ثم شرع فى السبب فقال (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة
أما للرضيع والمرضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم
اخوته وأخواته لابيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لابيه وأمه ومن ولد لها من غيره
فهم اخوته وأخواته لام وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

إنه واستحلتم فروجهن بكلمة الله قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) قال
أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روى انه لما توفى أبو قيس وكان
من صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى اتخذتك ولدا وأنت من صالحى قومك ولكن آتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
(الا ما قد سلف) يعنى الا ما مضى فى الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة)
لان زوجة الاب فى منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من أقبح
(ومقتا) يعنى انه يورث المقت من الله وهو أشد الغضب وغاية الخزى والخسارة (وساء سبيلا) أى
طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس
وأبو معيط ابن أبى عمرو بن أمية وروى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال مر بى خالى ومعه لواء فقلت أين
تذهب قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه ﴿ قوله عز وجل (حرمت
عليكم أمهاتكم) بين الله عز وجل فى هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب أو نسب
ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الآية فجملة المحرمات
من النساء بنص الكتاب أربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم أمهاتكم جمع أم وأصله
أمهات أمات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هى الوالدة القريبة ويدخل فى حكمها كل امرأة رجع
النسب اليها من جهة الاب أو من جهة الام بدرجة أو بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم
الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبنت عبارة عن كل أنثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة أو بدرجات
كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (وأخواتكم) جمع أخت وهى عبارة عن كل امرأة شاركتك
أصليك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام (وعماتكم)
وهى كل امرأة شاركت أباك فى أصليه وهن جميع أخوات الاب وأخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة
من جهة الام أيضا وهى أخت أبى الام (وخالاتكم) جمع خالة وهى كل امرأة شاركت الام فى أصليها ويدخل
فيه جميع أخوات الام وأخوات أمهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب أيضا وهى أخت أم الاب (وبنات
الاخ وبنات الاخت) وهى عبارة عن كل امرأة لاخيك أو لاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ أو
الاخت فيدخل فيهن جميع بنات أولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة
بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده
أصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول أول أصوله هن
وبنات الاخوة والاخوات وأول فصل من كل أصل بعده أصل هن العمات والخالات وان علون
كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه والصنف الثانى
بالسبب وهن سبع الاول والثانى المحرمات بالرضاع وذلك فى قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم
وأخواتكم من الرضاعة) كل أنثى انتسبت باللبن اليها فهى أمك وبنتها أختك وانما نص الله على

والانثيت ايدل ذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة أخرجاه فى الصحيحين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنت حمزة انها لا تحل لى يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانها ابنة أخى من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات أمهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع أحكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولا تجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون ارضاع الصبى فى حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله فى عامين عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء فى الثدى وكان قبل الفطام أخرجه الترمذى عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان فى الحولين أخرجه مالك فى الموطأ بأطول من هذا وأخرجه أبو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما أنبت اللحم وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه وأقله ستة أشهر الشرط الثانى أن يوجد خمس رضعات متفرقات روى ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعى ويدل على ذلك ماروى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان أخرجه مسلم (م) عن أم الفضل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفى رواية ان رجلا من بنى عامر بن صعصعة قال يا نبى الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولها فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك وأجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقى حكمه وذهب جمهور العلماء الى أن قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعى واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا وأجاب الشافعى ومن وافقه فى هذه المسئلة بان السنة مبينة للقرآن مفسرة له وقوله تعالى (وأمهات نسائكم) يعنى اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه أمها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما فى النسب والرضاع أيضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء أن من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد سواء دخل بها أو لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى أن أم المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول على وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها ان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له أن ينكح أمها دخل بها أو لم يدخل أخرجه الترمذى وقوله تعالى (وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهى بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيته اياها فى حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها أو ماتت قبل دخوله

(وأمهات نسائكم) وهن محرمات بمجرد العقد (وربائبكم) سمى ولد المرء من غيره ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده فى غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما (اللاتى فى حجوركم) قال داود اذا لم تكن فى حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم كأنكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) متعلق بربائبكم أى الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أى أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لان الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفى العامل وهذا لان النساء الاولى مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف فيه (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) لا حرج عليكم فى أن تتزوجوا بناتهن اذا فارقتموهن أو متن

بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج أمها لأن الله تعالى أطلق تحريم الامهات وعلق تحريم
البنات بالدخول بالام وقوله تعالى (وحلائل أبنائكم) يعني أزواج أبنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل
بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد
لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء وجملته انه يحرم على الرجل أزواج أبنائه
أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من أصلابكم) انما قال من
من التبني ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن
ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة
قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم وقال تعالى
على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ۞ وقوله تعالى (وان تجمعوا بين الاختين) يعني لا يجوز
أن يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما أخوة نسب أو رضاع الجمع بين الا...
يقع على ثلاثة أوجه أحدها أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احداهما
ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جاز له نكاح
الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع
فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة الوجه الثالث
صور الجمع بين الاختين هو أن يتزوج احداهما و يشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض
الى أنه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب أن يحرم
جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول أصح وأولى لما روى قبيصة ابن ذؤيب أن
سأل عثمان عن أختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتهما آية وحرمتهما آية
أما انا لا أحب ان أصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه فقال أما انا فلو كان لي من الامر شئ لم أجد أحدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه
أبى طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك في الموطأ ۞ وقوله تعالى (
سلف) يعني لكن ما قد مضى فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحيما) وقيل
هذا الاستثناء ان أنكحة الكفار صحيحة فلو أسلم عن أختين قيل له اختر أيتهما شئت ويدل على
ما روى عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله اني أسلمت وتحتي اختان قال طلق
أخرجه أبو داود ﴿فروع﴾ تتعلق بحكم الآية الاول لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة
على ذلك ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها
وخالتها أخرجاه في الصحيحين قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أو لبن لو
ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحر...
ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والا...
ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرهن في
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين
الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه أ...
وأراد أن يتزوج بهن وكذلك لا يحرم المزني بها على آباء الزاني ولا أبنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح
أو بنكاح فاسد يجب فيه الصداق وتجب عليها العدة و يلحق به الولد وهذا قول علي وابن ...
قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وفقهاء الحجاز

(وحلائل أبنائكم) جمع حليلة وهي الزوجة لان كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أو من الحلول (الذين من أصلابكم) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم وليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع (وأن تجمعوا بين الاختين) أي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات أي وحرم عليكم الجمع بين الاختين (الا ما قد سلف) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (ان الله كان غفورا رحيما) وعن محمد بن الحسن رحمه الله ان أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امرأة الأب ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ما قد سلف

أن الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وأهل العراق ولو لمس امرأة أجنبية بشهوة أو قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يجعل ذلك كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان أصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثاني لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة ۞ قوله تعالى (والمحصنات) يعني وحرمت المحصنات (من النساء) وأصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الأزواج من النساء فلا يحل لأحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هي السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدري نزلت هذه الآية في نساء كن هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (إلا ما ملكت أيمانكم) يعني السبايا اللاتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لأن السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود أراد أنه إذا بيعت الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقال عطاء أراد بقوله إلا ما ملكت أيمانكم أن تكون أمتك في نكاح عبدك فيجوز له أن ينزعها منه وقيل أراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ما فوق الأربع منهن فإنه عليكم حرام إلا ما ملكت أيمانكم فإنه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعني حرمت عليكم أمهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم يعني كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا (وأحل لكم ما وراء ذلكم) يعني وأحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضي حل ما سوى المذكورين من الأصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة تحريم أصناف أخر سوى ما ذكر فمن ذلك أنه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للأزواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك أن من كان في نكاحه حرة لم يجز له أن يتزوج بأمة والقادر على طول الحرة لم يجز له أن يتزوج بالأمة ومن ذلك أن من كان عنده أربع نسوة حرم عليه أن يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فإنها محرمة على الملاعن بالتأبيد فهذه أصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (أن تبتغوا بأموالكم) فيه اضمار تقديره وأحل لكم أن تبتغوا أي تطلبوا بأموالكم أي تنكحوا بصداق أو تشتروا بثمن وفي الآية دليل على أن الصداق لا يتقدر بشيء فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم (محصنين) يعني متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعني غير زانين والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وإنما سمي الزنا سفاحا لأن الزاني لا غرض له إلا صب النطفة فقط وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لأن أصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (فآتوهن أجورهن) يعني مهورهن وإنما سمي المهر أجرا لأنه

(والمحصنات من النساء) أي ذات الأزواج لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج قرأ الكسائي بفتح الصاد هنا وفي سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها في جميع القرآن (إلا ما ملكت أيمانكم) بالسبي وزوجها في دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أي اللاتي لهن أزواج إلا ما ملكتموهن بسبيهن واخراجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي فتحل للسابي بملك اليمين بعد الاستبراء (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف (وأحل لكم) على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله أي كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم (ما وراء ذلكم) ما سوى المحرمات المذكورة وأحل كوفي غير أبي بكر عطف على حرمت (أن تبتغوا) مفعول له أي بين لكم ما يحل مما يحرم لأن تبتغوا أو بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والأجود أن لا يقدر (بأموالكم) يعني المهور وفيه دليل على أن النكاح لا يكون إلا بمهر وأنه يجب وإن لم يسم وأن غير المال لا يصلح مهرا وأن القليل لا يصلح مهرا إذ الحبة لا تعد مالا عادة (محصنين) في حال كونكم محصنين (غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنياكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني (فما استمتعتم به منهن) فما نكحتموه منهن (فآتوهن أجورهن) مهورهن لأن المهر ثواب البضع فما في معنى النساء ومن للتبعيض أو للبيان ويرجع الضمير إليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن

مثل المنافع ليس مثل الأعيان كما تسمى مثل منافع الدار والدابة أجورا وقال قوم المراد من حكم الآية نكاح
المتعة وهو أن ينكح امرأة إلى مدة معلومة بشيء معلوم فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ
رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء الإسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها
(م) عن سبرة بن معبد الجهني أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إني كنت أذنت
لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله
ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا وإلى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أي أن نكاح المتعة
حرام والآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني (ق)
عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن
أكل لحوم الحمر الإنسية وهذا على مذهب من يقول إن السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعي أن السنة
لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول إن ناسخ هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم
حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا
ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة فروي عنه أن الآية محكمة وكان يرخص في المتعة قال
عمارة سألت ابن عباس عن المتعة أسفاح هي أم نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال المتعة كما قال
الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروي أن الناس
لما ذكروا الأشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله إني ما أفتيت بإباحتها على الإطلاق لكني قلت إنها
تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروي أنه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس في
قوله فما استمتعتم به منهن إنها صارت منسوخة بقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى
سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام ينكحون هذه
المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا أجد رجلا نكحها إلا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة
النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا أعلم في الإسلام شيئا أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة
وقال أبو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على أن متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب و
قول أهل العلم جميعا من أهل الحجاز والشام والعراق من أصحاب الأثر والرأي وأنه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره
قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم
نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج إليه لأن النبي
صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها فكان قوله منسوخا بقوله وأما الآية فإنها لم تتضمن جواز
لأنه تعالى قال فيها أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج
ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرائط التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين أي
عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري أولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه
منهن فجامعتموهن فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقوله تعالى فآتوهن أجورهن يعني مهورهن (فريضة) يعني لازمة وواجبة (ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال أراد أنهما إذا عقدا
عقدا إلى أجل على مال فإذا تم الأجل فإن شاءت المرأة زادت في الأجل وزاد الرجل في الأجر وإن لم يتراضيا
فارقها وقد تقدم أن ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد
بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الإبراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه
لا جناح عليكم أن تهب المرأة للزوج مهرها أو يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب

(فريضة) حال من الأجور
أي مفروضة أو صفة
موضع إيتاء لأن الإيتاء
مفروض أو مصدر مؤكد
أي فرض ذلك فريضة
(ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به من بعد
الفريضة) فيما حط منه
من المهر أو ترك له من كله
أو زيد لها على مقداره
أو فيما تراضيا به من مقام
أو فراق

عليه (إن الله كان عليما) يعني بما يصلحكم أيها الناس في مناكحكم وغيرها من سائر أموركم (حكيما) يعني
فيما دبر لكم من التدبير وفيما أمركم به ونهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل

﴿فصل في قدر الصداق وما يستحب منه﴾ اعلم أنه لا تقدير لأكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم إحداهن
قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا والمستحب أن لا يغالي فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ألا لا تغالوا في
صدقة النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم
ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئا من بناته على أكثر من اثنتي عشرة
أوقية أخرجه الترمذي ولأبي داود نحوه (م) عن أبي سلمة قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم
كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا قالت أتدري
ما النش قلت لا قالت نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في أقل الصداق فذهب جماعة إلى
أنه لا تقدير لأقله بل كل ما جاز أن يكون مبيعا أو ثمنا جاز أن يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري
والشافعي وأحمد وإسحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبي حنيفة غير أن نصاب
السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على أن الصداق لا يتقدر ما روي عن
سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك
فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه
فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن لم تكن لك بها حاجة
فزوجنيها فقال فهل عندك من شيء فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب
ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم
رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزاري قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء
فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعي له فلما جاء قال ماذا
معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرؤهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد
ملكتكها بما معك من القرآن وفي رواية فقد زوجتكها فعلمها من القرآن وفي رواية فقد أنكحتكها بما
معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث دليل على أنه لا تقدير لأقل
الصداق لأنه قال هل تجد شيئا فهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له
إلا القليل التافه وفيه دليل على أنه يجوز أن يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعي ومنعه أصحاب الرأي
عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى في صداق امرأة ملء كفيه سويقا أو تمرا فقد
استحل أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن عامر عن أبيه أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فأجازه أخرجه الترمذي وقال عمر
ابن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر ۞ قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعني فضلا وسعة
وإنما سمي الغنى طولا لأنه ينال به من المراد ما لا ينال مع الفقر والطول ههنا كناية عما يصرف إلى المهر
والنفقة (أن ينكح المحصنات) يعني الحرائر (المؤمنات فمما ملكت أيمانكم) يعني جارية أخيك المؤمن
فإن الإنسان لا يجوز له أن يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة
المؤمنة فليتزوج الأمة المؤمنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للأمة فتاة وللعبد فتى وفي الآية
دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين أحدهما أن لا يجد مهر حرة لأنه جرت العادة في الإماء
بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثاني هو خوف العنت على

(إن الله كان عليما) بالأشياء قبل خلقه (حكيما) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي به حفظت الأنساب وقيل إن قوله فما استمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت (ومن لم يستطع منكم طولا) فضلا يقال لفلان على فلان طول أي فضل وزيادة وهو مفعول يستطع (أن ينكح) مفعول الطول فإنه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من طولا (المحصنات المؤمنات) الحرائر المسلمات (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أي فلينكح مملوكة من الإماء المسلمات وقوله من فتياتكم أي من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة ونكاح الأمة الكتابية يجوز عندنا والتقييد في النص للاستحباب بدليل أن الإيمان ليس بشرط في الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسرا وفيه دليل لنا في مسألة الطول

منه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهو قول سعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري أنه يجوز للحر أن ينكح الأمة وإن كان موسرا وأبي حنيفة إلا أن يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح الأمة إلا عند خوف العنت يتبع الأم في الرق والحرية وإذا كانت الأم رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وحق ولده ولأن حق السيد أعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج إليها فلا يجدها إليها سبيلا ولأن مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا أن تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا لم يجز نكاح الأمة إلا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الأمة وإن كان في نكاحه حرة وعند أبي حنيفة لا يجوز لأنها كانت محصنة كما يقول في الحر وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم حرا كان أو عبدا نكاح الأمة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات فخص جواز نكاح الأمة المؤمنة دون الكافرة لما فيه من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الأمة المؤمنة لأن فيها نقصا واحدا وهو الرق وهو قول مجاهد والحسن وإليه ذهب مالك والشافعي وقال أبو حنيفة يجوز التزويج بالأمة الكتابية واتفقوا على أنه يجوز وطء الأمة الكتابية بملك اليمين ﴿ وقوله تعالى (والله أعلم بإيمانكم) قال الزجاج أي اعملوا على الإيمان فإنكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الإيمان وخذوا بالظاهر فإن الله أعلم بإيمانكم (بعضكم من بعض) يعني أنكم كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء عند الضرورة وإنما قيل لهم ذلك لأن العرب كانت تفتخر بالأنساب والأحساب وتعير ابن الأمة الهجين فأعلم الله تعالى أن ذلك أمر لا يلتفت إليه فلا يتداخلكم شموخ وأنفة من التزويج بالإماء فإنكم متساوون في النسب إلى آدم وقيل إن معناه أن دينكم واحد وهو الإيمان وأنتم مشتركون فيه فمتى وقع لأحدكم الضرورة جاز له أن يتزوج بالأمة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد أن المؤمنين بعضهم أكفاء بعض (فانكحوهن بإذن أهلهن) يعني اخطبوا الإماء إلى ساداتهن واتفق العلماء على أن نكاح الأمة بغير إذن سيدها باطل لأن الله تعالى جعل إذن السيد شرطا في جواز نكاح الأمة (وآتوهن أجورهن) يعني مهورهن (بالمعروف) يعني من غير مطل ولا ضرار وقيل معناه وآتوهن مهور أمثالهن وأجمعوا على أن المهر للسيد لأنه ملكه وإنما أضيف إيتاء المهر إلى الإماء لأنه ثمن بضعهن (محصنات) يعني عفائف (غير مسافحات) يعني غير زانيات (ولا متخذات أخدان) جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن وأكثر ما يستعمل فيمن صاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعني صاحبها الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات الأخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الأولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لا جرم أن الله تعالى أفرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا (فإذا أحصن) قرئ بفتح الألف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسلمن وقرأ حفص بضم الألف وكسر الصاد ومعناه زوجن (فإن أتين بفاحشة) يعني زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعني فعلى الإماء اللاتي زنين نصف ما على الحرائر الأبكار إذا زنين من الجلد فيجلد العبد والأمة إذا زنى خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فإنه يجلد خمسين ولا رجم عليه وهذا قول أكثر العلماء وروي عن ابن عباس وطاوس أنه لا حد على من لم يتزوج من المماليك إذا زنى لأن الله تعالى قال فإذا أحصن والذي لم يتزوج ليس بمحصن وأجيب عنه بأن معنى الإحصان هنا الإسلام وإن كان المراد منه التزويج فليس المراد منه أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على أن المملوك وإن كان محصنا فلا رجم

(والله أعلم بإيمانكم) فيه تأنيس لأن العلم بالإيمان المسموع لا يختلف (بعضكم من بعض) أي لا تستنكفوا من نكاح الإماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير بالأنساب والتفاخر بالأحساب (فانكحوهن بإذن أهلهن) ساداتهن وهو حجة لنا أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن المولى لا عقدهم وأنه ليس للعبد أو للأمة أن يتزوج إلا بإذن المولى (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وإضرار وملاك مهورهن مواليهن فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي لأنهن وما في أيديهن مال الموالي والتقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف حال من المفعول في وآتوهن (غير مسافحات) زوان علانية (ولا متخذات أخدان) زوان سرا والأخدان الأخلاء في السر (فإذا أحصن) بالتزويج أحصن كوفي غير حفص (فإن أتين بفاحشة) زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات) أي الحرائر (من العذاب) من الحد يعني خمسين جلدة وقوله نصف ما على المحصنات يدل على أنه الجلد لا الرجم لأن الرجم لا يتنصف وأن المحصنات هنا الحرائر اللاتي لم يزوجن

اما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ماروى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر أخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها أي لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيي الدين النووي وهذا البيع المأمور به في الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود وأهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه أن يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيأ و يرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه أو يصونها بهيبته أو بالاحسان اليها أو يزوجها أو غير ذلك والله أعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشي العنت منكم) يعني الزنا والمعنى ذلك لمن خاف أن تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهي شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وأن تصبروا) يعني عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) يعني كيلا يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون اليه ۞ قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام في قوله ليبين معناه أن يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من أجل أن يبين لكم دينكم و يوضح لكم شرعكم ومصالح أموركم وقيل يبين لكم ما يعتريكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) أي ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) أي شرائع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) يعني ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا أمر الشرائع والمصالح وأرشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما أمر به و بينه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعني بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم (حكيم) يعني فيما دبر من أمورهم (والله يريد ان يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد أن يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب و يرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة و بنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون أن تكونوا امثالهم (أن تميلوا) يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله أن يخفف عنكم) يعني ليسهل عليكم أحكام الشرائع وهو عام في كل أحكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا

(ذلك) أي نكاح الاماء (لمن خشي العنت منكم) لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المأثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الزنا لانه سبب الهلاك (وأن تصبروا) في محل الرفع على الابتداء أي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) لان فيه ارقاق الولد ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفي الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) يستر المحظور (رحيم) يكشف المحذور (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويرشدكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) فيما شرع لهم (والله يريد أن يتوب عليكم) التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم (يريد الله ان يخفف عنكم) نكاح الامة وغيره من الرخص

(وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما لم تبحه
الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (إلا أن تكون تجارة) إلا أن تقع تجارة تجارة كوفي أي إلا أن
تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والآية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف إذا وجدت الإجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لأن فيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة أو معنى القتل أكل الأموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه أو لا تتبعوا أهواءها فتقتلوها أو تركبوا ما يوجب القتل (إن الله كان بكم رحيما) ولرحمته بكم نهاكم عن ما فيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم وقيل معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم
ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ومن
يفعل ذلك) أي القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس (عدوانا وظلما) لا خطأ ولا قصاصا وهما مصدران في موضع الحال أو

منه المشقة ولطف علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني إسرائيل فهو كقوله تعالى يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ¤ وقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) يعني في قلة الصبر عن
النساء فلا صبر له عنهن وقيل إنه لضعفه يستميله هواه وضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في
أصل الخلقة لأنه خلق من ماء مهين ¤ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)
يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال
باليمين الكاذبة ونحو ذلك وإنما خص الأكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة
على وجه الباطل لأن معظم المقصود من المال الأكل وقيل يدخل فيه أكل مال نفسه بالباطل ومال غيره أما
أكل ماله بالباطل فهو إنفاقه في المعاصي وأما أكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في أكل المال
بالباطل جميع العقود الفاسدة ¤ وقوله تعالى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع
لأن التجارة عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكان إلا هنا بمعنى لكن يحل أكله بالتجارة
عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فله
وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا تبايع الرجلان
فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا أو يخير أحدهما الآخر فإن خير أحدهما الآخر فتبايعا
على ذلك فقد وجب البيع وإن تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع أخرجاه
في الصحيحين ¤ وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا يقتل بعضكم بعضا وإنما قال أنفسكم لأنهم أهل دين
واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع ألا لا ترجعوا بعدي كفارا
يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل إن هذا نهي للإنسان عن قتل نفسه (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى
سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في
يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال إلى
أسفل قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين إذا ضربته بها وهو يتوجأ بها أي يضرب بها نفسه (ق) عن جندب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي
بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما
رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الإنسان
أن يفعل شيئا يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا
تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا أنفسكم بأن تعملوا عملا ربما أدى إلى قتلها (إن
الله كان بكم رحيما) يعني أنه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شيء تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل إنه
تعالى أمر بني إسرائيل بقتل أنفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك
التكاليف الشاقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لأن الضمير يعود إلى
أقرب المذكورات وقيل إنه يعود إلى قتل النفس وأكل المال بالباطل لأنهما مذكوران في آية واحدة
وقيل إنه يعود إلى كل ما نهى الله عنه من أول السورة إلى هنا (عدوانا وظلما) يعني بتجاوز الحد
في الشيء في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لأنه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون

نكفر عنكم سيئاتكم) عن ابن مسعود رضي الله عنهما الكبائر كل مانهى الله عنه من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه وعنه أيضا الكبائر ثلاث الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ماتنهون عنه وهو الكفر (وندخلكم مدخلا) مدخلا مدنى وكلاهما بمعنى المكان والمصدر (كريما) حسنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم

والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم ان الله لايغفر أن يشرك به ان الله لايظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه مايفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة بالآية على ان الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى ان الكبائر غير مغفورة باطل لان الكبائر والصغائر في مشيئته تعالى سواء ان شاء عذب عليهما وان شاء عفا عنهما لقوله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقد وعد المغفرة لمادون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله ان الحسنات يذهبن السيآت فهذه الآية تدل على ان الصغائر والكبائر يجوزان يذهبا بالحسنات لان لفظ السيآت ينطلق عليهما ولما كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق بتمنى مال الغير وجاهه نهاهم عن تمنى مافضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله (ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق أو قبض فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولايحسد أخاه على حظه فالحسد ان يتمنى أن يكون ذلك الشئ له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يتمنى مثل مالغيره وهو مرخص فيه والاول منهى عنه ولما قال الرجال نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) وليس ذلك على حسب الميراث

تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه هي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحد واما في الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيئاتكم) يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة مالم يعمل لان أصل التكفير الستر والتغطية وصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولاتكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية مالم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم ۞ وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه ۞ قوله عز وجل (ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) أصل التمني ارادة الشئ وتشهى حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لايكون وقيل التمني تقدير الشئ في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية وأكثر التمني تصور مالاحقيقة له وقيل التمني عبارة عن ارادة مايعلم أو يظن أنه لايكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله يغزو الرجال ولانغزو والنساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل ان المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء انا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمني على قسمين أحدهما أن يتمنى الانسان أن يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعمة من ذلك الانسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم القسم الثاني أن يتمنى مثل مال غيره ولايحب أن يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين أو الدنيا قال الحسن لاتتمن مال فلان ولامال فلان ولاتدري لعل هلاكك في ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم أعطني مايكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ۞ وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء لان الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في

الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الأزواج وحفظ الفروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسألة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يعين شيأ في الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء أن يكن رجالا وأن يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وأمرهن أن يسألوه من فضله فانه أعلم بمصالح عباده (ان الله كان بكل شيء عليما) يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل في الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قسم له ۞ قوله تعالى (ولكل) يعني من الرجال والنساء (جعلنا موالي) يعني ورثة من بني عم واخوة وسائر العصبات (مما ترك) يعني يرثون مما ترك (الوالدان والأقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والأقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي أي ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والأقربون فعلى هذا الوالدان والأقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه وأقربوه والقول الاول أصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت أيمانكم) وقرئ عقدت بغير ألف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد أو هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعني أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له وفي رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك سورة الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرأ والذين عقدت أيمانكم انما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى الاسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤتيه نصيبه أخرجه أبو داود وعلى هذا فلا نسخ أيضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة أخرجه مسلم ۞ وقوله تعالى (ان الله كان على كل شيء شهيدا) قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه العلم بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى رؤيته وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين ۞ قوله عز وجل (الرجال قوامون على النساء) نزلت في سعد

(واسألوا الله من فضله) فان خزائنه لا تنفد ولا تتمنوا ما للناس من الفضل (ان الله كان بكل شيء عليما) فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم يأمر بالمسألة الا ليعطي وفي الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا أعطي عبدي حتى يسألني وسلوا مكي وعلي (ولكل) المضاف اليه محذوف تقديره ولكل أحد أو لكل مال (جعلنا موالي) وراثا يلونه ويحرزونه (مما ترك الوالدان والأقربون) هو صفة مال محذوف أي من مال تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالي تقديره يرثون مما ترك (والذين عاقدت أيمانكم) عاقدتهم أيديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو (فآتوهم نصيبهم) مع الفاء عقدت كوفي أي عقدت عهودهم أيمانكم والمراد به عقد الموالاة وهي مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضي الله عنهم وهو قولنا وتفسيره اذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بعربي ولا معتق فيقول لآخر واليتك على أن تعقل عني اذا جنيت وترث مني اذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد ذلك ويرث الاعلى من الاسفل (ان الله كان على كل شيء شهيدا) أي هو رقيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما

بذلك (بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير في بعضهم للرجال والنساء يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم
على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأي والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة

ابن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة و
انها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارجعوا هذا جبريل أتاني فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله
أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء أي مسلطون على
النساء والاخذ على أيديهن قال ابن عباس أمراء عليهن فعلى المرأة أن تطيع زوجها في طاعة الله والقوام
هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويجتهد في حفظها ولما أثبت القيام للرجال
على النساء بين السبب في ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني أن الله تعالى فضل الرجال
على النساء بأمور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم
الانبياء والخلفاء والائمة ومنها أن الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة
النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل
على فضل الرجال على النساء ﴿ ثم قال تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) يعني وبما أعطوا من مهور النساء
والنفقة عليهن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد
لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها أخرجه الترمذي (فالصالحات) يعني المحسنات العاملات بالخير (قانتات)
أي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن في غيبة أزواجهن لئلا يلحق الزوج
العار بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على
المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله أي النساء خير قال التي تسره
اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره أخرجه النسائي ورواه البغوي بسند الثعلبي
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا أمرتها
أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية ﴿ وقوله تعالى (بما
حفظ الله) يعني بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج وأمرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وان
أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى
الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على أزواجهن حيث
أمرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان (واللاتي تخافون) أي تعلمون وقيل
تظنون (نشوزهن) أي شرودهن وأصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن
طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها
وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى أمره اذا أمرها فاذا
الاحوال بان رفعت صوتها عليه أو لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى أمره اذا أمرها دل ذلك على نشوزها على
زوجها (فعظوهن) يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو أن يقول لها اتقي
الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما أنت عليه واعلمي أن طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان أصرت
على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن في المضاجع) يعني ان لم ينزعن عن

والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبي حنيفة رحمه الله والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا من أموالهم) وبما نفقتهم عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول (فالصالحات قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة أي اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج بقوله وعاشروهن بالمعروف أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن الغيب أو بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك والثاني (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن طاعة الازواج

والنشز المكان المرتفع والنبوء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ان تستخف بحقوق زوجها فاهجروهن
ولا تطيع أمره (فعظوهن) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة (واهجروهن
في المضاجع) في المراقد أي لا تداخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو أن يوليها ظهره في المضجع لانه لم يقل عن المضاجع

واهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو أن يعتزل عنها الى
فراش آخر (واضربوهن) يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضرباً غير مبرح ولا شائن قيل
ان يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعي الضرب مباح وتركه أفضل عن عمرو بن الاحوص أنه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث
ألا واستوصوا بالنساء خيراً فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك الا أن يأتين
بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا أخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية أي أسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير
والضرب المبرح الشديد الشاق وقوله (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تطلبوا عليهن طريقة
تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة
أحدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في
البيت أخرجه أبو داود قوله ولا تقبح أي لا تقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم عن اياس بن
عبد الله بن أبي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ذئرن النساء على أزواجهن فرخص في ضربهن فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون
أزواجهن ليس أولئك بخياركم أخرجه أبو داود اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري
لا يعرف له صحبة قوله ذئرن يقال ذئرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه وأطاف بالشيء أحاط به
وفي هذه الاحاديث دليل على أن الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتأديب فلا يضربها
ضرباً شديداً وليكن ذلك مفرقاً ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن
ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا
وبالجملة فالتخفيف بأبلغ شيء أولى في هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب
فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا أن فحوى الآية يدل على الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان أبت هجر مضجعها فان أبت ضربها فان لم تتعظ بالضرب
بعث الحكمين وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز أما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين
الكل وقيل ان له أن يعظها عند خوف النشوز وهل له أن يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز
أن يعظها وان يهجرها أو يضربها عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسأل
الرجل فيم ضرب امرأته أخرجه أبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا
الرجل امرأته الى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذي في
السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي
أخرى حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجته فلتأته
وان كانت على التنور أخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي
امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك أن
يفارقك الينا وله عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها
دخلت الجنة وقوله تعالى فان أطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا

(واضربوهن) ضرباً غير مبرح أمر بوعظهن أولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران (فان أطعنكم) بترك النشوز (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الامر أي طلبته

(ان الله كان عليا كبيرا) أى ان علت أيديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن أو ان الله

عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجنى عليكم اذا رجعن

خاطب الولاة بقوله (وان خفتم شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر فى الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه أو يميل الى شق أى ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (فابعثوا حكما من أهله) رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما (وحكما من أهلها) وانما كان بعث الحكمين من أهلهما لان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن اليهم فيبرزان ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير فى (ان يريدا اصلاحا) للحكمين وفى (يوفق الله بينهما) للزوجين أى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك فى وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين

الالفة والوفاق وألقى فى نفوسهما المودة والاتفاق أو الضميران للحكمين أى ان قصد اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يتم المراد أو الضميران للزوجين أى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة

عليهن سبيلا يعنى فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه لا تبغوا عليهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تعنتوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلى فى صفة الله تعالى معناه الرفيع الذى يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلى بالاطلاق الذى يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذى صغر كل أحد لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى ان الله متعال من أن يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله على كبير قادر على ان ينتصف لهن عمن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصى اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم أن تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم فانتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم ۞ قوله تعالى (وان خفتم) يعنى وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن أى ظننتم (شقاق بينهما) يعنى بين الزوجين وأصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق صاحبه أو يكون أصله من شق العصا وهو أن يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة ولا يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدى الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا ۞ وقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) اختلفوا فى المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام أو نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحى الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب أن يكون أمرا لآحاد الامة سواء وجد الامام أو لم يوجد فللصالحين أن يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وأيضا فهذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد أن يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من أهله وحكما من أهلها (ان يريدا اصلاحا) يعنى الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعنى بالصلاح والالفة روى الشافعى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل اما الفرقة فلا قال على كذبت والله حتى تقر بمثل ما أقرت به قال الشافعى والمستحب أن يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من أهله وواحد من أهلها لان اقاربهما أعرف بحالهما من الاجانب وأشد طلبا للاصلاح فان كانا أجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته فى الاقامة على النكاح أو فى المفارقة فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق أو طلاق أو خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما فى ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل أو يفتدى حكم المرأة بشئ من مالها فللشافعى فى ذلك قولان أحدهما انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان تختلع بشئ من مالها الا باذنها وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال أما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ما أقرت به فثبت أن تنفيذ

موقوف

وقرنى على اقرار ورضاها وسمى قولها على الزوج كذبت أى لست بمنصف فى دعواك حيث لم تقر بمثل ما أقررت به من الرضا بحكم كتاب الله تعالى عليها والقول الثانى انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح فى ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما فى كتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة فلا يعنى ليست الفرقة فى كتاب الله فقال له على كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة فى كتاب الله بل هى فى كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة باصلاح حالهما فى الوصلة ۞ وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعنى ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق ۞ قوله عز وجل (واعبدوا الله) يعنى وحدوه وأطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتى به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح (ولا تشركوا به شيأ) يعنى وأخلصوا له فى العبادة ولا تجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره أو اراد بعمله غير الله فقد أشرك به ولا يكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير أو اسمه يعفور فقال يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيا فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدرى ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما أوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا انهم يستحقون عليه شيا او يجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك على واجب أى متأكد قيامى به وقوله أفلا ابشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذى ترفع لهم به الدرجات فى الجنة ۞ وقوله تعالى (وبالوالدين احسانا) تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعنى برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده تأكيدا لحقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى فى تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن أبى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال أبوك وفى رواية قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ۞ قوله تعالى (وبذى القربى) أى واحسنوا الى ذى القرابة وهو ذو رحمه من قبل ابيه وأمه (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه قوله ينسأ له فى أثره يعنى يؤخر له فى أجله وعمره ۞ وقوله تعالى (واليتامى والمساكين) أى واحسنوا الى اليتامى وانما أمر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين الذى ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ (ق) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر

(ان الله كان عليما) بارادة الحكمين (خبيرا) بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله (واعبدوا الله) قيل العبودية أربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود (ولا تشركوا به شيا) صنما وغيره ويحتمل المصدر أى اشراكا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بهما احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج (وبذى القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما (واليتامى والمساكين)

وكان صائماً لايفطر ۞ وقوله تعالى (والجار ذي القربى والجار الجنب) أي وأحسنوا الى الجار ذي القربى
وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب
والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما اهدي قال الى أقربهما منك بابا (م) عن
أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية
قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فأصبهم
منها بمعروف (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل
من يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل
والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة
معناه ولو ان تهدي اليها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشيء الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ۞ وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس
هو الرفيق في السفر وقيل هي المرأة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك ۞ عن عبد
الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران
عند الله تعالى خيرهم لجاره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ۞ وقوله تعالى (وابن السبيل) يعني المسافر
المجتاز بك الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه (ق)
عن أبي شريح خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان
وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت زاد في رواية ولا
يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء عنده يقريه
به قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية أي يقري الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل
وقيل هو أن يكرم الضيف فاذا سافر أعطاه ما يكفيه يوماً وليلة حتى يصل الى موضع آخر وقوله أن يقيم عند
أخيه حتى يؤثمه أي يوقعه في الاثم لانه اذا أقام عنده ولم يقره أثم بذلك ۞ وقوله تعالى (وما ملكت أيمانكم)
يعني المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم أن لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وأن
يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية ۞ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة أخرجه الترمذي ۞ عن رافع بن مكيث أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال
رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فعيره بأمه فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك
امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم
فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم
فاعينوهم عليه ۞ وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم
بحقوق الناس (فخورا) الفخور هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه

(والجار ذي القربى) الذي قرب جواره (والجار الجنب) أي الذي جواره بعيد أو الجار الغريب البعيد والجار الجنب الاجنبي (والصاحب بالجنب) أي الزوجة عن علي رضي الله عنه أو الذي صحبك بأن حصل بجنبك اما رفيقا في سفر أو شريكا في تعلم علم أو غيره أو قاعدا الى جنبك في مجلس أو مسجد (وابن السبيل) الغريب أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت اليهم (فخورا) يعدد مناقبه كبرا ان عدها اعترافا كان شكورا

الذي يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وإنما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لأن المختال المفخور يأنف من أقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء ولا يحسن إليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولأن المختال هو المتكبر ومن كان متكبراً فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب الإبل والبقر المتكثرون منها المتكبرون على الناس بها ﴿قوله عز وجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحري بن عمرو وكانوا يأتون رجالاً من الأنصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لأن البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وإمساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن إمساك الواجب ومنعه وإذا كان ذلك أمكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الأغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا الفقر وبخلوا بالمال (وأعتدنا للكافرين) يعني الجاحدين نعمة الله عليهم (عذاباً مهيناً) يعني في الآخرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث غريب

قوله عز وجل (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) يعني للفخار والسمعة وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لأن الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني ولا يصدقون بالله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وإنما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعاً لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما سول له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار ثم وبخهم على ترك الإيمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعني وأي شيء عليهم وأي وبال وتبعة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أي أي وبال عليهم في الإيمان بالله والإنفاق في سبيله

(الذين يبخلون) نصب على البدل من من كان مختالاً فخوراً وجمع على معنى من أو على الذم أو رفع على خبر مبتدأ محذوف تقديره الذين هم يبخلون (ويأمرون الناس بالبخل) بالبخل حمزة وعلي وهما لغتان كالرشد والرشد أي يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتاً للسخاء قيل البخل أن يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح أن لا يأكل ولا يؤكل والسخاء أن يأكل ويؤكل والجود أن يؤكل ولا يأكل (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفي الحديث إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصراً حذاء قصره فنم به فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) أي يهانون به في الآخرة (والذين ينفقون أموالهم) معطوف على الذين يبخلون أو على الكافرين (رئاء الناس) مفعول له أي للفخار وليقال ما أجودهم لا لابتغاء وجه الله وهم المنافقون أو مشركو مكة (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو كنت باراً وقد علم أنه لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ

تعالى لأهل الإسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله
ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون
فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض
ولا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله وقال الحسن إنها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع
إلا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي
موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون
الرجعة وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا
﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون)
سبب نزول هذه الآية ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فأكلنا
وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد
ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ولفظه أن رجلا من الأنصار دعاه وعبد الرحمن
ابن عوف فسقاهما قبل أن تحرم الخمر فحضرت الصلاة فأمهم علي في المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها
فنزلت الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس أن
رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن تحرم الخمر فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة
وأنتم سكارى الآية فعلى هذا في المراد بالصلاة قولان أحدهما أنه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود
وهو قول الأكثرين والمعنى لا تصلوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني أن المراد بالصلاة
موضع الصلاة وهو المسجد وإطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى
لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع
وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت أن إطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم أن هذا
النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر إنما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير أوقات الصلاة ثم
نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة
عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا نعس أحدكم
وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه
فيسب نفسه أخرجاه في الصحيحين ﴿ وقوله تعالى (ولا جنبا) يعني ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب والجنب
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب وأصل الجنابة
البعد سمي الذي أصابته الجنابة جنبا لأنه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (إلا
عابري سبيل) العابر هنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب إلى الجانب الآخر واختلف
العلماء في معنى قوله إلا عابري سبيل على قولين أحدهما أن المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك أن
قوما من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم إلا في المسجد فرخص لهم
العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنب إلا
مجتازين فيه إما للخروج منه أو للدخول فيه مثل أن يكون قد نام في المسجد فأجنب فيجب الخروج منه
أو يكون الماء في المسجد فيدخل إليه أو يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير إقامة وهذا قول ابن مسعود
وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري وإليه
ذهب الشافعي وأحمد القول الثاني أن المراد من قوله إلا عابري سبيل المسافرون والمعنى لا تقربوا الصلاة

(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) أي لا تقربوها في هذه الحالة (حتى تعلموا ما تقولون) أي تقرؤون وفيه دليل على أن ردة السكران ليست بردة لأن قراءة سورة الكافرين بطرح اللاءات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان وما أمر النبي عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الإيمان ولأن الأمة اجتمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره (ولا جنبا) عطف على وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أي ولا تصلوا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب (إلا عابري سبيل) صفة لقوله جنبا أي لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين

وأنتم جنب الا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا أن يكون
في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلي الى أن يجد الماء فيغتسل وهذا القول علي وابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد وقتادة فان جعل عابري السبيل المسافرين منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب أبي حنيفة
وصحح ابن جرير الطبري والواحدي القول الاول ويدل على صحته وجهان أحدهما أن المسافر الجنب
لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول
الاول لا يحتاج الى اضمار شيء الوجه الثاني أن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا
فلا يحمل هذا على حكم معاد في الآية ويدل عليه أن جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا)
يعني الى أن تغتسلوا وفيه دليل على أن حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال

(فصل في أحكام تتعلق بالآية) اختلف العلماء في العبور في المسجد فأباحه قوم على الاطلاق وهو قول
الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأي وقال قوم يتيمم للعبور في
المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد أيضا للجنب فمنعه أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث
في المسجد بحال لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت
أصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يصنع القوم شيئا رجاء أن تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني
لا أحل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أحمد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني
من أصحاب الشافعي وأجاب أحمد عن حديث عائشة بأن في رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل
اسناده واستدل أحمد لمذهبه بما روي عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضؤوا وضوء الصلاة أخرجه سعيد بن منصور في سننه واحتج
لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روي عن أم سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد
فنادى بأعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب أيضا الطواف
وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك أيضا ما روي عن علي بن أبي طالب قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه
من القرآن شيء ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرئنا القرآن على كل حال ما لم
يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا
الحائض ولا النفساء من القرآن شيئا أخرجه الدارقطني ويجب الغسل بأحد شيئين بانزال المني وهو الماء
الدافق أو بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى أنه
احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك أعليها غسل قال نعم أخرجه أبو داود
والترمذي (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها
فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل * وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض وأراد به المرض
الذي يضر معه امساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض أعضائه جراحة أو به
ريح يخاف من استعمال الماء التلف أو زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض
[illegible] ار بعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا
في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا
ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك

(حتى تغتسلوا) الا أن
تكونوا مسافرين عادمين
الماء متيممين عبر عن
المتيمم بالمسافر لان غالب
حاله عدم الماء وهذا مذهب
أبي حنيفة رحمه الله وهو
مروي عن علي رضي الله
عنه وقال الشافعي رحمه
الله لا تقربوا الصلاة أي
مواضع الصلاة وهي المساجد
ولا جنبا أي ولا تقربوا
المسجد جنبا الا عابري
سبيل الا مجتازين فيه
فيجوز للجنب العبور في
المسجد عند الحاجة (وان
كنتم مرضى

فقال قاتلوه قاتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو قال
يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده أخرجه أبو داود والدارقطني واحتج
أصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتيمم قالوا إذا كان أكثر أعضائه أو بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم
عليه وإن كان الأكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بين الغسل والتيمم ﴿ قوله
تعالى (أو على سفر) يعني أو كنتم مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فإنه يتيمم ويصلي
ولا إعادة عليه لما روي عن أبي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر
فبدوت إلى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا أبا ذر لأمك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني
واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأني ألقيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين
فإذا وجدت الماء فأمسه جلدك فإن ذلك خير أخرجه أبو داود العس قدح من خشب يجعل فيه الماء أو شبهه
والاغتسال أما إذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فإنه يتيمم ويصلي ثم
يعيد إذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والأوزاعي لا إعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة
حتى يجد الماء ﴿ وقوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط المكان المطمئن من الأرض وجمعه غيطان
وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك أن الرجل منهم كان إذا أراد قضاء
الحاجة طلب غائطا من الأرض يعني مكانا منخفضا من الأرض يحجبه عن أعين الناس فسمي الحدث بهذا
الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه ﴿ وقوله تعالى (أو لامستم النساء) قرئ هنا وفي سورة المائدة
لامستم النساء ولمستم بغير ألف واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين أحدهما أنه الجماع وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول أن الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لأن اللمس يوصل
إليه قال ابن عباس إن الله حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني أن المراد باللمس هو التقاء البشرتين
سواء كان بجماع أو غير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول أن اللمس
حقيقة في اللمس باليد فأما حمله على الجماع فمجاز والأصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز وأما قراءة من
قرأ أو لامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لا تدل على المجامعة أيضا على الإطلاق لأنه قد ورد في الحديث النهي
عن بيع الملامسة قال أبو عبيدة في معناها هي أن يقول إذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع
فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد وإذا كانت مستعملة في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى أو لامستم النساء
على صريح الجماع بل حمل على الأصل الموضوع له وهو اللمس باليد

﴿فصل في أحكام تتعلق بالآية﴾ وفيه مسائل ﴿المسألة الأولى﴾ إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء
من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والأوزاعي
والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل
امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك في الموطأ قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال
مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحق إذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وإن لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه
ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى
الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هي إلا أنت فضحكت أخرجه أبو داود وأجيب عن هذا الحديث بأنه ليس
بثابت قال الترمذي إنه لا يصح إسناده بحال وسمعت محمد بن إسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب
ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شيء وفيه ضعف من وجه
آخر وهو أن عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة إنما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة

أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط) أي المطمئن من الأرض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث (أو لامستم النساء) جامعتموهن كذا عن علي رضي الله عنه وابن عباس

المزنى والمحفوظ عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا أن يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثورى واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة انها قالت كنت أنام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاى فى قبلته فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح أخرجاه فى الصحيحين وأجاب من أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل أن يكون غمزه لها على حائل ﴿المسألة الثانية﴾ اختلف قول الشافعى فى لمس المحرم كالام والبنت والاخت أو أجنبية صغيرة فأصح القولين عنه أنه لا ينتقض الوضوء به والثانى انه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند أصحاب الشافعى التردد بين التعلق بعموم الآية فى قوله أو لامستم النساء أو النظر الى المعنى فى النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان أخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفى الملموس قولان والملموس هو الذى لا فعل منه فى المباشرة رجلا كان أو امرأة واللامس هو الفاعل اللمس وان لم يقصد المباشرة فأحد القولين أنه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما والقول الثانى أنه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على أخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة أو سنها أو ظفرها فلا وضوء عليه ﴿المسألة الثالثة فى الحدث﴾ وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط أو اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ أو يتيمم عند عدم الماء لما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط أخرجاه فى الصحيحين أما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقئ ونحوها فذهب قوم الى أنه لا وضوء من خروج هذه الاشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعى لما روى عن أنس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدار قطنى وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وأحمد واسحق واتفق هؤلاء على أن خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ما روى عن معدان بن أبى طلحة عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان فى مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صببت له وضوءه أخرجه الترمذى وقال هو أصح شئ فى هذا الباب ﴿المسألة الرابعة﴾ من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أو اغماء أو نوم لما روى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ أخرجه أبو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا ممكنا مقعده الى الارض ويدل على ذلك ما روى عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن أخرجه أبو داود وذهب قوم الى أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبى هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحق والمزنى وذهب قوم الى انه لو نام قائما أو قاعدا أو ساجدا أو هو فى الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى لما روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله أخرجه

أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث ﴿المسألة الخامسة﴾ من نواقض الوضوء مس الفرج من
نفسه أو غيره فذهب قوم إلى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص
وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وأحمد
وإسحق غير أن الشافعي قال ينتقض الوضوء إذا مس ببطن الكف والرجل والمرأة في ذلك سواء ويدل
على ذلك ما روي عن بسرة بنت صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل
حتى يتوضأ أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولأبي داود والنسائي نحوه * وعن أ [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ أخرجه ابن ماجه وصححه أحمد وأبو زرعة وعن
أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده إلى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء
أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم إلى أن مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وأبي
الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن وإليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن
طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في
مس الرجل ذكره بعد ما توضأ قال هل هو إلا مضغة أو قال بضعة منه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي نحوه
بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بأن قدومه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في أول الهجرة وهو يبني المسجد وأبو هريرة من آخرهم إسلاما وقد روى انتقاض
الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وأيضا فإن حديث طلق يرويه
ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند أهل الحديث ۞ وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)
اعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم أسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي
عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة
وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء أخرجه مسلم وكان سبب نزول
التيمم ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره
حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام
الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى إلى ما صنعت عائشة
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله
عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على
ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي
فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي بأول
بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته أخرجاه في الصحيحين
قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم لموضع على
بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير أي أثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ما قبله والمعنى أو جاء
أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فطلبتم الماء لتتطهروا به فلم تجدوه يعني فأعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير
ثمن لأن المحدث مأمور بالتطهر بالماء فإذا أعوزه الماء عدل عنه إلى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي
إذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فإن لم يجده تيمم وصلى ثم إذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة
أخرى وقال أبو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان
مشعر بسبق الطلب ولا بد في كل مرة من سبق الطلب وأجمعوا على أنه لو وجد الماء لكنه يحتاج إليه

(فلم تجدوا ماء) فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول إليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو (فتيمموا) أدخل في حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة والجزاء الذي هو الأمر بالتيمم متعلق بهم جميعا فالمرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه والمسافرون إذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة إذا لم يجدوه لبعض الأسباب فلهم أن يتيمموا لمستم حمزة وعلي (صعيدا) قال الزجاج هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن في سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض (طيبا) طاهرا

جهيم بن الحرث فقال أبو جهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولأبي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ أن قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني أن أرد عليك الا أني لم أكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا أجود ما في هذا الباب قال البيهقي أشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والآباط من بطون أيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك وأحمد واسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وبطنهما ووجهه وفي رواية أن تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجاه في الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض أهل اللغة من أطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال أبو اسحق الزجاج حدها من أطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى أن الممسوح في التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأجاب من ذهب الى هذا عن [illegible] عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

(فصل) وأركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح والكمال أن ينوي استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول ابن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي واتفقوا على انه يجوز أن يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى أن يدخل وقت الصلاة الاخرى وأن يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط

(ان الله كان عفوا) بالترخيص والتيسير (غفورا) عن الخطاء والتقصير (ألم تر) من رؤية القلب وعدى بالى على معنى ألم ينته علمك اليهم
أو بمعنى ألم تنظر اليهم (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى
وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل
(ويريدون ان تضلوا) أنتم أيها المؤمنون (السبيل) أي سبيل الحق كما ضلوه (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء
فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم (وكفى بالله وليا) في النفع (وكفى بالله

نصيرا) في الدفع فثقوا بولايته
ونصرته دونهم أو لا تبالوا
بهم فان الله ينصركم عليهم
ويكفيكم مكرهم ووليا
ونصيرا منصوبان على
التمييز أو على الحال (من
الذين هادوا) بيان للذين
أوتوا نصيبا من الكتاب
أو بيان لاعدائكم وما
بينهما اعتراض أو يتعلق
بقوله نصيرا أي ينصركم من
الذين هادوا كقوله ونصرناه
من القوم الذين كذبوا
بآياتنا أو يتعلق بمحذوف
تقديره من الذين هادوا قوم
يحرفون الكلم فقوم مبتدأ
ويحرفون صفة له والخبر
من الذين هادوا مقدم
عليه وحذف الموصوف
وهو قوم وأقيم صفته وهو
(يحرفون الكلم عن
مواضعه) يميلونه عنها
ويزيلونه لانهم اذا بدلوه
ووضعوا مكانه كلاما غيره
فقد أمالوه عن موضعه في
التوراة التي وضعه الله
تعالى فيها وأزالوه عنها من
مقامه وذلك نحو تحريفهم
أسمر ربعة عن موضعه في
التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكرها عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على ما بينا من ازالته عن مواضعه التي
أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه أنه كانت له مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين
حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك قيل أسروا به
(واسمع) قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا
سمعت لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير

طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان
كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار أو نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا
يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط الطلب عند أبي حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو أو سبع
يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه
والله أعلم ۞ وقوله تعالى (ان الله كان عفوا) يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا)
يعني ساترا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة ويسرها
عليهم لان من كانت عادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها كان أولى ان يرخص للعاجزين أمر العبادة ۞ قوله
عزوجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن
زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فانزل الله
تعالى ألم تر يعني ألم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني أعطوا حظا من علم التوراة
ذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى بمن التي هي
للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله
عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا ويحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال الشيء بشيء وقيل فيه
اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (أن تضلوا السبيل) يعني عن السبيل والمعنى
يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا الاسلام (والله أعلم بأعدائكم) يعني
أنه سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تستنصحوهم
فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره أحد (وكفى
بالله نصيرا) يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان
للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو
متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين
هادوا قوم (يحرفون الكلم) أي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعني يغيرون صفة محمد صلى الله
عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر
فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء
الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا
وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك انهم كانوا اذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا في
الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير
مسمع) هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها في الذم فانهم

كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل إنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو إليه وقيل معناه غير مسمع جواباً يوافقك ولا كلاماً ترضيه (وراعنا) أي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته إلى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك أي اصرف سمعك إلى كلامنا وانصت إلى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الأنبياء بل إنما يخاطبون بالإجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليّاً بألسنتهم وطعناً في الدين) أصله لوياً لأنه من لويت الشيء إذا فتلته والمعنى أنهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلاً لأن راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لأصحابهم إنما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبياً لعرف ذلك فأظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) يعني ولو أنهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا (واسمع) يعني بدل قولهم اسمع غير مسمع (وانظرنا) يعني بدل قولهم راعنا أي انظر إلينا (لكان خيراً لهم) يعني عند الله (وأقوم) يعني أعدل وأصوب (ولكن لعنهم الله) يعني طردهم وأبعدهم عن رحمته (بكفرهم) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون إلا قليلاً) يعني فلا يؤمن من اليهود إلا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أراد بذلك القليل هو اعترافهم بأن الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقاً لما معكم) يعني التوراة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الأشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق فقالوا ما نعرف ذلك وأصروا على الكفر فأنزل الله هذه الآية وأمرهم بالإيمان وقرن بذلك الأمر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل أن نطمس وجوهاً) أصل الطمس إزالة الأثر بالمحو وذكر في المراد بالطمس هنا وجهين أحدهما أن يحمل على حقيقته والثاني أن يحمل على مجازه أما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس نجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين (فنردها على أدبارها) يعني نجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء وقيل ندبرها فنحول الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام وإنما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند ذلك يعظم لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصاً بيوم القيامة وأما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على أدبارها يعني نغير أحوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام من حيث جاؤوا وهو إجلاء بني النضير فإن قلت قد أوعدهم وهددهم بطمس الوجوه إن لم يؤمنوا ولم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قلت هذا الإشكال إنما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها أو حمله على الحقيقة والجواب عنه أن هذا مشروط بعدم الإيمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروي أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله فأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يحول

مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جواباً يوافقك فكأنك لم تسمع شيئاً أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه فسمعك عنه ناب ويحتمل أي اسمع غير مسمع مكروهاً من قولك اسمع فلان فلاناً إذا سبه وكذلك قوله (وراعنا) يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبه بكلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا سخرية بالدين وهزءاً برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام (ليّاً بألسنتهم) فتلاً بها وتحريفاً يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون وراعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروهاً أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقاً (وطعناً في الدين) هو قولهم لو كان نبياً حقاً لأخبر بما نعتقد فيه (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) ولم يقولوا وعصينا (واسمع) ولم يلحقوا به غير مسمع (وانظرنا) مكان راعنا (لكان) قولهم ذلك (خيراً لهم) عند الله (وأقوم) وأعدل وأسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر (فلا يؤمنون إلا قليلاً) منهم وقد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه أو إلا إيماناً قليلاً ضعيفاً لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا نزل (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقاً لما معكم) يعني التوراة (من قبل أن نطمس وجوهاً) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوهاً فننكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووقارهم

الى قفاى وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية فى خلافة عمر بن الخطاب أسلم وقال يارب أسلمت مخافة أن يصيبنى وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بأن لا يؤمن أحد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق فى اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما الطمس أو باللعنة وهو قوله تعالى (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أى نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية فى نلعنهم تعود الى المخاطبين فى قوله تعالى يا أيها الذين أوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن نطمس وجوها فنردها ونلعن أصحاب الوجوه فتجعل الكناية فى قوله أو نلعنهم عن ذكر أصحاب الوجوه اذا كان فى الكلام دلالة عليهم ۞ وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولا) يعنى لابد وأن يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شئ يريد أن يفعله وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والامر هنا فى موضع المأمور وسمى أمرا لانه عن أمره كان ۞ قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبرى معناه يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون فى الآية دلالة على أن اليهودى يسمى مشركا فى عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت فى وحشى وأصحابه وذلك لما قتل حمزة رضى الله عنه ورجع الى مكة ندم هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا أنا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله وزنينا ولولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة فنزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عنى فلحق بالشام فكان به الى أن مات وقيل لما نزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعنى ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام ففى الآية دليل على أن صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة بفضله وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد فى النار لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز فى الحكمة أن يغفر لصاحب كبيرة وعند أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك أيضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن

وتكسوهم صغارهم وادبارهم (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أى نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان أريد الوجهاء أو الى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان معلقا بأن لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فان ابن سلام قد سمع الآية لاولا من الشام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما قبل أن يأتى أهله وقال ما كنت أرى ان أصل الى أهلى قبل أن يطمس الله وجهى ولان الله تعالى أوعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه أو بلعنهم فان كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر فى اليهود (وكان أمر الله) أى المأمور به وهو العذاب الذى أوعدوا به (مفعولا) كائنا لا محالة فلا بد أن يقع أحد الامرين ان لم يؤمنوا (ان الله لا يغفر أن يشرك به) ان مات عليه (ويغفر ما دون ذلك) أى ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل أن الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه لمن لم يتب أى لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبى عليه السلام من لقى الله تعالى لا يشرك به شيأ دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله (لمن يشاء) لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال على رضى الله عنه ما فى القرآن آية أحب الى من هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه أولى أن يغفر بالتوبة والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما وهذا كما

يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فأمسكا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الا عمله غير أنه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الا عمله غير أنه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس أني لأرجو له كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر * عن علي بن أبي طالب قال ما في القرآن آية أحب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعني يجعل معه شريكا غيره (فقد افترى) أي اختلق (اثما عظيما) يعني ذنبا عظيما غير مغفور له ٭ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) نزلت في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى والتزكية عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى فلا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح أو وصفها بزكاء العمل أو زيادة الطاعة والتقوى أو زيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومعنى يزكون أنفسهم يزعمون أنهم أزكياء لانهم قالوا أنفسهم من الذنوب قال الله تعالى ردا عليهم (بل الله يزكي من يشاء) فيجعله زاكيا (ولا يظلمون فتيلا) يعني ان الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيأ والفتيل المفتول وسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين أصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) بقولهم انهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم أنفسهم (وكفى به) أي بذلك الكذب (اثما مبينا) ٭ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم أهل مكة انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين فقعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجيء منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى سبيلا نحن أم محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فأنزل الله تعالى ألم تر يعني يا محمد الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف وأصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني

(ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى (بل الله يزكي من يشاء) اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (ولا يظلمون) أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكاتهم ولا ينقص من ثوابهم (فتيلا) قدر فتيل وهو ما تفتله بين الاصابع من الوسخ (انظر كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم انهم عند الله ازكياء (وكفى به) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعني اليهود (يؤمنون بالجبت) أي الاصنام وكل ما عبدوه من دون الله (والطاغوت) الشيطان

المؤمنين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر عنها يكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هي زجر الطير وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا أخذت اليمين مضى في حاجته واذا أخذت الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصا على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو أن يتطير بالشئ فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت هو حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغيتي اليهود (ويقولون) يعني كعب بن الاشرف وأصحابه (للذين كفروا) يعني لكفار قريش (هؤلاء) يعني أنتم يا هؤلاء (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعني طريقا (أولئك الذين لعنهم الله) يعني كعب بن الاشرف وأصحابه (ومن يلعن الله) يعني يطرده من رحمته (فلن تجد له نصيرا) يعني ينصره ﴿ قوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك) هذا استفهام انكار يعني ليس لهم من الملك شئ البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فأكذبهم الله تعالى وأبطل دعواهم (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الآية ووصفهم بالجهل في الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والنقير هو النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشئ الحقير التافه الذي لا قيمة له ﴿ قوله عز وجل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أصل الحسد تمني زوال النعمة عمن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها ووصف الله اليهود بشر صفة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان أمة وحده يعني انه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع أولى والمراد بالفضل النبوة لانها أعظم المناصب وأشرف المراتب وقيل حسدوه على ما أحل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعني انه قد حصل في أولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام ولم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة فلما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصانا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق

(ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) وذلك ان حيي بن أخطب وكعب بن [illegible] ديين [illegible] الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم الى محمد أقرب منا وهو أقرب منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب أنتم أهدى سبيلا (أولئك الذين لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يعتمد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) وأم منقطعة ومعنى الهمزة الانكار أن يكون لهم نصيب من الملك (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) أي لو كان لهم نصيب من الملك أي ملك أهل الدنيا أو ملك الله فاذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مع انكار الحسد واستقباحه

وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا آل ابراهيم [illegible]) أي التوراة (والحكمة) الموعظة والفقه (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا الزام لهم وتقوم من ابتاه الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه

محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصان في نبوته (فمنهم) يعني من اليهود (من آمن به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليه كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من صد عنه) أي أعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا ﴿ قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عز وجل للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما أنزلت على رسولي محمد من آياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا أي ندخلهم نارا نشويهم فيها (كلما نضجت جلودهم) يعني احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة (ق) عن أبي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الأول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الأول غير ان الصناعة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحترق ويصل ألمها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتهم وقد أخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد أحد أجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس أهل النار جلودا لا تألم بل تكون زيادة في عذابهم كلما جلد بدلهم جلدا غيره ﴿ وقوله تعالى (ليذوقوا العذاب) أي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته وانما أتى بلفظ الذوق مع ما يصل اليهم من عظم العذاب الذي نالوه اخبارا بان احساسهم به في كل حال كاحساس الذائق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس (ان الله كان عزيزا) يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شئ ولا يمتنع عليه أحد (حكيما) يعني في تدبيره وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعني سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) يعني باقين فيها (أبدا) يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعني في الجنات (أزواج مطهرة) يعني مطهرات من الحيض والنفاس وسائر أقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) يعني كنينا دائم الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة والالتذاذ فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴿ قوله عز وجل (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلبه رسول الله المفتاح فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس

(فمنهم من آمن به) فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) وأنكر بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته وأعرض عنه (وكفى بجهنم سعيرا) للصادين (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) ندخلهم (نارا كلما نضجت جلودهم) احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج (ليذوقوا العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك (ان الله كان عزيزا) غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) فيما يفعل بالكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة) من الانجاس والحيض والنفاس (وندخلهم ظلا ظليلا) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهو ما كان طويلا فينانا لا جوب فيه دائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة بأداء الامانات والحكم بالعدل بقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقيل قد

يعطيه

يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
ان يرد المفتاح الى عثمان و يعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان أ كرهت ثم جئت ترفق فقال على لقد أنزل الله
عز وجل فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم فكان
المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة فى أولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره
البغوى رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو أعلم انه رسول الله لم أمنعه المفتاح
نظر والصحيح ما حكاه أبو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة فى هدنة
[illegible] ثم أسلم مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشى فرافقهما وهاجر
معهما فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بأفلاذ كبدها يعنى انهم وجوه أهل مكة فأسلموا
وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبى صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها
يابنى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله أعلم وثبت فى الصحيحين
من حديث ابن عمر قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال
وعثمان حتى أناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر
ابن الجوزى فى تفسير هذه الآية من رواية أبى صالح عن ابن عباس قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح
مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بأبى أنت وأمى اجمعه لى مع
السقاية فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه العباس فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فأعاد العباس
[illegible] فكف عثمان يده فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال
هاكه يا رسول الله بأمانة الله فأخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه ففى
هذه الرواية أيضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان
كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب فى قوله ان الله يأمركم للنبى
صلى الله عليه وسلم وهو أن الله أمره أن يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب فى قوله ان الله
يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها لولاة أمور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك
سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم يا ولاة الامور أن
تؤدوا ما ائتمنتم عليه من أمور رعيتكم وأن توفوهم حقوقهم وأن تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة فى جميع
الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فى ذلك جميع الامانات التى يحملها الانسان
وينقسم ذلك الى ثلاثة أقسام القسم الاول رعاية الامانة فى عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك
المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة فى كل شئ حتى فى الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم
وسائر أنواع العبادات القسم الثانى هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما أنعم الله به عليه من سائر أعضائه فأمانة
اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وأمانة العين غضها عن المحارم وأمانة السمع أن
لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو
رعاية أمانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعوارى الى أربابها الذين ائتمنوه عليها
ولا يخونهم فيها عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من
خانك أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب ويدخل فى ذلك وفاء الكيل والميزان
بأن لا يطفف فيهما ويدخل فى ذلك أيضا عدل الامراء والملوك فى الرعية ونصح العلماء العامة فكل هذه
داخل فى الامانة التى أمر الله عز وجل بادائها الى أهلها وروى البغوى بسنده عن أنس قال قلما خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى (واذا حكمتم بين

دخل فى هذا الامر أداء
الفرائض التى هى أمانة الله
تعالى التى حملها الانسان
وحفظ الحواس التى هى
ودائع الله تعالى (واذا حكمتم
بين

الناس أن تحكموا بالعدل) يعني وإن الله يأمركم أن تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم أن [illegible]
الحق عن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة في الاشياء فكل ما خرج عن الظلم [illegible]
سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء في الدخول [illegible]
والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه أن
يكون مقصود الحاكم بحكمه إيصال الحق الى مستحقه وأن لا يمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين
الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى
الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر أخرجه الترمذي ۞ وقوله تعالى (إن الله نعما يعظكم به) أي نعم الشيء
الذي يعظكم به وهو أداء الامانات والحكم بالعدل (إن الله كان سميعا بصيرا) يعني أنه تعالى سميع لما
تقولون وبصير بما تعملون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا أديتم الامانة فهو يبصر

۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) (ق) عن ابن
عباس قال نزل قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم الآية قال نزلت في عبد الله بن حذافة
ابن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد
وذلك أنه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا
منهم وجاء رجل الى عمار قد أسلم فأمنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاستمال الرجل فقال عمار اني [illegible]
وقد أسلم فقال خالد أتجير علي وأنا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه
ان يجير الثانية على أمير فنزل الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وأصل ال[illegible]
الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال أمره فيما أمر والانقياد لذلك الامر [illegible]
واجبة على كافة الخلق وكذا الطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضا لقوله تعالى وأطيعوا الرسول
فأوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء في أولي الامر الذين أوجب ا[illegible]
بقوله وأولي الامر منكم يعني وأطيعوا أولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين
يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال أبو هريرة الامراء والولاة وهي رواية
عن ابن عباس أيضا قال علي بن أبي طالب حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الامانة فاذا [illegible]
ذلك حق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير [illegible]
(ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره الا أن
يؤمر بمعصية الله فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله وقال ميمون
ابن مهران هم أمراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس أيضا ووجه هذا القول أن الآية نزلت [illegible]
وقال عكرمة أراد بأولي الامر أبا بكر وعمر لما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر أخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما
روي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه رزين في
كتابه وروى البغوي بسنده عن الحسن عن أنس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابي في
أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبري

الناس) فيلزمهم (أن تحكموا بالعدل) بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد أخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضي الله عنه بأن يرده اليه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فأسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبدا (إن الله نعما يعظكم به) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أي نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل في الحكم وبكسر النون وسكون العين مدني وأبو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي (إن الله كان سميعا) لأقوالكم (بصيرا) بأعمالكم ولما أمر الولاة بأداء الامانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) أي الولاة أو العلماء لان أمرهم ينفذ على الامراء

ن تنازعتم في شيء) فان اختلفتم أنتم وأولو الامر في شيء من أمور الدين (فردوه الى الله والرسول) أي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة (ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي ان الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا
خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحكي ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابي حازم ألستم أمرتم
بطاعتنا بقوله وأولي الامر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في
شئ فردوه الى الله أي
القرآن والرسول في حياته
والى أحاديثه بعد وفاته
(ذلك) اشارة الى الرد أي
الرد الى الكتاب والسنة
(خير) عاجلا (وأحسن
تأويلا) عاقبة كان بين
بشر المنافق ويهودي
خصومة فدعاه اليهودي الى
النبي صلى الله عليه وسلم
لعلمه أنه لا يرتشي ودعاه
المنافق الى كعب بن
الاشرف ليرشوه فاحتكما
الى النبي عليه السلام
فقضى لليهودي فلم يرض
المنافق وقال تعال نتحاكم
الى عمر فقال اليهودي
لعمر رضي الله عنه قضى
لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يرض بقضائه فقال
عمر للمنافق أكذلك قال
نعم فقال عمر مكانكما حتى
أخرج اليكما فدخل عمر
فأخذ سيفه ثم خرج
فضرب به عنق المنافق
فقال هكذا أقضي لمن لم
يرض بقضاء الله ورسوله
فنزل (ألم تر الى الذين
يزعمون أنهم آمنوا بما
أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق
(يريدون) حال من الضمير في يزعمون (أن يتحاكموا الى الطاغوت) أي كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة
رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان أو جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما
الى الشيطان بدليل قوله (وقد أمروا أن يكفروا به

الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر
بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة أولي الامر من يقوم
بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع ما أدى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام على
الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق ۞ وقوله تعالى (فان
تنازعتم في شيء) يعني اختلفتم في شيء من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من انتزاع الحجة وهو
أن كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) أي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم
فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به فان لم يوجد في
كتاب الله ففي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله
ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني افعلوا ذلك الذي
أمرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال قال
العلماء في الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث
الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعني رد الحكم الى الله
ورسوله خير (وأحسن تأويلا) يعني وأحمد عاقبة وقيل معناه ذلك أي ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله
أحسن تأويلا منكم له وأحسن مآلا وأجرا ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما
أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) قال ابن عباس نزلت في
رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد وقال المنافق بل
ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي أن يخاصمه الا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لليهودي فلما خرج من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا
وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمي اليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال
لهما عمر رويدا حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق
حتى برد وقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق
بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة
والنضير في الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بني قريظة
رجلا من بني النضير قتل به أو أخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم
يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من
النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا
تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقال الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه

يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) أي رسولا قط (إلا ليطاع بإذن الله) بتوفيقه في طاعته وتيسيره أو بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمر
المبعوث إليهم بأن يطيعوه لأنه مؤد عن الله وطاعته طاعة الله ومن يطع

الرسول فقد أطاع الله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم إلى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا من الشقاق (فاستغفروا الله) من النفاق والشقاق (واستغفر لهم الرسول) بالشفاعة لهم والعامل في إذ ظلموا خبر أن وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (رحيما) بهم قيل جاء أعرابي بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك أستغفر الله من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك (فلا وربك) أي فوربك كقوله فوربك

إلا أن يكون حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والتحذير والإنذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فإن الكلام إذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب وأثر في النفوس ❁ قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا (إلا ليطاع بإذن الله) يعني بأمر الله والمعنى إنما وجبت طاعة الرسول بأمر الله لأن الله أذن في ذلك وأمر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه أي طاعته تكون بإذن الله لأنه أذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول إلا فرضت طاعته على من أرسله إليهم وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلوا إليهم وفيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) يعني الذين تحاكموا إلى الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم إليه (جاؤك) يعني جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم إلى الطاغوت متنصلين عما ارتكبوا من المخالفة (فاستغفروا الله) يعني من ذلك الذنب بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد حكمك والتحاكم إلى غيرك (واستغفر لهم الرسول) يعني من مخالفته والتحاكم إلى غيره وإنما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وأنهم إذا جاؤك فقد جاؤوا من خصه الله برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فإن الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل عن لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة (لوجدوا الله توابا رحيما) يعني لو أنهم تابوا من ذنوبهم وفاؤوا واستغفرت لهم لعلموا أن الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم ❁ قوله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الأنصار (ق) عن عروة بن الزبير أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري ثم قال يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر فقال الزبير والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة له وللأنصاري فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك ❁ قوله في شراج الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل إلى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الأرض الحجرية الملبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تغير [illegible] أحفظ أي أغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع إلى الجدر هو بفتح الجيم يعني الجدار وقوله فاستوعى له أي استوفى حقه في صريح الحكم وهو أن كان أرشده أولا إلى [illegible] الوادي أولى بأول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم أذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما لم يرض خصمه بذلك ولم يعترف بما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لأجله أمر الزبير باستيفاء التمام وحمل خصمه على مر الحق فيه [illegible] هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما [illegible] وروي أن اسم [illegible] على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء

لا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم (لا يؤمنون) أو التقدير فلا أي ليس الأمر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه

(ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) ضيقا (٤٠٠) (مما قضيت) أي لا تضيق صدورهم من حكمك أو شكا لأن الشاك في ضيق من أمره يلوح له اليقين (ويسلموا تسليما) وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها أي جعلها سالمة له أي خالصة وتسليما مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (ولو أنا كتبنا عليهم) على المنافقين أي ولو وقع كتبنا عليهم (أن اقتلوا) ان هي المفسرة (أنفسكم) أي تعرضوا للقتل بالجهاد أو ولو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم أنفسهم (أو اخرجوا من دياركم) بالهجرة (ما فعلوه) لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدري الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه (الا قليل منهم) قليلا شامي على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من اتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه (لكان خيرا لهم) في الدارين (وأشد تثبيتا) لايمانهم وأبعد عن الاضطراب فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) أي ثوابا كثيرا لا ينقطع (ولهديناهم صراطا) مفعول ثان (مستقيما) أي لثبتناهم على الدين الحق (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم

يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال اقتلوا أنفسكم فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت قال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق و[اليهودي] الذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك ولا صلة وعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الأمر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الأمور وأشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الأمر اذا نازعه فيه وأصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه في بعض واختلط (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا تسليما) يعني وينقادوا لأمرك انقيادا ولا يعارضوك في شيء من أمرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك ۞ قوله عز وجل (ولو أنا كتبنا عليهم) أي فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) يعني كما كتبنا على بني اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت هذه [الآية] قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتي لرجالا الايمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي ومن قال ان الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال معنى الا قليل منهم يعني رياء وسمعة والمعنى انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو أنا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا أن يكون قليلا منهم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) يعني ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الر[سول] صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعني في الدنيا والآخرة وانما سمي ذلك التكليف و[عظا لأن] أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (وأشد تثبيتا) يعني تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك أقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير وا[لثواب] فقال هو ان نؤتيهم من لدنا أجرا عظيما (ولهديناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولأرشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الأعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط [المستقيم] وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة لأن الله تعالى ذكر الأجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط [المستقيم] بعده لأنه هو المؤدي الى الجنة ۞ قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم اني ذكرت الآخرة فأخاف لا أراك لأنك ترفع الى عليين مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض أصحاب النبي صلى

من النبيين والصديقين) كأفاضل صحابة الأنبياء والصديق المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة وسمي الصديق [...] قوله بفعله (والشهداء) والذين استشهدوا في سبيل الله (والصالحين) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم (وحسن أولئك رفيقا) أي وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه (ذلك) مبتدأ خبره (الفضل من الله) أو الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى أن ما أعطى المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل منه عليهم أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله (وكفى بالله عليما) بعباده وبمن هو أهل الفضل ودلت الآية على أن ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالإثر والأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو (فانفروا ثبات) فاخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدها ثبة (أو انفروا جميعا) أي مجتمعين أو مع النبي عليه السلام لأن الجمع بدون السمع لا يتم والعقد بدون الواسطة لا ينتظم أو انفروا ثبات إذا لم يعم النفير أو انفروا جميعا إذا عم النفير

عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعني في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول أي ويطع الرسول في السنن التي سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة (من النبيين) يعني أن المطيعين مع النبيين في الجنة لا تفوتهم رؤية الأنبياء في الجنة ومجالستهم لأنهم يكونون في درجتهم في الجنة لأن ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر فإنه هو الذي سمي بالصديق من هذه الأمة وهو أفضل أتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد (والصالحين) جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين أبو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن أولئك) يعني المشار إليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك (رفيقا) يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وإنما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لأن العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء أشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بأعمالهم ۞ وقوله تعالى (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعني الذي أعطى الله المطيعين (من) الأجر العظيم (وكفى بالله عليما) يعني بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم [...] دليل على أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل إنما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وإنما سمي السلاح حذرا لأنه يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل أن يقول إذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر [...] كان الكل بقضاء الله وقدره كان الأمر بأخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانفروا ثبات) أي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (أو انفروا جميعا) يعني أو اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى جهاد عدوكم (وإن منكم لمن ليبطئن) نزلت في المنافقين وإنما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب وإظهار كلمة الإسلام لا في حقيقة الإيمان والمعنى وإن منكم لمن ليتأخرن وليتثاقلن

وثبات حال وكذا جميعا واللام في (وإن منكم لمن) للابتداء بمنزلتها في إن الله لغفور ومن موصولة وفي (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع إليه ما استكن في ليبطئن أي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ أي تأخر ويقال ما بطأ بك فيتعدى بالباء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم أي في الظاهر دون الباطن يعني المنافقين يقولون لم تقتلون أنفسكم تأنوا حتى يظهر الأمر

(فان أصابتكم مصيبة) قتل أوهزيمة (قال) المبطئ (قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا) حاضرا فيصيبني مثل ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) فتح أوغنيمة (ليقولن) هذا المبطئ متلهفا على مافاته من الغنيمة لاطلبا للمثوبة (كأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنه (لم يكن) وبالتاء مكي وحفص (بينكم وبينه مودة) وهى اعتراض بين الفعل وهو ليقولن وبين مفعوله وهو (ياليتنى كنت معهم) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن (فأفوز) بالنصب لانه جواب التمنى (فوزا عظيما) فآخذ من الغنيمة حظا وافرا (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها أى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وعد الله المقاتل فى سبيل الله ظافرا أو مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده فى اعزاز دين الله (ومالكم) مبتدأ وخبره وهذا الاستفهام فى النفى للتنبيه على الاستبطاء وفى الاثبات للانكار (لاتقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول مالك قائما والمعنى وأى شئ لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه (والمستضعفين) مجرور بالعطف على سبيل الله أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين أو منصوب على الاختصاص منه أى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد (من الرجال والنساء والولدان) ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وأمهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأمى من ...

عن الجهاد وهو عبد الله بن أبى بن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فان أصابتكم مصيبة) أى قتل وهزيمة (قال) يعنى هذا المنافق (قد أنعم الله على) يعنى بالقعود (اذ لم أكن معهم) يعنى مع المؤمنين (شهيدا) يعنى حاضر الوقعة فيصيبنى ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أى فتح وغنيمة (ليقولن) يعنى هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كأنه ليس من أهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر (ياليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة التى غنم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) أى فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة ۞ قوله عز وجل (فليقاتل فى سبيل الله) هذا خطاب للمنافق أى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أى فليقاتل المؤمنون فى سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا أى يختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) أى ... (أو يغلب) يعنى يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعنى فى كلا الحالتين الشهادة أو الظفر ... فيهما (أجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى ... تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانال من أجر أو غنيمة لفظ مسلم ۞ قوله عز وجل (ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدى الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لاعذر لكم فى ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين مابلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد أن قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذى شديدا وكان أهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين فى أيديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس فى قوله ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمى من المستضعفين وفى رواية ابن أبى مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمى ممن عذر الله أنا من الولدان وأمى من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى و... الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال والولدان جمع ...

والنساء والولدان (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة (الظالم أهلها) الظالم وصف للقرية الا انه مسند الى أهلها فاعطى إعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها (واجعل لنا من لدنك وليا) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر ولما خرج محمد صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بانهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم

الصبي الصغير (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة (الظالم أهلها) يعني الظالم أهلها أنفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم أهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعني وليا يلي أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوي ﴿ قوله عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) يعني في طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) يعني في طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال ويعني بكيده ما كاد المؤمنين به من تحزيبه أولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وحزبه واذا قال كان في قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد الشيطان ﴿ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وأدوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي فرض عليهم جهاد المشركين أمروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعني اذا جماعة من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) أي يخافون مشركي مكة (كخشية الله أو أشد خشية) أو بمعنى الواو يعني وأشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) يعني لم فرضت علينا الجهاد (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا واختلفوا في هذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) أي

يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان بقوله (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي الكفار (ان كيد الشيطان) أي وساوسه وقيل الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) لانه غرور لا يؤول الى محصول أو كيده في مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فنزل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أي عن القتال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال) أي فرض بالمدينة (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله)

يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لان ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل خشية الله أي مثل أهل خشية الله (أو أشد خشية) هو معطوف على الحال أي أو أشد خشية من أهل خشية الله وأو للتخيير أي ان قلت خشيتهم الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها أشد فانت مصيب لانه حصل لهم مثلها وزيادة (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) هلا أمهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل أنهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قل

متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف
القليل الزائل (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شئ من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه

قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعني ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تظلمون فتيلا) أي ولا تنقصون من أجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه وأشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم ترجع ﴿ قوله عز وجل (أينما تكونوا يدرككم الموت) نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد أعدائه أفضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى انه لابد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شئ بقوله (ولو كنتم في بروج مشيدة) البروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) نزلت في المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود ما رأينا أعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة أي خصب في الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله (وان تصبهم سيئة) أي جدب في الثمار وغلاء في السعر (يقولوا هذه من عندك) يعني من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد ومعنى من عندك أي أنت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) أي قل لهم يا محمد (كل من عند الله) يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء منه (فما لهؤلاء القوم) أي فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا (لا يكادون يفقهون حديثا) يعني لا يفقهون معاني القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها ﴿ قوله تعالى (ما أصابك من حسنة) يعني من خير ونعمة (فمن الله) يعني من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك (وما أصابك من سيئة) يعني من شدة ومكروه ومشقة وأذى (فمن نفسك) يعني فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان أحدهما انه عام وتقديره ما أصابك أيها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم برئ لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الحكم بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك أي فبذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبي ما أصابك من حسنة فالله هداك لها وأعانك عليها وما أصابك من أمر تكرهه فذلك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية أصابتني وانما يقال أصبتها ويقال في النعم والمحن أصابني بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا

مكي وحمزة وعلي ثم أخبر أن الحذر لا ينجي من القدر بقوله (أينما تكونوا يدرككم الموت) ما زائدة لتوكيد معنى الشرط في أين (ولو كنتم في بروج) حصون أو قصور (مشيدة) مرفعة (وان تصبهم حسنة) نعمة من خصب ورخاء (يقولوا هذه من عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية من قحط وشدة (يقولوا هذه من عندك) أضافوها اليك وقالوا هذه من عندك وما كانت الا بشؤمك وذلك ان المنافقين واليهود كانوا اذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى واذا أصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى بقوله (قل كل من عند الله) والمضاف اليه محذوف أي كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون) يفهمون (حديثا) فيعلمون ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (ما أصابك) يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبي عليه السلام والمراد غيره (من حسنة) من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه وامتنانا (وما أصابك من سيئة) من بلية ومصيبة (فمن نفسك) فمن عندك أي فبما كسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

الحسنة قالوا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولهذا كرالله حسنات الكسب وسيآ ته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على مايقول أهل القدر لقال ما أصبت من حسنة وما أصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لان العادة جرت بقول الانسان أصابني خير أو مكروه وأصبت حسنة أو سيئة وقيل في معنى الآية ما أصابك من حسنة أى النصر والظفر يوم بدر فمن الله أى من فضل الله وما أصابك من سيئة من قتل وهزيمة يوم أحد فمن نفسك يعني فبذنوب أصحابك وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الآية قلت أما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها وأما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما أصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانبارى في معنى الآية ما أصابك الله به من حسنة وما أصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى ﴿ قوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) يعنى وأرسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتي وما أرسلناك به رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل أنت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما أرسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله عز وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فأنزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعنى فيما أمر به ونهى عنه فقد أطاع الله يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو أمر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا أداء شيء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم من المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله (ومن تولى) أى أعرض عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) يعني حافظا لاعمالهم عليهم بل كل أمرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية السيف ﴿ قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فمرنا فأمرك طاعة أى أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) التبييت كل أمر يعمل بالليل يقال هذا أمر مبيت دبر بليل وقضى بليل فقوله بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا أمرا بالليل غير الذي أعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول يعنى غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق والكفر

ولابس اليك الحسنة والسيئة (وكفى بالله شهيدا) بانك رسوله وقيل هذا متصل بالاول أى لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة في الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ما أصابك اذ يقال في الافعال ما أصبت ولانهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا فأنى يكون لهم حجة في ذلك وشهيدا تمييز (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه لا يأمر ولا ينهى الا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته في أوامره ونواهيه طاعة لله (ومن تولى) عن الطاعة فأعرض عنه (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم (ويقولون) ويقول المنافقون اذا أمرتهم بشيء (طاعة) خبر مبتدأ محذوف أى أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) زوروسوى فهو من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل أو من أبيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها وبالادغام حمزة وأبو عمرو (غير الذي تقول)

فيما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون

(والله يكتب ما يبيتون) يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه (فأعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) في شأنهم فإن الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام (وكفى بالله وكيلا) كافيا لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) فلا يتأملون في معانيه ومبانيه والتدبر التأمل والنظر في أدبار الأمر وما يؤول إليه في عاقبته ثم استعمل في كل تأمل والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والإمام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد (ولو كان من عند غير الله) كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أي تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم أو تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته أو من حيث المعاني فكان بعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله فإذا هي ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان فقد تفصى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانها إن شاء الله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف) هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال أو المنافقون كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) أفشوه وكانت إذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر وأذاع به والضمير يعود إلى الأمر أو إلى الأمن أو الخوف لأن أو تقتضي أحدهما (ولو ردوه) أي ذلك الخبر (إلى الرسول) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإلى أولي الأمر منهم) يعني كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم

وقيل إن طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) أي يثبت ويحفظ عليهم (ما يبيتون) يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق (فأعرض عنهم) أي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم ودعهم في ضلالتهم فإنما تنتقم منهم وقيل لا تفتر بإسلامهم (وتوكل على الله) أي فوض أمرك إلى الله في شأنهم فإن الله يكفيك أمرهم وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعني ناصرا لك عليهم ﴿ قوله عز وجل (أفلا يتدبرون القرآن) أصل التدبر النظر في عواقب الأمور والتفكر في أدبارها ثم استعمل في كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي وأن أحدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء إن الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التي عجز الخلائق عن الإتيان بمثلها في أساليبه الثاني إخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الإخبار عن أحوال الأولين وأخبارهم وما يأتي في المستقبل من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في إخباره عن الغيب بما يكون وبما كان اختلافا كثيرا لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وإذا كان كذلك ثبت أنه من عند الله وأنه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت أنه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب أنه كلام الله عز وجل وأن ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم أنه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه ﴿ قوله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى هذه الآية وإذا جاءهم يعني المنافقين أمر من الأمن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة أو الخوف يعني القتل والهزيمة أذاعوا به أي أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر وأذاع به إذا أشاعه وأظهره قال الشاعر

أذاع به في الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب

(ولو ردوه) يعني الأمر الذي تحدثوا به (إلى الرسول) يعني أنهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتحدث به ويظهره (وإلى أولي الأمر منهم) يعني ذوي العقول والرأي والبصيرة بالأمور منهم وهم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وأما قال منهم

(لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا
يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر
فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم

حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى أولى الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه
منهم) أي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب وما ينبغي فعله ومكايدها
وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي أن يكتم من الامور وما ينبغي أن يذاع منها وأصل النبط الماء الذي يخرج من البئر
أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني
والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على
جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس
عليهما ومعنى الآية ولو أن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى أولى
الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم أولى بالبحث عنه فانهم أعلم بما ينبغي
أن يشاع أو يكتم ﴿ قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى
الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعني لبقيتم على الكفر
والضلالة (الا قليلا) اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو
قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين
والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير
الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين
يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو
قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه الى الشئ
البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة
الايادي ﴿ قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا سفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك
في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله
هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا نفسك
يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر
عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله
القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد
والخروج معه وفي الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بامور القتال
ومكايده لان الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر
الصديق في قتال أهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرض
المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف
(عسى الله) أي لعل الله (أن يكف بأس الذين كفروا) يعني لعل الله أن يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد

الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل (ولولا فضل الله عليكم) بارسال الرسول (ورحمته) بانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (الا قليلا) لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو ابن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل في سبيل الله) ان أفردوك وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله تعالى ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت

رج وما معه الا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده (وحرض المؤمنين) وما عليك في شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف
(عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان
اع الكريم أعود من انجاز اللئيم

(والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا وهو تمييز كبأسا (من يشفع شفاعة حسنة) هي الشفاعة في دفع شر أو
جوازها شرعا (يكن له نصيب منها) من ثواب الشفاعة (ومن يشفع شفاعة سيئة) هي خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضي ا
ما المفسر غيري معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن هو المشي بالصلح وضده النميمة (يكن له كفل من
نصيب (وكان الله على كل شيء مقيتا) مقتدرا من أقات على الشيء اقتدر عليه أو حفيظا من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها (وإذا
أي سلم عليكم فإن التحية في ديننا بالسلام في الدارين وسلموا على أنفسكم تحية من عند الله تحيتهم يو
سلام وكانت العرب تقول
عند اللقاء حياك الله أي
أطال الله حياتك فأبدل
ذلك بعد الإسلام بالسلام
(تحية) هي تفعلة من
حيا يحيي تحية (فحيوا
بأحسن منها) أي قولوا
وعليكم السلام ورحمة الله
إذا قال السلام عليكم
وزيدوا وبركاته إذا قال
ورحمة الله ويقال لكل
شيء منتهى ومنتهى
السلام وبركاته (أو ردوها)
أي أجيبوها بمثلها ورد
السلام جوابه بمثله لأن
المجيب يرد قول المسلم وفيه
حذف مضاف أي ردوا
مثلها والتسليم سنة والرد
فريضة والأحسن فضل
وما من رجل يمر على قوم
مسلمين فيسلم عليهم ولا
يردون عليه إلا نزع عنهم
روح القدس وردت عليه
الملائكة ولا يرد السلام
في الخطبة وقراءة القرآن
جهرا ورواية الحديث وعند
مذاكرة العلم والأذان
والإقامة وعند أبي يوسف
رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في
حمام أو غيره ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته والماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير
على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا وقيل بأحسن منها لأهل الملة أو ردوها لأهل الذمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام لا غرار في تسليم أي لا يقال عليك بل
لأن كاتبيه معه (إن الله كان على كل شيء حسيبا) أي محاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها

فعل وذلك أن أبا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج إلى الموعد (والله أشد بأسا) أي أعظم صو
تنكيلا) يعني وأشد عذابا وعقوبة من غيره ﴿ قوله عز وجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها)
الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يصير الإنسان نفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على
إلى المشفوع إليه فعلى هذا قيل إن المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الإنسان لغير
بشفاعته نفعا أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الإصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من ينضم شفعا
أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها أي حظ وافر من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرا
(ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هي النميمة ونقل الحديث لإيقاع العداوة بين الناس وقيل أر
السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) أي
وقيل نصيب (منها) أي من وزرها (وكان الله على كل شيء مقيتا) قال ابن عباس يعني مقتدرا أو مجاز
وأقات على الشيء قدر عليه قال الشاعر

وذي ضغن كففت النفس عنه * وكنت على إساءته مقيتا

يعني قادرا على الإساءة إليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الأشياء (ق) عن أبي موسى قال كان رسول
صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان
رسوله ما شاء وفي رواية كان إذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا وذكره ﴿ قوله
عز وجل (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تفعلة من حييت وأصلها من الحياة ثم جعل
لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا أو في الآخرة والتحية أن يقال حياك الله أي جعل
حياة وذلك إخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الإسلام بدل ذلك بالسلام وهو
المراد به في الآية يعني إذا سلم عليكم المسلم فأجيبوه بأحسن مما سلم عليكم به وإنما اختير لفظ السلام على
حياك الله لأنه أتم وأحسن وأكمل لأن معنى السلام السلامة من الآفات فإذا دعا الإنسان بطول الحياة بغير
سلامة كانت حياته مذمومة منغصة وإذا كان في حياته سليما كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير
السلام (أو ردوها) يعني أو ردوا عليه كما سلم عليكم (إن الله كان على كل شيء حسيبا) يعني محاسبا ومجا
والمعنى أنه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله أو بأحسن منه مجاز

﴿فصل في فضل السلام والحث عليه﴾ (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول
صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله أي
الإسلام خير معناه أي خصال الإسلام خير (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا ال
عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس أفشوا السلام وأ

... الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن أبي
... أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفشي السلام أخرجه ابن ماجه
(فصل في أحكام تتعلق بالسلام) وفيه مسائل (المسألة الأولى في كيفية السلام) (ق) عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على أولئك نفر
من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك
ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فيأتي بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتي
بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن حصين قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله
فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون
أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي حديث حسن وقيل إذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب
وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته فيزيده وبركاته وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه وروي
أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس إن السلام
انتهى إلى البركة ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون
الرد على الفور فإن أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد (المسألة الثانية في حكم السلام) الابتداء
بالسلام سنة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فإن كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم
ولو سلم كلهم كان أفضل وأكمل قال القاضي حسين من أصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية إلا هذا
[illegible] لأن تشميت العاطس سنة على الكفاية أيضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت أو مجلس أو
مسجد وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والأمر للوجوب أو
لكون ذلك سنة ثابتة. كذلك لأن السلام من شعار أهل الإسلام فيجب إظهاره أو ثابتا كذا استحبابه أما الرد
على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها
والأمر للوجوب لأن في ترك الرد إهانة للمسلم فيجب ترك الإهانة فإن كان المسلم عليه واحدا وجب عليه
الرد وإن كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين
وإن تركوه كلهم أثموا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن الجماعة
إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزي عن الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود (المسألة الثالثة في آداب
السلام) السنة أن يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على
الكبير (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على
القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على
الكثير وإذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الأفضل لما روي عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود والترمذي ولفظه قال قيل
يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال أولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب
السلام قبل الكلام والحاجة والسنة إذا مر بجماعة صبيان صغار أن يسلم عليهم لما روي عن أنس
أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أخرجاه في الصحيحين وفي رواية
أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فإن كن جمعا

جالسات فى مسجد أو موضع فيستحب أن يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه أو عليهن فتنة لما روى عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا أخرجه أبو داود وفى رواية الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم قال الترمذى حديث حسن واذا مر على امرأة مفردة أجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هى عليه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هى عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال فى السلام فيسلم بعضهن على بعض ﴿المسئلة الرابعة فى الاحوال التى يكره السلام فيها﴾ فمن ذلك الذى يبول أو يتغوط أو يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر أن رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه أخرجه مسلم وقال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط أو البول ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا مؤتزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مأمورون بالانصات للخطبة ويكره أن يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء ﴿المسئلة الخامسة فى حكم السلام على أهل الذمة اليهود والنصارى﴾ اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم الى أنه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه الى أضيقه أخرجه مسلم واذا سلم يهودى أو نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول وعليك أو وعليكم بالواو والعطف لما روى عن أنس ان يهوديا أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يا نبى الله ولكنه قال كذا لو كذا ردوه على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم يا نبى الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أى عليك ما قلت أخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وبميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى أسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذى ۞ قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم الله فى الموت وفى القبور (الى يوم القيامة) يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية فى منكرى البعث (لا ريب فيه) يعنى لا شك فى ذلك اليوم انه كائن (ومن أصدق من الله حديثا) يعنى لا أحد أصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لا شك فيها ولا ريب ۞ قوله عز وجل (فما لكم فى المنافقين فئتين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت فى الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس ممن خرج معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة قالت نقاتلهم وقالت فرقة لا نقاتلهم فنزلت فما لكم فى المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبره أو اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه ليحشرنكم (الى يوم القيامة) أى ليحشرنكم اليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لا ريب فيه) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود الى اليوم أو صفة لمصدر محذوف أى جمعا لا ريب فيه والهاء يعود الى الجمع (ومن أصدق من الله حديثا) تمييز وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه فى اخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشئ بخلاف ما هو عليه (فما لكم) مبتدأ وخبره (فى المنافقين فئتين) أى ما لكم اختلفتم فى شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين حال كقولك ما لك قائما قال سيبويه اذا قلت ما لك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل أى شئ يستقر لك فى هذه الحال

(113)

(أو جاؤكم) عطف على صفة قوم أى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين
الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم (حصرت صدورهم) حال باضمار قد والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) أى
أن يقاتلوكم عن قتالكم (أو يقاتلوا (٤١٢) قومهم) معكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بتقوية قلوبهم وازالة الحصر عنهم (فلقاتلوكم)
على تسليطهم ودخول اللام
لتأكيد (فان اعتزلوكم)
فان لم يتعرضوا لكم (فلم
يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم)
أى الانقياد والاستسلام
(فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا) طريقا الى القتال
(ستجدون آخرين
يريدون أن يأمنوكم)
بالنفاق (ويأمنوا قومهم)
بالوفاق هم قوم من أسد
وغطفان كانوا اذا أتوا
المدينة أسلموا وعاهدوا
ليأمنوا المسلمين فاذا
رجعوا الى قومهم كفروا
ونكثوا عهودهم (كلما
ردوا الى الفتنة) كلما دعاهم
قومهم الى قتال المسلمين
(اركسوا فيها) قلبوا فيها
أقبح قلب وأشنعه وكانوا
شرا فيها من كل عدو (فان
لم يعتزلوكم) فان لم يعتزلوا
قتالكم (ويلقوا اليكم
السلم) عطف على لم يعتزلوكم
أى وان لم ينقادوا لكم
بطلب الصلح (ويكفوا
أيديهم) عطف عليه أيضا
أى ولم يمسكوا عن قتالكم
(فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم) حيث تمكنتم
منهم وظفرتم بهم (وأولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم
بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله (أن يقتل مؤمنا) ابتداء من
غير قصاص أى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم اباحة دمه (الا خطأ) الا على وجه الخطا وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أى لكن ان
قتله خطأ ويحتمل أن يكون صفة لمصدر أى الا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن ان ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا

وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم أيضا داخلون فى عهدكم (أو جاؤكم
حصرت صدورهم) يحتمل أن يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو يتصلون
بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل أن يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم عهد أو يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت أى ضاقت
صدورهم عن المقاتلة ولا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم أقارب
وكانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا أن لا يقاتلوهم (أن يقاتلوكم) يعنى ضاقت صدور
عن قتالكم للعهد الذى بينكم وبينهم (أو يقاتلوا قومهم) يعنى من آمن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم
مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم
والمسلمون وهو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى
ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم وذلك ان الله تعالى أوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا أو جاء
معاهدا أو ترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك
القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم فى هذه الآية منسوخة بآية
السيف وذلك لان الله تعالى لما أعز الاسلام وأهله أمر ان لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام أو القتل
شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما ألقى
الرعب فى قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هاهنا تقوية قلوبهم عن قتال المسلمين ولكن الله ألقى
الرعب فى قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعنى فان اعتزلوا عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) يعنى
فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (وألقوا اليكم السلم) يعنى الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل
الله لكم عليهم سبيلا) يعنى بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهى قوله تعالى اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هى غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يجوز ان
يقال انها منسوخة ۞ قوله عز وجل (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم أسد وغطفان كانوا
حاضرى المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت فيقول آمنت بالقرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انا على
دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفى رواية أخرى عن ابن عباس أنها نزلت فى بنى عبد الدار وكانوا
بهذه الصفة (يريدون أن يأمنوكم) يعنى يريدون باظهار الايمان أن يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا
قومهم) يعنى باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعنى كلما دعوا الى الشرك (أركسوا
فيها) رجعوا الى الشرك وقادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم يعتزلوكم) يعنى فان لم يكفوا عن
قتالكم حتى يسيروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم) أى ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم
(فخذوهم) يعنى أسرى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يعنى حيث أدركتموهم (وأولئكم) يعنى أهل
الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعنى حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هى
عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة ۞ قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ)

غير قصد بأن يرى كافرا فيصيب مسلما أو يرى شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم (ومن قتل مؤمنا خطأ) صفة مصدر أي قتلا خطأ (فتحرير رقبة) مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق (مؤمنة) قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات إذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما أو من كان ميتا فأحييناه ولهذا منع من تصرف الأحرار وهذا مشكل إذ لو كان كذلك لوجب في العمد أيضا لكن يحتمل أن يقال إنما وجب عليه ذلك لأن الله تعالى أبقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة (ودية مسلمة إلى أهله) مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (إلا أن يصدقوا) إلا أن يتصدقوا عليه بالدية أي يعفوا عنه والتقدير فعليه دية في كل حال إلا في حال التصدق عليه بها (فإن كان من قوم عدو لكم) فإن كان المقتول خطأ من قوم أعداء لكم أي كفرة فالعدو يطلق على الجمع (وهو مؤمن) أي المقتول مؤمن (فتحرير رقبة مؤمنة) يعني إذا أسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر إلينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهي الإسلام ولا تجب الدية لأن العصمة المقومة بالدار ولم توجد (وإن كان) أي المقتول (من قوم بينكم) بين المسلمين (وبينهم ميثاق) عهد (فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أي وإن كان ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على أن دية الذمي كدية المسلم وهو قولنا (فمن لم يجد) رقبة أي لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها [illegible] ين) فعليه صيام شهرين (متتابعين

نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فأسلم ثم خاف أن يظهر إسلامه لأهله فخرج هاربا إلى المدينة وتحصن في أطم من آطامها والأطم الحصن فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وأبي جهل ابني هشام وهما أخوا عياش بن أبي ربيعة لأمه والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتياني به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشا وهو في الأطم فقالوا انزل فإن أمك لم يأوها سقف بعدك وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع إليها ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك [illegible] فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له العهد بالله نزل إليهم فأخرجوه من المدينة وأوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فأعطاهم الذي أرادوا فأتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش أهذا الذي كنت عليه فإن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا إلا قتلتك ثم إن عياشا أسلم بعد ذلك وهاجر وأسلم الحرث بن زيد من بعده وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر بإسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش أي شيء صنعت إنه قد أسلم فرجع عياش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إنه كان من أمري وأمر الحرث ما قد علمت وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه وعهد إليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى إلا خطأ استئناف منقطع معناه لكن إن وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة إلا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشيء من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعني فعليه إعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة إلى أهله) أي وعليه دية كاملة مسلمة إلى أهل القتيل الذين يرثونه (إلا أن يصدقوا) يعني إلا أن يتصدق أهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه (فإن كان) يعني المقتول (من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أراد أنه إذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه أنه إذا كان المقتول مسلما في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار وأهله الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين كان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد (فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعني أنه إذا كان المقتول كافرا معاهدا أو ذميا فتجب فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) يعني الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) أي فعليه

صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة (توبة من الله) يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ (وكان الله عليما)
يعني بمن قتل خطأ (حكيما) يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

﴿فصل في أحكام تتعلق بالآية﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الأولى في بيان صفة القتل﴾ قال الشافعي القتل
ثلاثة أقسام عمد وشبه عمد وخطأ أما العمد المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل
القصاص عند وجود التكافؤ أو دية حالة مغلظة في مال القاتل وأما شبه العمد فهو أن يقصد ضرب
بما لا يقتل مثله غالبا مثل أن ضربه بعصا خفيفة أو رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه
مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين وأما الخطأ المحض فهو أن لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر
منه فلا قصاص عليه ويجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ أيضا أن
يقصد رمي مشرك أو كافر فيصيب مسلما أو يقصد قتل انسان يظنه مشركا بأن كان عليه لباس المشركين
أو شعارهم فالصورة الأولى خطأ في الفعل والثانية خطأ في القصد ﴿المسئلة الثانية في حكم الديات﴾ دية
الحر المسلم مائة من الإبل فإذا عدمت الإبل فتجب قيمتها من الدراهم أو الدنانير في قول
مقدر وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل
الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الإبل
قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وعلى أهل البقر
مائتي بقرة وعلى أهل الشاء ألفي شاة وعلى أهل الحلل مائتي حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع
من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم إلى أن الواجب في الدية مائة من الإبل أو ألف دينار أو اثنا عشر
درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنها مائة من الإبل
أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الذكر
الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابيا وإن كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم
قول سعيد بن المسيب وإليه ذهب الشافعي وذهب قوم إلى أن دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم
عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر
ابن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد والأصل في ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه أن النبي صلى
وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائي فمن ذهب إلى أن
أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بأن الأصل في ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر
المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في قتل العمد وشبه العمد
مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت
وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي لما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله
عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع إلى أولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا أخذوا الدية وهي ثلاثون
حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد القتل أخرجه الترمذي
حديث حسن غريب وعن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال ألا ان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الإبل أربعون
بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية أخرى ألا ان كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من
الإبل فيها أربعون في بطونها أولادها أخرجه النسائي وذهب قوم إلى أن الدية المغلظة أرباع خمس

توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهي نصب على المصدر (وكان الله عليما) بما أمر (حكيما) فيما قدر

مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأما دية الخطأ فمخففة وهي أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وأبدل قوم أبناء اللبون ببنات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال أحمد وأصحاب الرأي ودية قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله أعلم ﴿المسئلة الثالثة في حكم الكفارة﴾ الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة [illegible] سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا فان لم يجد الرقبة [illegible] ن متتابعين فالقاتل ان كان واجد الرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن [illegible]ته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين أو نسي النية أو [نوى] صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان أفطر يوما بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التتابع [اختلف] العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قولي [الشافعي] لانه أفطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن [و]لو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه أمر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين [مسكينا فيه قولان] أحدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكره [في كفارة القت]ل فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطأ والله أعلم [ق]وله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم [هو وأخ]وه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل [رسول الله ص]لى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان [علمتم قات]ل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى أخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ادفعوا اليه ديته فبلغهم [الفهري ذلك] فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فأعطوه مائة من الابل فانصرفا [راجع]ين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية أخيك لتكون عليك سبة اقتل [الفهر]ي الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا [م]ن الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله ٭ سراة بني النجار أرباب فارع

وأدركت ثاري واضطجعت موسدا ٭ وكنت الى الاصنام أول راجع

[فنزلت ف]يه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعني بكفره وارتداده وهو [الذي] استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ممن أمنه من أهلها فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة [وغضب الله علي]ه يعني لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعني وطرده عن رحمته (وأعد له عذابا [عظيما]) اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة أم لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة أم لا فروى سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التي في [الفرق]ان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا) حال من ضمير القاتل أي قاصدا قتله لايمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضا (فجزاؤه جهنم خالدا فيها) أي ان جازاه قال عليه السلام هي جزاؤه ان جازاه والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى (وغضب الله عليه ولعنه) أي انتقم منه وطرده من رحمته (وأعد له عذابا عظيما) لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما في الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم

مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم وفي رواية قال اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء وفي رواية أخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية المدنية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهاناً فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً الى آخر الآية زاد في رواية فأما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجاه في الصحيحين وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس في هذه الآية فقال من أين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة ابن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول أنزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة أشهر أخرجه أبو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية بثمانية أشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية التي في سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسختها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التي في النساء أيضاً وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائباً يقال له لك توبة وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه أيضاً ان توبته تقبل وهو قول أهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعاً وأما السنة فما روى عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

﴿فصل﴾ وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على أن الفاسق مخلد في النار وأجاب علماء السنة بان الآية نزلت في كافر قتل مسلماً وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلماً مستحلاً لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافراً وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجلز في قوله تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التأبيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد

كقوله خالدين فيها أبدا وإذا قرن الخلود بالتأبيد دل على أن المراد منه الدوام الذي لا ينقطع وإذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية أن الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا في النار إلى حيث يشاء الله ثم يخرجه بفضل رحمته وكرمه فإنه قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيحة إخراج جميع الموحدين من النار وقيل إن قاتل المؤمن عمدا إذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولأن الكفر أعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل من القاتل أولى والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا وأقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد هذه الآية فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن أسامة قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا إنما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا إليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله يعني إذا سافرتم إلى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الأمر إذا تأملته قبل الإقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الأمر الذي تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية إنه إنما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما أظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي استسلم وانقاد لكم وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعني لست من أهل الإيمان فتقتلوه بذلك قال العلماء إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أو حي من العرب شعار الإسلام يجب أن يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودي أو النصراني أنا مؤمن لا يحكم بإيمانه لأنه يدعي أن الذي هو عليه إيمان ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم بإسلامه حتى يتبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف أنه دين باطل وذلك لأن بعض اليهود يزعم أن محمدا رسول إلى العرب خاصة لا أنه رسول إلى كافة الخلق فإذا اعترف أنه رسول إلى كافة الخلق وأن الذي كان عليه من التهود أو التنصر باطل صح إسلامه وحكم بصحته ﴿ وقوله (تبتغون عرض الحياة الدنيا) يعني تطلبون الغنيمة التي هي من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا ما فيها أو متاعها (فعند الله مغانم كثيرة) أي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها

(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) سرتم في طريق الغزو (فتبينوا) وفتثبتوا حمزة وعلي وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) السلم مدني وشامي وحمزة وهما الاستسلام وقيل الإسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام (لست مؤمنا) في موضع النصب بالقول وروي أن مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمي به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل في تقولوا (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله

(كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم في الاسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم والكاف في كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان فاقتدوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم (فتبينوا) كرر الأمر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير أولى الضرر) بالنصب مدنى وشامى وعلى لانه استثناء من القاعدين أو حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) عطف على القاعدون ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل مالهم لا يستوون فأجيب بذلك (درجة) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة كقولك ضربه سوطا ونصب للاسلام (وكلا) أى وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لانه مفعول أول لقوله (وعد الله) والثانى (الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) بغير عذر (أجرا عظيما درجات منه ومغفرة

عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعنى كما كان هذا الذى ألقى اليكم السلام فقتلتموه مستخفيا بدينه كنتم أنتم من قبل يعنى من قبل أن يعز الله دينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا الذى قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون فى قومكم بهذه الكلمة فلا تحقروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمن الله عليكم) يعنى بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم بأن الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة (فتبينوا) أى ولا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه ﴿قوله عز وجل (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال أملى على النبى صلى الله عليه وسلم لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها على فقال والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذى ثم سرى عنه فأنزل الله عز وجل غير أولى الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر وفى رواية أخرى لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين قال النبى صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله وخلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية أخرجها ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول وأضافها الى البخارى ومسلم ولم أجدها فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى وفى هذه الآية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين يعنى لا يعدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله غير أولى الضرر يعنى أولى الزمانة والضعف فى البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر أقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن أنس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها ﴿ وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) يعنى فضيلة فى الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدين هنا أولى الضرر ففضل الله المجاهدين على أولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية وأولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعنى كلا من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) يعنى الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعنى فى سبيل الله (على القاعدين) يعنى الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجرا عظيما) يعنى ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال

الاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا أولا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه الآية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت أما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر وأما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل أن تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله أعلم ۞ قوله تعالى (ومغفرة) يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها (ورحمة) يعني رأفة بهم (وكان الله غفورا) يعني لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعني بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال أيما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان أرجعته أرجعه بما أصاب من أجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أخرجه النسائي

(فصل) اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين أن يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال من لا عذر له ولا ضرر به من أهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن أنفسهم وعن أهاليهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فتجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين أو بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض أعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام أن لا يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه أو سراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار والمطيق للجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم ۞ قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية نزلت في أناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فأنزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان أحدهما انه قبض أرواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي أنفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ

ودرجة) قيل انتصب أجرا بفضل لانه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا أو انتصب درجات نصب درجة كأنه قيل فضلهم تفضيلا كقولك ضربه أسواطا أي ضربات وأجرا عظيما على انه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها ومغفرة ورحمة باضمار فعلهما أي وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبي عليه السلام اكتفاء بغيرهم درجات لان الجهاد فرض كفاية (وكان الله غفورا) بتكفير العذر (رحيما) بتوفير الاجر ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين الى بدر حتى قتل كافرا (ان الذين توفاهم الملائكة) يجوز أن يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين والتوفي قبض الروح والملائكة ملك الموت وأعوانه (ظالمي أنفسهم) حال من ضمير المفعول في توفاهم أي في حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة

(قالوا) أى الملائكة المتوفين (فيم كنتم) أى فى أى شئ كنتم فى أمر دينكم ومعناه التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شئ من الدين (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين عن الهجرة (فى الارض) أرض مكة فأخرجونا كارهين (قالوا) أى الملائكة موبخين لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أرادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب (٤٢٠) فتهاجروا على جواب الاستفهام (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) خبر ان فأولئك

ودخول الفاء لما فى الذين من الابهام المشابه بالشرط أو قالوا فيم كنتم والعائد محذوف أى قالوا لهم والآية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى الحديث من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج منهم لفقرهم وعجزهم (ولا يهتدون سبيلا) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس بشئ بعينه كقوله ❊ ولقد أمر على اللئيم يسبنى ❊ (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وعسى وان كان للاطماع وابعد فهو من الله واجب لان الكريم اذا أطمع أنجز (وكان الله عفوا غفورا) لعباده قبل أن يخلقهم (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك (كثيرا وسعة) فى الرزق أو فى اظهار الدين أو فى الصدر لتبدل الخوف بالامن

ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين وقيل ظالمى أنفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا فى أى الفريقين كنتم أفى فريق المسلمين أم فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعنى عاجزين (فى الارض) يعنى فى أرض مكة (قالوا) يعنى قال لهم الملائكة (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعنى الى المدينة وتخرجوا من بين أظهر المشركين فأكذبهم الله فى قولهم كنا مستضعفين وأعلمنا بكذبهم (فأولئك) يعنى من هذه صفتهم (مأواهم) يعنى منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعنى بئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى أهل العذر ومن علم ضعفهم فقال تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعنى لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) يعنى ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة (فأولئك) يعنى المستضعفين وأهل الاعذار (عسى الله أن يعفو عنهم) يعنى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا أطمع عبدا وصله (وكان الله عفوا غفورا) قال ابن عباس كنت أنا وأمى ممن عذر الله يعنى من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين فى الصلاة (ق) عن أبى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ❊ قوله عز وجل (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعنى يجد فى الارض مهاجرا يعنى ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فلما قولهم رغم أنفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت فلانا يعنى هجرته وعاديته ولم أبال به رغم أنفه ويقوى ذلك قول بعض أهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم أنفه وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغما لهم أى مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب فى الارض وأنشد الزجاج فى المعنى

الى بلد غير دانى المحل ❊ بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يلجأ اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول أهل اللغة فى معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من أرض الى أرض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد متقلبا يتقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومى أى هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعنى فى الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة فى الارض التى يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التى قبل هذه سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل وانى لاجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى الى المدينة

(ومن يخرج من بيته مهاجرا) حال من الضمير في يخرج (الى الله ورسوله) الى حيث أمر الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج (فقد وقع أجره على الله) أي حصل له الاجر بوعد الله وهو تأكيد للوعد ولا شيء يجب على الله لاحد من خلقه (وكان الله غفورا رحيما) قالوا كل هجرة لطلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزداد فيه طاعة وقناعة أو زهدا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت في طريقه فقد وقع أجره على الله (واذا

ضربتم في الارض) سافرتم فيها فالضرب في الارض هو السفر (فليس عليكم جناح) حرج (أن تقصروا) في أن تقصروا (من الصلاة) من أعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الآية يقتضي أن القصر رخصة في السفر والا كمال عزيمة كما قال الشافعي رحمه الله لان لا جناح يستعمل في موضع التخفيف والرخصة لا في موضع العزيمة. وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الا كمال لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وأما الآية فكأنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ان خشيتم أن يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو أخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج لظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على أنه لا يجوز الا كمال في السفر لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد وان كان المتصدق ممن لا تلزم طاعته كولي القصاص اذا عفا فمن تلزم طاعته أولى ولان حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان أردن تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم أي لان لا يفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو أن يومئ على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة

وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا ما أدرك هذا ما طلب فأنزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعني قبل بلوغه الى مهاجره (فقد وقع أجره على الله) يعني فقد وجب أجر هجرته على الله بإيجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل وأتى به وأما تمام الاجر فلا والقول الاول أصح لان الآية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحيما) يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا ۞ قوله عز وجل (واذا ضربتم في الارض) يعني اذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) أي حرج واثم (ان تقصروا من الصلاة) يعني من أربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى أصله وأبى ابن الجوزي القصر بالنقص ولم أره لاحد من أهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها أو بعض أركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين أحدهما أنه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في أدائها وهو ان يكتفي بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول أصح ويدل عليه لفظة من في قوله أن تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة أولى (ان خفتم أن يفتنكم) يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة (الذين كفروا) ذهب داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روي عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا

أن أمرنا أن نصلي ركعتين في السفر أخرجه النسائي وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين أخرجه الترمذي والنسائي وأجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم لا يقتضي ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الأمن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الأمن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت انما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع ﴿وقوله تعالى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة والمعنى انما رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل أعداء لانه يستوي فيه الواحد والجمع

﴿فصل في أحكام تتعلق بالآية﴾ وفيه مسائل ﴿المسألة الاولى﴾ في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب أكثر العلماء الى أن القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأبي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية أخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر أخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص واليه ذهب الشافعي وأحمد وهو رواية عن مالك أيضا يدل على ذلك ما روى البغوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال أحسنت يا عائشة وما عاب علي أخرجه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ولفظة لا جناح انما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين ان معناه فرضت ركعتين أولا وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع ﴿المسألة الثانية﴾ اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة أم غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وأبو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي وأحمد ﴿المسألة الثالثة﴾ ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور الى انه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال أبو حنيفة والثوري يجوز ذلك ﴿المسألة الرابعة﴾ اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود وأهل الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن أنس أيضا وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة أهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا واليه

والركوع والسجود والتسبيح كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فتحرزوا منهم

(وإذا كنت) يا محمد (فيهم) في أصحابك (فأقمت لهم الصلاة) فأردت أن تقيم الصلاة بهم. بظاهره تعلق أبو يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل إمام كقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم دليله فعل الصحابة رضي الله عنهم بعده عليه السلام (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) أي الذين تجاه العدو وعن ابن عباس رضي الله عنهما وإن كان المراد به المصلين فكانوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما (فإذا سجدوا) أي قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة (فليكونوا من ورائكم) أي إذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة فليرجعوا وليقفوا بإزاء العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) في موضع رفع صفة لطائفة (فليصلوا معك) أي ولتحضر الطائفة الواقفة بإزاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية و(ليأخذوا حذرهم) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه (وأسلحتهم) جمع سلاح وهو ما يقاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أي تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة) فيشدون

ذهب إليه مالك وأحمد وإسحق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فإنهما قالا مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلا والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعا معترضة معتدلة والأصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام

(فصل) قيل قوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وإن خفتم روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا إلى ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر هو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه ﴿ قوله عز وجل (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية روي عن ابن عباس وجابر أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم يعني صلاة العصر فإذا قاموا إليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله عز وجل يقول وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروي عن ابن عياش الزرقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى وإذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وإذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعني إذا حان وقت الصلاة وأقمتها لأصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا في هؤلاء الذين أمرهم الله بأخذ السلاح فقيل أراد بهم الذين [illegible] معه إلى الصلاة فأمرهم بأخذ أسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول إنما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من إلى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لأنه أقرب إلى الاحتياط وأمنع للعدو من الإقدام عليهم فإن كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذي من إلى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل أراد بهم الطائفة الذين هم في وجه العدو فأمرهم بأخذ أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون أمر للفريقين بحمل السلاح لأن ذلك أقرب إلى الاحتياط (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعني إذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا إلى المكان الذي هو في وجه العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو (فليصلوا معك) الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعني أن الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو ولذلك جمع بينه وبين أخذ السلاح فإن قلت لم ذكر في أول الآية الأسلحة فقط وذكر هنا الحذر والأسلحة قلت لأن العدو قلما يتنبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فإذا قاموا إلى الركعة الثانية ظهر للكفار أن المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الإقدام على المسلمين فلا جرم أن الله تعالى أمرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الأسلحة (ود الذين كفروا) يعني تمنى الكفار (لو تغفلون) يعني لو وجدوكم غافلين (عن أسلحتكم وأمتعتكم) يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وأنتم مشتغلون بصلاتكم عن

أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون منكم غرة فيقصدونكم.

﴿فصل في أحكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف﴾ وفيه مسائل ﴿المسألة الأولى﴾ قال أبو يوسف والحسن بن زياد من أصحاب أبي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من أصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بأن الله خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على أن هذه الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولأن كلمة إذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء إلى أن هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب أن يثبت في حق غيره من أمته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي ولأن ذلك إجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه صلى صلاة الخوف بأصحابه ليلة الهرير وكذلك أبو موسى صلى بأصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها بأصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة وأجيب عن قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة بأن هذا وإن كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فإن سائر أمته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء إلا أن يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون أمته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين ونظيره قوله خذ من أموالهم صدقة فإذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة من بعده من الأئمة كان كذلك قوله وإذا كنت فيهم وأجيب عن لفظة إذا بأن مقتضاه الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم فغير مسلم ﴿المسألة الثانية﴾ قال الخطابي صلاة الخوف أنواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الأحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف ما إذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الإمام أصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو وتحرس ويصلي بالطائفة الأخرى ركعة فإذا قام إلى الثانية أتموا لأنفسهم وذهبوا إلى وجاه العدو فيحرسون وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالساً في التشهد حتى يتموا لأنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم أخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبي حثمة وقد أخرجاه من رواية أخرى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو وأما كونه أشد موافقة لظاهر القرآن فإن قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على أن الطائفة الأولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على أن جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الإمام وكونها أحوط لأمر الصلاة من حيث إنه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونها أحوط لأمر الحرب والحراسة من حيث إنه إذا لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحراسة والكر والفر والطعن إن احتاجوا إليه وذهب قوم إلى أن الطائفة الأولى تصلي مع الإمام ركعة ثم تذهب إلى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة الأخرى فتصلي مع الإمام الركعة الثانية ويسلم الإمام ولا يسلمون هم بل يذهبون إلى وجه العدو وترجع الطائفة الأولى إلى موضع الإمام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية إلى موضع الإمام فتقضي بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا وأقبلوا على العدو فصفوا مكانهم
وجاءت الطائفة الأخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين وأربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة
وسجدتين أخرجه النسائي قال أبو بكر بن السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي أخرجاه
في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة
الأخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدو وجاء أولئك فصلى بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية أخرى قال صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة الخوف في بعض أيامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء
الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين أخذ الأوزاعي
وأشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي أيضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين
وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الأولى أدركت أول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام وأما
الطائفة الثانية لم تدرك أول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته ﴿المسئلة الثالثة﴾ فيما
اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة
فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم
انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف
المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود
والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الأولى وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله
عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم
وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخاري طرفا منه أنه صلى
صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعي
ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة ﴿المسئلة الرابعة﴾ اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا
وركبانا يومئون بالركوع والسجود الى أي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة أنهم
لا يصلون في هذه الحالة فاذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخر مذكورة في كتب الفقه
وليس هذا موضعها والله أعلم ۞ وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) أي ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم
أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال
المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا
أمرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله
وذلك انه غزا بني محارب وبني أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال
قتلني الله ان لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على
رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله

عليكم شدة واحدة (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا) في أن تضعوا (أسلحتكم وخذوا حذركم) رخص لهم في وضع الاسلحة ان تثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو

(ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) أخبر انه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الامر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله تعالى (فاذا قضيتم الصلاة) فرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) أى دوموا على ذكر الله فى جميع الاحوال أو فاذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود (فاذا اطمأننتم) سكنتم بزوال الخوف (فأقيموا الصلاة) فأتموها بطمأنينة واحدة أو اذا أقمتم فأتموا ولا تقصروا أو اذا اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام والركوع والسجود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مكتوبا محدودا بأوقات معلومة (ولا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) أى ليس ما تجدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فمالكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله مالا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة (وكان الله عليما) بما يجد المؤمنون من الالم (حكيما) فى تدبير أمورهم روى ان طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل فنزل

عليه وسلم فاكب لوجهه ٤ من زلخة زلخته فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك منى الآن فقال لا أحد فقال أتشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيك سيفك فقال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير منى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقالوا له ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد أهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما أدرى من زلخنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادى فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى الى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم يعنى من عدوكم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون به ﴿ قوله عز وجل (فاذا قضيتم الصلوة) يعنى فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) يعنى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأثنوا على الله فى جميع أحوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل أحيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعنى فصلوا لله قياما يعنى فى حال الصحة وقعودا فى حال المرض وعلى جنوبكم يعنى فى حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأننتم) يعنى فاذا أمنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب (فأقيموا الصلاة) يعنى فأتوها بأركانها وأفعالها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين فى أوطانكم فأقيموا الصلاة تامة أربعا من غير قصر وقيل معناه فأقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) يعنى فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعنى المكتوب به موقتة فى أوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن أوقاتها على أى حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا فى الحضر أربع ركعات وفى السفر ركعتين ﴿ قوله تعالى (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم فشكوا من ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعنى ولا تضعفوا ولا تتوانوا فى ابتغاء القوم يعنى فى طلب أبى سفيان وأصحابه ثم أورد عليهم الحجة فى ذلك وألزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) يعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أولى بالصبر منهم لانكم تقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كما فانتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) يعنى وتأملون من الله من الثواب فى الآخرة مالا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر فى الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها

٤ قوله من زلخة هى وجع يأخذ فى الظهر فيصلب ويغلظ حتى لا يتحرك معه اه مصححه

(وكان الله عليما حكيما) يعني انه تعالى لا يأمركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم ۞ قوله عز وجل (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين والتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة ابن أبيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فأنزل الله هذه الآية انا أنزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق والامر والنهي والفصل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يعني بما علمك الله وأوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور وروي عن عمر أنه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لأن الله تعالى كان يريه اياه وان رأي أحدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه (ولا تكن) يعني يا محمد (للخائنين خصيما) يعني ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له (واستغفر الله) يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا) يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم (رحيما) يعني بعباده المؤمنين

(فصل) وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والامر الالهي فنزلت هذه الآية وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طعمة كذاب وان اليهودي بريء من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فأمره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا واعتذر رسول الله صلى الله عليه وسلم براءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بان يقضي على اليهودي بالسرقة فلما أطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ في نفس الامر فأمره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل أن الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون الذنب قد سبق قبل النبوة وأن يكون لذنوب أمته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل أو السهو أو أمر من أمور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله أعلم ۞ قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه أوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة أي فلا تخاصم الخائن

(انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي محقا (لتحكم بين الناس بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بما ألهمك بالنظر في أصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه (ولا تكن للخائنين) لاجل الخائنين (خصيما) مخاصما أي ولا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق أو ذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما)

وانما قيل بصيغة المبالغة لأنه تعالى علم من طعمة أنه مفرط فى الخيانة وركوب المآثم وروى أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة
ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وعن عمر رضى الله عنه انه أمر بقطع يد سارق
فجاءت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة (يستخفون) يستترون (من
الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (٤٢٨) (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم
مطلع عليهم لا يخفى عليه
خاف من سرهم وكفى بهذه
الآية ناعية على الناس ما هم
فيه من قلة الحياء والخشية
من ربهم مع علمهم أنهم فى
حضرته لا سترة ولا غيبة
(اذ يبيتون) يدبرون
وأصله أن يكون ليلا (ما لا
يرضى من القول) وهو تدبير
طعمة أن يرمى بالدرع فى
دار زيد ليسرق دونه ويحلف
انه لم يسرقها وهو دليل
على أن الكلام هو المعنى
القائم بالنفس حيث سمى
التدبير قولا (وكان الله بما
يعملون محيطا) عالما علم احاطة
(ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه
فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ
وخبر (جادلتم) خاصمتم
وهى جملة مبينة لوقوع أولاء
خبرا كقولك لبعض
الاسخياء أنت حاتم تجود
بمالك أو أولاء اسم موصول
بمعنى الذين وجادلتم صلته
والمعنى هبوا أنكم خاصمتم
(عنهم) عن طعمة وقومه
(فى الحيوة الدنيا فمن يجادل
الله عنهم يوم القيامة) فمن
يخاصم عنهم فى الآخرة اذا أخذهم الله بعذابه وقرئ عنه أى عن طعمة (أم من يكون عليهم وكيلا)
حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه (ومن يعمل سوأ) ذنبا دون الشرك (أو يظلم نفسه) بالشرك أو سوأ قبيحا يتعدى ضرره الى
الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودى أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) يسأل مغفرته (يجد الله غفورا رحيما)
له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) لان وباله عليها (وكان الله عليما حكيما) فلا يعاقب
بالذنب غير فاعله

ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) يعنى خوانا بسرقة الدرع أثيما برميه اليهودى وهو
برىء وانما قال تعالى خوانا أثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط فى الخيانة وركوب المآثم
ويدل على ذلك أنه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته
فسقط عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به
فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات
ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة فى الخيانة والاثم قال بعضهم اذا
عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وروى عن عمر انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول
هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه يا أمير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة ۞ قوله عز
وجل (يستخفون من الناس) يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة
ابن أبيرق (ولا يستخفون من الله) يعنى ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار
وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعنى
والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شىء من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زاجرا للانسان
عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) يعنى يضمرون ويقدرون ويزورون فى أذهانهم
وأصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى صلى الله عليه وسلم
فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم
فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعنى أنه تعالى لا يخفى
عليه شىء من أسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافية (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه يعنى
يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعنى خاصمتم
عنهم بسبب أنهم كانوا عندهم فى الظاهر مسلمين وأصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد
أن يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا أنكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه (فى الحيوة الدنيا)
وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفى قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة فى
الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعنى اذا أخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع
(أم من يكون عليهم وكيلا) يعنى حافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل بهم ۞ قوله تعالى (ومن يعمل
سوأ أو يظلم نفسه) نزلت هذه الآية فى ترغيب طعمة فى التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت فى قومه الذين
جادلوا عنه وقيل هى عامة فى كل مسىء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية
ومن يعمل سوأ يسىء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء
لان ذلك يكون فى الاكثر ايصالا للضرر الى الغير أو يظلم نفسه يعنى فيما يختص به من الحلف الكاذب
ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوأ أى قبيحا أو يظلم نفسه برميه البرىء وقيل السوء كل ما يأثم به

الانسان والظلم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعني من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيما) ففي هذه
الآية دليل على حكمين أحدهما أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن
يعمل سوأ أو يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني أن ظاهر الآية يقتضي أن مجرد الاستغفار كاف وقال
بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب اثما) يعني ومن يعمل
ذنبا يأثم به (فانما يكسبه على نفسه) يعني انما يعود وباله عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو
دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا أيها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فانى منزه عن
الضرر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فاني لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت في طعمة
أيضا (وكان الله عليما) يعني بسارق الدرع (حكيما) يعني اذ حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب
عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته أن يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن
يكسب خطيئة أو اثما) قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب
المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة
(ثم يرم به بريأ) يعني ثم يقذف بما جناه بريأ منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق فان قلت
الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريأ
وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه أقرب مذكور
وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريأ (فقد احتمل بهتانا) البهتان من البهت
وهو الكذب الذي يتحير في عظمه (واثما مبينا) يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم وبرميه البرئ باهت
فقد جمع بين الامرين ﴿ قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن
أبيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك
يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما أوحى اليك من الاطلاع على أسرارهم فهو خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة (أن يضلوك) يعني عن القضاء بالحق وتوخي
طريق العدل وقيل معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة
عرفوا انه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنه ويبرئه عن السرقة ويرمي بها اليهودي (وما
يضلون الا أنفسهم) يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم له أنه برئ فهم لما قدموا
على ذلك رجع وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) يعني انهم وان سعوا في القائك في الباطل فانت ما وقعت
فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك أن الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك
من شئ في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره أحد (وأنزل الله عليك الكتاب) يعني القرآن
(والحكمة) يعني القضاء بهما يعني وأوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك في الشبهات
(وعلمك ما لم تكن تعلم) يعني من أحكام الشرع وأمور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل
معناه وعلمك من خفيات الامور وأطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من أحوال المنافقين وكيدهم ما لم
تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من
احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما أنزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله
تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من أرادك بسوء ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من ألطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه ﴿ قوله
تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى
الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما ينفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك أو جهرا فناجيته ساررته وأصله أن

بريئا) كما رمى طعمة زيدا
(فقد احتمل بهتانا) كذبا
عظيما (واثما مبينا) ذنبا
ظاهرا وهذا لانه بكسب
الاثم آثم وبرمي البرئ
جامع بين الامرين
والبهتان كذب يبهت من
قيل عليه ما لا علم له به (ولولا
فضل الله عليك ورحمته)
أي عصمته ولطفه من
الاطلاع على سرهم (لهمت
طائفة منهم) من بني
ظفر او المراد بالطائفة بنو
ظفر والضمير في منهم
يعود الى الناس (ان
يضلوك) عن القضاء بالحق
وتوخي طريق العدل
مع علمهم بان الجاني
صاحبهم (وما يضلون
الا أنفسهم) لان
وباله عليهم (وما يضرونك
من شئ) لانك انما عملت
بظاهر الحال وما كان
يخطر ببالك ان الحقيقة
على خلاف ذلك (وأنزل
الله عليك الكتاب) القرآن
(والحكمة) والسنة
(وعلمك ما لم تكن تعلم)
من أمور الدين والشرائع
أو من خفيات الامور
وضمائر القلوب (وكان
فضل الله عليك
عظيما) فيما علمك
وأنعم عليك (لا خير في

تخاوق نجوة من الارض وقيل أصله من النجي والمعنى لاخير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (الامن أمر بصدقة) يعني الا في نجوى من أمر بصدقة وقيل معناه لاخير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من أعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة وحث عليها (أو معروف) يعني أو أمر بطاعة الله وما يجيزه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (أو اصلاح بين الناس) يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمر به عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل بن سعد ان أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن أم مكتوم بنت عقبة بن أبي معيط أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعني هذه الاشياء التي ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعني طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث (فسوف نؤتيه) يعني في الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضات الله (أجرا عظيما) لاحد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله ﴿ قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت في طعمة أيضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان وأصله من المشاقة وهي كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما أنزل فيه وأظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم وأظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) أي نكله في الآخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعني ونلزمه جهنم وأصله من الصلي وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعني وبئس المرجع الى النار وروي ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة ﴿ قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به) نزلت في طعمة بن أبيرق أيضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني [illegible] الذنوب غير اني لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جراءة على عز وجل وما توهمت طرفة عين اني أعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله فأنزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت أن

(الامن أمر بصدقة) الا نجوى من أمر وهو مجرور بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير (أو معروف) أي قرض أو اغاثة ملهوف أو كل جميل أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع (أو اصلاح بين الناس) أي اصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو ترؤسا وهو مفعول له والاشكال انه قال الامن أمر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم أو المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يؤتيه أبو عمرو وحمزة (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره في الدنيا (ونصله جهنم) في العقبى (وساءت مصيرا) قيل هي في طعمة وارتداده (ان الله لا يغفر أن يشرك به

الشرك

مادون ذلك لمن يشاء) مر تفسيره فى هذه السورة (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الصواب (ان يدعون من دونه) ما يعبدون من دون الله (الا اناثا) جمع أنثى وهى اللات والعزى ومناة ولم يكن حى من العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهن هن بنات الله (وان يدعون) يعبدون (الا شيطانا) لانه هو الذى أغراهم على عبادة الاصنام فأطاعوه وسماعت طاعتهم له عبادة (مريدا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامرد (لعنه الله وقال لاتخذن) صفتان يعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (من عبادك نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا لى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله (ولاضلنهم) بالدعاء الى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل (ولامنينهم) ولالقين فى قلوبهم الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) البتك القطع والتبتيك للتكثير والتكثير برأى لاحملنهم على أن يقطعوا آذان الانعام وكانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) بفقء عين الحامى واعفائه عن الركوب أو بالخصاء وهو مباح فى البهائم محظور فى بنى آدم أو بالوشم أو بنفى الانساب واستلحاقها أو تغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتحليل أو بالتخنث أو بتبديل فطرة الله التى هى دين الاسلام لقوله لاتبديل لخلق الله

المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التى عملها فى حال الشرك (ويغفر مادون ذلك) يعنى مادون الشرك (لمن يشاء) يعنى لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا أنه يغفر مادون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وأدخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعنى فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد فى موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التأكيد أو لان الآية المتقدمة نزلت فى سبب ونزلت هذه الآية فى سبب آخر [3] وهو ان الآية المتقدمة نزلت فى سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه الآية فى سبب ارتداده وموته على الشرك ۞ قوله عز وجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت فى أهل مكة يعنى ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيأ فقد دعاه لحاجته وفى قوله اناثا قولان أحدهما انهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بنى فلان والقول الثانى اناثا يعنى أمواتا قال الحسن كل شئ لاروح فيه كالحجر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبنى وهذه الدراهم تنفعنى ولان الانثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحى كما ان الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون هن بنات الله (وان يدعون) أى وما يعبدون (الا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل فى جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه أغواهم وأغراهم على عبادتها وأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة (لعنه الله) أى أبعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعنى ابليس (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعنى حظا مقدرا معلوما فكل ما أطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه (ولاضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شئ قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولامنينهم) قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبى أمنيهم انه لاجنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصى وقيل أزين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان وقيل أمنيهم طول البقاء فى الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يعنى يقطعونها أو يشقونها وهى البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعنى دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التى فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقيل

[1] قوله وهو ان الآية المتقدمة الخ الذى ذكره عند الآية المتقدمة انها نزلت فى أهل الكتاب المتقدم ذكرهم قبل الآية أو فى قاتل حمزة أو فى جواب رجل سأل عن الشرك لما نزل قوله تعالى قل ياعبادى الآية ولم يتقدم لسرقة طعمة ذكر على انه لا يظهر أن تكون سبب نزول الآية كما هو ظاهر اه مصححه

يحتمل ان يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن أسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره أنس اختصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق أخرجه مالك فى الموطأ ومعناه فى ترك الاختصاء نماء الخلق يعنى زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو أن يتشبه الرجل بالنساء فى حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) يعنى يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولى من الموالاة وهو الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهى غاية الخسران بقى فى الآية سؤالان ❊ الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشئ المقدر القليل وقال فى موضع آخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع والجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا أكثر من المسلمين فى العدد لكنهم أقل من المؤمنين فى الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا أقل من الكفار لكنهم أكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة فى الدنيا وعلو الدرجة فى الآخرة وأنشد بعضهم فى هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة ❊ والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ما أراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه أهلا ولهذه أهلا قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعنى الذين هم أهل النار ❊ السؤال الثانى من أين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامنينهم ولآمرنهم وقال فى الاعراف ولاتجد أكثرهم شاكرين وقال فى بنى اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا والجواب من ثلاثة أوجه أحدها ان ابليس ظن أن تقع منهم هذه الامور التى يريدها منهم فحصل له ماظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثانى قال ابن الانبارى المعنى لاجتهدن ولاحرصن فى ذلك لا أنه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردى من الجائز أن يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان أكثر الخلائق لايؤمنون وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم) يعنى الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم مايوقع فى قلب الانسان من طول العمر ونيل ما أراده من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل أن لايلتفت الى شئ من ذلك فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما أراده منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لاجنة ولانار ولابعث فاجتهدوا فى تحصيل اللذات الدنيوية (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) يعنى باطلا وضلالا (أولئك) يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعنى مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولايجدون عنها) يعنى عن جهنم (محيصا) يعنى مفرا ومعدلا يعنى لايعدلون عنها الى غيرها ولابد لهم من ورودها والخلد فيها ولما ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (أبدا) بلا انتهاء ولاغاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لايتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لايقال أبد كذا كما يقال زمن كذا وفى قوله خالدين فيها أبدا دليل

(ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) وأجاب الى مادعاه اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) فى الدارين (يعدهم) يوسوس اليهم أن لاجنة ولانار ولابعث ولاحساب (ويمنيهم) مالاينالون (ومايعدهم الشيطان الا غرورا) هو أن يرى شيأ يظهر خلافه (أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا) معدلا ومفرا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يتبعوا الشيطان فى الامر بالكفر (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ النخعى سيدخلهم

على أن الخلود لا يفيد التأبيد والدوام لأنه لو أفاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الأصل فعلم من ذلك أن الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما أتبع الخلود بالأبد علم أنه يراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله عز وجل (وعد الله حقا) يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا (ومن أصدق من الله قيلا) يعني ليس أحد أصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا ﴿ قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) الأمنية أفعولة من التمني والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها والأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء إذا وقع في نفسه وأراده وفي المخاطب بقوله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب قولان أحدهما أنه خطاب للمسلمين وأهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك أنهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم والقول الثاني أنه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لأهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة والمعنى ليس الأمر بالأماني إنما الأمر بالعمل الصالح (من يعمل سوءا يجز به) قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لأهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوءا يعني شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لأنهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسيء عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا هو الكافر فأما المؤمن فله ولي ونصير وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوءا من مسلم ونصراني وكافر قال ابن عباس هي عامة في حق كل من عمل سوءا يجز به إلا أن يتوب قبل أن يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله وأينا من لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره وأما من كان جزاؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها أخرجه مسلم وعن أبي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي قلت بلى يا رسول الله قال فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني وجدت انقصاما في ظهري فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك يا أبا بكر قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأينا لم يعمل سوءا وإنا لمجزيون بما عملنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده مقال وقد روي هذا من غير وجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فإن قلنا إن هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وإن قلنا إنها في كل عامل سوء من مسلم وكافر فإنه لا ولي لأحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله فليس يمنع أحد أحدا عن الله وقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من

(وعد الله حقا) مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) قولا وهو استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه (ليس بأمانيكم) ليس الأمر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الأصنام (ولا أماني أهل الكتاب) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأن تمسنا النار إلا أياما معدودة (من يعمل سوءا يجز به) أي من المشركين وأهل الكتاب بدليل قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا وعيد للكفار لأنه قال بعده (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) فقوله وهو مؤمن حال ومن الأولى للتبعيض والثانية لبيان الإبهام في من يعمل وفيه إشارة إلى أن الأعمال ليست من الإيمان

الصالحات للتبعيض لان أحدا لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس لا ينقصون قدر نقرة النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان ﴿ قوله عز وجل (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى أن الجنة لمن عمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن أحسن دينا يعني ومن أحكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم أن دين الاسلام مبني على أمرين أحدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله أسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه أخلص طاعته لله وقيل فوض أمره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيآت وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيأ قال العلماء وانما صار دين الاسلام أحسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما أحسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله أسلم وجهه لله لانه أشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقادت له جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتبع ملة ابراهيم) يعني دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز أن يكون حالا لابراهيم ويجوز أن يكون حالا للمتبع كما تقول رأيت راكبا كما قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضي أن شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وأنشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح مني * وبه سمي الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيها وسمي ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر حاله ونصره والثناء عليه فقد أثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من أجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس شدة فقحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي

(فأولئك يدخلون الجنة) يدخلون مكي وأبو عمرو وأبو بكر (ولا يظلمون نقيرا) قدر النقير وهو النقرة في ظهر النواة والراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله من يعمل سوأ يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) عامل للحسنات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) مائلا عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) هو في الاصل المخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يداخلك خلال منزلك أو يسد خللك كما يسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة أصفى لانها من حبة القلب وهي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث جمة وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلها

بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم يريد الطعام لنفسه لاحتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بالميرة فانا نستحي أن نمر بهم وابلنا فارغة فملؤوا من ذلك الرمل الغرائر ثم أتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤوا بشيء قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملأى بأجود دقيق يكون حواري فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من أين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما أراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط أن تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل أنت خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله (م) عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله

﴿فصل﴾ وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا أخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في حديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا وأنا حبيب الله ولا فخر أخرجه الترمذي بأطول منه ۞ قوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) قال أهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما (وكان الله بكل شئ محيطا) يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز أن يكون معناه محيطا بالقدرة عليه ۞ قوله عز وجل (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال ابن عباس نزلت في بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن في أول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء والحكم فيهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير فأجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شأن النساء والحكم فيهن (وما يتلى عليكم في الكتاب) يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النساء بما أنزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ

معطوفة على الحال قبلها لم يكن لهما مع وفي الحديث اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وقيل أوحى اليه انما اتخذتك خليلا لانك تحب أن تعطي ولا تعطى وفي رواية لانك تعطي الناس ولا تسألهم وفي قوله (ولله ما في السموات وما في الارض) دليل على أن اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل اليه لا لاحتياجه تعالى لانه منزه عن ذلك (وكان الله بكل شئ محيطا) عالما (ويستفتونك في النساء) ويسألونك الافتاء في النساء والافتاء تبيين المبهم (قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب

في يتامى النساء) أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب أي القرآن في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه وما يتلى في محل الرفع بالعطف على الضمير في يفتيكم أو على لفظ الله وفي يتامى النساء صلة يتلى أي

يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن والاضافة بمعنى من (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن) أي في ان تنكحوهن لجمالهن أو عن ان تنكحوهن لدمامتهن (والمستضعفين من الولدان) أي اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الاطفال والنساء (وأن تقوموا لليتامى) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا أو منصوب بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم (بالقسط) بالعدل في ميراثهم ومالهم (وما تفعلوا من خير) شرط وجوابه

(فان الله كان به عليما) أي فيجازيكم عليه (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله [illegible] صلحا) وأماراته والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب أو ضرب (أو اعراضا) عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أو سوء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين الى أخرى أو غير ذلك (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما) يكرفي يصالحا

وأن العدل والانصاف في حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها وان المخل بها ظالم (في يتامى النساء) قيل معناه في النساء اليتامى وقيل في اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت في يتامى أم كجة (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة في ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغبون أن تنكحوهن) يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل يستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها لم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق ۞ وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أبدا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعني فيجازيكم عليه ۞ قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) (ق) عن عائشة في قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له أمسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وأنت في حل من النفقة علي والقسمة لي قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى أو اعراضا يعني بوجهه عنها أو يعبس في وجهها أو يترك مضاجعتها أو يسيء عشرتها أو يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه أو يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة (أن يصالحا) من المصالحة وقرئ أن يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما

يعني في القسمة والنفقة وهو أن يقول الزوج للمرأة إنك قد كبرت ودخلت في السن وأنا أريد أن أتزوج امرأة جميلة شابة أوثرها عليك في القسمة ليلاً ونهاراً فإن رضيت فأقيمي وإن كرهت ذلك فارقتك سبيلك فإن رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وإن لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بإحسان وإن أمسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فإن صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وإن أنكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعني إقامتها بعد تخييره إياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحاً والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (وأحضرت الأنفس الشح) الشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وإنما قال وأحضرت الأنفس الشح لأنه كالأمر اللازم للنفوس لأنها مطبوعة عليه ومعنى الآية أن كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه إذا كان غيرها أحب إليه منها (وإن تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للأزواج يعني وإن تحسنوا أيها الأزواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فإنها أمانة عندكم وقيل معناه وإن تحسنوا بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فإن الله كان بما تعملون خبيراً) يعني فيجازيكم بأعمالكم ۞ قوله عز وجل (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) يعني ولن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لأن ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعني إلى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى أنكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لأن ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن إظهار ذلك الميل في القول والفعل عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط أخرجه الترمذي وعند أبي داود من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ۞ وقوله تعالى (فتذروها كالمعلقة) يعني فتدعوا الأخرى التي لا تميلون إليها كالمعلقة لا أيماً ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا في السماء ولا على الأرض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن إليها (وإن تصلحوا) يعني بالعدل في القسم (وتتقوا) يعني الجور في القسم (فإن الله كان غفوراً) لما من الميل إلى بعضهن دون بعض (رحيماً) يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه (وإن

أي يتصالحا وهو أصله فأبدلت التاء صاداً وأدغمت (صلحاً) في معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسها عن القسمة أو عن بعضها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة (والصلح خير) من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة في كل شيء أو والصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله (وأحضرت الأنفس الشح) أي جعل الشح حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه والمراد أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بأن يقسم لها إذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته وأحضرت يتعدى إلى مفعولين والأول الأنفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وإن تحسنوا) بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة (فإن الله كان بما تعملون) من الإحسان والتقوى (خبيراً) فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فنظرت إليه وقالت الحمد لله على أني وإياك من أهل الجنة قال كيف فقالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة فتمام العدل أن يسوي بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والمجامعة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه أن

المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه (ولو حرصتم) بالغتم في تحري ذلك (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها يعني أن اجتناب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا فيه وإن وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ المصدر لأن له حكم ما يضاف إليه (فتذروها كالمعلقة) وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة (وإن تصلحوا) بينهن (وتتقوا) الجور (فإن الله كان غفوراً رحيماً) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم (وإن

يتفرقا) أي ان لم يصطلح الزوجان على شيء وتفرقا بالخلع أو بتطليقه اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها (يغن الله كلا) كل واحد منهما (من غناه) أي يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه (وكان الله واسعا) بتحليل النكاح (حكيما) بالاذن في السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغني المقتدر بين غناه وقدرته بقوله (ولله ما في السموات وما في الارض) خلقا والمتملكون عبيده رقا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (من قبلكم) من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الذين أوتوا (أن اتقوا الله) بأن اتقوا أو تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده (وان تكفروا) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا (فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم (حميدا) مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي وفيه دليل على ان التقوى أصل الخير كله وقوله وان تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) فتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله

ما يتفرقا) يعني ان لم يصطلحا وأرادا الفرقة (يغن الله كلا من سعته) يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزوج آخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفي هذه تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعني واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيما) يعني فيما أمر به ونهى عنه

﴿فصل﴾ فيما يتعلق بحكم الآية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امرأتان أو أكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة أما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وأمة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روي أبو قلابة عن أنس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم قال أبو قلابة ولو شئت لقلت ان أنسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له أن يحمل معه بعض نسائه بشرط أن يقرع بينهن ولا يجب عليه أن يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه أخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا أراد الرجل سفر نقلة وجب عليه أخذ نسائه معه ﴿ قوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) يعني عبيدا وملكا قال أهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته وفضله أشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني من اليهود والنصارى (واياكم) يعني ووصيناكم يا أهل القرآن في كتابكم (أن اتقوا الله) أي بأن تتقوا الله وهو أن توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة أوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم (وان تكفروا) يعني وان تجحدوا ما أوصاكم به (فان لله ما في السموات وما في الارض) يعني فان لله ملائكة في السموات والارض هم أطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض ومالكهما وما فيهن والمنعم عليهم بأصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل أحد أن يتقيه ويرجوه (وكان الله غنيا) يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم (حميدا) يعني محمودا على نعمه عليهم (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) قال ابن عباس يعني شهيدا على ان فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفائدة في تكرير قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قلت الفائدة في ذلك ان لكل آية معنى تختص به أما الآية الاولى فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغني عنهم وأما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو

(ان يشأ يذهبكم) يعدمكم (أيها الناس ويأت بآخرين) ويوجد اناسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك قديرا) بليغ القدرة (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فماله

يطلبكم لان له ما في السموات وما في الارض وأما الثالثة فقال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا أي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكرير ها تهديد للكفار ... ليتقوه ويطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية أصل كل خير ۞ قوله عز وجل (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بغيركم خير منكم وأطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى أنه يهلككم أيها الكفار كما أهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء ۞ قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعني من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بأن الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وما ينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يعني الذين يطلبون بأعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما أراد وصرف عنه من شرها ما أراد وليس له ثواب في الآخرة يجزى به ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعني لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن طلب الآخرة بعمله ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فأنزل الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق لان خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهداء لله يعني أقيموا شهاداتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقول الحق في شهادته (ولو على أنفسكم) يعني ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله العبد أن يشهد على نفسه بالحق وهو أن يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه (أو الوالدين والاقربين) يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه وأقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم أو على الوالدين أو الاقارب أقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعني المشهود عليه (غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) يعني منكم والمعنى كلوا أمرهم الى الله تعالى فهو أعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لانه رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله أولى بالغني والفقير (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق في أداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلووا)

يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبهما أسماهما (وكان الله سميعا) للاقوال (بصيرا) بالافعال وهو وعد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا (شهداء) خبر بعد خبر (لله) أي تقيمون شهاداتكم لوجه الله (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة على نفسه هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار يشترك جميعها في الاخبار عن حق لاحد على أحد غير ان الدعوى اخبار عن حق لنفسه على الغير والاقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير (أو الوالدين والاقربين) أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم (ان يكن) المشهود عليه (غنيا) فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا يمنعها ترحما عليه (فالله أولى بهما)

بالفقير أي بالنظر لهما والرحمة وانما ثنى الضمير في بهما وكان حقه أن يوحد لان المعنى ان يكن أحد هذين لانه يرجع الى ما دل عليه قوله غنيا أو فقيرا وهو جنس الغني والفقير كانه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالاغنياء والفقراء (فلا تتبعوا الهوى) ارادة (ان تعدلوا) عن الحق من العدول أو كراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل (وان تلووا) بواو واحدة وضم اللام شامي وحمزة من الولاية

(أو تعرضوا) أي وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها أصبرهما تلووا بواوين وسكون اللام من اللي أي وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه.

قرئ بواوين ومعناه أن يلوي الشاهد لسانه إلى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) يعني أو يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه إذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وإن تلووا عن القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشيء إذا قلبته وهو خطاب مع الحكام يقول وإن تلووا يعني تميلوا مع أحد الخصمين دون الآخر أو تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام أيضا ومعناه ولا تلوا أمور المسلمين وتضيعوهم أو تعرضوا عنهم (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) يعني أنه تعالى يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فيجازيكم بأعمالكم ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا يعني بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني آمنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لأهل الكتاب جميعا والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وعيسى والإنجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الإيمان لأن الإيمان باللسان لا ينفع من غير مواطأة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا في الماضي والحال آمنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الإيمان (والكتاب الذي نزل على رسوله) يعني القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) يعني وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التي أنزلها على أنبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) ۞ قوله عز وجل (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والإنجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل إنهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك أنهم آمنوا ثم كفروا بعد الإيمان ثم آمنوا يعني بألسنتهم وهو إظهارهم الإيمان لتجري عليهم أحكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر وقيل بذنوب أحدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا إلى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لأن من تكرر منه الإيمان بعد الكفر والكفر بعد الإيمان مرات كثيرة يدل على أنه لا وقع للإيمان في قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله إيمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالإيمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا حكي عن علي بن أبي طالب أنه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم إلى أن توبته مقبولة ۞ وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لأن الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر إذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم

(يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين (آمنوا) اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه أو لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض أو للمنافقين أي يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا (بالله ورسوله) أي محمد صلى الله عليه وسلم (والكتاب الذي نزل على رسوله) أي الفرقان (والكتاب الذي أنزل من قبل) أي جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه نزل وأنزل بالبناء للمفعول مكي وشامي وأبو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وإنما قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل لأن الفرقان نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أي ومن يكفر بشيء من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) لأن الكفر ببعضه كفر بكله (إن الذين آمنوا) بموسى عليه السلام (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بموسى بعد عوده (ثم كفروا) بعيسى عليه السلام (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) إلى النجاة أو إلى الجنة أو هم المنافقون آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه إلى الموت يؤيده قوله

بكفرهم

(بشر المنافقين) أي أخبرهم ووضع بشر مكان أخبرهم تهكما بهم (بأن لهم عذابا أليما) مؤلما (الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون لا يتم أمر محمد عليه السلام (فإن العزة لله جميعا) ولمن أعزه كالنبي عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (في الكتاب) القرآن (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا

بكفرهم مهتدين ۞ قوله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) يعني أخبرهم يا محمد وإنما وضع بشر مكان أخبرهم تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لأن العرب تقول تحيتك الضرب أي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل ۞ تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصارا أو بطانة من دون المؤمنين وذلك أن المنافقين كانوا يقولون إن محمدا لا يتم أمره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (أيبتغون عندهم العزة) يعني يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فإن العزة لله جميعا) يعني فإن القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يا معشر المسلمين (في الكتاب) يعني القرآن (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) قال المفسرون الذي نزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الأنعام وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا نزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزئون به في مجالسهم ثم إن أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) يعني يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة (إنكم إذا مثلهم) يعني إنكم أيها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله إذا رضيتم بذلك فأنتم وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر أو خالط أهله كان في الإثم بمنزلتهم إذا رضي به وإن لم يباشره فإن جلس إليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وإنما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وإن جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض في بدعته فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والأول أصح (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) أي إنهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب يوم القيامة ۞ قوله عز وجل (الذين يتربصون بكم) نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر (فإن كان لكم فتح من الله) أي ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم (قالوا) يعني المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعني في الوقعة والفتح فأعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد تابعين لكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وإن كان للكافرين نصيب) أي دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعني المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان إذا غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم وأسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على

معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع وأن مخففة من الثقيلة أي أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (إنكم إذا مثلهم) أي في الوزر إذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه

فإن خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء (الذين) بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم (يتربصون بكم) ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق (فإن كان لكم فتح من الله) نصرة وغنيمة (قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة (وإن كان للكافرين نصيب) سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم لأنه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لأنه لظ من الدنيا يصيبونها (قالوا) للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة

(ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ووهنوا عن قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبنا مما أصبتم (فالله يحكم بينكم) أيها المؤمنون والمنافقون (يوم القيامة) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي في القيامة بدليل أول الآية كذا عن علي رضي الله عنه أو حجة كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما (إن المنافقين يخادعون الله) أي يفعلون ما يفعل المخادع (٤٤٢) من إظهار الإيمان وإبطان الكفر والمنافق من أظهر الإيمان وأبطن الكفر أو أولياء الله وهم المؤمنون فأضاف خداعهم إلى نفسه تشريفا لهم (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) متثاقلين كراهة أما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى في سكران (يراؤن الناس) حال أي يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة والمراءاة مفاعلة من الرؤية لأن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانا (ولا يذكرون الله إلا قليلا) ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا (مذبذبين) نصب على الذم أي مترددين يعني ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يدفع ولا يقر في جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب (بين ذلك) بين الكفر والإيمان (لا إلى هؤلاء) لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين (ولا إلى هؤلاء) ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا إلى الهدى

وأنبئكم (ونمنعكم من المؤمنين) يعني من صولتهم بالتخذيل في دينهم. وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم فهاتوا نصيبنا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين إظهار المنة على الكفار فإن قلت لم سمي ظفر المؤمنين فتحا وسمي ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فما هو إلا حظ دنيء ونصيب خسيس لا يبقى منه إلا ما لا يؤبه في الدنيا ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى إنما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لأجل كلمة الإسلام بل أخر عذابهم إلى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فيه قولان أحدهما وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس أن المراد به يوم القيامة بدليل أنه عطفه على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روي أن رجلا سأل علي بن أبي طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني أن هذا في الدنيا والمعنى أن حجة المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معناه أن الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم ولا يبقى أحد من المؤمنين وقيل معناه أن الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها أن الكافر لا يرث المسلم ومنها أن الكافر إذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها أن الكافر ليس له أن يشتري عبدا مسلما ومنها أن المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية ۞ قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعني يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يظهرون له الإسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعني والله يجازيهم بالعقاب وقيل إنهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (وإذا قاموا إلى الصلاة) يعني المنافقين (قاموا كسالى) يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل أنهم يستثقلونها لأنهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها [illegible] ولا يخافون على تركها عقابا فإن الداعي إلى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يراؤن الناس) يعني أنهم لا يقومون إلى الصلاة إلا لأجل الرياء والسمعة لا لأجل الدين ولا يرون أنها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق (ولا يذكرون الله إلا قليلا) قال ابن عباس إنما قال ذلك لأنهم يفعلونه رياء وسمعة ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقل لأن الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى أنهم لا يصلون إلا قليلا لأنهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين فلا يصلون وإذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعني متحيرين مترددين بين الكفر والإيمان لأنهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعني طريقا إلى الهدى (ق) عن

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة في تعذيبكم (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) أي في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها

عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لأي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة إلى هذه ومرة إلى هذه لا تدري إلى أين تذهب وهذا مثل المنافق من تبع المؤمنين ومن تبع الكافرين أو ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي أن الأنصار بالمدينة كان لهم من يهود بني النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعني أتريدون أيها المتخذون الكفار أولياء أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لأنها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فإن قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأن المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو أنه ضم إلى كفره نوعا آخر من الكفر أخبث منه وهو الاستهزاء بالإسلام والمسلمين وإفشاء أسرار المسلمين ونقلها إلى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والمنافق من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وقيل هو الذي يصف الإسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت أحكامه وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان فإن هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين ﴿ وقوله تعالى (ولن تجد لهم نصيرا) يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (إلا الذين تابوا) يعني من النفاق (وأصلحوا) يعني أصلحوا الأعمال فعملوا بما أمر الله به وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه (واعتصموا بالله) يعني وثقوا بالله وتمسكوا بعهده (وأخلصوا دينهم لله) يعني وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي عملوها لله وأرادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الأمور الأربعة إذا حصلت فقد كمل الإيمان فلذلك قال تعالى (فأولئك) يعني التائبين من النفاق (مع المؤمنين) يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من أي من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) يعني في الآخرة ﴿ قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه أنه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فإن تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لأنه الغني الذي لا يحتاج إلى شيء من ذلك فإن عاقب أحدا فإنما يعاقبه لأمر أوجبه العدل والحكمة فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره إن آمنتم وشكرتم لأن الإيمان مقدم على سائر الطاعات ولأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان ولأن الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على أصله والمعنى أن العاقل ينظر بعين بصيرته أولا إلى ما عليه من النعمة العظيمة في إيجاده وخلقه فيشكر على

متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وإنما كان المنافق أشد عذابا من الكافر لأنه أمن السيف في الدنيا فاستحق الدرك الأسفل في العقبى تعديلا ولأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله والدرك بسكون الراء كوفي غير الأعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج أن الاختيار فتح الراء (ولن تجد لهم نصيرا) يمنعهم من العذاب (إلا الذين تابوا) من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور في ولن تجد لهم نصيرا (وأصلحوا) ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وأخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء في الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا أنه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم) نعمه (وآمنتم) به فما منصوبة بيفعل أي أي شيء يفعل بعذابكم فالإيمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الإيمان لأن العاقل ينظر إلى النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا

ذلك شكرا علميا مبهما ثم اذا تم النظر تاما انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر (وكان الله شاكرا) يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من أعمال عباده وإضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليما) يعني بحق شكركم وإيمانكم فيجازيكم على ذلك ﴿ قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال أهل المعاني يعني أنه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به أيضا من القول يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز أن يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز إظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني أو غصب ونحو ذلك وان شوتم جاز له ان يشتم مثله ولا يزيد شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو أحد على أحد الا أن يكون مظلوما فانه قد أرخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم أعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعني لدعاء المظلوم (عليما) بما في قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق ﴿ قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا حسنا بدلا من السوء (أو تخفوه) يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضا وهما ايصال النفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو رفع ضرر عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (أو تعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه أهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعني ويريدون أن يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان

فكان الشكر متقدما على الايمان (وكان الله شاكرا) يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب (عليما) عالما بما تصنعون (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) ولا غير الجهر ولكن الجهر أفحش (الا من ظلم) الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكر ما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه (وكان الله سميعا) لشكوى المظلوم (عليما) بظلم الظالم ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعدما أطلق الجهر به حثا على الافضل وذكر ابداء الخير واخفاءه تسببا للعفو فقال (ان تبدوا خيرا) مكان جهر السوء (أو تخفوه) تعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال (أو تعفوا عن سوء) أي تمحوه عن قلوبكم والدليل على أن العفو هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) أي انه لم يزل يعفو عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل والقرآن وكالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

بالله

(ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أى دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل (حقا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) فى الآخرة (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) وانما جاز دخول بين على أحد لانه عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما (أولئك سوف نؤتيهم) وبالياء حفص (أجورهم) أى الثواب الموعود لهم (وكان الله غفورا) (٤٤٥) بستر السيآت (رحيما) بقبول الحسنات والآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد المرتكب الكبيرة لانه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما فى الازل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص وأصحابه للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام نزل (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (كتابا من السماء) أى جملة كما نزلت التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن لو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) هذا جواب شرط مقدر ومعناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وانما أسند السؤال اليهم وقد وجد من آبائهم فى أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم (فقالوا أرنا الله جهرة) عيانا أى أرنا نره جهرة (فأخذتهم الصاعقة) العذاب الهائل أو النار المحرقة (بظلمهم) على أنفسهم بسؤال الشئ فى غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم فى الآيات وتعنتهم فى سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لانها ممكنة كانزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فانه قال رب أرنى أنظر اليك وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن الا وهو ممكن الثبوت ثم أحياهم (ثم اتخذوا العجل) الها (من بعد ما جاءتهم البينات) التوراة والمعجزات التسع

له مع التكذيب ببعض رسله (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعنى بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعنى … ذلك توكيد لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم ليعلم أن الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذى يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعنى والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوة جميع أنبيائه وان جميع ما جاؤا به من عند الله حق وصدق (ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعنى من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (سوف نؤتيهم أجورهم) يعنى جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيما) يعنى انه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم أنه يتجاوز عن سيآتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم فى حال الكفر ۞ قوله تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) يعنى يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فائتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا باختصاصهم وقيل سألوه أن ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان ليشهد لك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت ۞ وقوله تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) يعنى أعظم من الذى سألوك يا محمد ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظمن عليك يا محمد مسئلتهم ذلك … من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا لك وانما أسند السؤال الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا فى أيام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم فى التعنت (فقالوا) يعنى أسلاف هؤلاء اليهود (أرنا الله جهرة) يعنى عيانا والمعنى أرناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بنى اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة فى سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية (ثم اتخذوا العجل) يعنى الها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ما جاءتهم البينات) يعنى الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى

(فعفونا عن ذلك) تفضلا ولم نستأصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة ظاهرة على من خالفه (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) ادخلوا باب ايلياء مطاطئين عند الدخول رؤسكم (وقلنا لهم لاتعدوا) لاتجاوزوا الحد تعدوا ورش تعدوا باسكان العين وتشديد الدال مدني غير ورش وهما مدغمتان تعتدوا وهي قراءة أبي الاان التاء في الدال وأبقى العين ساكنة في رواية وفي رواية نقل فتح التاء الى العين (في السبت) باخذ السمك (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) مؤكدا (فبما نقضهم) أي فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات

حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم (ميثاقهم) ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك (وكفرهم بآيات الله) أي معجزات موسى عليه السلام (وقتلهم الانبياء) كزكريا ويحيى وغيرهما (بغير حق) بغير سبب يستحقون به القتل (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أي محجوبة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والوعظ (بل طبع الله عليها بكفرهم) هو رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف (فلا يؤمنون الا قليلا) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وبكفرهم) معطوف على فبما نقضهم أو على مايليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم عطف بعض كفرهم على بعض (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) هو النسبة الى الزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح) سمي مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح أو لانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرأ فسمي مسيحا بمعنى الماسح (عيسى ابن مريم رسول الله) يعتقدونه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه بالرسول وان لم يقولوا ذلك

الصفا والعصا وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعني عن ذلك ولم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطالبونك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا وجاهلا فاني قد انزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات مافيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أنتم نعف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي أعطاه الله عز وجل لموسى عليه السلام

قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق (وقلنا لهم) يعني والطور مظلهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم (وقلنا لهم لاتعدوا في السبت) يعني وقلنا لهم لاتجاوزوا في يوم السبت الى مالا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا أن يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق (فبما نقضهم ميثاقهم) يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم مافعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعني وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق أنبيائه (وقتلهم الانبياء) يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعني بغير استحقاق لذلك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعني وبقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة فهي لاتفقه ماتقول جمع أغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ماتدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لايؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود

قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومن أنكر قدرة الله فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات مايدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم

قوله عز وجل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل

عيسى لاعن علم وحقيقة (وماقتلوه يقينا) قال ابن عباس يعنى لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء فى قتلوه عائدة على الظن والمعنى ماقتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ماوقع لهم من الشبه فى قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعنى علمه علما تاما وأصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم أنهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء فى قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وماقتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى مابعده تقديره وماقتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عزوجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن أراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه فى سورة آل عمران بما فيه كفاية ۞ وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى اقتداره على من يشاء من عباده (حكيما) يعنى فى انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة ۞ قوله تعالى (وان من أهل الكتاب) يعنى ومامن أحد من أهل الكتاب (الاليؤمنن به) يعنى بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقال عكرمة فى قوله الاليؤمنن به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين أولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه أولى (قبل موته) اختلف المفسرون فى هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس وأكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابى والمعنى ومامن أحد من أهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابى ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع فى اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق أو تردى من شاهق أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة فقيل له أرأيت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به فى الهواء فقيل له أرأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة بأجنحتها وجهه ودبره وقالوا ياعدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد الله ورسوله وتقول للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبد الله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من أهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس أيضا والمعنى ومامن أحد من أهل الكتاب الاليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا أحد يعبد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ماروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته الآية وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد أخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل فى آخر الزمان فى هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبطل

فى قتله لى شك منه أى من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وماقتلوه يقينا) أى قتلا يقينا أو ماقتلوه متيقنين أو ماقتلوه حقا فيجعل يقينا تأكيدا لقوله وماقتلوه أى حق انتفاء قتله حقا (بل رفعه الله اليه) الى حيث لا حكم فيه لغير الله أو الى السماء (وكان الله عزيزا) فى انتقامه من اليهود (حكيما) فيما دبر من رفعه اليه (وان من أهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته) ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من أهل الكتاب أحد الاليؤمنن به ونحوه ومامنا الا له مقام معلوم والمعنى ومامن اليهود والنصارى أحد الاليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنه عبد الله ورسوله يعنى اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف أو الضميران لعيسى يعنى وان منهم أحد الاليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله روى انه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام أو الضمير فى به يرجع الى الله أو الى محمد صلى الله عليه وسلم والثانى الى الكتابى

الاشارة بقوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع الحرص على طلب المال تارة يحصلونه بطريق الربا مع أنهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق ... المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الاربعة هى الذنوب التى شدد عليهم ... والآخرة أما التشديد فى الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما التشديد فى الآخرة فهو قوله تعالى (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب ﴿ قوله تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم) يعنى من اليهود وهذا ... الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب عن تعنتهم وصفهم وصفتهم فى الآيات التى تقدمت فبين كفار اليهود والجهال منهم وبين فى هذه الآية حال من هداه الله منهم وأرشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون فى العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون فى العلم الثابتون فى العلم البالغون فيه أولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لانهم رسخوا فى العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعنى بالله ورسله (يؤمنون بما أنزل اليك) يعنى بالقرآن الذى أنزل اليك (وما أنزل من قبلك) يعنى ويؤمنون بسائر الكتب التى أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفى المراد بالمؤمنين ههنا قولان أحدهما أنهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثانى أنهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل اليك يعنى يصدقون بالقرآن الذى أنزل اليك يا محمد وما أنزل من قبلك (والمقيمين الصلاة) اختلف العلماء فى ... فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان أنه غلط من الكتاب ينبغى أن يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان فى المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتهم فقيل له ألا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى أنه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بأن هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون فى كتاب الله ... ينبغى أن ينسب هذا اليهم قال ابن الانبارى ما روى عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيأ فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشرى فى الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع لحن فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب يعنى فى كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم فى النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يخفى عليك ان السابقين الاولين كانوا أبعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا فى كتاب الله عز وجل ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء فى المقيمين الصلاة هل هم الراسخون فى العلم أم غيرهم على قولين أحدهما أنهم هم وانما نصب على المدح والمعنى أذكر المقيمين وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك فى صفة الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح أو ذم فيعترضون بين اعراب أوله وأوسطه أحيانا ثم يرجعوا بآخره الى اعراب أوله وربما أجروا اعراب آخره على اعراب أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لا يبعدن قومى الذين هم ۝ سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ۝ والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول مررت بقومك المطعمين وهم ...

(وبصدهم عن سبيل الله) وبمنعهم عن الايمان (كثيرا) أى خلقا كثيرا أو صدا كثيرا (وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعتدنا للكافرين منهم) دون من آمن (عذابا أليما) فى الآخرة (لكن الراسخون فى العلم) أى الثابتون فيه المتقنون كابن سلام وأضرابه (منهم) من أهل الكتاب (والمؤمنون) أى المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يؤمنون) خبره (بما أنزل اليك) أى القرآن (وما أنزل من قبلك) أى سائر الكتب (والمقيمين الصلاة) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفى مصحف عبد الله والمقيمون وهى قراءة مالك بن دينار وغيره

والقول

والمؤتون الزكاة) مبتدأ (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) عطف عليه والخبر (أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً) وبالياء حمزة

القول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما أنزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع أحد منهم من اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره (والمؤتون الزكاة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني المصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب (أولئك) يعني من هذه الاوصاف (سنؤتيهم أجراً عظيماً) يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثواباً عظيماً وهو الجنة ﴿ قوله عز وجل (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى فأنزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء جملة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا أوحينا اليك يا محمد كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبياً والمعنى ان الله تعالى أوحى الى هؤلاء الانبياء وأنتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتاباً جملة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على أحد من هؤلاء الانبياء قادحاً في نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحاً في نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه أول نبي بعث بشريعة وأول نذير على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض بدعائه وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام وكان أطول الانبياء عمراً عاش ألف سنة ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً) يعني وآتينا داود كتاباً من زبوراً يعني مكتوباً وقيل الزبور بالفتح اسم الكتاب الذي أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك أنس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيراً التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى في هذه الآية لان الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الآية انه لم ينزل على أحد منهم كتاباً جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام ﴿ قوله تعالى (ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل) نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فأنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى وأوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك أخبارهم والى من دعاهم من قومهم (ورسلاً لم نقصصهم عليك) أي لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل

(انا أوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتاباً من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا (كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) كهود وصالح وشعيب وغيرهم (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أي أولاد يعقوب (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً) زبوراً حمزة مصدر بمعنى مفعول سمي به الكتاب المنزل على داود عليه السلام (ورسلاً) نصب بمضمر في معنى أوحينا اليك وهو أرسلنا ونبأنا (قد قصصناهم عليك من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلاً لم نقصصهم عليك) سأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام والآية تدل على ان معرفة الرسل

بأعيانهم ليست بشرط لصحة الايمان بل من شرطه ان يؤمن بهم جميعاً اذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطاً لقص علينا كل ذلك

المعانى المبين ثم ان الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) يعنى خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الحائط ان يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمى كل ما يوصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبرى بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعنى كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لا أفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامى يعنى على وجهه لم تك شيأ قال موسى يارب هل فى خلقك شئ يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقى شبها بكلامى أشد مايسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا فى نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا فى نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء ﴿قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعنى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن أولئك النبيين أرسلت رسلا الى خلقى مبشرين من أطاعنى واتبع أمرى وصدق رسلى بالثواب الجزيل فى الجنة ومنذرين من عصانى وخالف أمرى وكذب رسلى بالعذاب الاليم فى النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا أولى وذلك ان القوم قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيأ من العبادات ولم تألفها فانزال الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف يحصل فى بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما أخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه فلم يقبلوا أحكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقا أولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعنى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله فى ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا وما أنزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة فى ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة فى ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التى النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفى كل شئ له آية ❊ تدل على انه واحد

قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر فى تلك الدلائل التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لما هو وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون أحكام الله تعالى التى افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة لفظ

(وكلم الله موسى تكليما) أى بلا واسطة (رسلا مبشرين ومنذرين) الاوجه ان ينتصب على المدح أى أعنى رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول وأن يكون مفعولا أى وأرسلنا رسلا واللام فى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعنى فى حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون أصولها فانها مما يعرف بالعقل

البخاري ومسلم ولا شخص أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين
[illegible] ين وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعني في انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسله (حكيما) يعني في
رسالة الرسل ﴿ قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله
[illegible] جماعة من اليهود فقال لهم اني والله أعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فأنزل الله هذه
الآية وفي رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك
اليهود عن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فأنزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك يعني
ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما أوحينا اليك وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما
[illegible] فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما أنزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى أن اليهود وان شهدوا ان
القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه أنزل هذا
القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك
معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة
هذا القرآن الذي أنزله عليك (أنزله بعلمه) يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك بين صفة ذلك
الانزال وهو انه الى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله عليك وانك
مبلغه الى عباده وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عباده في انزاله عليك (والملائكة يشهدون) يعني يشهدون
لك بأنه أنزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشيء شهدت
الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت ان الله يشهد بانما أنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا)
يعني وحسبك يا محمد أن الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه أحد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كفروا)
يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعني منعوا غيرهم عن الايمان
بكتمان صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة
كما أتى موسى بالتوراة (قد ضلوا ضلالا بعيدا) يعني عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعني
كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبه في قلوبهم (لم يكن الله
ليغفر لهم) يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أعمالهم بل
يفضحهم في الدنيا بما يعاقبهم عليه بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا ليهديهم
طريقا) يعني ينجون فيه من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون
(الا طريق جهنم) يعني لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم
أهل لذلك (خالدين فيها) يعني في جهنم (أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعني هينا ﴿ قوله عز وجل (يا أيها
الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو
خطاب لمشركي العرب (قد جاءكم الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعني بدين الاسلام الذي
ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق (من ربكم) يعني من عند ربكم (فآمنوا خيرا لكم)
يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي أنتم
عليه (وان تكفروا) يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من

المعارض بالبينات اذ الحكيم
لا يؤيد الكاذب بالمعجزة
(أنزله بعلمه) أي أنزله وهو
عالم بانك أهل لانزاله اليك
وانك مبلغه أو أنزله بما علم
من مصالح العباد وفيه نفي
قول المعتزلة في انكار
الصفات فانه أثبت لنفسه
العلم (والملائكة يشهدون)
لك بالنبوة (وكفى بالله
شهيدا) شاهدا وان لم يشهد
غيره (ان الذين كفروا)
بتكذيب محمد صلى الله عليه
وسلم وهم اليهود (وصدوا
عن سبيل الله) ومنعوا
الناس عن سبيل الحق
بقولهم للعرب ما نجده
في كتابنا (قد ضلوا ضلالا
بعيدا) عن الرشد (ان
الذين كفروا) بالله
(وظلموا) محمدا عليه السلام
بتغيير نعته وانكار نبوته
(لم يكن الله ليغفر لهم)
ما داموا على الكفر
(ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم خالدين فيها أبدا وكان
ذلك على الله يسيرا) وكان
تخليدهم في جهنم سهلا
عليه والتقدير يعاقبهم
خالدين فهو حال مقدرة
والآيتان في قوم علم الله
أنهم لا يؤمنون ويموتون
على الكفر (يا أيها الناس
قد جاءكم الرسول بالحق من

ربكم) أي بالاسلام وهو حال أي محقا (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء
عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا وائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به
والتوحيد (وان تكفروا

ربكم (فإن لله ما في السموات والأرض) يعني فإن الله هو الغني عن إيمانكم لأن له ما في السموات والأرض
ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا إلى شيء وإنه قادر على ما يشاء (وكان الله عليما) يعني بما يكون
منكم لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله (حكيما) يعني في تكليفكم مع علمه بما
يكون منكم ﴿ قوله عز وجل (يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في النصارى وذلك أن الله تعالى لما أجاب
عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية أتبع ذلك بإبطال ما تعتقده النصارى وأصناف النصارى أربعة اليعقوبية
والملكانية والنسطورية والمرقوسية فأما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى إنه الله وقالت النسطورية
إنه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل إنهم يقولون إن عيسى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب
وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وإنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن عيسى وبأقنوم روح
القدس الحياة الحالة فيه فتقدير عندهم الإله ثلاثة وقيل إنهم يقولون في عيسى ناسوتية وألوهية فناسوتيته
من قبل الأم وألوهيته من قبل الأب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال إن الذي أظهر هذا للنصارى
رجل من اليهودية يقال له بولص قصد إفساد دين النصارى ليضلهم بذلك وسيأتي قصته في سورة
التوبة إن شاء الله تعالى وقيل يحتمل أن يكون المراد أهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فإنهم غلوا في
أمر عيسى عليه السلام فأما اليهود فإنهم بالغوا في التقصير في أمره حتى حطوه عن مرتبته حيث جعلوه مولودا
لغير رشدة وغلت النصارى في رفع عيسى عن مرتبته ومقداره حيث جعلوه إلها فقال الله تعالى ردا عليهم
جميعا يا أهل الكتاب (لا تغلوا في دينكم) وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في
أمر عيسى ولا تحطوه عن مرتبته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولا تقولوا على الله إلا الحق) يعني لا تقولوا
إن له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك
ولما منعهم الله من الغلو فيه أرشدهم إلى طريق الحق في أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى (إنما
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) يقول إنما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وإنه رسول
الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك (وكلمته) هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا وا
(ألقاها إلى مريم) يعني أوصلها إلى مريم (وروح منه) يعني إنه كسائر الأرواح التي خلقها الله تعالى وإنما
أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وقيل معناه رحمة من الله يعني أنه [illegible]
بها وقيل الروح هو الذي نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت بإذن الله وإنما أضافه إلى نفسه بقوله
منه لأنه وجد بأمر الله قال بعض المفسرين إن الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها في صلب آدم عليه
السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد الله أن يخلقه أرسل روحه مع جبريل إلى مريم
فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل إن الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح
عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني أن ذلك النفخ كان بأمره وإذنه وقيل أدخل التنكير
في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح وأي روح من الأرواح القدسية العالية المطهرة وقوله
إضافة ذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل ﴿ وقوله
تعالى (فآمنوا بالله ورسله) يعني فصدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وأنه لا ولد له وصدقوا رسله فيما
جاؤكم به من عند الله وصدقوا بأن عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه إلها وقوله تعالى
(ولا تقولوا ثلاثة) يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك أن النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل
إنهم يقولون إن الله بالجوهر ثلاثة أقانيم وذلك أنهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل أنهم يجوزون

فإن لله ما في السموات والأرض
لا يستوي فيهما في الجزاء
(يا أهل الكتاب لا تغلوا في
دينكم) لا تجاوزوا الحد
فغلت اليهود في حط المسيح
عن مرتبته حتى قالوا إنه
ابن الزنا وغلت النصارى في
رفعه عن مقداره حيث
جعلوه ابن الله (ولا تقولوا
على الله إلا الحق) وهو
تنزيهه عن الشريك والولد
(إنما المسيح عيسى ابن
مريم) لا ابن الله (رسول
الله) خبر المبتدأ وهو المسيح
وعيسى عطف بيان أو بدل
(وكلمته) عطف على رسول
الله وقيل له كلمة لأنه يهتدى
به كما يهتدى بالكلام
(ألقاها إلى مريم) حال وقد
معه مرادة أي أوصلها
إليها وحصلها فيها (وروح)
معطوف على الخبر أيضا
وقيل له روح لأنه كان يحيي
الموتى كما سمي القرآن روحا
بقوله وكذلك أوحينا إليك
روحا من أمرنا لأنه يحيي
القلوب (منه) أي بتخليقه
وتكوينه كقوله تعالى
وسخر لكم ما في السموات
وما في الأرض جميعا منه
وبه أجاب علي بن الحسين
ابن واقد غلاما نصرانيا
كان للرشيد في غلطه حيث
زعم أن في كتابكم حجة على
أن عيسى من الله (فآمنوا
بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف أي ولا تقولوا الآلهة ثلاثة

(003)

(ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) بترفع ويطلب الكبرياء (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم على استنكافهم واستكبار
ثم فصل فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين

واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله تعالى بعد هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني أن الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله (يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) أى رسول يبهر المنكر بالاعجاز (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) قرآنا يستضاء به في ظلمات الحيرة (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) بالله أو بالقرآن (فسيدخلهم في رحمة منه) أى جنة (وفضل) زيادة النعمة (ويهديهم) ويرشدهم (اليه) الى الله أو الى الفضل أو الى صراطه (صراطا مستقيما) فصراطا حال من المضاف المحذوف (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت

الى رفعت النصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف أن يكون عبدا لله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر ولكن ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله أو انهم آلهة كما ردعلى النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وأيضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله ﴿ وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعني فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) يعني يوفيهم جزاء أعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعني ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا واستكبروا) يعني الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله) يعني من سوى الله لانفسهم (وليا) يعني ينجيهم من عذابه (ولا نصيرا) يعني ولا ناصرا ينصرهم ويدفع عنهم عقوبته وفي الآية سؤال وهو أن التفصيل غير مطابق للفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم وأما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا ... فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني أن الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذا رأوا أجور المطيعين العاملين لله تعالى ﴿ قوله عز وجل (يأيها الناس) خطاب للكافة (قد جاءكم برهان من ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرة التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) يعني القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فأما الذين آمنوا بالله) يعني صدقوا بوحدانية الله وبما أرسل من رسول وأنزل من كتاب (واعتصموا به) يعني بالله في أن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به أى وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم في رحمة منه) يعني فسيدخلهم في رحمته التي ... بها من أليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يعني ويوفقهم لاصابة ... الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام ﴿ قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) نزلت في جابر ...

نصر الله والفتح وروى عنه أن آخر آية نزلت واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله وروى أن النبي صلى الله عليه
وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش
أشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق رضي
أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي أمره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر
الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب
وأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا في أهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان وكانت حجة أبي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة
الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت
لكم دينكم فعاش بعدها أحدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وعاش
النبي صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى أعلم بمراده
وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة المائدة﴾

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم
واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن
نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور
القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب أن يحل حلالها ويحرم حرامها
هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها وكقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا
في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فأوجب
اجتناب الظلم في هذه الاربعة أشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع أشهر السنة وانما أفرد
الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان
ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوي يروى عن ميسرة قال ان الله تعالى أنزل في
السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل
السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا
الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم إلى الصلاة والسارق
والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله
اذا حضر أحدكم الموت

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ﻫ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعني العهود قال الجماعة واختلفوا في المراد
العقود التي أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا
المتقدمة أوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو
للمؤمنين أمرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الايمان وما أخذه على عباده في القرآن فيما أحل
وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول
ظلمه أو بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقول أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها
الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع
وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري وأولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان
أوفوا يا أيها المؤمنون بعقود الله التي أوجبها عليكم وعقدها فيما أحل وحرم عليكم وألزمكم فرضه وبينه

﴿سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يقال وفى بالعهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها اياهم من مواجب التكليف أو ما عقد الله عليكم وما تعاقدتم بينكم والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله

وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب لأن الله تعالى أتبعه بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (أحلت لكم بهيمة الأنعام) وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي أربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وإنما سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والأنعام جمع النعم وهي الإبل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع أهل اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول إنما أضاف البهيمة إلى الأنعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا إنما أضاف البهيمة إلى الأنعام ليعرف جنس الأنعام وما أحل منها لأنه لو أفردها فقال البهيمة لدخل فيها ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام وقال ابن عباس هي الأجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت ذهب أكثر العلماء إلى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنين ذكاته ذكاة أمه أخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية أبي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله قال كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت إن خرج ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الأنعام وعنه أن بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فأخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الأنعام وشرط بعضهم الإشعار [illegible] قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها إذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال أبو [illegible] لا يحل أكل الجنين إذا خرج ميتا بعد ذكاة الأم ﴿ وقوله تعالى (إلا ما يتلى عليكم) يعني في القرآن [illegible] وأراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة إلى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الأنعام (غير محلي الصيد وأنتم حرم) يعني أحلت لكم الأنعام كلها والوحشية أيضا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وأنتم محرمون في حال الإحرام فلا يجوز للمحرم أن يقتل صيدا في حال إحرامه (إن الله يحكم ما يريد) يعني إن الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ما أراد تحريمه [illegible] ما يشاء أن يفرضه عليهم من أحكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري أتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إلام تدعو الناس فقال إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فقال حسن إلا أن لي أمراء لا أقطع أمرا دونهم ولعلي أسلم وآتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها الليل بسواق حطم ✽ ليس براعي إبل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم ✽ باتوا نياما وابن هند لم ينم

بات يقاسيها غلام كالزلم ✽ خدلج الساقين ممسوح القدم

فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هي المناسك كان المشركون يحجون

(أحلت لكم بهيمة الأنعام) والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما (إلا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير محلي الصيد) حال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد (وأنتم حرم) حال من محلي الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم (إن الله يحكم ما يريد) من الأحكام أو من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ما حرم (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا وعلما للنسك به من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق

يهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة وإشعارها أن يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة أنها هدي وتخصيصه في الإبل دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشعرها وقلدها ثم بعث بها إلى البيت فما حرم عليه شيء كان له حلالا أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء أهل بالحج وعند أبي حنيفة لا يجوز إشعار الهدي بل يكره ذلك ٢ وقال ابن عباس في معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هي أن تصيدوا وأنتم محرمون وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترض عليكم وانتهوا عما نهاكم عنه (ولا الشهر الحرام) أي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال في الجاهلية فيه فلما جاء الإسلام لم ينقض هذا الحكم بل أكده والمراد بالشهر الحرام ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد إحلال الشهر الحرام النسيء فقال مقاتل كان ابن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول إني قد أحللت كذا وحرمت كذا يعني به الأشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتي تفسير النسيء في سورة براءة (ولا الهدى ولا القلائد) الهدى ما يهدى إلى البيت من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * وأعناق الهدي مقلدات

فعلى هذا القول إنما عطف القلائد على الهدى مبالغة في التوصية بها لأنها من أشرف الهدي فالمعنى ولا تستحلوا الهدي خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك أن العرب في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وإبلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلا يتعرض لهم أحد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شيء من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعني ولا تستحلوا القاصدين إلى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعني يطلبون (فضلا من ربهم) يعني الرزق والأرباح في التجارة (ورضوانا) يعني ويطلبون رضا ربهم لأن الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن أن فعله ذلك طلب الرضوان فيصير أن يوصف به بناء على ظنه وقيل إن المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وإن كانوا لا ينالونه فلا يبعد أن يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الأمن على أنفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين وذلك أنهم كانوا يحجون جميعا

﴿فصل﴾ اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة إلى قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدي والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين وقال الشعبي لم ينسخ من سورة المائدة إلا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحدا أن يحج

والنحر (ولا الشهر الحرام) أى أشهر الحج (ولا الهدى) وهو ما أهدى الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية (ولا القلائد) جمع قلادة وهي ما قلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره (ولا آمين البيت الحرام) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وأن يتعرضوا للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيه وجهان أن يراد بها ذوات القلائد وهي البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لأنها أشرف الهدى كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة في النهي عن التعرض للهدى أي ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها (يبتغون) حال من الضمير في آمين (فضلا من ربهم) أي ثوابا (ورضوانا) وأن يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم

٢ قوله وقال ابن عباس الخ كان هذا قولا ثانيا له رضي الله عنه إذ تقدم له غير هذا اهـ

... من الاحرام (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم قوله غير محلى الصيد وأنتم حرم (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) جرم مثل كسب فى تعديته الى مفعول واحد والى اثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثانى أن تعتدوا وأن صدوكم يتعلق بالشنآن

... مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ... آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التى كانت فى الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدى وذهب جماعة الى انه لا منسوخ فى هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا الى ... ولا نحيف من يقصد بيته من أهل شرعه ... فى الشهر الحرام ولا فى غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وحرم علينا أخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التى كانوا ... فى الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك فى الاشهر الحرم وغيرها وكذلك أجمعوا على ان المشرك لو قلد ... راحلته جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة أو أمان وكذلك ... على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم ۞ وقوله تعالى (واذا حللتم) يعنى من احرامكم (فاصطادوا) هذا أمر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم وأباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه أمر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه أن يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض معناه انه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم (شنآن قوم) يعنى بغض قوم وعداوتهم (أن صدوكم) يعنى لان صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم (أن تعتدوا) عليهم يعنى بالقتل وأخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى) يعنى ليعن بعضكم بعضا على كسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يعنى ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصى والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله) أى واحذروا الله أن تعتدوا ما أمركم به أو تجاوزوا ما نهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف أمره ففيه وعيد وتهديد عظيم ۞ قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى فى أول السورة ما أحل لنا من بهيمة الانعام بقوله ... ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة وكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس ذلك الدم وبقى فى العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجارى وكانت العرب فى الجاهلية تجعل الدم فى المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير أراد به جميع اجزائه وأعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم فى سورة البقرة ... أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا على اباحة ذلك واختلاف العلماء فى ذلك ۞ وقوله تعالى (وما أهل لغير الله به) يعنى ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يذكرون أسماء أصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون

بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامى وأبو بكر والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكى وأبو عمرو ويدل على الجزاء ما قبله وهو لا يجرمنكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفى أو البر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان أهل الجاهلية

... (حرمت عليكم الميتة) أى البهيمة التى تموت حتف أنفها (والدم) أى المسفوح وهو السائل (ولحم الخنزير) وكله نجس وذكر اللحم لانه معظم المقصود (وما أهل لغير الله به) أى رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التى خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بالشبكة أو غيرها

الشاة حتى إذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لأنها لما ماتت لم يسل دمها والفرق
بينهما أن الميتة تموت بلا سبب أحد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعني المقتولة بالخشب وكان
العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعني التي تتردى
من مكان عال فتموت أو في بئر فتموت والتردي هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوهما والتي
تلحق بالميتة فيحرم أكلها ويدخل في هذا الحكم إذا رمى بسهمه صيداً فتردى ذلك الصيد من جبل أو من
مكان عال فمات فإنه يحرم أكله لأنه لا يعلم هل مات بالتردي أو بالسهم (والنطيحة) يعني التي تنطحها شاة
أخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لأنها في حكم الميتة فأما الهاء في
الكلمات التي تقدمت أعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فإنما دخلت عليها لأنها صفات لموصوف
مؤنث وهو الشاة كأنه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لأنها من أعم
ما يأكله الناس والكلام إنما يخرج على الأعم الأغلب ثم يلحق به غيره فإن قلت لم أثبتت الهاء في النطيحة
مع أنها في الأصل منطوحة فعدلوا بها إلى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف
خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة قلت إنما تحذف الهاء من الفعيلة إذا كانت صفة
لموصوف يتقدمها فإذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قتيلة بني
فلان بالهاء لأنك إن لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة فعلى هذا إنما دخلت الهاء في النطيحة لأنها
صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تأويل مفعول بها تخرج
مخرج الأسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة
بقبيلة بني فلان ۞ وقوله تعالى (وما أكل السبع) قال قتادة كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً فقتله
أو أكل منه أكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس
والدواب فيفترس بنابه كالأسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما أكل السبع منه
لأن ما أكله السبع فقد فقد فلا حكم له إنما الحكم للباقي منه (إلا ما ذكيتم) يعني إلا ما أدركتم
فيه حياة مستقرة من هذه الأشياء المذكورة والظاهر أن هذا الاستثناء يرجع إلى جميع المحرمات المذكورة
في الآية من قوله تعالى والمنخنقة إلى وما أكل السبع وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن
وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما أدركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبي هو
الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول هو الأول وأما كيفية إدراكها فقال أكثر أهل العلم من المفسرين
إن أدركت ذكاته بأن توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز قال ابن عباس إذا طرفت
أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض أهل العلم إلى أن السبع إذا جرح فأخرج الحشوة
أو قطع الجوف قطعاً تيأس معه الحياة فلا ذكاة لأن ذلك وإن كان به حركة ورمق إلا أنه قد صار إلى حالة
لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الأنباري لأن معنى التذكية أن يلحقها وفيها
بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك وإلا فهو كالميتة وأصل
الذكاة في اللغة تمام الشيء فالمراد من التذكية تمام قطع الأوداج وإنهار الدم يدل عليه ما روي عن رافع
ابن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر
وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأقل الذبح في الحيوان
المقدور عليه قطع المريء والحلقوم وأكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس
والمريء مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح وأما آلة الذبح فكل ما أنهر الدم وفرى الأوداج

(والموقوذة) التي أثخنوها ضرباً بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل أو في بئر فماتت (والنطيحة) المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وما أكل السبع) بعضه ومات بجرحه (إلا ما ذكيتم) إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت

النصب) كانت خمسة حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك و يتقربون اليها تسمى الانصاب واحدها
نصب أو هو جمع والواحد نصاب (وأن تستقسموا بالازلام) في موضع الرفع بالعطف على الميتة أي حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام
بالأزلام وهي القداح المعلمة واحدها زلم وزلم كان أحدهم اذا أراد سفرا أو غزوا

أو تجارة أو نكاحا أو غير ذلك

من سائر الغدد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ۞ وقوله تعالى (وما ذبح على النصب) يعني وحرم ما ذبح على النصب والنصب يحتمل أن يكون جمعا واحده نصاب وأن يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشيء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة بأصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب أو لاجل النصب فهو حرام (وأن تستقسموا بالازلام) يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت أزلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل أي ليس عليه شيء وكانت العرب في الجاهلية اذا أرادوا سفرا أو تجارة أو نكاحا أو اختلفوا في نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم وأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج أمرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه وان أجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حليفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها ۞ عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم بالازلام أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة ۞ وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الآية لان كل ما حرم عليكم من أول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة الى الاستقسام بالازلام والاول أصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني يئسوا أن ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في أن يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام يئسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم ترد يوما بعينه بل تعني وهو الآن يجفونا ولم يرد اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا ۞ ويوم نساء ويوم نسر

أراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أيها المؤمنون الذين يئسوا أن يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم بإظهار دينكم (واخشون) أي وخافوا اخافة أمري

يعمد الى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرني ربي وعلى الآخر نهاني والثالث غفل فان خرج الآمر مضى لحاجته وان خرج الناهي أمسك وان خرج الغفل أعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام قال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من أجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا وفي شرح التأويلات وكذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى ويجوز أن يجعل الله في النجوم معاني وأعلاما يدرك بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء ولا لائمة في ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذلكم فسق) الاستقسام

خروج عن الطاعة ويحتمل أن يعود الى كل محرم في الآية (اليوم) ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الآن وهذا كما تقول أنا قد كبرت تريد الآن وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا منه أن يبطلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لان الله تعالى وفى بوعده من اظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين (واخشون) بغير ياء في الوصل والوقف أي أخلصوا لي الخشية

وأخلصوا الخشية لي ﴿ قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) نزلت هذه الآية في يوم الجمعة
في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت
لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود
الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لا[illegible]
عيدا قال وأي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فقال عمر
لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في
الجمعة أشار عمر الى أن ذلك اليوم يوم عيد لنا عن ابن عباس أنه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الآية [illegible]
ابن عباس فإنها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال
ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس
تجتمع أعياد لأهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروي أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء الا نقص
صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى [illegible]
وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من
الهجرة وأما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعني الفرائض والسنن والحدود و[illegible]
والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس
سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم أي حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله
الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني أظهرت دينكم على الاديان وأمنتكم من عدوكم بأن [illegible]
ما كنتم تخافونه وقيل إكمال الدين لهذه الامة أنه لا يزول ولا ينسخ وأن شريعتهم باقية الى يوم القيامة و[illegible]
إكمال الدين لهذه الامة أنهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة قال ابن الانبا[illegible]
اليوم أكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك أن الله تعالى كان [illegible]
في وقت ثم يزيد بسلبه في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته
كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين أكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل
عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع
اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل [illegible]
فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع التي
من عند الله كافية في ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالما في أول وقت البعث بأن ما هو كامل في هذا اليوم
[illegible] كاملا في الغد ولا صلاح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيل بعد الحتم وأما في آخر زمان
فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا الا أن الاول كمال الى
[illegible] مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم
(وأتممت عليكم نعمتي) يعني بإكمال الدين والشريعة لأنه لا نعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس
لهم بدخول الجنة وقيل معناه أنه تعالى أنجز لهم ما وعدهم في قوله ولأتم نعمتي عليكم فكان من [illegible]
أن دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا)
واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لأمري والا[illegible]
فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي أكملته لكم وأ[illegible]

(اليوم) ظرف لقوله
(أكملت لكم دينكم)
بأن كفيتكم خوف عدوكم
وأظهرتكم عليهم كما يقول
الملوك اليوم كمل لنا الملك
أي كفينا من كنا نخافه
أو أكملت لكم ما تحتاجون
اليه من تكليفكم من
تعليم الحلال والحرام
والتوقيف على شرائع
الاسلام وقوانين القياس
(وأتممت عليكم نعمتي)
فتح مكة ودخولها آمنين
ظاهرين وهدم منار
الجاهلية ومناسكهم
(ورضيت لكم الاسلام
دينا) حال اخترته لكم من
بين الاديان وآذنتكم بأنه
هو الدين المرضي وحده
ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه

ثبت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيا ضى
قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال ومقام
مرتبة الى مرتبة أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم
لم يزل راضيا بهم اليوم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وأتم
الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه وروى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق
فأكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا أنه يمثل لكل أهل دين دينهم يوم القيامة
فأما الايمان فيبشر أصحابه وأهله ويعدهم في الخير حتى يجيء الاسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الاسلام
[illegible] اياك اليوم أقبل وبك اليوم أجزي ۞ وقوله تعالى (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم) هذه
الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى أن المحرمات وان كانت
محرمة الا أنها تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين
والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الآية فمن اضطر أي أجهد وأصيب بالضر
الذي لا يمكنه معه الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن
من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مائل الى اثم أو منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى أكل الميتة
أو الى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو أن يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل
معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعني لمن أكل من الميتة
في حال الجوع والاضطرار ۞ قوله عز وجل (يسألونك ماذا أحل لهم) روى الطبري بسنده عن أبي رافع
[illegible] جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال قد أذنا لك يا رسول الله قال
أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى
امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرني
بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه
الأمة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل
لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في
قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن أبي خيثمة وعويم بن ساعدة على النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح
قال ابن الجوزي وأخرج حديث أبي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية أذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلبا فانه ينقص في كل يوم من عمله قيراط الا كلب
حرث أو ماشية ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض
فانه ينقص من أجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل
الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد
بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول أصح في سبب نزولها وأما التفسير
فقوله تعالى يسألونك يعني يسألك أصحابك يا محمد ما الذي أحل لهم أكله من الطيبات والمآكل كأنهم لما تلا
عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما أحل لهم (قل أحل لكم الطيبات) يعني قل لهم يا محمد أحل لكم

(فمن اضطر) متصل بذكر
المحرمات وقوله ذلكم
فسق اعتراض أكد به
معنى التحريم وكذا ما بعده
لان تحريم هذه الخبائث
من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام
المنعوت بالرضا دون غيره
من الملل ومعناه فمن اضطر
الى الميتة أو الى غيرها (في
مخمصة) مجاعة (غير) حال
(متجانف لاثم) مائل الى
اثم أي غير متجاوز سد
الرمق (فان الله غفور)
لا يؤاخذه بذلك (رحيم)
باباحة المحظور للمعذور
(يسألونك) في السؤال
معنى القول فلذا وقع بعده
(ماذا أحل لهم) كأنه قيل
يقولون لك ماذا أحل لهم
وانما لم يقل ماذا أحل لنا
حكاية لما قالوا لان يسألونك
بلفظ الغيبة كقولك أقسم
زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن
وأحل لنا لكان صوابا وماذا
مبتدأ وأحل لهم خبره
كقولك أي شيء أحل لهم
ومعناه ماذا أحل لهم من
المطاعم كأنهم حين تلي
عليهم ما حرم عليهم من
خبيثات المآكل سألوا
عما أحل لهم منها فقيل
(قل أحل لكم الطيبات)
أي ما ليس بخبيث منها أو
هو كل ما لم يأت تحريمه في
كتاب الله أو سنة أو اجماع
أو قياس

الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن [يرد]
بتحريمه نص من كتاب أو سنة واعلم أن العبرة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والأخلاق الـ[جميلة من]
العرب فإن أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبا[ت]
ويحرم عليهم الخبائث فإن الخبيث غير مستطاب فقاربت هذه الآية الكريمة تصافيا بحل وتحريم
الأطعمة ۞ وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) يعني وأحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر
الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولأنهم سألوا عن الصيد وقيل إن قوله وما علمتم من الجوار[ح]
ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير إضمار والجوار[ح جمع]
جارحة وهي الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب و[الشاهين]
والباذق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لأنها تجرح الصيد عند إمساكه وقيل
جوارح لأنها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح إذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين
اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار أي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب
هو الذي يغري الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وإنما اشتق له هذا الاسم من ا[لكلب]
لأنه أكثر احتياجا إلى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعني تعلمون الجوارح الاصطياد (مما
علمكم الله) يعني من العلم الذي علمكم الله ففي الآية دليل على أنه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن
التعليم هو أن الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بأن يوجد فيها أمور منها أنه [٣] إذا أشليت على ا[لصيد استشلت]
وإذا زجرت انزجرت وإذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيئا ومنها أن لا تنفر منه إذا أراده وإن
إذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فإذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فإنه حل
إذا جرحت بإرسال صاحبها (ق) عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إنا
نصيد بهذه الكلاب فقال إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله عليها فكل مما أمسكن عليك إلا أن يأكل
الكلب فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه وإن خالطها كلاب لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن
وقتلن فلا تأكل فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية فإنك لا تدري أيها قتل وسألته عن
المعراض فقال إذا أصبت بحده فكل وإذا أصبت بعرضه فقتل فإنه وقيذ فلا تأكل وإذا رميت الصيد فو[جدته]
بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل فإن وقع في الماء فلا تأكل واختلف العلماء فيما إذا أ[كل]
الكلاب الصيد أو أكلت منه شيئا فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو ق[ول]
عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي ويدل [عليه]
قوله صلى الله عليه وسلم وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله ويروى ذلك
عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وبه قال مالك لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال قال ر[سول]
الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه أخر[جه أبو]
داود وأما غير المعلم من الجوارح إذا أخذت صيدا أو المعلم إذا خرج بغير إرسال صاحبه فأخذ وقتل
إلا أن يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله إنا بأرض قوم أهل [كتاب]
أفنأكل في آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي
قال ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا
وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل و[ما]
صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل ۞ وقوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم) دخلت من في[ه]
للتبعيض

(وماعلمتم) عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوا[بها فكلوا]
(من الجوارح) أي الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازي والشاهين وقيل هي من الجراحة فيشترط للحل الجرح (مكلبين) حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بعلمتم أن يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لأن التأديب في الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لأن السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد (تعلمونهن) حال أو استئناف ولا موضع له وفيه دليل على أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه إلا من أنحرهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من التكليب (فكلوا مما أمسكن عليكم) الإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه فإن أكل منه لم يؤكل إذا كان صيد كلب ونحوه فأما صيد البازي ونحوه فأكله لا يحرم وقد عرف في موضعه والضمير في

٣ قوله إذا أشليت قال في الصحاح وقول الناس أشليت الكلب على الصيد خطأ وقال أبو زيد أشليت الكلب دعوته وقال ابن السكيت يقال أوسدت الكلب بالصيد وآسدته إذا أغريته به ولا يقال أشليته إنما الإشلاء الدعاء اهـ.

لانه انما أمسك بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى
من ثمره اذا أثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعني اذا أرسلت جارحك فقل بسم الله وان
نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا
الضمير في عليه عائد الى ما علمتم من الجوارح أي سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى
ما أمسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا أدركتم ذكاته وقيل يحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الاكل يعني
اذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة
لا عند الاكل ٤ وسيأتي بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
(واتقوا الله) يعني واحذروا مخالفة الله يعني فيما أحل لكم وحرم عليكم (ان الله سريع الحساب) يعني اذا
حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف أمره وفعل ما نهاه عنه ۞ قوله عز وجل (اليوم أحل لكم
الطيبات) انما كرر احلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التي سألتم عنها ويحتمل ان
يراد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه هذه الآية أو اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من
دينكم اليوم أكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي فبين انه كما أكمل الدين وأتم النعمة فكذلك أتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس
المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة ۞ وقوله تعالى
(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) يعني وذبائح أهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل
في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم وهم متنصرو العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن أبي طالب قال لا تأكلوا من ذبائح
نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشئ من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب
الشافعي ان من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبيحته وسئل ابن عباس عن ذبائح
نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن أبي رباح
والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن أحمد
والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي وأجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر أهل الشرك من مشركي
العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على أن المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان
ما سوى الذبائح فهي محللة قبل أن كانت لاهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب
فائدة ولان ما قبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه أولى ولان سائر الطعام
[illegible] من تولاه من كتابي أو غيره وانما تختص الذكاة فلما خص أهل الكتاب بالذكر دل على أن المراد
بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودي أو نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو
قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم الى انه يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح فقالا يحل
فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي أو النصراني وذكر غير اسم الله
وأنت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد أحل الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح
أهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل أمرهم على هذا فان
تبين انهم ذبحوا على غير اسم الله لم تأكل ولا وجه للنسخ ۞ وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعني ان ذبائحنا
لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشرعنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم أن تطعموهم من طعامكم
فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع أن يحرم الله تعالى

(واذكروا اسم الله عليه) يرجع الى ما أمسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته أو الى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند ارساله (واتقوا الله) واحذروا مخالفة أمره في هذا كله (ان الله سريع الحساب) انه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه لبث (اليوم) الآن (أحل لكم الطيبات) كررها تأكيدا للمنة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) أي ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص حلها بالملة (وطعامكم حل لهم) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم

٤ قوله وسيأتي بيان هذه المسئلة الخ لم يتعرض لما ذكره هنا عند الآية الآتية في سورة الانعام اهـ مصححه

أن سلمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة في ذكر ذلك ان اباحة الذبائح غير خاصة بأحد من الجانبين وإباحة
النكاح كانت خاصة من الجانبين لاجرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ﴿ قوله تعالى
(والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد من الحرائر فعلى هذا القول لا تدخل الامة المؤمنة في هذا التحليل وإنما
أجاز نكاحهن أي الاماء بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا
القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها
طارق بن شهاب ان رجلا أراد أن يزوج أخته فقالت اني أخشى أن أفضحك اني قد بغيت فأتى عمر فذكر
ذلك له فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر
العفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين ﴿ وقوله تعالى (والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن
عباس يعني الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف من أهل
الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها
نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب
أبي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسألة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزويج
بالذميات من اليهود والنصارى روي ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية
وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا أعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا
تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من
سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل
الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء بان ذلك
مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهن
من لا تحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم أهل
الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب ﴿ وقوله تعالى (اذا آتيتموهن أجورهن) يعني مهورهن وهو
العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعني متعففين بالتزويج غير زانين (ولا متخذي
أخدان) يعني ولا منفردين ببغي واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده فحرم الله
الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن وأحله على جهة الاحصان وهو التزويج
الصحيح (ومن يكفر بالايمان) يعني ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما
جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في
الآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا
ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا فأنزل الله ومن
يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات
قلن فيما بينهن لولا أن الله قد رضي أعمالنا لم يبح للمؤمنين تزوجنا فأنزل الله هذه الآية والمعنى ان تزوج
المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان أهل الكتاب وان حصلت لهم فضيلة في
اباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لان كل من كفر بالله ونبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل ان من أحل ما حرم
أو حرم ما أحل الله أو جحد بشيء مما أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو في الآخرة

الخاسرين)

(والمحصنات من المؤمنات) هي الحرائر أو العفائف وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أي والمحصنات من المؤمنات حل لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هي الحرائر أو العفائف الكتابيات (اذا آتيتموهن أجورهن) أعطيتموهن مهورهن (محصنين غير مسافحين) متزوجين غير زانين (ولا متخذي أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وبما أحل الله وحرم (فقد حبط) بطل (عمله وهو في الآخرة من

(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله فإذا قرأت القرآن أي إذا أردت أن تقرأ القرآن فعبر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل مسبب عن الإرادة فأقيم المسبب مقام السبب للابسة بينهما

...ين) إذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لأنه إذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح إيمانه قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) يعني إذا أردتم القيام إلى الصلاة ومثله قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام إذا اتجرت فاتجر في البر أي إذا أردت التجارة وهذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم إلى أنه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد وأجيب عن ظاهر الآية بأن المعنى إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القرآن وهو كثير جداً ولأن النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ أخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد الطهارة وإن كان على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات أخرجه الترمذي وقيل هذا إعلام من الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً من الخلاء فقدم إليه طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة أخرجه مسلم والقول الأول هو المختار في معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية أربعة ◈ الأول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية ووجهه أن الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون منوياً ولما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الأعمال فيجب أن يكون منوياً وإنما قلنا إن الوضوء مأمور به وإنه من أعمال الدين لقوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والإخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية في جميع الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى معتبراً واستدل أبو حنيفة بعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الآية قال إن النية ليست شرطاً لصحة الوضوء لأن الله تعالى أوجب غسل الأعضاء الأربعة في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فإيجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأجيب عنه بأنا إنما أوجبنا النية في الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما حد الوجه فمن منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً لأنه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وإن كانت كثة وأما اللحية فإن كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها بل يجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة ويجب إمرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة لا يجب لأن الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه والقول الثاني يجب إمرار الماء على ظاهره لأن الوجه مأخوذ من المواجهة فقد دخل اللحية في حكم الوجه ◈ الفرض الثاني قوله تعالى (وأيديكم إلى المرافق) يعني واغسلوا أيديكم إلى المرافق وقوله إلى المرافق لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدار الماء على المرفقين

للإيجاز ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائي الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس رضي الله عنهما أو من النوم لأنه دليل الحدث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يتوضؤون لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجباً أول ما فرض ثم نسخ (وأيديكم إلى المرافق) إلى تفيد معنى الغاية مطلقاً فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج فنظرة إلى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظراً في الحالتين معسراً وموسراً وكذلك أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه عليه السلام لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله

(وامسحوا برؤوسكم) المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق المسح برأسه فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب والشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان النبي عليه السلام وهو ما روي أنه مسح على الناصية وقدر الناصية بربع الرأس (وأرجلكم إلى الكعبين) بالنصب شامي ونافع وعلي وحفص رأي

إلى المرافق والمرفق بالكسر هو من الإنسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء إلى وجوب إدخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وأبي بكر بن داود الظاهري أنه لا يجب إدخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل وجوهكم وأيديكم إلى المرافق فقال الذي آمر به أن يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة أصحاب هذا القول أن كلمة إلى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل ولأن الحد لا يدخل في المحدود فوجب أن لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور أن كلمة إلى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي مع أموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث أبي هريرة أنه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة أن الحد إذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الآية لأن المرفق من جنس اليد وإذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل لأن النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه ۞ الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم) اختلف العلماء في قدر الذي يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو إحدى الروايتين عن أحمد والرواية الأخرى عنه أنه يجب مسح أكثره وقال أبو حنيفة يجب مسح ربعه وفي رواية أخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة أصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما يطلق عليه اسم المسح والمراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الرأس ۞ الفرض الرابع قوله تعالى (وأرجلكم إلى الكعبين) اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح أو الغسل فروي عن ابن عباس أنه قال الوضوء غسلتان ومسحتان وروي ذلك عن قتادة أيضا وروي عن أنس أنه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح وعن الشعبي أنه قال إنما هو المسح على الرجلين ألا ترى أن ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل ومذهب الإمامية من الشيعة أن الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم والأئمة الأربعة وأصحابهم أن فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء في هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وأرجلكم بنصب اللام على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم وتكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم وقال أصحاب هذه القراءة إنما أمر الله بغسل الأرجل دون مسحها ويدل عليه أنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفا على المسح أي فرأوه بالنصب فالمعنى فيها ظاهر لأنه معطوف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة الكسر

وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير وبالجر بالعطف على الرؤوس لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المنهي عنه فعطف على الممسوح لا للمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وقال في جامع العلوم إنها مجرورة للجوار وقد صح أن النبي عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال ويل للأعقاب من النار وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء لتطهيرها من الأوساخ التي تتصل بها لأنها بادية كثيرا والصلاة خدمة لله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الأوساخ أقرب إلى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدي الملك ولهذا قيل إن الأولى أن يصلي الرجل في أحسن ثيابه وإن الصلاة متعمما أفضل من مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ في التعظيم

إلى نحوهما والجواب عنها فقال أبو حاتم وابن الانباري وأبو علي الكسر عطف على الممسوح غير أن المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال أبو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت وقالت ما تمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ قال أبو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان الا أن مسح الرأس والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

ياليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

المعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على أن الارجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء وأما من جعل كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما أخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة في الشعر أو يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما في غسل الرجلين كما في قوله تعالى وأيديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما في قوله تعالى وأيديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم أن لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

(فصل) وقد تقدم أن الفروض المذكورة في هذه الآية أربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك وأحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الاعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكره الله في هذه الآية فيغسل أولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب أبو حنيفة الى أن الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك أن الله تعالى أمر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتبا كما أمر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الوداع ابدأوا بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان أفعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا أو غير مرتب فثبت أن ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج أبو حنيفة لمذهبه بهذه الآية أيضا وذلك أن الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بأنه لم ينقل عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ الامر تبا كما ذكرو بيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

﴿فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله﴾ (ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم أدخل يديه فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح رأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فأقبل بيديه وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال أتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فأتي باناء فيه ماء وطست فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح برأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل أصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو قال ظلم وأساء أخرجه أبو داود * عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذي

(ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار (م) عن جابر قال أخبرني عمر بن الخطاب أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدميه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فأحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم * عن خالد عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين أو ثلاثا * عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة أخرجه البخاري * عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال قد روي عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما أجود هذه فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود فنظرت فاذا عمر قال اني قد رأيتك جئت آنفا قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة

... الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات أخرجه الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أخرجه أبو داود وابن ماجه ۞ وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي اغتسلوا أمر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة بأحد شيئين اما بخروج المني على أي صفة كان من احتلام أو غيره أو بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة غسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده وأما قوله (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد تقدم تفسيره وأحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب ۞ وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعني من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير الذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعني ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج ۞ قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني ما أنعم به عليكم من النعم كلها الان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم وهو الانقياد لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذي واثقكم به) يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي أخذه عليهم في يوم ألست بربكم قالوا بلى (واتقوا الله) يعني فيما أخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) يعني ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير وشر ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه وأن يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعني وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب في شهادتك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك أهل بغضك وأقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على ألا تعدلوا) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) أمر الله بالعدل في كل أحد القريب والبعيد

جامعتم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمه فيثيبكم (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام (وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا) أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان (واتقوا الله) في نقض الميثاق (ان الله عليم بذات الصدور) بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) بالعدل (ولا يجرمنكم

شنآن قوم على ألا تعدلوا) عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى
كأنه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (اعدلوا

هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب إلى التقوى نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً
وتشديداً ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى وإذا كان وجوب العدل مع
الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه (واتقوا الله) فيما أمر ونهى (إن الله خبير بما تعملون) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعد يتعدى إلى مفعولين فالأول الذين آمنوا والثاني محذوف استغنى عنه بالجملة التي هي قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) والوعيد وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي لا يفارقونها (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم) روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره
بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية إذ ظرف للنعمة (أن يبسطوا) بأن يبسطوا (إليكم أيديهم) بالقتل درج
يقال بسط لسانه إليه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به

والصديق والعدو (هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب للتقوى (واتقوا الله إن ...
يعني إن الله تعالى خبير بجميع أعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل ﴿ قوله تعالى (وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني عملوا بما أمرهم الله به وأوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها (لهم مغفرة وأجر
عظيم) هذا بيان للوعد كأنه لما تقدم ذكر الوعد قيل أي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم و...
وعدهم أنجز لهم الوعد فإنه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعني والذين جحدوا
وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (أولئك) يعني من هذه صفته
(أصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس إلا للكفار لأن المصاحبة تقتضي
كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم)
يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكر
بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) يعني بالقتل والبطش بكم فصرف أيديهم
عنكم وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي
أمر الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل ...
الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصراً غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل
محمداً قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا أنك فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى
عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه فجعل يهز السيف وينظر إليه مرة وإلى
الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد
السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى ...
المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر
ابن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه
إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم إلا الطير تحوم في ...
من بين مناقيرها علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلاً من المشركين
فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه فقال الله أكبر الجنة ورب ...
ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة
إلى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى
وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف
وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى أن
في الديات وقيل أراد أن يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا ...
اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعضهم
ببعض وقالوا إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح
عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش أنا فعمد إلى رحى عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم
الله يده ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى ...

فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (وقال الله اني معكم) فيه حذف تقديره وقال للنقباء اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول أولى لان الضمير يعود الى أقرب مذكور فكان عوده الى النقباء أولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل (لئن أقمتم الصلوة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من جملة أمور وهي قوله لئن أقمتم (وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لأكفرن عنكم سيآتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن أقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي جميع رسلي وانما أخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان لبعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وعزرتموهم يعني ونصرتموهم وأصل التعزير في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بأن تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول وأقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال وأقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر أقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا أخرج مصدرا من غير لفظه وذلك ان أقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظيره قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله لأكفرن عنكم سيآتكم يعني اذا فعلتم سائر ما أمرتكم به لامحون عنكم سيآتكم وأغفرها لكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعني بعد أخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعني فقد أخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي أمر باتباعه ﴿﴾ قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) أي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعني جازيناهم على ذلك بان أبعدناهم وطردناهم عن رحمتنا وأصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة وأحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) يعني وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرة المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت (الا قليلا منهم) يعني أنهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) أي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو

(وقال الله اني معكم) أي ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة) وكانتا فريضتين عليهم (وآمنتم برسلي) من غير تفريق بين أحد منهم (وعزرتموهم) وعظمتموهم أو نصرتموهم بان تردوا عنهم أعداءهم والعزر في اللغة الرد وعزرت فلانا أي أدبته يعني فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بلا من وقيل هو كل خير واللام في (لأكفرن عنكم سيآتكم) جواب للقسم وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم) أي بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعد ما ظهر وأعظم (فبما نقضهم ميثاقهم) ما مزيدة لافادة تفخيم الامر (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) يابسة لا رحمة فيها ولا لين قسية حمزة وعلى أي رديئة من قولهم درهم قسي أي ردىء (يحرفون الكلم عن مواضعه) يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزالت أشياء منها عن حفظهم عن ابن مسعود رضي الله عنه وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خائنة منهم) أي هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك وينمون بالفتك بك وقوله على خائنة أي على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة (الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم

ولأجل هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لأنهم يقولون في المسيح إنه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة لأنهم يقولون بالحلول وإن الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعني يقدر أن يدفع (من الله شيئا) يعني من أمر الله شيئا (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه) يعني يعدم المسيح وأمه (ومن في الأرض جميعا) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا أن المسيح لو كان إلها كما يقولون لقدر على دفع أمر الله إذا أراد إهلاكه وإهلاك أمه وغيرها (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) إنما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لأنه أراد ما بين هذين النوعين أو الصنفين من الأشياء فإنه مالكه وأهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده (يخلق ما يشاء) يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لأنه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من أب وأم (والله على كل شيء قدير) يعني إن الله تعالى لا يعجزه شيء أراده ولا اعتراض لأحد من خلقه عليه ﴿ قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال أما اليهود فإنهم قالوا إن الله أوحى إلى إسرائيل أني أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وأما النصارى فإن فريقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى والماوجه قول اليهود فإنهم يعنون أنه من عطفه عليهم كالأب الشفيق على الولد وأما النصارى فإنهم لما تأولوا في المسيح أنه ابن الله وادعوا أنه منهم فكأنهم قالوا نحن أبناء الله لهذا السبب وقيل إن اليهود إنما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن أبناء رسول الله وأما النصارى فإنهم تأولوا قول المسيح أذهب إلى أبي وأبيكم وقوله إذا صليتم فقولوا يا أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك فتأولوا ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما أراد المسيح عليه السلام إن صحت هذه المقالة عنه فإن تأويلها أنه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرون لأنفسهم فضلا على من سواهم بسبب أسلافهم الأفاضل حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فأبطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه إذا الأمر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وأنتم قد أقررتم على أنفسكم أنه يعذبكم أربعين يوما وهل رأيتم والدا ... ولده بالنار وهل تطيب نفس محب أن يعذب حبيبه في النار (بل أنتم بشر ممن خلق) يعني بل أ... اليهود والنصارى كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان ﴿ قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعني لمن ... من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) يعني أنه تعالى ... ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على أنه تعالى لا ولد له لأن من يملك السموات والأرض يستحيل أن يكون له شيء من خلقه أو شريك في ...

فمن يملك من الله شيئا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا) أي إن أراد أن يهلك من دعوه إلها من المسيح وأمه يعني أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من في الأرض جميعا على المسيح وأمه إبانة أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم ولله أن من اشتمل عليه رحم الأمومية حتى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية أنى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما وجد لم يتطرق نقص إلى الصمدية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء) أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له ولا اعتراض عليه لأنه الفعال لما يريد (والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أي أعزة عليه كالابن على الأب أو أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول أقرباء الملك وحشمه نحن أبناء الملوك أو نحن أبناء رسل الله (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الأب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم (بل أنتم بشر ممن خلق) أي أنتم خلق من خلقه لا بنوه (يغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر فضلا (ويعذب من يشاء) من مات عليه عدلا (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) ... (وإليه

(واليه المصير) يعني والى الله مرجع العباد في الآخرة فيجازي كلا بعمله ۞ قوله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب ليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني أحكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أخرجه البخاري وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه أنها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى ومحمد أربعة من الرسل فذلك قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا أدري من هو فكانت تلك السنون مائة وأربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال أبو سليمان الدمشقي والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه قال الإمام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي أن التحريف والتغيير كان قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في إعراض الخلق عن العبادات لأن لهم أن يقولوا إلهنا عرفنا أنه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لإزالة هذا العذر فذلك قوله عز وجل (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعني فقد أرسلت إليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لإزالة هذا العذر (والله على كل شيء قدير) يعني أنه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة إليهم ۞ قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا أيادي الله عندكم وأيامه التي أنعم فيها عليكم قال الطبري هذا تعريض من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لأنفسهم وشدة خلافهم لأنبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه لديهم سلى بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل (إذ جعل فيكم أنبياء) يعني أن موسى عليه السلام ذكر قومه بني إسرائيل بأيام الله عندهم وبما أنعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم إذ فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم إلى الجبل وأيضا كان أنبياء بني إسرائيل من أولاد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وهؤلاء لا شك أنهم من أكابر الأنبياء وأولاد يعقوب وهم الأسباط أنبياء على قول الأكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وأيضا فإن الله تعالى أعلم موسى أنه يبعث من بعده من بني إسرائيل أنبياء فإنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة [illegible] عليهم (وجعلكم ملوكا) يعني وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعد أن كنتم عبيدا في أيدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم

عليه السلام (يبين لكم) أي الشرائع وحذف لظهوره أو ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره أولا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال أي مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو خمسمائة وستون سنة (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير) والفاء في (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم (بشير) للمؤمنين (ونذير) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم (والله على كل شيء قدير) فكان قادرا على إرسال محمد عليه السلام ضرورة (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء (وجعلكم ملوكا) لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولأنهم كانوا مملوكين في أيدي

وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ألسنا من
فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال أنت من
الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان
مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) يعني من عالمي زمانكم يذكرهم
ما أنعم الله به عليهم من فلق البحر لهم وإهلاك عدوهم وإنزال المن والسلوى عليهم وإخراج الماء من الحجر لهم
وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي أنعم الله بها عليهم ۞ قوله تعالى (يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ما أنعم الله به عليهم أمرهم بالخروج الى جهاد عدوهم
فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا
للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر
فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي الطور وما حوله وقيل هي أريحاء وفلسطين
وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت في كتاب الله المنزل أن
الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن
وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكناها وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه أحدها أنها كانت هبة
من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثاني أن اللفظ وان كان عاما لكن المراد به
الخصوص فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا دخلاها وكانا ممن
خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث أن هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد
المشروط الوجه الرابع أنه قال انها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم
كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا ترتدوا على أدباركم) يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على أعقابكم
الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي أمركم به وان فعلتم خلاف ما أمركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعني
فترجعوا خائبين لانكم رددتم أمر الله ۞ قوله عز وجل (قالوا) يعني قوم موسى (يا موسى ان فيها) يعني في
الارض المقدسة (قوما جبارين) يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا أولئك القوم
جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوي أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد
وأصل الجبار في صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعني أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على
ما يريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها ويقال رجل
جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعني أرض الجبارين التي
أمرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك
استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعني اليها قال العلماء بالاخبار إن
النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وما عاينوا
قال لهم موسى لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثني عشر لما
خرجوا من أرض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا وأخبروا موسى
أمرهم أن لا يخبروا بني اسرائيل بذلك فخالفوا أمره ونقضوا العهد وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما
رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا
أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا
غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا وننصرف الى مصر

القبط فانقذهم الله فسمى
انقاذهم ملكا (وآتاكم
ما لم يؤت أحدا من العالمين)
من فلق البحر واغراق
العدو وانزال المن والسلوى
وتظليل الغمام ونحو
ذلك من الامور العظام أو
أراد عالمي زمانهم (يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة)
أي المطهرة أو المباركة
وهي أرض بيت المقدس
أو الشام (التي كتب الله
لكم) قسمها لكم أو سماها
أو كتب في اللوح المحفوظ
انها مساكن لكم (ولا
ترتدوا على أدباركم) ولا
ترجعوا على أعقابكم
مدبرين منهزمين من
خوف الجبابرة جبنا أو لا
ترتدوا على أدباركم في [illegible]
(فتنقلبوا خاسرين)
فترجعوا خاسرين ثواب
الدنيا والآخرة (قالوا
يا موسى ان فيها قوما
جبارين) الجبار فعال من
جبره على الامر بمعنى أجبره
عليه وهو العاتي الذي يجبر
الناس على ما يريد (وانا
لن ندخلها) بالقتال (حتى
يخرجوا منها) بغير قتال
(فان يخرجوا منها) بلا
قتال (فانا داخلون)
بلادهم حينئذ

(۱۷۳)

تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى انى حلفت لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع
وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى كانوا يتجسسون فيها سنة ولألقين
جيفهم فى هذه القفار وأما بناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها محرمة
المقدسة محرمة عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم
فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بان يمكثوا فى تلك المفازة فى الشدة والبلية عقابا لهم على سوء
(أربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال أربعين سنة يتيهون فى الارض
المحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا او يدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم أربعين
ثم يدخلونها وتفتح لهم ۞ وقوله تعالى (يتيهون فى الارض) يعنى يتحيرون فيها الى ان
واختلفوا فى مقدار الارض التى تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا
وقيل تسع فراسخ فى ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم
فاذا أمسوا اذا هم فى الموضع الذى رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبنى اسرائيل ما خلا موسى وهرون
ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم وأعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان
كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من الارض أربعين سنة بحيث لم يخرجوا منها
قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات فى أزمان الانبياء غير مستبعدة فان الله على كل شئ
قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله تعالى ما حرم عليهم الخروج
من تلك الارض بل أمر بالمكث أربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم أمر
ولما حصل بنو اسرائيل فى التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى و
من الكسوة ما هى قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه أن
فأتى بحجر أبيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط
منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلهم فى التيه ومات فى التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين سنة غير
يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا واختلفوا فى أن موسى عليه
السلام مات فى التيه أم خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا فى التيه جميعا

﴿قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام﴾

فاما هرون فانه كان أكبر من موسى بسنة قال السدى أوحى الله عز وجل الى موسى انى متوفى هرون فأت به
جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبنى وفيه سرير
عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت أعجبه وقال يا موسى انى أحب أن أنام على
السرير قال نم قال انى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال لا تخف انى أكفيك رب هذا البيت
قال يا موسى قم أنت معى فان جاء رب هذا البيت غضب على وعليك جميعا فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد
مسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون
فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسده موسى هرون فقتله لحبنا اياه
موسى ويحكم ان هرون كان أخى أفترونى أقتله فلما أكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل
فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على بن أبى طالب
رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل
أنت قتلته وآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف
بنو اسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد

الجهاد قيل فانها محرمة عليهم أو المراد فانها محرمة عليهم (أربعين سنة) فاذا مضى الاربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ماشاء الله ثم قبض وأربعين ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف (يتيهون فى الارض) أى يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا أربعين سنة والوقف على عليهم وانما هو قبر الا الحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا فى ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له

فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس من
ذهب مكلل بالياقوت والجوهر فقدعه رجل منهم فجعلوه في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت
الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة معناه وهو ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم
يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها فغزا فدنا من
القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى
فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة
رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار
فأكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجه
البخاري ومسلم * شرح غريب هذا الحديث * قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية
عن فرج المرأة ولم يبن بها أي لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وأنا مأمور
اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا
فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان
الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضي وقد روي أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى
صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما أخبر
بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن
نون ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره أمر بني اسرائيل بعد موسى
سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذي فتح أريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار
اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه
الله اليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج ابن
عنق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني
لا أملك الا نفسي وأخي الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب
عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا
منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى في السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة
أذرع وكان طوله عشرة فأصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه
لجزع بنو اسرائيل لانه كان من أعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال
أهل العلم باخبار الاولين مجمعون على أن بلعم بن باعوراء كان ممن أعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان
يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وسترد قصته في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى ۞ وقوله تعالى (فلا تأس
على القوم الفاسقين) يعني لا تحزن عليهم لانهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما دعا
على قومه أوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز أن يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه
وسلم أي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل ۞ قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابني آدم
بالحق) يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن
الحسن والضحاك ان ابني آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل
ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس

(فلا تأس على القوم الفاسقين) فلا تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهرون معهم في التيه لانه كان عقابا وقد سأل موسى ربه أنه يفرق بينهم وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات هرون في التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء في التيه الا كالب ويوشع ثم أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليذكروه ويؤمنوا بقوله (واتل عليهم) على أهل الكتاب (نبأ ابني آدم) من صلبه هابيل وقابيل أو هما رجلان من بني اسرائيل (بالحق) نبأ متلبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين أو تلاوة متلبسة بالصدق والصحة أو واتل عليهم وأنت محق صادق

الآية والصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين لأن الله تعالى قال في آخر الآية فبعث الله غرابا يبحث في الأرض لأن القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق أي أخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لأنه من عند الله وموافق لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به إلى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نسك أو غير ذلك مما يتقرب به

﴿ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل﴾

ذكر أهل العلم بالأخبار والسير أن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان إذا كبر أولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم فلما كبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج قابيل لبودا أخت هابيل ويزوج هابيل اقليما أخت قابيل وكانت اقليما أحسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فقال أبوه آدم انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام رديء وأضمر في نفسه لا أبالي أيقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أحد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما) يعني هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فأضمر لأخيه الحسد إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو في غنمه (قال لأقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لأن الله تقبل قربانك ورد قرباني وتريد أن تنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس بأنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي قال هابيل وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الأعمال فلذلك كان أحد القربانين مقبولا دون الآخر ولأن التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضمر في قلبه الحسد لأخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فأجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم أنه انما لم يتقبل قربانه لأنه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت إلي يدك) يعني لئن مددت إلي يدك (لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) يعني ما أنا بمنتصر لنفسي بل استسلم لأمر الله وقيل معناه ما كنت مبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا أراد الرجل أن يقتل رجلا

تقرير لصدق النبأ (قربانا) ما يتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانه دليله (فتقبل من أحدهما) قربانه وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) قربانه وهو قابيل روي أنه أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسد عليها أخوه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله (قال لأقتلنك) أي قال قابيل (قال انما يتقبل الله من المتقين) وتقديره قال لم تقتلني قال لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني فقال انما يتقبل الله من المتقين وأنت غير متق فانما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت قال اني أسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين

(لئن بسطت) مددت (إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط) بعاد (يدي) مدني وأبو عمرو وحفص (إليك لأقتلك

تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه فاستسلم
له خوفا من الله فذلك قوله (انى أخاف الله رب العالمين) والمعنى انى أخاف الله فى بسط يدى اليك ان بسطتها
لقتلك أن يعاقبنى على ذلك ۞ قوله عز وجل اخبارا عن هابيل (انى أريد أن تبوء باثمى واثمك) يعنى ترجع
باثم قتلى الى اثم معاصيك التى عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل انى أريد وارادة القتل والمعصية من
الغير لا تجوز قلت أجاب ابن الانبارى عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل
وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الى يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل وأخذ
الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك انى أريد أن تبوء باثمى واثمك أى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا
بقتلى اياك حينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه أشار الزجاج فقال معناه
ان قتلتنى فانا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط أن يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى أن يكون اثم دمه عند
قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه انى أريد أن تبوء بعقاب اثمى واثمك فحذف المضاف
وما باء باثم فقد باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم أنه
يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا
حقيقة (فتكون من أصحاب النار) يعنى من الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعنى جزاء من قتل أخاه
ظلما ۞ قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا
تصور ان قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا
الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد
قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر
وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم
فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند
مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة ۞ وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن
عباس خسر دنياه وآخرته أما دنياه فاسخط والديه وبقى بلا أخ وأما آخرته فاسخط ربه وصار الى النار (ق)
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول
كفل من دمها لانه أول من سن القتل ۞ قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى
سوأة أخيه) قال أصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه أول ميت من بنى آدم
على وجه الارض فقصدته السباع فحمله قابيل على ظهره فى جراب أربعين يوما وقال ابن عباس سنة
حتى أروح وأنتن فاراد الله أن يرى قابيل سنته فى موتى بنى آدم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل
أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم ألقاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث
الله غرابا يبحث فى الارض يعنى يحفرها ويثير ترابها ليريه كيف يوارى سوأة أخيه يعنى ليرى الله أو يرى
الغراب قابيل كيف يوارى ويستر جيفة أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال يا ويلتا) أى لزمه
الويل وحضره وهى كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن
المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب أكثر علما منه وعلم انه انما أقدم على قتل أخيه بسبب
جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق
العذاب (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) يعنى مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الآخر (فأوارى

انى أخاف الله رب العالمين) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع
لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وقيل بل كان ذلك واجبا لان فيه اهلاك نفسه ومشاركة القاتل فى اثمه
ما أنا بباسط يدى اليك
مبتدئا كقصدك ذلك
منى وكان هابيل عازما على
مدافعته اذا قصد قتله وانما
قتله فتكا على غفلة منه
انى أخاف حجازى وأبو عمرو
(انى أريد) مدنى (أن
تبوء) أن تحتمل أو ترجع
(باثمى) باثم قتلى اذا قتلتنى
(واثمك) الذى لاجله لم يتقبل
قربانك وهو عقوق الاب
والحسد والحقد وانما أراد
ذلك لكرهه برده قضية
الله تعالى أو كان ظالما وجزاء
الظالم جائز أن يراد
(فتكون من أصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين
فطوعت له نفسه قتل أخيه)
فوسعته ويسرته من طاع
له المرتع اذا اتسع (فقتله)
عند عقبة حراء أو بالبصرة
والمقتول ابن عشرين سنة
(فأصبح من الخاسرين
فبعث الله غرابا يبحث فى
الارض ليريه) أى الله أو
الغراب (كيف يوارى
سوأة أخيه) عورة أخيه
وما لا يجوز أن ينكشف
من جسده روى أنه أول
قتيل قتل على وجه الارض
من بنى آدم ولما قتله تركه
بالعراء لا يدرى ما يصنع به
فخاف عليه السباع فحمله
فى جراب على ظهره سنة
حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم ألقاه فى الحفرة فعند ذلك (قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى) عطف على أكون (سوأة

سوأة

(أو مني) يعني فأستر جيفته وعورته عن الأعين (فأصبح من النادمين) يعني على حمله على ظهره مدة سنة
قتله وقيل إنه ندم على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه وإخوته فندم لأجل ذلك لا لأجل
أنه جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف وإشفاق من فعله فلأجل ذلك لم ينفعه
الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم
المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى أين أخوك هابيل فقال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى
إن دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه إن كنت قتلته فحرم الله على الأرض من
يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر
وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وأغبرت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فوجد
قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جلدك وقيل إن آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وإنه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

ويروى عن ابن عباس أنه قال من قال إن آدم قال الشعر فقد كذب وإن محمدا صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم
في النهي سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بني أنت وصيي
احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان وكان يتكلم
بالعربية والسريانية وهو أول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم إلى المؤخر
والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه أبياتا منها

وما لي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غما * فهل أنا من حياتي مستريح

قال الزمخشري ويروى أنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح أن الأنبياء عليهم
السلام معصومون من الشعر قال الإمام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فإن ذلك
الشعر في غاية الركاكة لا يليق إلا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب إلى من جعل الله علمه حجة على الملائكة
قال أصحاب الأخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له
حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق
في كل ساعة وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا
فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد أخته إقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن فأتاه إبليس وقال له
إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول
من عبد النار وكان قابيل لا يمر به أحد إلا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابن له فقال ابن الأعمى لأبيه
هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الأعمى لأبيه قتلت أباك قابيل فرفع الأعمى يده فلطم ابنه
فمات فقال الأعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل علقت إحدى رجليه بفخذه
وساقه فهو معلق بها إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف
وحظيرة من ثلج في الشتاء فهو يعذب بذلك إلى يوم القيامة قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من الطبول
والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى
بالطوفان في زمن نوح عليه السلام ولم يبق من ذرية قابيل أحد وأبقى الله ذرية شيث ونسله إلى يوم القيامة
قوله تعالى (من أجل ذلك) يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الأجل في اللغة الجناية يقال أجل

(أي فأصبح من النادمين)
على قتله لما تعب فيه من
حمله وتحيره في أمره ولم يندم
ندم التائبين أو كان الندم
توبة لهذه الأمة أو على حمله
لا على قتله وروي أنه لما
قتله اسود جسده وكان
أبيض فسأله آدم عن أخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذا اسود
جسدك فالسود أن من
ولده وما روي أن آدم رثاه
بشعر فلا يصح لأن الأنبياء
عليهم السلام معصومون
من الشعر (من أجل
ذلك) بسبب ذلك وبعلته
وذلك إشارة إلى القتل
المذكور قيل هو متصل
بالآية الأولى فيوقف على
ذلك أي فأصبح من
النادمين لأجل حمله ولأجل
قتله وقيل هو مستأنف
والوقف على النادمين
ومن يتعلق بكتبنا
لا بالنادمين

عليهم شرا أي جنى عليهم شرا (كتبنا) أي فرضنا وأوجبنا (على بني اسرائيل) فان قلت من أي شيء معناه من أجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من أجل ذلك أي من أجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع أنه كان يقف على قوله من أجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين وأصحاب المعاني على ان قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من أجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى أنه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى أنه حصل في أنواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أي من أجل ذلك الذي ذكرنا في أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا يكون شريعة القصاص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفائدة تخصيصه ببني اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور هنا في حق بني اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ولا يشك أن المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما أقدم عليه اليهود من الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد المقصود والله أعلم بمراده ۞ قوله عز وجل (انه من قتل نفسا) يعني قتل نفسا ظلما (بغير نفس) يعني بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم (أو فساد في الارض) هو عطف على بغير نفس يعني و بغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على أسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله أو فساد في الارض (فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا أو امام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي أو امام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا وقيل معناه أن من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها يعني من غرق أو حرق أو وقوع في هلكة فكأنما أحيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من أحيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكأنما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال أهل المعاني قوله ومن أحياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكأنما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية أهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل أكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعني ولقد جاءت بني اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) يعني بعد مجيء الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (في الارض لمسرفون) يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير

(كتبنا على بني اسرائيل) خصهم بالذكر وان اشترك الكل في ذلك لان التوراة أول كتاب فيه الاحكام (انه من قتل نفسا) الضمير للشأن ومن شرطية (بغير نفس) بغير قتل نفس (أو فساد في الارض) عطف على نفس أي بغير فساد في الارض وهو الشرك أو قطع الطريق وكل فساد يوجب القتل (فكأنما قتل الناس جميعا) أي في الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك (ومن أحياها) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فكأنما أحيا الناس جميعا) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور أن قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذي أراد احياءها اذا تصور ان حكمه حكم احياء جميع الناس رغب في احيائها (ولقد جاءتهم) أي بني اسرائيل (رسلنا) رسلنا أبو عمرو (بالبينات) بالآيات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) بعد ما كتبنا عليهم أو بعد مجيء الرسل بالآيات (في الارض لمسرفون) في القتل

قوله

وجل (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخيّر الله رسوله صلى الله عليه وسلم إن شاء أن يقتل وإن شاء أن يصلب وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عرينة وعكل أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الإسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إبل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل (ق) عن أنس بن مالك أن ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام فقالوا يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين أن ذلك قبل أن تنزل الحدود وفي رواية للبخاري أن ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال أبو قلابة وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية أبي داود أن قوما من عكل أو قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فأرسل في آثارهم فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية وأنزل الله عز وجل إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا الآية * شرح غريب هذا الحديث * وحكمه قوله إنا كنا أهل ضرع يعني أهل ماشية وبادية نعيش بالألبان ولسنا من أهل المدن والريف هو الأرض التي فيها زرع وخصب والجمع أرياف قوله استوخموا المدينة يعني أنها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة والحرة هي أرض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لأرض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر أعينهم معناه أنه حمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله وينهى عن المثلة المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل أن يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل إن هذه الآية ناسخة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى إياه عقوبتهم فقال تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم أن المحاربة لله غير ممكنة ففي معناها

لا يبالون بعلمته (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أي أولياء الله في الحديث يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة

العلماء قولان أحدهما ان المحاربين لله هم المخالفون أمره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف أمر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثاني معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون في الارض فسادا) يعني بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) وللعلماء في لفظة أو المذكورة في هذه الآية قولان أحدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في أمر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني ان لفظة أو للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول أكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما يروى عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف واذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الآية فقيل ان الامام يطلبهم في كل بلد ويبعدوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى أحدا من أحبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس في السجون يعني من هذه الامة وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود (لهم) يعني للمحاربين (خزي في الدنيا) أي عذاب وهوان وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فنفى العذاب العظيم عنهم في الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة ۞ وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الارض بالفساد من قبل أن تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم عليهم بشيء من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة (فاعلموا ان الله غفور) يعني لمن تاب من الشرك (رحيم) يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم أهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وانه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم قال أبو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الا

المشرك المحارب اذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالاجماع وأما المسلم المحارب

(ويسعون في الارض فسادا) مفسدين ويجوز أن يكون مفعولا له أي للفساد وخبر جزاء (ان يقتلوا) وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل وأخذ المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم) ان أخذوا المال (من خلاف) حال من الايدي والارجل أي مختلفة (أو ينفوا من الارض) بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة (ذلك) المذكور (لهم خزي في الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) فتسقط عنهم هذه الحدود لا ما هو حق العباد (فاعلموا أن الله غفور رحيم) يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم

وتاب واستأمن قبل القدرة عليه وقال السدي هو كالكافر اذا آمن لم يطالب بشيء الا اذا أصيب [illegible] انه يرده الى أهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي [illegible] اذا طلب به
فأما ما أصاب من الدماء والاموال ولم يطلبه أولياؤها فلا يتبعه الامام بشيء من ذلك وهذا حكم علي بن أبي
طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل أن يقدر عليه فأمنه علي على نفسه وكذلك جاء رجل
مرادي الى أبي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى
هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني
تبت من قبل أن يقدر علي فقام أبو موسى فقال هذا فلان المرادي وانه كان حارب الله ورسوله وسعى في
الارض فسادا وانه قد تاب من قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له أحد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته
قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه ما كان من حقوق بني آدم من قصاص أو مظلمة من مال أو غيره
اما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل أن
يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا الله بترك المنهيات
(وابتغوا اليه الوسيلة) يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضي وانما قلنا ذلك لان مجامع
التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما أحد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله
والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل
اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر * ان الرجال لهم اليك وسيلة * أي قربة وقيل معنى الوسيلة
المحبة أي تحببوا الى الله عز وجل (وجاهدوا في سبيله) أي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم
تفلحون) يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل
محبوب ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم
القيامة ما تقبل منهم) يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم
القيامة لم يتقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم) المقصود من هذا أن العذاب لازم للكفار وأنه لا سبيل
لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك
أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي ولا أدخلك النار فأبيت الا الشرك هذا لفظ
مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت
تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك أن لا تشرك بي (يريدون أن يخرجوا من
النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان أحدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن
لا يستطيعون ذلك قيل اذا جاءهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني
انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم
ولا ينتقل أبدا ﴿ قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) قال ابن السائب نزلت في طعمة بن
أبيرق وقد مضت قصته في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه يأخذ الشيء الذي ليس له أخذه في خفاء
ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق
فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن
مسعود فاقطعوا أيمانهما وانما قال أيديهما ولم يقل يديهما لانه أراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه
ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شيء موحد من أعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع

[illegible] آمنوا اتقوا الله) فلا تؤذوا عباد الله (وابتغوا اليه الوسيلة) هي كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا) من صنوف الاموال (ومثله معه) وأنفقوها (ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم ولوضع ما في حيز خبران ووحد الراجع في ليفتدوا به وقد ذكر شيئان لانه أجرى الضمير مجرى اسم الاشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك (من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه (يريدون) يطلبون أو يتمنون (أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) دائم (والسارق والسارقة) ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة أو الخبر (فاقطعوا أيديهما) أي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن الشرط وبدأ بالرجل لان السرقة من الجراءة وهي في الرجال أكثر وأخر الزاني لان الزنا ينبعث من الشهوة وهي في النساء أوفر وقطعت لانها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزنا تفاديا عن قطع النسل

والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها الى حد السرقة من الكوع ﴿وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعني ذلك القطع جزاء على فعلهما (نكالا من الله) يعني عقوبة من الله (والله عزيز) في انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعني فيما أوجبه من قطع يد السارق

﴿فصل في بيان حكم الآية﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ثم قال انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها أخرجه النسائي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوي دراهم أخرجه البخاري ومسلم أما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم أن السرقة حرام فلا قطع عليه ﴿المسئلة الثانية﴾ اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب أكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا أخرجاه في الصحيحين وذهب مالك وأحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن أبي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن أبي ليلى لما روي عن أنس قال قطع أبو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وقال الرواية الاولى أصح وذهب قوم الى أنه لا قطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم روي ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع في مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم أخرجه أبو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر أيضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز أو غير حرز ﴿المسئلة الثالثة﴾ الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم فيها فكل ذلك حرز وان لم يكن فيها حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلق وأما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا أن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي وأحمد وقال ابن أبي ليلى والثوري والاوزاعي وأبو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيئا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له أو حيوان في برية ولا راعي له أو متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشيء منه فعليه غرامة مثليه والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ودون

(جزاء بما كسبا) مفعول له (نكالا من الله) أي عقوبة منه وهو بدل من جزاء (والله عزيز) غالب لا يعارض في حكمه (حكيم) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة

من دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة ثم بعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله وأسفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن أبي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن أبي حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل أن تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوي اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع أخرجه الترمذي والنسائي ﴿المسئلة الرابعة﴾ اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ابنه أو العبد يسرق من مال سيده أو الشريك يسرق من مال الشريك فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه ﴿المسئلة الخامسة﴾ اذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروي عن علي انه قال اني أستحيي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي ﴿ قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه) يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (وأصلح) يعني وأصلح العمل في المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعني لمن تاب (رحيم) به

﴿ وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن أبي أمية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يعترف فأمر به فقطع ثم جيء به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله وأتوب اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه أن يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمتنع أحدهما بالآخر والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله مالك السموات والارض يعني ان الله مدبر أمر ما في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شيء مما أراده فيهما لان ذلك كله في ملكه واليه أمره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب

(فمن تاب) من السرقة (من بعد ظلمه) سرقته (وأصلح) برد المسروق (فان الله يتوب عليه) يقبل توبته (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنبه ويرحمه (ألم تعلم) يا محمد أو يا مخاطب (ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء) من مات على الكفر (ويغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر

على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو أنه تعالى أخبر أن له ملك السموات والارض والمالك له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وأراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شيء قدير) يعني أنه تعالى قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من أراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه ﴿ قوله تعالى (يا أيها الرسول) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبي في مواضع من كتابه وبيا أيها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وقوله (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يعني لا يهمنك عن الاثم الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين لانهم أظهروا الايمان بألسنتهم وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) أي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا الكلام يحتمل وجهين أحدهما أن الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال سماعون ومن الذين هادوا سماعون للكذب أي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى أنهم قابلون الكذب أي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان أي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل أن يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه ﴿ وقوله تعالى (سماعون) يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم أهل خيبر (لم يأتوك) يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد (ذكر القصة في ذلك) قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من أشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا أحصنا ما حدهما فان أمركم بالحد فاقبلوا منه وان أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد أحصنا فنحب ان تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية اذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الارض بما أنزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم يهودي قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم

(والله على كل شيء) من التعذيب والمغفرة و غيرهما (قدير) قادر وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب أي وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم فيه أسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها (من الذين قالوا) تبيين لقوله الذين يسارعون في الكفر (آمنا) مفعول قالوا (بأفواههم) متعلق بقالوا أي قالوا بأفواههم آمنا (ولم تؤمن قلوبهم) في محل النصب على الحال (ومن الذين هادوا) معطوف على من الذين قالوا أي من المنافقين واليهود وترتفع (سماعون للكذب) على أنه خبر مبتدأ مضمر أي هم سماعون والضمير للفريقين أو سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي سماعون منك لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك فقال

لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء منها أو أخبره بذلك من أسلم من أهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه ۞ قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعني يغيرون حدود الله التي أوجبها عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه وأحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب وأما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية ۞ وقوله تعالى (يقولون) يعني اليهود (ان أوتيتم هذا فخذوه) يعني ان أفتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) يعني وان لم يفتكم بذلك وأفتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعني كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيأ) يعني فلن تقدر على دفع أمر الله فيه (أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يطهرهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من أشد الآيات على القدرية (لهم في الدنيا خزي) يعني للمنافقين واليهود فاما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك أستارهم باظهار نفاقهم وكفرهم وأما خزي اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من أرض الحجاز الى غيرها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود ۞ قوله عز وجل (سماعون للكذب أكالون للسحت) نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف وغيره كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت وأصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا تكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم (عن أبي هريرة) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم أخرجه الترمذي وأخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فأهدي بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ۞ قوله عز وجل

يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يزيلونه ويميلونه من مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا موضع يحرفون صفة لقوم كقوله لم يأتوك أو خبر لمبتدا محذوف أي هم يحرفون والضمير في بعده يعود على لفظ الكلم (يقولون ان أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز أن يكون حالا من الضمير في يحرفون (فخذوه) واعلموا انه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وأفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) فاياكم واياه فهو الباطل روي ان شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا فأمرهم بالرجم فأبوا ان يأخذوا به (ومن يرد الله فتنته) ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا يريد الكفر (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضا (لهم في الدنيا خزي) للمنافقين فضيحة ولليهود جزية (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي التخليد في النار (سماعون للكذب) كرر للتأكيد أي هم سماعون ومثله (أكالون للسحت) وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة في الحكم قال وكانوا يأخذون الرشا في الاحكام وتحليل الحرام والتثقيل مكي وبصري وعلي

(فان جاؤك) يعني اليهود (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين الذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر قال ابن زيد كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيري ديتين وللقرظي دية واحدة لانه كان من بني النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الآية فخير نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم

(فصل) اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين أحدهما أنها منسوخة وذلك ان أهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا ان شاء حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا أعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال أحمد لانه لا منافاة بين الآيتين أما قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض وأما قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فأما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير الذي في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين وأما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم ۞ وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعني بالعدل والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعني العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفي أمثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول تأويلا يليق بها وهذا قول أكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين تنبيه على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة في حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله أعلم ۞ قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم أن الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفي الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من أجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعني ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم (وما أولئك) يعني اليهود (بالمؤمنين) يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما أولئك بالمصدقين لك ۞ قوله عز وجل (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه

(فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم ثم وقيل نسخ التخيير بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) فان قصدوا على الاضرار بك لان الله تعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التوراة وهي مبتدأ وخبره عندهم (ثم يتولون من بعد ذلك) عطف على يحكمونك أي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بك أو بكتابهم كما يدعون (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدي للحق (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام

والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور أن الهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) أراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك أن الله بعث في بني إسرائيل ألوفا من الأنبياء وليس معهم كتاب إنما بعثوا بإقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا أي انقادوا لأمر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لأنهم بعدوا عن الإسلام الذي هو دين الأنبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل أن يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الأنباري هذا رد على اليهود والنصارى لأن الأنبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لأمره ونهيه للذين هادوا يعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا (والربانيون والأحبار) أما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران وأما الأحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الأحبار واحدهم حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء إنما هو حبر بكسر الحاء وإنما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لأنه صاحب كتب وقال أبو عبيد إنما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم الذي يبقى من أثر علومه في قلوب الناس وأفعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه أحبار ومنه كعب الأحبار وقيل الحبر الأثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أي جماله وبهاؤه وإنما سمي العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والأحبار أم لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والأحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون أعلى درجة من الأحبار لأن الله تعالى قدمهم في الذكر على الأحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والأحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والأحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم بأحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والأحبار ۞ وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو أن يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو أن يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين أحدهما أن يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسوه بألسنتهم لئلا ينسوه والثاني أن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فإذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعني أن هؤلاء النبيين والربانيين والأحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون أنه حق وصدق وأنه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا أحدا من الناس في إظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يعني ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الأحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الأحكام لأجل خوف الناس كذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فإن كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يعني أن اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا إنه غير واجب عليهم فهم كافرون على الإطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

(يحكم بها النبيون الذين أسلموا) انقادوا لحكم الله في التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح وأريد بإجرائها التعريض باليهود لأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم (للذين هادوا) تابوا من الكفر واللام يتعلق بيحكم (والربانيون والأحبار) معطوفان على النبيون أي الزهاد والعلماء (بما استحفظوا) استودعوا قيل ويجوز أن يكون بدلا من بها في يحكم بها (من كتاب الله) من للتبيين والضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه أو للربانيون والأحبار ويكون الاستحفاظ من الأنبياء (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل (فلا تخشوا الناس) نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وامتثالها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد (واخشون) في مخالفة أمري وبالياء فيهما سهل وافقه أبو عمرو في الوصل (ولا تشتروا بآياتي) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وإن لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو ... الفاسقون

الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون في الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث في اليهود خاصة قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم أن حكما من أحكام الله تعالى التي أتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة لكن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحوه ما روي عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما من خفي عليه النص أو أخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله أعلم بمراده ﴿ قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فتقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم وأخبر أن اليهود بدلوه وغيروه وأخبر أيضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة وكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة وهو أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فما لهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤون العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس تقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي أنه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجاه في الصحيحين ﴿ وقوله تعالى (والعين بالعين) يعني تفقأ بها (والانف بالانف) يعني يجدع به (والأذن بالأذن) يعني تقطع بها (والسن بالسن) يعني تقلع بها وأما سائر الاطراف والاعضاء فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعني فيما يمكن أن يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والأذن والسن خص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فما يمكن أن يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها وأما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم أن هذه الآية دالة على أن هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا ومن أنكر ذلك قال انها ليست بحجة علينا وأصل هذه المسألة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في احدى الروايتين عنه أنه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي وهو الحق والالم يبق لاقراع معنى

عام في اليهود وغيرهم (وكتبنا عليهم فيها) وفرضنا على اليهود في التوراة (أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق (والعين) مفقوأة (بالعين والانف) مجدوع (بالانف والأذن) مقطوعة (بالأذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) أي ذات قصاص وهو ما قامة ومعناه ما يمكن فيه القصاص والاحكومة عدل وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقوله أن النفس بالنفس يدل على أن المسلم يقتل بالذمي والرجل بالمرأة والحر بالعبد نصب نافع وعاصم وحمزة رفع المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه ٧ أن للعطف على محل أن النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح والأذن بسكون الدال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت

(فمن تصدق) من أصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه السلام من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالامتناع عن ذلك (وقفينا) يعني قفيت الشيء بالشيء جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه قال قفاه يقفوه اذا تبعه (على آثارهم) على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا) هو حال من عيسى (لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة) أي وآتيناه الانجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا فنصب مصدقا بالعطف على ثابتا الذي تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابتا الذي قام مقامه فيه (وهدى وموعظة) انتصبا على الحال أي هاديا وواعظا (للمتقين) لانهم ينتفعون به (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الامر وأصله الكسر وانما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على انها لام كي أي وقفينا ليؤمنوا وليحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز أن يحمل على الجحود في الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ... الذي ... ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله (وأنزلنا اليك الكتاب) أي القرآن فحرف التعريف فيه للعهد (بالحق) بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطا

اذ يشكر أحد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما أوحي اليه سواء كان من شريعة من قبله أم لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآمدي من المتأخرين واحتج الاولون بصحة مذهبهم بان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدمنا لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال ۞ وقوله تعالى (فمن تصدق به) يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني (فهو كفارة له) في هاء له قولان أحدهما ان الهاء في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك أن المجروح أو ولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة أخرجه الترمذي وعن أنس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شيء فيه قصاص الا أمر فيه بالعفو أخرجه أبو داود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني أن المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما أجر العافي فعلى الله تعالى ۞ وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما أنزل الله عز وجل ۞ قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعني وعقبنا على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها لان عيسى عليه السلام نسخ بعض أحكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعني فيه هدى من الجهل وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار للاول لان في الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) انما قال وهدى مرة أخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ ۞ قوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قال أهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الانجيل فيكون هذا أخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم في كتابهم وهو الانجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القرآن قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل ووجوب التصديق به موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل ۞ قوله عز وجل (وأنزلنا اليك الكتاب) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق

الذي لا شك فيه أنه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعني أنه مصدق بجميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا ۞ والحق يعرفه ذوو الالباب

يريد أنه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن أمينا على الكتب التي قبله فيما أخبر أهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القرآن فقد صدقوا والا فلا (فاحكم بينهم بما أنزل الله) يعني اذا ترافع أهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي أنزله الله اليك (ولا تتبع أهواءهم) يعني ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعني ولا تنصرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع أهواءهم قط وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب في قوله منكم للامم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذا انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل أمة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار فمعنى شرع بين وأوضح وقيل هو من الشروع في الشيء والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها فأصل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن أبي طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على أصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه وأما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز أن يتعبد الله عباده في كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم بأسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على أن كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعني ولكن أراد أن

(مصدقا) حال من الكتاب (لما بين يديه) لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه لان ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه (من الكتاب) المراد به جنس الكتب المنزلة لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون (ومهيمنا عليه) وشاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أي بما في القرآن (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) نهي أن يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدي بعن فكأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم أو التقدير عادلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة (ومنهاجا) وطريقا واضحا واستدل به من قال ان شريعة من قبلنا لا تلزمنا ذكر الله انزال التوراة على موسى عليه السلام ثم انزال الانجيل على عيسى عليه السلام ثم انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وبين انه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال في الاول يحكم بها النبيون وفي الثاني وليحكم أهل الانجيل وفي الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة (ولكن) أراد (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر

(فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالموت أو بالعجز والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به (إلى الله مرجعكم) استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات (جميعا) حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لأنه في تقدير إليه ترجعون (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل (وأن احكم) معطوف على بالحق أي أنزلنا إليك الكتاب بالحق

يختبركم (فيما آتاكم) يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا أيها الأمة بالأعمال الصالحات التي تقربكم إلى الله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعا) يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والديانات في الدنيا فيخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب ۞ قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) قال ابن عباس إن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وإنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأن احكم بينهم بما أنزل الله يعني احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي أنزله الله في كتابه (ولا تتبع أهواءهم) يعني فيما أمروك به قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وإنما أنزلت في حكمين مختلفين أما الآية الأولى فنزلت في شأن رجم المحصن وأن اليهود طلبوا منه أن يجلده وهذه الآية نزلت في شأن الدماء والديات حين تحاكموا إليه في أمر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم وأعرض عنهم ۞ وقوله تعالى (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤوا إليك أن يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما أنزل الله إليك في كتابه واتباع أهوائهم (فإن تولوا) يعني فإن أعرضوا عن الإيمان بك والرضا بالحكم بما أنزل الله عليك (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني فاعلم يا محمد أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وإنما خص بعض الذنوب لأن الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء وأخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم إلى الآخرة (وإن كثيرا من الناس لفاسقون) يعني اليهود (أفحكم الجاهلية يبغون) يعني أفحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الأحكام وتحريفهم إياها عما أمر الله وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر إلى المدينة تحاكموا إليه فقالت بنو قريظة بنو النضير إخواننا أبونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فإن قتل بنو النضير منا قتيلا أعطونا سبعين وسقا من تمر وإن قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا مائة وأربعين وسقا وأرش جراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أحكم أن دم القرظي وفاء من دم النضري ودم النضري وفاء من دم القرظي ليس لأحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فإنك لنا عدو وإنك ما تألو في وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله أفحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعني أي حكم أحسن من حكم الله إن كنتم

وبأن احكم (بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك) أي يصرفوك أو هو مفعول له أي مخافة أن يفتنوك وإنما حذره وهو رسول مأمون لقطع أطماع القوم (عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الإبهام لتعظيم التولي وفيه تعظيم الذنوب فإن الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها (وإن كثيرا من الناس لفاسقون) لخارجون عن أمر الله (أفحكم الجاهلية يبغون) يطلبون وبالتاء شامي بخطاب بني النضير لما تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتيل بني قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك

فنزلت وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وانتصب أفحكم بيبغون (ومن أحسن) مبتدأ وخبره وهو استفهام في معنى النفي أي لا أحد أحسن (من الله حكما) تمييز (لقوم يوقنون) للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال أبو علي معنى لقوم عند قوم لأن اللام وعند يتقاربان في المعنى ونزل نهيا عن موالاة أعداء الدين

موقن

موقنين ان الله حكيم وانه عدل في أحكامه ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لأن خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني أبرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لا أبرأ من ولاية اليهود فاني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن أقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتد الأمر على طائفة من الناس وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودي وآخذ منه أمانا اني أخاف أن يدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه أمانا فأنزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل أصبعه في حلقه اشارة الى انه الذبح وانه يقتلكم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فنهى الله المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وأعوانا على أهل الايمان بالله ورسوله وأخبر انه من اتخذهم أنصارا وأعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه براء (بعضهم أولياء بعض) يعني أن بعض اليهود أنصار بعض على المؤمنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) يعني ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى متول أحدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضي دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روي أن أبا موسى الأشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله ألا اتخذت حنيفا يعني مسلما أما سمعت قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أبعدهم الله قلت انه لا يتم أمر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين ﴿قوله تعالى﴾ (فترى الذين في قلوبهم مرض) يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق (يسارعون فيهم) يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لأنهم كانوا أهل ثروة ويسار وكانوا يغشونهم ويخالطونهم لأجل ذلك نزلت في عبد الله بن أبي المنافق وفي أصحابه من المنافقين (يقولون) يعني المنافقين (نخشى أن تصيبنا دائرة) الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التي تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط اليهود لأنا نخشى أن يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور علينا الأمر كما كان قبل محمد (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) قال المفسرون عسى من الله واجب لأن الكريم اذا أطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار دينه على الأديان كلها واظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فأظهر دينه ونصر عبده وقيل أراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوها

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أي لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله (بعضهم أولياء بعض) وكلهم أعداء المؤمنين وفيه دليل على أن الكفر كله ملة واحدة (ومن يتولهم منكم فانه منهم) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة (فترى الذين في قلوبهم مرض) نفاق (يسارعون) حال أو مفعول ثان لاحتمال أن يكون فترى من رؤية العين أو القلب (فيهم) في معاونتهم على المسلمين وموالاتهم (يقولون) أي في أنفسهم لقوله على ما أسروا (نخشى أن تصيبنا دائرة) أي حادثة تدور بالحال التي يكونون عليها (فعسى الله أن يأتي بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من عنده) أي يؤمر النبي عليه السلام باظهار أسرار المنافقين وقتلهم

(فيصبحوا) أي المنافقون (على ما أسروا في أنفسهم) من النفاق (نادمين) حين يصبحوا (ويقول الذين آمنوا) أي ...
عند ذلك ويقول بصري عطفا على أن يأتي ويقول بغير واو شامي وحجازي على أنه جواب قائل يقول فماذا ...

حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم) أي أقسموا لكم بإغلاظ الإيمان إنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر في تقدير الحال أي مجتهدين في توكيد أيمانهم (حبطت أعمالهم) ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسمعة لا إيمانا وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيبا من سوء حالهم (فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والعقبى لفوات المثوبة ودوام العقوبة (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر يرتدد مدني وشامي (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) يرضى أعمالهم ويثني عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان وإثبات خلافة الصديق لأنه جاهد المرتدين وفي صحة خلافته

أي بلادهم أو أمر من عنده يعني أمره لنبيه بإجلاء أهل اليهود من أرض الحجاز وإخراجهم من بلادهم فلا تعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما ألقى في قلوبهم الرعب فخلوا ديارهم وخربوا بيوتهم بأيديهم وبأيدي المؤمنين ۞ وقوله تعالى (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به أنفسهم أن أمر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الأخبار إلى اليهود (ويقول الذين آمنوا) يعني ويقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم) وذلك أن المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما أظهروا الميل إلى موالاة اليهود والنصارى ويقولون إن المنافقين حلفوا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعنا ومن أنصارنا والآن كيف صاروا موالين لأعداء الله اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في أيمانهم الباطلة (حبطت أعمالهم) أي بطل كل خير عملوه لأجل ما أظهروا من النفاق وموالاة اليهود (فأصبحوا خاسرين) يعني أنهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة بإحباط ثواب أعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه ويرجع عن الإسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الإيمان فيختار إما اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من أصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وإنما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الإسلام قال الحسن علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف أن إحدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي بيته وقتله فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره في آخر ربيع الأول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستأتي قصة قتله فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وارتد سبع فرق في [زمن] أبي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الأيهم واختلف العلماء في المعني بقوله تعالى (فسوف يأتي [الله بقوم يحبهم] ويحبونه) فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب (٣) كما تقدم تفصيله إلا أهل المدينة وأهل البحرين من بني عبد القيس فإنهم ثبتوا على الإسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب

خلافة عمر رضي الله عنهما وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي ... وسموا

(٣) قوله ارتد عامة العرب الخ الذي تقدم ارتدادهم في زمن أبي بكر سبع فرق لا غير اهـ مصححه

(أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو ضد الصعوبة فقد غبي عليه أن ذلولا يجمع على

الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال أنس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال أبو بكر ابن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير إلى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فأهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد بذلك وحشي أنه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال إسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الأشعريون قوم أبي موسى الأشعري روى عن عياض بن غنم الأشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري أخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم أهل اليمن (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على إظهار الدين وقيل هم أحياء من أهل اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع المخبر به على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة وأما معنى المحبة فيقال أحببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا لأن يحبه والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد إنعامه عليه وتوفيقه وهدايته إلى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وأن يثيبه أحسن الثواب على طاعته وأن يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل أن يسارع إلى طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وأن يتحبب إليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه ﴿ وقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين أصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني أنهم أرقاء رحماء لأهل دينهم وإخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد لين جانبهم لإخوانهم المؤمنين وهم مع رفقهم ورحمتهم ولين جانبهم أشداء أقوياء غلاظ على أعدائهم الكافرين قال علي بن أبي طالب أذلة على المؤمنين يعني أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الأنباري أثنى الله على المؤمنين بأنهم يتواضعون للمؤمنين إذا لقوهم ويعنفون الكافرين إذا لقوهم وقيل إن الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كأنه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وإنما أتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم بل ذلك التذلل لأجل أنهم ضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله أعزة على الكافرين يعني أنهم أشداء أقوياء في أنفسهم وعلى أعدائهم (يجاهدون في سبيل الله) يعني أنهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم) يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون

أذلة قال الجوهري الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل (على المؤمنين) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع (أعزة على الكافرين) أشداء عليهم والعزاز الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته (يجاهدون في سبيل الله) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم وأعزة وأذلة (ولا يخافون لومة لائم) الواو يحتمل أن تكون للحال أي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود ولا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم وأن تكون للعطف أي من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين لا تزعهم لومة لائم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم واحد من اللوام

(ذلك) اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والجهاد وانتفاء خوف اللومة (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) كثير الفواضل (عليم) بمن هو من أهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) وانما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولي وان كان المذكور جماعة تنبيها على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع ولو قيل انما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع ومحل (الذين يقيمون الصلوة) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين أو النصب على المدح (ويؤتون الزكوة) والواو في (وهم راكعون) للحال أي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة قيل انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة وعلى أن الفعل القليل لا يفسد الصلاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يتخذه وليا أو يكن وليا (فان حزب الله هم الغالبون) من اقامة الظاهر مقام المضمر أي فانهم هم الغالبون أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم أي أصابهم وروي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذ [illegible] بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة

الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الآية أن من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصرة دين الله بيده أو بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ألهمهم الله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أن لا ننازع الامر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن [illegible] (والله واسع عليم) يعني أنه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه ﴿ قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أتولى الله ورسوله والمؤمنين يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك أنه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين لأن المؤمنين أولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لأن المنافقين كانوا يدعون أنهم مؤمنون الا أنهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم أما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه أحدها أن المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى أن المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لأوامر الله ونواهيه الوجه الثاني أن يكون المراد منه أن من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قال بعضهم ان هذه الآية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن أبي طالب قال السدي مر بعلي سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول الاول أولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن أبي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين آمنوا ﴿ وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتي بعدهم (فان حزب الله) يعني أنصار دين الله (هم الغالبون) لأن الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لأمر حزبه يعني أهمه ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام

وهم مع ذلك يعبدون الكفر ويشربونه (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود (والكفار) يعني عبدة الأصنام وإنما فصل بين أهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار لأن كفر المشركين من عبدة الأصنام أغلظ وأفحش من كفر أهل الكتاب (أولياء) يعني لا تتخذوهم أولياء والمعنى أن أهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أنتم أولياء وأنصارا (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) يعني مؤمنين حقا لأن المؤمن يأبى موالاة أعداء الله عز وجل ۞ قوله تعالى (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت هذه الآية في رجل من النصارى كان بالمدينة وكان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل إن الكفار والمنافقين كانوا إذا سمعوا الأذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد أبدعت شيئا لم يسمع به فيما مضى من الأمم قبلك فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء من أين لك صياح كصياح العير فما أقبح هذا الصوت وما أسمج هذا الأمر فأنزل الله عز وجل ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله الآية وأنزل وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) يعني أن هزوهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم ۞ قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا (هل تنقمون منا) يعني هل تكرهون منا وتعيبون علينا (إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين إلا الإيمان بالله وبما أنزل إلينا وبما أنزل على جميع الأنبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر أو ينقم منه وهذا كما قال بعضهم

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعني أنه ليس فيهم عيب إلا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وعازر وزيد وخالد وأزار بن أبي أزار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط إلى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن آمن به فأنزل الله هذه الآية وقيل إنهم قالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فأنزل الله هذه الآية قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وأن أكثركم فاسقون) يعني إنما كرهتم إيماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بأنا على الحق بسبب فسقكم وإقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الأموال بالباطل وإنما قال أكثركم لأن الله علم أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله ۞ قوله عز وجل (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) هذا جواب لليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من إيماننا بالله وبما أنزل علينا (مثوبة عند الله) يعني جزاء فإن قلت المثوبة مختصة بالإحسان لأنها في معنى الثواب فكيف جاءت في الإساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله

والكفار بصري وعلي عطف على الذين المجرورة أي من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار (أولياء واتقوا الله) في موالاة الكفار (إن كنتم مؤمنين) حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها) أي الصلاة أو المناداة (هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) لأن لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) يعني هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وأن أكثركم فاسقون) وهو عطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم فاسقون والمعنى أعاديتمونا لأنا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا في ذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله مع أنكم فاسقون (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وإن كانت مختصة بالإحسان لكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب أليم وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مستوجبون العقوبة فقيل لهم

(من لعنه الله) ثم عقوبة في الحقيقة من أهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة الى المتقدم أي الايمان أي بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا أي جزاء ولابد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله (وغضب عليه وجعل منهم القردة) يعني أصحاب السبت (والخنازير) أي كفار (٥٠٨) أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة و[illegible] مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أي العجل أو الشيطان لان عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير أي جعل الله منهم عبد الطاغوت (أولئك) الممسوخون الملعونون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله للمبالغة (وأضل عن سواء السبيل) عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الباء للحال أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وهو متعلق بقالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه حالهم (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من النفاق (وترى كثيرا منهم) من اليهود (يسارعون في الاثم) الكذب (والعدوان) الظلم أو الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة (وأكلهم السحت) الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيئا عملوه (لولا) هلا وهو تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار

٥ تحجيتهم ضرب وجيع ٥ ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أنبئكم بشر من أهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك ۞ وقوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل أنبئكم بمن لعنه الله وهو من لعنه الله ومعنى لعنه الله أبعده وطرده عن رحمته (وغضب عليه) يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من (وجعل منهم القردة والخنازير) يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من أطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (أولئك) يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخة (شر مكانا) يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به أهله فهو من باب الكناية وقيل أراد ان مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه (وأضل عن سواء السبيل) يعني وأخطأ عن قصد طريق الحق ۞ قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا آمنا) قال قتادة نزلت في أناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه انهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الايمان فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج (والله أعلم بما كانوا يكتمون) يعني من الكفر الذي في قلوبهم ۞ قوله عز وجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل أن تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة في الشيء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة أكثر استعمالها في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكر المسارعة في قوله يسارعون (في الاثم والعدوان وأكلهم السحت) لفائدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان وأكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان وأكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غيرهم (لبئس ما كانوا يعملون) يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان وأكلهم السحت ۞ قوله تعالى (لولا) يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء أهل الانجيل والاحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم

(عن قولهم الإثم) يعني الكذب (وأكلهم السحت) والمعنى هلا نهى الأحبار والرهبان اليهود عن
قولهم الإثم وأكلهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعني الأحبار والرهبان إذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي
وهذا يدل على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لأن الله تعالى ذم الفريقين في هذه الآية قال ابن
عباس ما في القرآن أشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها ۞ قوله
عز وجل (وقالت اليهود يد الله مغلولة) نزلت هذه الآية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس إن الله كان
قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم
وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة
عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى إلى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال
هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم أن الله تعالى أشركهم معه في هذه المقالة
فقال تعالى إخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن
عذابنا فليس يعذبنا إلا بقدر ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبد آباؤنا العجل والقول الأول أصح لقوله تعالى
ينفق كيف يشاء واعلم أن غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب أن اليد آلة لكل الأعمال لا سيما لدفع
المال وإنفاقه وإمساكه فأطلقوا اسم السبب على المسبب وأسندوا الجود والبخل إلى اليد مجازا فقيل
للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد ۞ وقوله تعالى (غلت أيديهم ولعنوا
بما قالوا) يعني أمسكت أيديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال أنا الجواد
الكريم وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم
فقال غلت أيديهم أي في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة أي شدت أيديهم إلى أعناقهم وطرحوا في
النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم أنهم مسخوا في الدنيا قردة
وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار ۞ وقوله تعالى (بل يداه
مبسوطتان) يعني أنه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب اليهود ورد عليهم ما افتروه واختلقوه
على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وإنما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم وأما الكلام في اليد فقد
اختلف العلماء في معناها على قولين أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء أهل السنة وبعض المتكلمين
أن يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الإيمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت
في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه
وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل فإنهم قالوا اليد
تذكر في اللغة على وجوه أحدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد أشكره عليها
وثالثها القدرة قال الله تعالى أولي الأيدي والأبصار فسروه بذوي القوى والعقول ويقال لا يد لك بهذا الأمر
والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان أي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده
عقدة النكاح أي يملك ذلك أما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل لأن العقل دل على أنه يمتنع أن تكون
يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية
والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك أن تكون يد الله بمعنى الجارحة وأما سائر المعاني التي فسرت اليد بها
فحاصلة لأن أكثر العلماء من المتكلمين زعموا أن اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة
وههنا إشكالان أحدهما أن اليد إذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق بإثبات
اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وأجيب عن هذا الإشكال بأن اليهود لما جعلوا قولهم يد الله

عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) هذا أذم العلماء والأول (٥٠٩) للعامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد
آية في القرآن حيث أنزل
تارك النهي عن المنكر منزلة
مرتكب المنكر في الوعيد
(وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت أيديهم ولعنوا
بما قالوا بل يداه مبسوطتان)
روي أن اليهود لعنهم الله
لما كذبوا محمدا عليه
السلام كف الله ما بسط
عليهم من السعة وكانوا من
أكثر الناس مالا فعند ذلك
قال فنحاص يد الله مغلولة
ورضي بقوله الآخرون
فأشركوا فيه وغل اليد
وبسطها مجاز عن البخل
والجود ومنه قوله تعالى ولا
تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
ولا تبسطها كل البسط ولا
يقصد المتكلم به إثبات يد
ولا غل ولا بسط حتى أنه
يستعمل في ملك يعطي ويمنع
بالإشارة من غير استعمال
اليد ولو أعطى الأقطع إلى
المنكب عطاء جزلا لقالوا ما
أبسط يده بالنوال وقد استعمل
حيث لا تصح اليد يقال بسط
اليأس كفيه في صدري
فجعل لليأس الذي هو من
المعاني كفان ومن لم ينظر
في علم البيان يتحير في تأويل
أمثال هذه الآية وقوله غلت
أيديهم دعاء عليهم بالبخل
ومن ثم كانوا أبخل خلق الله
أو تغل في جهنم فهي كأنها
غلت وإنما ثنيت اليد في بل
يداه مبسوطتان وهي
مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه فغاية ما يبذله السخي أن يعطيه بيديه

(ينفق كيف يشاء) تأكيد لوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة (وليزيدن كثيرا منهم) من اليهود (ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فكلامهم أبدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهوديا في بلد الا وقد وجدته من أذل الناس

مغلولة كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان أي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من أعطى بيديه فقد أعطى على أكمل الوجوه الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد وتم الله غير محصورة لا تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر و[illegible] ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة أجاب أصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى أخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته أو بنعمته أو بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه فهو لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه وينقلبون في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن أبي الحسن الاشعري قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة لامتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلابد من اثبات صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه وأجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة بان الاسم اذا ثنى لا يؤدى في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يؤدى عن الجنس أيضا قالوا وخطأ في كلام العرب أن يقال ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لان الدرهم اذا ثنى لا يؤدى في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى عن جنسه كما تقول العرب ما أكثر الدرهم في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لان الواحد يؤدى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعني انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق أنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض هذا الحديث أيضا أحد أحاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف في قوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعني كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) يعني ألقينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل ألقى ذلك بين طوائف اليهود جعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى أيضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حصلت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين أما في الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) يعني كلما أفسد اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكهم أفسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلي ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله

(ويسعون في الأرض فسادا) ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر النبي عليه السلام من كتبهم (والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عددنا من سيئاتهم (واتقوا) أي وقرنوا ايمانهم

بقلبهم المجوس وهم الفرس ثم أفسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة أبدا وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأها الله تعالى وقال السدي كلما أجمعوا أمرهم على شيء ليفسدوا به أمر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما أوقدوا نارا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأها الله وأخمد نارهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون في الأرض فسادا) يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعني ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من أذل الناس فيها وهم أبغض خلق الله اليه ۞ قوله تعالى (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه وبما جاء به (واتقوا) يعني اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيئاتهم) يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله (ولأدخلناهم جنات النعيم) يعني مع المسلمين يوم القيامة (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) يعني أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر أهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع أنهما منسوخان قلت لا بل المعنى أنه أمرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القرآن ۞ وقوله تعالى (وما أنزل اليهم من ربهم) فيه قولان أحدهما ان المراد به كتب أنبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب ارمياء وزبور داود وفي هذه الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد اقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما أنزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكأنه نزل اليهم من ربهم (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني أن اليهود لما أصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم أصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فأخبر الله أنهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر وأخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم أمة مقتصدة) أي عادلة والاقتصاد في العمل من غير غلو ولا تقصير وأصله من القصد لان من عرف مقصوده طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا (وكثير منهم) يعني من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود (ساء ما يعملون) يعني بئس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم ۞ قوله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية روي عن الحسن أن الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فأنزل هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وأمره بان يقول لهم يا أهل الكتاب لستم على شيء الآية وقيل نزلت هذه الآية في أمر الجهاد وذلك أن المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سأل عنه

بالتقوى (لكفرنا عنهم سيئاتهم) ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) أي أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليهم من ربهم) من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكأنها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن (لأكلوا من فوقهم) يعني الثمار من فوق رؤسهم (ومن تحت أرجلهم) يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الآية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هي الطائفة المؤمنة

وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى (وكثير منهم ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه وغيرهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) جميع ما أنزل اليك وأي شيء أنزل اليك غير مراقب

اليهود ومعنى الآية يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن أحدا ولا تترك شيئا مما أنزل اليك من ربك وان أخفيت شيئا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعني ان كتمت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني أنه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما أنزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم شيئا مما أوحي اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته يوم أحد وقد أوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد به أنه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه أحد أراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط على سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية أخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال الناس انصرفوا فقد عصمني الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ما شج رأسه في يوم أحد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبري ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته الى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه ﴿ قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شيء مما تدعون انه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد ألست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة أنها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فانا بريء من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما في أيدينا فانا على الحق

في تبليغها أحدا ولا تخاف أن ينالك مكروه (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت رسالته) رسالاته مدني وشامي وأبو بكر أي فلم تبلغ اذا ما كلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس بأولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن قالت الملحدة لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تأكله فانك ما أكلته قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلغ ما أنزل اليك من ربك في المستقبل فان لم تفعل أي ان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا أو بلغ ما أنزل اليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلا أو بلغ ذلك غير خائف أحدا فان لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ (والله يعصمك من الناس) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وان شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته أو نزلت بعد ما أصابه ما أصابه والناس الكفار بدليل قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لبطلانه

(حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اضافة زيادة الكفر والطغيان الى القرآن بطريق التسبيب (فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تتأسف عليهم فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك (ان الذين آمنوا) بالسنتهم وهم المنافقون ودل عليه قوله لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم (والذين هادوا والصابئون والنصارى) قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فانى وقيار بها لغريب

أى فانى لغريب وقيار كذلك ودل اللام على انه خبر ان ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لان ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر لاتقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان فما الظن بغيرهم ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر ان والراجع الى اسم ان محذوف تقديره من آمن منهم (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لاتهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم مما يشق عليهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم

والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فأنزل الله قل ياأهل الكتاب لستم على شئ (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل اليكم من ربكم (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) ﴿ وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الكافرين) يعنى فلا تحزن يامحمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل ان أهل الكتاب ليسوا على شئ مالم يؤمنوا بين فى هذه الآية ان هذا الحكم عام فى كل أهل الملل وانه لايحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لايتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضى ان يقال والصابئين وكذا قراءة أبى بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة فى عطف الصابئين على من قبلهم هى ان الصابئين أشد الفرق المذكورة فى هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبؤا عن الاديان كلها يعنى خرجوا لانهم صبؤا الى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى فى أول الآية ان الذين آمنوا ثم قال فى آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون ففى هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا أى بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعنى من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهى ان الايمان يدخل تحته أقسام كثيرة وأشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على أن أشرف أقسام الايمان هذان القسمان وفى قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعنى وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذى يراد به وجه الله تعالى (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) يعنى فى الآخرة قوله عز وجل (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) يعنى أخذنا العهود عليهم فى التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه (وأرسلنا اليهم رسلا) يعنى لبيان الشرائع والاحكام (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم) يعنى بما يخالف أهواءهم ومشتهياتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعنى من الرسل الذين جاءتهم (وفريقا يقتلون) يعنى من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم

[illegible] والحال الماضية استفظاعاً للقتل وتنبيهاً على أن القتل من شأنهم واتصف في يقتلوا في يقتلون على أنه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى (وحسبوا أن لا تكون) حمزة وعلي وأبو عمرو على أن أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون خففت أن وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق (فتنة) بلاء وعذاب أي وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل وسدهم مايشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد مفعولي حسب (فعموا وصموا)

فلم يعملوا إبصاراً أو أولاً بما سمعوا أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ (ثم تاب الله عليهم) رزقهم التوبة (ثم عموا وصموا كثير منهم) هو بدل من الضمير أي الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم أعمالهم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (إنه من يشرك بالله) في عبادته غيره [illegible] (فقد حرم الله عليه الجنة) التي هي دار الموحدين [illegible] (ومأواه النار) أي [illegible] (وما للظالمين [illegible]) أي [illegible]

وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وإنما فعلوا ذلك نقضاً للميثاق وجراءة على الله عز وجل [illegible] لأمره ﴿ قوله تعالى (وحسبوا) يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء (أن لا تكون فتنة) يعني أن لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي فعلوه وإنما حملهم على هذا الظن الفاسد أنهم كانوا يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا أن لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل إنما قدموا على ذلك لاعتقادهم أن آباءهم وأسلافهم يدفعون العذاب في الآخرة (فعموا وصموا) يعني أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق [illegible] قوة كفرهم وإعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعني أنهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) يعني في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لأنهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل إن العمى والصمم الأول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (كثير منهم) من اليهود لأن بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه (والله بصير بما يعملون) يعني من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل ﴿ قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الإخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لا يقولون إن مريم ولدت إلهاً لأنهم يقولون إن الإله حل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار إلهاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني إسرائيل عند مبعثه إليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والإقرار لله بالربوبية وإن دلائل الحدوث ظاهرة عليه (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعني أنه من يجعل له شريكاً من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني إذا [illegible] شركه (ومأواه النار) يعني أنه يصير إلى النار في الآخرة (وما للظالمين) يعني وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك (من أنصار) يعني ما لهم من أنصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة ﴿ قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى وفي تفسير قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين أنهم أرادوا بهذه المقالة أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وأن الإلهية مشتركة بينهم وأن كل واحد منهم إله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه إضمار تقديره أن الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة [illegible]

[illegible] (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) أي ثالث ثلاثة آلهة والإشكال [illegible] الواحدي [illegible] لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وأجوا [illegible] لأن الله ربما يتجلى في بعض الأزمان في شخص فتجلى في ذلك الوقت في [illegible] الآلهة وبعضهم ذهبوا إلى آلهة ثلاثة الله ومريم والمسيح وأنه ولد الله من [illegible] عليه مثلها اهـ

(ومامن اله الا اله واحد) للاستغراق أى ومامن اله فى الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لاثانى له وهو الله وحده لاشريك له ومن فى قوله (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتى فى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم يقل ليمسنهم لان فى اقامة الظاهر مقام المضمر تكرير الشهادة عليهم بالكفر أو للتبعيض أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية

الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه مامن اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى فى سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثانى ان المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالماء وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم أن هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى فى الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا أخبر الله عنهم فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بأنه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد ذلك هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا أولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (ومامن اله الا اله واحد) يعنى انه ليس فى الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لاثانى له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون) يعنى وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعنى ليصيبن الذين أقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذى ليس بمرضى عذاب وجيع فى الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم أنه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (أفلا يتوبون الى الله) يعنى من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الامر أى توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعنى لمن استغفره وتاب اليه (رحيم) به وبسائر خلقه ﴿ قوله عز وجل (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعنى المسيح رسول من رسل الله عز وجل ليس باله ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما أن الذين من قبله أتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وأمه صديقة) يعنى انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه ﴿ وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعنى ان المسيح وأمه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بنى آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه ألم الجوع وألم العطش ولم يجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من أكل وشرب لابد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى انظر يا محمد (كيف نبين لهم الآيات) يعنى الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله ﴿ قوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى قل

(عذاب أليم) نوع شديد الالم من العذاب (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (ما المسيح ابن مريم الا رسول) فيه نفى الالوهية عنه (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول أى ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وابراؤه الاكمه والابرص واحياؤه الموتى لم يكن منه لانه ليس الفاعل الله أبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى (وأمه صديقة) أى وما أمه أيضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه ثم أبعدهما عما نسب اليهما

بقوله (كانا يأكلان الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف كغيره من الاجسام (انظر كيف نبين لهم الآيات) أى الاعلام من الادلة الظاهرة على [illegible] قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى فى ذهابهم عن [illegible] فرق بين الرب والمربوب (قل أتعبدون من دون الله

يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعني لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فإن الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدونه من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون إلها (والله هو السميع العليم) يعني انه تعالى سميع لأقوالكم وكفركم عليم بما في ضمائركم

❁ قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذمومان في الدين (غير الحق) يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا في الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام فأما غلو اليهود فالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشدة وأما غلو النصارى فمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه إلها وكلا الغلوين مذموم (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) الأهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا وذمه وقال أبو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والمخاطب في قوله ولا تتبعوا أهواء قوم اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة بأهوائهم وهو المراد بقوله أهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (وأضلوا كثيرا) يعني من اتبعهم على ضلالتهم وأهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعني وأخطؤوا عن قصد طريق الحق

❁ قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) قال أكثر المفسرين هم أصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتي قصتهم في سورة الأعراف (وعيسى ابن مريم) يعني وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار أصحاب المائدة لما أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتي قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بأنهم ويقولون نحن من أولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بأنهم ملعونون على ألسنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا ينتهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام في لبئس لام القسم أي اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله

ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) هو عيسى عليه السلام أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب لأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره منافٍ للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه

(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الالوهية وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة (غير الحق) صفة لمصدر محذوف أي غلوا غير الحق يعني غلوا باطلا (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أي أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن تابعهم (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) قيل ان أهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) من قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل أنهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله (لبئس ما كانوا يفعلون) وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عنه

قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم إلى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية أو ليضربن الله بقلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا قال الترمذي هذا الحديث حسن غريب قوله أكيله وشريبه وقعيده هو المؤاكل والمشارب والمقاعد وكل ذلك فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الأطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه إلى الحق الذي خالفه والقصر الحبس على الشيء ﴿ قوله عز وجل (ترى كثيرا منهم) يعني من اليهود مثل كعب بن الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) يعني يوالون المشركين من أهل مكة وذلك حين خرجوا إليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) يعني بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة (أن سخط الله عليهم) يعني بما عملوا من موالاة الكفار (وفي العذاب هم خالدون) يعني في الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) يعني ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه نبي مبعوث إلى كافة الخلق (وما أنزل إليه) يعني ويؤمنون بالقرآن الذي أنزل إليه من ربه (ما اتخذوهم أولياء) يعني ما اتخذوا الكفار أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعني ولكن أكثرهم خارجون عن طاعة الله وأمره وإنما قال كثيرا لأنه علم أن منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ قوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد إنك لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين أشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الأصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) وصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود أنه يجب عليهم إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم في الدين بأي طريق كان مثل القتل ونهب المال أو بأنواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فإن الإيذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل إن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره وأما النصارى فإن فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فإنه لا يحسد أحدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى (ذلك بأن منهم) يعني من النصارى (قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فإن معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن من النصارى مثل النجاشي … القس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية وأما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فإن قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت إنما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر أن يكون مدحا

(ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم) لبئس شيئا قدموه لأنفسهم سخط الله عليهم أي موجب سخط الله (وفي العذاب هم خالدون) أي في جهنم (ولو كانوا يؤمنون بالله) إيمانا خالصا بلا نفاق (والنبي) أي محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل إليه) يعني القرآن (ما اتخذوهم أولياء) ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين تدل على نفاقهم (ولكن كثيرا منهم فاسقون) مستمرون في كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه يعني التوراة ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلا (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) هو مفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز (والذين أشركوا) عطف عليهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) اللام تتعلق بعداوة ومودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) أي علماء وعبادا (وأنهم لا يستكبرون) علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا

(ومالنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وما التأنيث أو خبر ولا نؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وما جاءنا) وبما جاءنا (من الحق) يعنى محمدا عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل فى نؤمن والتقدير ونحن نطمع (أن يدخلنا ربنا) الجنة (مع القوم الصالحين) الانبياء والمؤمنين (فأثابهم الله بما قالوا) أى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على أن الاقرار داخل فى الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية فى أن الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع فى السباق وبالاحسان فى السياق يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق

أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الردفى حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلوى يحب الحلواء وعن الحسن انه دعى الى طعام ومعه فرقد السبخى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره قال فيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى الفالوذ

الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية ومالنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) يعنى ونرجو بذلك الايمان (أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعنى مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (فأثابهم الله بما قالوا) يعنى بالتوحيد الذى قالوه وأعطاهم الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على انه لاصيهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقى الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعنى المؤمنين الموحدين المخلصين فى ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمنى أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (أولئك أصحاب الجحيم) ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى[٣] وهم أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسيحون فى الارض فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما بلغنى عن زوجك وأصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدى سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله

[٣] قوله وهم أبو بكر الخ فيه ان المعدود تسعة وفى الخطيب ان العاشر عثمان بن مظعون لكن ينافيه قول الخازن فأتى هو وأصحابه العشرة نعم عبارة الخطيب خالية من ذلك اهـ مصححه

(وما لنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه والطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وما لنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما (وما جاءنا) وبما جاءنا (من الحق) يعنى محمدا عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل فى نؤمن والتقدير ونحن نطمع (أن يدخلنا ربنا) الجنة (مع القوم الصالحين) الانبياء والمؤمنين (فأثابهم الله بما قالوا) أى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على أن الاقرار داخل فى الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية فى أن الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع فى السباق و بالاحسان فى السياق يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال (٥٢٠)

أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الرد فى حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم حلفوا ان يترهبوا و يلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلوى يحب الحلواء وعن الحسن انه دعى الى طعام ومعه فرقد السبخى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره قال فيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى الفالوذ وما

الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية وما لنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عند الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) حتى ونرجو بذلك الايمان (أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعنى مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله تعالى (فأثابهم الله بما قالوا) يعنى بالتوحيد الذى قالوه وأعطاهم على الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الأنهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقى الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعنى المؤمنين الموحدين المخلصين فى ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمنى أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (أولئك أصحاب الجحيم) ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى [٣] وهم أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون و يلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسيحون فى الارض فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما بلغنى عن زوجك وأصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدى سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله

[٣] قوله وهم أبو بكر الخ فيه ان المعدود تسعة وفى الخطيب ان العاشر عثمان بن مظعون لكن ينافيه قول الخازن فأتى هو وأصحابه العشرة ثم عبارة الخطيب خالية من ذلك اهـ مصححه

(وما لنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وما لنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وما جاءنا) وبما جاءنا (من الحق) يعنى محمدا عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل فى نؤمن والتقدير ونحن نطمع (أن يدخلنا ربنا) الجنة (مع القوم الصالحين) الانبياء والمؤمنين (فاثابهم الله بما قالوا) أى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على أن الاقرار داخل فى الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية فى أن الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع فى السباق وبالاحسان فى السياق يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة الموجود فيهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الرد فى حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلوى يحب الحلواء وعن الحسن انه دعى الى طعام ومعه فرقد السبخى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية وسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره قال فيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى الفالوذ

الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية وما لنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عند الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) يعنى ونرجو بذلك الايمان (أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعنى مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (فاثابهم الله بما قالوا) يعنى بالتوحيد الذى قالوه وأعطاهم على الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقى الموعود عليه الثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعنى المؤمنين الموحدين المخلصين فى ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمنى أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (أولئك أصحاب الجحيم) ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وهم أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسيحون فى الارض فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما بلغنى عن زوجك وأصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدى سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله

٣ قوله وهم أبو بكر الخ فيه ان المعدود تسعة وفى الخطيب ان العاشر عثمان بن مظعون لكن ينافيه قول الخازن فأتى هو وأصحابه العشرة ثم عبارة الخطيب خالية من ذلك اهـ مصححه

أردنا إلا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لم أومر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فإني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الديار والصوامع فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم يعني الطيبات اللذيذات التي تشتهيها الأنفس وتميل إليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية أن شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وأنه لا ينبغي أن تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فإن من اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر أما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع إلى الله والتفرغ لعبادته من غير إضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مأمور بها ﴿ وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يعني ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا أنفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالإسراف في الطيبات (إن الله لا يحب المعتدين) يعني المجاوزين الحلال إلى الحرام ﴿ وقوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعني وكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم وأحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غذى وأنمى فأما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذي فيكره إلا على وجه التداوي وعن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن أبي هريرة قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها قالت عائشة ما كان الذراع أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم إلا غبا وكان يعجل إليه الذراع لأنها أعجلها نضجا أخرجه الترمذي ﴿ وقوله تعالى (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) هذا تأكيد للوصية بما أمر الله تعالى به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر الله به وعما نهى عنه وفي الآية دليل على أن الله عز وجل قد تكفل برزق كل أحد من عباده فإنه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله وإذا تكفل برزق العبد وجب أن لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وأن يعول على ما وعده الله وتكفل به فإنه تعالى أكرم من أن يخلف الوعد ﴿ قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) قال ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الأيمان في سورة البقرة ﴿ وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) يعني ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بمأخوذ بلغو تقوله ۞ إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفي الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذفه لأنه معلوم عند السامع (فكفارته)

(ولا تعتدوا) ولا تجاوزوا الحد الذي حد عليكم في تحليل أو تحريم أو ولا تعتدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات (إن الله لا يحب المعتدين) حدوده (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) حلالا حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله (الذي أنتم به مؤمنون) لأن الإيمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو أن يحلف على شيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف بأيماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يجري على اللسان بلا قصد (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أي بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها والتخفيف كوفي غير حفص والعقد العزم على الوطء ولا يتصور في الماضي فلا كفارة في الغموس وعند الشافعي رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف (فكفارته) أي فكفارة نكثه أو فكفارة معقود الأيمان والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها

يعني فكفارة أيمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم (اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) يعني
من أقصده ذلك لان من الناس من يسرف في اطعام أهله ومنهم من يقتر عليهم فأمر الله بالتوسط في أداء
الكفارة وقيل أراد بالاوسط في القيمة فلا يكون غاليا من أعلى الموجود ولا خسيس الثمن بل أراد
بل الوسط في القيمة وقيل أراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شئ في كتاب الله أوسط فهو أفضل فعلى
هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون أهليكم وأفضله (أو كسوتهم) هو معطوف على محل أوسط أي كاطعام
المساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم فكذلك فاكسوهم من أوسط الكسوة (أو تحرير رقبة) يعني
عتق رقبة والمراد جملة الشخص

«فصل في حكم الآية» وفيه مسائل «المسألة الاولى» في بيان الكفارة وهي أربعة أنواع • النوع
الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم
الى أنه يطعم لكل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من
قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب
والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعائشة
أنه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال أهل العراق وقال أبو حنيفة ان أطعم من الحنطة
فنصف صاع وان أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أحمد بن
حنبل يطعم لكل مسكين مدا من البر أو نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك
الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال أبو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة
كالدراهم والدنانير وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب اخراج الحب
وجوزه أبو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة أيام • النوع الثاني من الكفارات
الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب قوم الى أنه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم
الكسوة ازار أو رداء أو قميص أو عمامة أو سراويل أو كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد
وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب أن يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل
ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخمارا وقال أحمد للرجل ثوبا وللمرأة ثوبين درعا وخمارا وهو أدنى ما يجزي
وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال أبو موسى الاشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن
سيرين وقال ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة • النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق
رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات وأجاز أبو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة الكافرة في
الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل
على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة بالاجماع ويشترط أن تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو أعتق
في الكفارة مكاتبا أو أم ولد أو عبدا اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هؤلاء
لا يجزئ في اعتاق الكفارة وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب في الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيئا
وجوزوا عتق القريب في الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزئ
مقطوع اليد أو الرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع
الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند أبي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع
الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولا يجوز عتق مقطوع الاذنين في الكفارة • النوع الرابع من
الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعني الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) يعني فاذا عجز من لزمته
كفارة اليمين عن الاطعام أو الكسوة أو العتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة

(اطعام عشرة مساكين) هو أن يغديهم ويعشيهم ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل أحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو صاع من تمر وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين (من أوسط ما تطعمون أهليكم) أي غداء وعشاء من بر اذ الاوسط ثلاث مرات مع الادام والادنى مرة من تمر أو شعير (أو كسوتهم) عطف على اطعام أو على محل من أوسط ووجهه ان من أوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود في الكلام وهي ثوب يغطي العورة وعن ابن عمر رضي الله عنه ازار وقميص ورداء (أو تحرير رقبة) مؤمنة أو كافرة لاطلاق النص وشرط الشافعي رحمه الله الايمان حملا للمطلق على المقيد في كفارة القتل ومعنى أو التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث (فمن لم يجد) احداها (فصيام ثلاثة أيام) متتابعة لقراءة أبي وابن مسعود كذلك

أيام يعني فعليه صيام ثلاثة أيام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة
مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر يجوز له الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام
اذا لم يكن عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام
وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين أحدهما
أنه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة
وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وأحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شاء
تابع وان شاء فرق والتتابع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي ﴿المسئلة الثانية﴾
كلمة أو للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء أطعم وان شاء كسا وان شاء أعتق فبأيها أخذ المكفر
فقد أصاب وخرج عن العهدة ﴿المسئلة الثالثة﴾ لا يجوز صرف شيء من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج
فلو صرف الى ذمي أو عبد أو غني لا يجزيه وجوز أبو حنيفة صرفها الى أهل الذمة واتفقوا على أن صرف
الزكاة الى أهل الذمة لا يجوز ﴿المسئلة الرابعة﴾ اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى
جوازه لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر
عن يمينه وليفعل الذي هو خير أخرجه الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانها ان أتتك عن مسئلة وكلت اليها وان أتتك من غير مسئلة أعنت
عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فائت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن
عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا أن الشافعي
قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام أو الكسوة والعتق وقال أبو حنيفة
لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث ۞ وقوله (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام أو الكسوة
أو العتق أو الصوم عند العجز (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين
انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى أن تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث
كما تقدم (واحفظوا أيمانكم) يعني قللوا أيمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر

⁕ قليل الألايا حافظ ليمينه ⁕ وصفه بأنه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا أيمانكم عن الحنث اذا حلفتم
لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب أو فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل
الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان
شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير أخرجاه في الصحيحين
۞ قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعني كما بين لكم كفارة أيمانكم اذا حنثتم كذلك يبين
لكم جميع ما تحتاجون اليه في أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني نعمه التي أنعم بها عليكم أن بين لكم
آياته ومعالم شريعته ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس)
لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله في هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات
المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرها في سورة
البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة و يذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا
يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس في اللغة الشيء الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعني من
تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليه وليس المراد انهما من عمل يديه (فاجتنبوه) يعني كونوا جانبا منه والضمير في

(ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا أو ولا تحلفوا أصلا (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) أي القمار (والانصاب) الاصنام لانها تنصب فتعبد (والازلام) وهي القداح التي مرت (رجس) نجس أو خبيث مستقذر (من عمل الشيطان) لانه يحمل عليه فكأنه عمله والضمير في (فاجتنبوه) يرجع الى الرجس أو الى عمل الشيطان أو الى المذكور أو الى المضاف المحذوف كأنه قيل انما تعاطي الخمر والميسر ولذا قال رجس

قوله فاجتنبوه يعني الرجس لانه اسم جامع للكل كأنه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعني لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس ۞ قوله تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى أبو ميسرة أن عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا أخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية أبي ميسرة هذه أصح وأخرجه أبو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن أبيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل أن تحرم حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل منكم فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير منكم فأخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره فأتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا فلان أخي وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وأما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر يعني انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما أفضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها وأما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله أعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بأمر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بأمر الدين وهي قوله تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية الاولى ثم أفرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الخمر والميسر لاجرم أفردهما بالذكر في آخر الآية والله أعلم ۞ وقوله تعالى (فهل أنتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه الامر أي انتهوا وهذا من أبلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر وأظهر قبحهما للمخاطب كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم منتهون مع هذه الامور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد أنواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل أنتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام أخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وأبو داود ما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان

(لعلكم تفلحون) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه لخبث شارب الخمر كعابد وثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتي منه الا الشر البحت وأمر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كأنه قال وعن الصلاة خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام أولا ثم أفردهما آخرا لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكأنه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم أفردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم

تاب

يتب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لن يقبل الله له صلاة
أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب لم يتب عليه
وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد أهل النار أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وأخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها
ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه أخرجه أبو داود ۞ قوله عز وجل (وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول) يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه (واحذروا) أي واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فان توليتم) يعني فان أعرضتم عما أمركم به ونهاكم عنه (فاعلموا أنما
على رسولنا البلاغ المبين) وهذا وعيد وتهديد لمن أعرض عن أمر الله ونهيه كأنه قال فاعلموا انكم بسبب
توليكم واعراضكم قد استحققتم العقاب والسخط ۞ قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا) الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون
الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها
قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر
فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لا حرج ولا اثم عليهم فيما
شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم أطعم خبزا ولا ماء
ولا نوما قال الشاعر

فان شئت حرمت النساء سواكم ۞ وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم (اذا ما اتقوا) يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم (وآمنوا) يعني
بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) أي وازدادوا من عمل الصالحات (ثم اتقوا وآمنوا) يعني اتقوا الخمر والميسر
بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه
والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم وأمروا باتقائها والايمان بتحريمها (ثم اتقوا) يعني ما حرم عليهم في
المستقبل (وأحسنوا) يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث
اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرار التأكيد والمبالغة في الحث على الايمان
والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى (والله يحب المحسنين) يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان
والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه
المقامات من أشرف الدرجات وأعلاها (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم ومعناه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى
والاحسان ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد) نزلت هذه الآية عام الحديبية
وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها وصيدها
فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله الآية اللام في ليبلونكم لام القسم أي ليختبرن طاعتكم
من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون البحر وقيل أراد الصيد
في حالة الاحرام دون الاحلال وانما قال بشيء من الصيد ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها
أقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الأموال والأرواح وانما هو ابتلاء سهل
كما ابتلي أصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم أمة محمد صلى الله عليه

عليه كان لم يعملوا ولم يزجروا
(وأطيعوا الله وأطيعوا
الرسول واحذروا) وكونوا
حذرين خاشعين لانهم اذا
حذروا دعاهم الحذر الى
اتقاء كل سيئة وعمل كل
حسنة (فان توليتم) عن
ذلك (فاعلموا أنما على
رسولنا البلاغ المبين) أي
فاعلموا انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لانه ما كلف
الا البلاغ المبين بالآيات
وانما ضررتم أنفسكم حين
أعرضتم عما كلفتموه
ونزل فيمن تعاطى شيئا من
الخمر والميسر قبل التحريم
(ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا) أي شربوا من
الخمر وأكلوا من مال
القمار قبل تحريمهما (اذا
ما اتقوا) الشرك (وآمنوا)
بالله (وعملوا الصالحات)
بعد الايمان (ثم اتقوا) الخمر
والميسر بعد التحريم
(وآمنوا) بتحريمهما (ثم
اتقوا) سائر المحرمات أو
الاول عن الشرك والثاني
عن المحرمات والثالث عن
الشبهات (وأحسنوا)
الى الناس (والله يحب
المحسنين) ولما ابتلاهم
الله بالصيد عام الحديبية
وهم محرمون وكثر عندهم
حتى كان يغشاهم في رحالهم
فيستمكنون من صيده
أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم
نزل (يا أيها الذين آمنوا
ليبلونكم الله بشيء من الصيا

تناله أيديكم ورماحكم) ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لاظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم ما لم يعلم ومن للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده أنه يوجد ليثيبه على عمل لا على علمه فيه (فمن اعتدى)

فصاد (بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب أليم) قتل في قوله بشيء من الصيد ليعلم أنه ليس من الفتن العظام وتناله صفة لشيء (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) أى الصيد اذ القتل انما يكون فيه (وأنتم حرم) أى محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في تقتلوا (ومن قتله منكم متعمدا) حال من ضمير الفاعل أى ذاكرا لاحرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد في الآية مع أن محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روى أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ (فجزاء مثل ما قتل) كوفي أى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى خير بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم فكما مر جزاء مثل على الاضافة غيرهم وأصله فجزاء مثل ما قتل أى فعليه أن يجزى مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد (من النعم) حال من الضمير في قتل اذ المقتول يكون من النعم

وسلم فلم يصطادوا شيأ في حالة الابتلاء ولم يعصم أصحاب السبت فسخوا قردة وخنازير ﴿ وقوله تعالى (تناله أيديكم) يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد (ورماحكم) يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس في قوله تناله أيديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا نالوا بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه (ليعلم الله) أى ليرى الله فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم أولياء الله (من يخافه بالغيب) يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حالة الاحرام شيأ بعد النهي (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي (فله عذاب أليم) يعني في الدنيا قال ابن عباس هو أن يوجع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين في معنى هذه الآية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴿ وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) جمع حرام أى لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال أحرم اذا عقد الاحرام وأحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الآية في أبي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال أبو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أو لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا أو نمرا أو نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فأجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على أشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا في الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب أصحاب الرأى الى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة ﴿ قوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا) قال مجاهد والحسن وابن زيد هو أن يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء أما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه أعظم من أن يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء أما اذا قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمي فأصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني ألحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيأ وهذا قول شاذ لا يؤخذ به (فجزاء مثل ما قتل من النعم) يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة

يقول لمجزاء أي فعليه أن يجازي أو يكفر ليذوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحرمة الإحرام

فوجب أن يكون هو المخير بين أبدالها وقال محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة التخيير الى الحكمين لأن الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة أو للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به أو يصوم وقال أبو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها ﴿ وقوله تعالى (ليذوق وبال أمره) يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشيء الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيص المال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم أيضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن (عفا الله عما سلف) يعني قبل التحريم (ومن عاد) يعني الى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري أنه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه وقيل له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم أقتل قبله شيأ حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطائف (والله عزيز ذو انتقام) يعني ممن عصاه واذا أتلف المحرم شيأ من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم أو يصوم عن كل مد يوما ﴿ قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن أبي بكر وعمر وابن عمر وأبي أيوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي وروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف أجناسه وأنواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب فيحل أكله وقال أبو حنيفة لا يحل الا أن يموت بسبب وما عدا السمك فقسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكله وقال سفيان أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل أكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى أنه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم أكله في حال الاحرام فان أصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر أيضا وقال أحمد يؤكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن أبي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى أن ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل ما لا يؤكل نظيره في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل أكله ﴿ قوله تعالى (متاعا لكم وللسيارة) يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه ﴿ وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة فاحدها في أول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وأنتم حرم والثاني قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم والثالث

(ليذوق وبال أمره) متعلق والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا أي ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفا الله عما سلف) لكم من الصيد قبل التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك الاحرام (فينتقم الله منه) بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه (والله عزيز) بالزام الاحكام (ذو انتقام) لمن جاوز حدود الاسلام (أحل لكم صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده (متاعا لكم) مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم (وللسيارة) وللمسافرين والمعنى أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر (وحرم عليكم صيد البر) ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كالبط فانه بري لانه يتوالد في البر والبحر له مرعى كالناس متجر (مادمتم حرما) محرمين

٧ قوله في الهامش لتنائكم التناء كرمان المقيمون جمع ناء من تنأ بالمكان أقام هكذا بخط ... من القاموس

(ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما أو الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وأن الله بكل شئ عليم) أى لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما فى السموات وما فى الارض وكيف لا يعلم وهو بكل شئ عليم (اعلموا أن الله شديد العقاب) لمن استخف بالحرم والاحرام (وان الله غفور) لاثام من عظم المشاعر العظام (رحيم) بالجانى الملتجئ الى البلد الحرام (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما أمر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) ولا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم (قل لا يستوى الخبيث والطيب) لما أخبر أنه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث أى الكافر ويثيب الطيب أى المسلم (ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر وقيل هو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديئهم (يا أولى الالباب) أى العقول الخالصة (لعلكم تفلحون) كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء امتحانا فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف وهى فعلاء من لفظ شئ وهمزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الاولى التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أى قوله (ان تبد لكم تسؤكم)

كانوا يأمنون اذا قلدوا أنفسهم من لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم أحد (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى أنه تعالى علم فى الازل بمصالح عباده وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد يأمنون به الا أنه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما فى السموات وما فى الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وأن الله بكل شئ عليم) يعنى أنه تعالى لا يخفى عليه خافية (اعلموا أن الله شديد العقاب) يعنى لمن انتهك محارمه واستحلها (وان الله غفور رحيم) يعنى لمن تاب وآمن ولما ذكر الله أنواع رحمته بعباده ذكر بعدها أنه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وأنه غفور رحيم ﴿ قوله تعالى (ما على الرسول الا البلاغ) يعنى ليس على رسولنا الذى أرسلناه اليكم الا تبليغ ما أرسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففى الآية تشديد عظيم فى ايجاب القيام بما أمر الله وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) يعنى أنه تعالى لا يخفى عليه شئ من أحوالكم ظاهرا أو باطنا (قل لا يستوى الخبيث والطيب) يعنى الحلال والحرام فى الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردئ والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح (ولو أعجبك كثرة الخبيث) يعنى ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وأبقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزى روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتى فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت فى شريح بن ضبيعة البكرى وحجاج ابن بكر وقد تقدمت القصة فى أول السورة (فاتقوا الله) يعنى فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تعتدوه (يا أولى الالباب) يعنى يا ذوى العقول السليمة (لعلكم تفلحون) ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين فقال رجل من أبى فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وفى رواية أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمورا عظاما ثم قال من أحب أن يسأل عن شئ فليسأل فلا تسألونى عن شئ الا أخبرتكم به ما دمت فى مقامى فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقول سلونى فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من أبى فقال أبوك حذافة ثم أكثر ان يقول سلونى فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم فى الخير والشر قال ابن شهاب فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط أعق منك أأمنت أن تكون أمك قارفت بعض ما تقارف أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو ألحقنى بعبد أسود للحقته زاد فى رواية أخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم أخرجاه

في الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل
من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء
ان تبد لكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في
كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني
ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على
أنبيائهم اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس
لا تسألوا عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة
ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم
أصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء جمع شيء ان تبد لكم أي تظهر لكم
وتبين لكم تسؤكم يعني ان أمرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه
ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن أن يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير أبيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وان
تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهي أو حكم
وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه فحينئذ يبدى لكم ومثال هذا ان
الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن في عدد هؤلاء دليل على عدة التي ليست
ذات قرء ولا حامل فسألوا عنها فأنزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
الآية (عفا الله عنها) يعني عن مسئلتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره
الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها (والله غفور) يعني لمن تاب منكم (حليم) فلا يعجل
بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم وقال بعض
العلماء الأشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليها أمر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك
فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم المسلمين
في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة أنه كتب
الى معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات أخرجه أبو داود الاغلوطات صعاب المسائل التي تزل فيها أقدام
العلماء ويؤيد ذلك قول أبي هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كي يغلطوا بها العلماء
وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام
ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تتكلفوا وعن أبي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها
وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان أخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب
الستة ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعني قوم صالح سألوا
الناقة ثم عقروها فأصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم
وقوم عيسى سألوا انزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول ان أولئك سألوا فلما أعطوا سؤلهم

وان تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم) صفة
لاشياء أي وان تسألوا عن
هذه التكاليف الصعبة في
زمان الوحي وهو مادام
الرسول بين أظهركم تبد لكم
تلك التكاليف التي
تسوءكم أي تغمكم وتشق
عليكم وتؤمرون بتحملها
فتعرضون أنفسكم لغضب
الله بالتفريط فيها (عفا
الله عنها) عفا الله عما سلف
من مسئلتكم فلا تعودوا
الى مثلها (والله غفور
حليم) لا يعاقبكم الا بعد
الانذار والضمير في (قد
سألها) لا يرجع الى أشياء
حتى يعدى بعن بل يرجع
الى المسئلة التي دلت عليها
لا تسألوا أي قد سأل هذه
المسئلة (قوم من قبلكم)
من الاولين (ثم أصبحوا
بها) صاروا بسببها (كافرين)
كما عرف في بني اسرائيل

(ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) كان أهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا أكله الرجال وان كان أنثى أرسلت في الغنم وكذا ان كان ذكرا وأنثى وقالوا وصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة واذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا أمر به (ولكن الذين كفروا) بتحريمهم ما حرموا (يفترون على الله الكذب) في نسبتهم هذا التحريم اليه (وأكثرهم لا يعقلون) ان الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) أي هلموا الى حكم الله ورسوله بان هذه الأشياء غير محرمة (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) أي كافينا ذلك وحسب مبتدأ والخبر ما وجدنا وما بمعنى الذي والواو في (أولو كان آباؤهم) للحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) أي الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) انتصب أنفسكم بعليكم وهو من أسماء الأفعال أي الزموا اصلاح أنفسكم والكاف والميم في عليكم في موضع جر لان اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها (لا يضركم

كفروا به فلا تسألوا أنتم شيئا فلعلكم ان أعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك ﴿ قوله تعالى (ما جعل الله) أي ما أنزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به (من بحيرة) البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحرت ناقته اذا شققت أذنها فهي فعيلة بمعنى مفعولة (ولا سائبة) يعني المسيبة المخلاة (ولا وصيلة) الوصيلة الشاة وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها (ولا حام) الحامي هو الفحل من الابل يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الأوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت خمسة أبطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه وأكله الرجال وان كانت أنثى شقوا أذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم سيبت مع أمها وفعل بها كما فعل بأمها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك ان الرجل من أهل الجاهلية كان اذا مرض أو أ قريب نذر فقال ان شفاني الله أو شفى الله مريضي أو قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن رعي ولا مرعى ولا يركبها أحد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل الأنثى والحامي هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات أكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الأمعاء كانت الجاهلية تعمل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أبطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا أذن فيه ولا أمر به ولكنكم أنتم فعلتم ذلك من عند أنفسكم (خ) عن ابن مسعود ان أهل الاسلام لا يسيبون وان أهل الجاهلية كانوا يسيبون ﴿ وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعني لقولهم ان الله أمر بها (وأكثرهم لا يعقلون) أراد بالأكثر الأتباع يعني أن الأتباع لا تعقل أن هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) يعني واذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الأشياء وأضافوها الى الله كذبا تعالوا الى ما أنزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه الكتاب ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرائع والأحكام وان الذي تفعلونه ليس بشيء (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يعني قالوا يكفينا الذي أخذناه عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) يعني انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان آباءهم ما كانوا كذلك فكيف يصح اقتداؤهم بهم ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم

لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال بعض العلماء هذا أمر من الله تعالى ومعناه احفظوا أنفسكم من ملابسة
الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم أنفسكم
فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين وأطعتم الله عز وجل فيما أمركم به ونهاكم عنه قال
سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الآية في أهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل من أهل الكتاب خذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من أهل الكتاب قال بعض
الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء
الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم أنفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل
الجاهلين اذا كنتم أنتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه أكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب
أصحاب المعاصي فاما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس
ابن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها
الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله
بعقاب منه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم
بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال قوم في معنى الآية
عليكم أنفسكم اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه آي قد مضى تأويلهن قبل أن
ينزلن ومنه آي وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آي يقع تأويلهن بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر
من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض
فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم وألبستم شيعا وأذيق بعضكم بأس
بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان
الله يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ألا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنتم الغائب ولكن هذه الآية لاقوام
يجيؤن من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن أبي أمية الشعباني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع
بهذه الآية قال أية آية قلت يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال أما والله لقد
سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا
رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان
من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي
رواية قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال لا بل أجر خمسين منكم أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وقيل في معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل وقال ابن
عباس قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال
والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما أمرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من أصحاب
الاهواء فذكر شيئا من أمره فقلت له ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم

(لا يضركم) رفع على
الاستئناف أو جزم على
جواب الامر وانما ضمت
الراء اتباعا لضمة الضاد (من
ضل اذا اهتديتم) كان
المؤمنون تذهب أنفسهم
حسرة على أهل العناد من
الكفرة يتمنون دخولهم
في الاسلام فقيل لهم عليكم
أنفسكم وما كلفتم من
اصلاحها لا يضركم الضلال
من دينكم اذا كنتم
مهتدين وليس المراد ترك
الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فان تركهما مع
القدرة عليهما لا يجوز

أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الآية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من أهل الكتاب اذا اهتديتم أنتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في أهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبري وأولى هذه الاقوال وأصح التأويلات عندنا في هذه الآية ما روي عن أبي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله وأداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية أوكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعني أهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمنكرات والذي يؤكد ذلك أن معنى قوله عليكم أنفسكم أي احفظوا أنفسكم وهذا أمر بان نحفظ أنفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله أعلم ۞ وقوله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعني في الآخرة الطائع والعاصي والضال والمهتدي (فينبئكم بما كنتم تعملون) يعني فيخبركم بأعمالكم ويجزيكم عليها ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن بداء خرجا من المدينة في تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع وألقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى الى تميم وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى أهل البيت ففتشوه فأصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء أهل البيت الى تميم وعدي فقالوا هل باع صاحبنا شيأ من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فأنفق شيأ على نفسه قالا لا قالوا انا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا لا ندري انما أوصى الينا بشئ وأمرنا أن ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأصرا على الانكار وحلفا فأنزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت قال برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فأتيا الى الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو أعظم تجارته فمرض فأوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم ثم اقتسمناه أنا وعدي فلما أتينا أهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم على أهل دينه فحلف فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وقد روي عن ابن عباس شئ من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته

(الى الله مرجعكم جميعا) رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) ثم يجزيكم على أعمالكم روي انه خرج بديل مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي وتميم وكانا نصرانيين الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا اناء من فضة فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدوا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم

فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأخرج هذه الرواية الاخيرة البخاري في صحيحه وأما التفسير فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر (اذا حضر أحدكم الموت) يعني اذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت وأردتم الوصية (ذوا عدل منكم) يعني من أهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت (أو آخران من غيركم) يعني من غير أهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وأبي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة أهل الذمة جائزة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز وشهادة الكفار وأهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى أنها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وأبي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو في أرض غربة فليشهد كافرين أو ذميين أو من أي دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على أي دين كانا من أهل الكتاب أو من عبدة الاصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال الا على وصيته في سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه ولم يجد أحدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال أبو موسى هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها الوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما أخرجه أبو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم أو آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير ان أبا حنيفة أجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية محكمة بان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من أجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في أول الآية يا أيها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين وأجمع المسلمون على أن الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في أرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون أو عنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضره من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي أبيح له أكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيأ من المحظورات واحتج من منع ذلك بأن الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا

اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) ارتفع اثنان لانه خبر المبتدا وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو لانه فاعل شهادة بينكم أي فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان واتسع في بين فأضيف اليه المصدر واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية لان حضور الموت من الامور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجوب الوصية ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل الى الوجوب وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الاجل (ذوا عدل) صفة لاثنين (منكم) من أقاربكم لانهم أعلم بأحوال الميت (أو آخران) عطف على اثنان (من غيركم) من الاجانب

(إن أنتم ضربتم في الأرض) سافرتم فيها وأنتم فاعل فعل يفسره الظاهر (فأصابتكم مصيبة الموت) أو منكم من المسلمين ومن غيركم من
أهل الذمة وقيل منسوخ إذ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين (تحبسونهما) تقفونهما للحلف هو
استئناف كلام أو صفة لقوله أو آخران من غيركم أي وآخران من غيركم محبوسان وإن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت
اعتراض بين الصفة والموصوف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله بعد العصر أو الظهر
لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث تميم أنها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي
وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدي (فيقسمان بالله)
فيحلفان به (إن ارتبتم) شككتم في أمانتهما وهو اعتراض بين القسم وجوابه وهو (لا نشتري) وجواب الشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير إن ارتبتم في شأنهما فحلفوهما (به) بالله أو بالقسم (ثمنا) عوضا من الدنيا (ولو كان) أي المقسم له (ذا قربى) أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا (ولا نكتم شهادة الله) أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها (إنا إذا لمن الآثمين) إن كتمنا وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وإن أريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما (فإن عثر) فإن اطلع (على أنهما استحقا إثما) فعلا ما أوجب إثما
واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) الميت
أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف
رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما (الأوليان) الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما
على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان أو هما بدل من الضمير في يقومان أو من آخران استحق عليهم الأوليان حفص أي من
الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين الأولين حمزة وأبو
بكر على أنه وصف الذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح وسموا أولين لأنهم كانوا أولين في الذكر في قوله شهادة بينكم

فشهادتهم غير مقبولة في حال من الأحوال ﴿ وقوله تعالى (إن أنتم ضربتم في الأرض) يعني إن أنتم
سافرتم في الأرض (فأصابتكم مصيبة الموت) يعني نزل بكم أسباب الموت فأوصيتم إليهما ودفعتم مالكم
إليهما (تحبسونهما) يعني إن اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن يحبسوهما (من
بعد الصلاة) يعني من بعد صلاة العصر لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف
الكاذب وقيل من بعد صلاة أهل دينهما لأنهما إذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر (فيقسمان بالله)
يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الأيمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال إذا بلغ مائتي درهم في الزمان
والمكان فيحلف بعد صلاة العصر إن كان بمكة بين الركن والمقام وإن كان بالمدينة فعند المنبر وإن كان في
بيت المقدس فعند الصخرة وفي سائر البلاد في أشرف المساجد وأعظمها بها (إن ارتبتم) يعني إن شككتم
أيها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا إذا كانا كافرين أما إذا كانا مسلمين فلا يمين
عليهما لأن تحليف الشاهد المسلم غير مشروع (لا نشتري به ثمنا) يعني لا نبيع عهد الله بشيء من الدنيا ولا
نحلف بالله كاذبين لأجل عوض نأخذه أو حق نجحده (ولو كان ذا قربى) يعني ولو كان المشهود له
ذا قرابة منا وإنما خص القربى بالذكر لأن الميل إليهم أكثر من غيرهم (ولا نكتم شهادة الله) إنما
أضاف الشهادة إليه لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها (إنا إذا لمن الآثمين) يعني إن كتمنا الشهادة أو خنا
فيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر
بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يخونا شيئا مما دفع إليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبيلهما ثم ظهر الإناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الإناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما طالت
المدة أظهروه فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك فقالا إنا كنا اشتريناه منه فقالوا ألم تزعما أن صاحبنا
لم يبع شيئا من متاعه فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما إلى النبي
صلى الله عليه وسلم (فإن عثر) يعني فإن اطلع وظهر والعثور الهجوم على أمر لم يهجم عليه غيره وكل من
اطلع على أمر كان قد خفي عليه قيل له قد عثر عليه (على أنهما استحقا إثما) يعني الوصيين ومعنى الآية
فإن حصل العثور والوقوف على أن الوصيين كانا استوجبا الإثم بسبب خيانتهما وأيمانهما الكاذبة
(فآخران) يعني من أولياء الميت وأقربائه (يقومان مقامهما) يعني مقام الوصيين في اليمين (من الذين
استحق عليهم) يعني من الذين استحق عليهم الإثم وهم الورثة والمعنى إذا ظهرت خيانة الحالفين
وبان كذبهما فيقوم اثنان آخران من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته (الأوليان) يعني بأمر

الميت وهم أهله وعشيرته (فيقسمان بالله) يعني فيحلفان بالله (لشهادتنا أحق من شهادتهما) يعني أيماننا أحق وأصدق من أيمانهما (وما اعتدينا) يعني في أيماننا وقولنا إن شهادتنا أحق من شهادتهما (إنا إذاً لمن الظالمين) ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان وهما من أهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفع الإناء إليهما وإنما ردت اليمين على أولياء الميت لأن الوصيين ادعيا أن الميت باعهما الإناء وأنكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا أن الوصي إذا أخذ شيئاً من مال الميت وقال إنه أوصى له به وأنكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما أسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله أنا أخذت الإناء فأنا أتوب إلى الله وأستغفره ۞ وقوله تعالى (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على أولياء الميت بعد أيمانهم أدنى أي أجدر وأحرى أن يأتوا بالشهادة على وجهها يعني أن يأتي الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أي وأقرب أن يخاف الوصيان أن ترد الأيمان على أولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) يعني وخافوا الله أن تحلفوا أيماناً كاذبة أو تخونوا أمانة (واسمعوا) يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع إجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى أو خان أمانته أو حلف أيماناً كاذبة وهذه الآية الكريمة من أصعب ما في القرآن من الآيات نظماً وإعراباً وحكماً والله أعلم بأسرار كتابه ۞ قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل أي لا يهديهم إلى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل إنها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا أجبتم) يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا أجابكم أممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا إلى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ أمم الأنبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعني الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لأنك تعلم ما أضمروا وما أظهروا ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا وأبلغ فعلى هذا القول إنما نفوا العلم عن أنفسهم وإن كانوا علماء لأن علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية أخرى معناه لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا وهذا القول قريب من الأول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة أمرهم لأنا كنا نعلم ما كان من أفعالهم وأقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما أحدثوا من بعدنا ومنه ما أخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقاً لمن بدل بعدي أخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين إن للقيامة أهوالاً وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم إذا ثابت إليهم عقولهم يشهدون على أممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لأن الله تعالى قال في حق الأنبياء لا يحزنهم الفزع الأكبر وذكر الإمام فخر الدين الرازي وجهاً آخر وهو أن الرسل عليهم السلام لما علموا أن الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا أن قولهم لا يفيد خيراً ولا يدفع شراً فرأوا أن الأدب في السكوت وفي تفويض الأمر إلى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا (إنك أنت علام الغيوب) يعني إنك تعلم ما غاب عنا

وما تجاوزنا الحق في يميننا (إنا إذاً لمن الظالمين) أي إن حلفنا كاذبين (ذلك) الذي مر ذكره من بيان الحكم (أدنى) أقرب (أن يأتوا) أي الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها) كما حملوها بلا خيانة فيها (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم (واتقوا الله) في الخيانة واليمين الكاذبة (واسمعوا) سمع قبول وإجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة فإن قلت ما معنى أو هنا قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدوا الشهادة بالحق والصدق إما لله أو لخوف العار والافتضاح برد الأيمان وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعي والجواب أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهما الشراء (يوم) منصوب باذكروا أو احذروا (يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) ما الذي أجابتكم أممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان وهذا

السؤال توبيخ لمن أنكرهم وماذا منصوب بأجبتم نصب المصدر على معنى أي إجابة أجبتم (قالوا لا علم لنا) بإخلاص قومنا دليله (إنك أنت علام الغيوب) أو بما أحدثوا بعدنا دليله كنت أنت الرقيب عليهم أو قالوا ذلك تأدباً أي علمنا

ساقط مع علمك ومغمور به فكأنه لا علم لنا (اذ قال الله) بدل من يوم يجمع (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي ...

من بواطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سألتنا عنه ليس يخفى عليك لانك أنت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس تخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الآية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه ﴿ قوله عز وجل (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك) قال بعضهم ان اذ قال الله تعالى يا عيسى صلته لماذا أجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا أجبتم توبيخ الامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله وكان أشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم في أنبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد ذكر الله في هذه الآية أنواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة (٢) وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الآية والمراد من ذكرها شكرها (وعلى والدتك) يعني بنعمتي على مريم عليها السلام انه تعالى أنبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى (اذ أيدتك بروح القدس) يعني بجبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى وأضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل أراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية فمنها روح طاهر مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرقة (تكلم الناس في المهد) يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر (وكهلا) يعني وفي حالة الكهولة من غير أن يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس أرسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه (واذ علمتك الكتاب والحكمة) يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على أسرار العلوم (والتوراة والانجيل) أي وعلمتك التوراة التي أنزلتها على موسى والانجيل الذي أنزلته عليك (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) يعني واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني (فتنفخ فيها) ذكرها هنا وفي سورة آل عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة بجعلها مصيرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في ذي الهيئة ويجوز أن يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات وأما الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه فيعود الى الكاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير (فتكون طيرا باذني) وانما كرر قوله باذني تأكيدا ليكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى (وتبرئ الاكمه والابرص باذني) يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر (واذ تخرج الموتى) يعني من قبورهم أحياء (باذني) فعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى

والدتك) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل في (اذ أيدتك) أي قويتك نعمتي (بروح القدس) جبريل عليه السلام أيدته لتثبت الحجة عليهم أو بالكلام الذي يحيا به الدين وأضافه الى القدس لانه سبب الطهر من أوصام الآثام دليله (تكلم الناس في المهد) حال أي تكلمهم طفلا واعجازا (وكهلا) تبليغا (واذ علمتك) معطوف على اذ أيدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج واذ كففت واذ أوحيت (الكتاب) الخط (والحكمة) الكلام المحكم الصواب (والتوراة والانجيل واذ تخلق) تقدر (من الطين كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذني) بتسهيلي (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا الضمير في (فتكون طيرا باذني) وعطف (وتبرئ الاكمه والابرص باذني) على تخلق (واذ تخرج الموتى) من القبور أحياء (باذني) قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية

(٢) قوله وقيل موضع اذ رفع الخ لا يلائمه قوله ومعناه الخ فليتأمل

(وإذ كففت بني إسرائيل عنك) أي اليهود حين هموا بقتلك (إذ جئتهم) ظرف لكففت (بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) ساحر حمزة وعلي (وإذ أوحيت) ألهمت (إلى الحواريين) الخواص أو الأصفياء (أن آمنوا) أي آمنوا (بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) أي اشهد بأننا مخلصون من أسلم وجهه (إذ قال الحواريون) أي اذكر إذ (يا عيسى ابن مريم) عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو (هل يستطيع ربك) هل يفعل أو هل يطيعك ربك إن سألته فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب هل تستطيع ربك علي أي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (أن ينزل علينا) ينزل مكي وبصري (مائدة من السماء) هي الخوان إذا كان عليه الطعام من ماده إذا أعطاه كأنها تميد من تقدم إليها (قال اتقوا الله) في اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (إن كنتم مؤمنين) إذ الإيمان يوجب التقوى (قالوا نريد أن نأكل منها) تبركا (وتطمئن قلوبنا) ونزداد يقينا كقول إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي (ونعلم أن قد صدقتنا) أي نعلم صدقك عيانا كما علمناه استدلالا (ونكون عليها من الشاهدين) بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت (قال عيسى ابن مريم اللهم) أصله يا الله فحذف يا وعوض منه الميم (ربنا) نداء ثان (أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا والعيد السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا (لأولنا وآخرنا) بدل من لنا

وقدرته وقوله تعالى (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) يعني وإذ كر نعمتي عليك إذ كففت وصرفت عنك اليهود وصعتك منهم حين أرادوا قتلك (إذ جئتهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الآية وذلك أن عيسى عليه السلام لما أتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه إلى السماء (فقال الذين كفروا منهم) يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات (إن هذا إلا سحر مبين) يعني ما جاءهم به عيسى عليه السلام من المعجزات ۞ قوله عز وجل (وإذ أوحيت إلى الحواريين) يعني ألهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي إلهام كما أوحى إلى أم موسى وإلى النحل والحواريون هم أصحاب عيسى وخواصه (أن آمنوا بي وبرسولي) يعني عيسى عليه السلام (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) لما وفقهم الله للإيمان قالوا آمنا وإنما قدم ذكر الإيمان على الإسلام لأن الإيمان من أعمال القلوب والإسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى أنهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم ۞ قوله تعالى (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي مع علمه بأنه يقدر على القيام وإنما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف أن تقوم معي فكذلك معنى الآية لأن الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وإنما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك أن مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الإيمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله أن تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الأول أصح وقيل في معنى الآية هل يقبل ربك دعاءك ويعطيك بإجابة دعائك وسؤالك إنزال المائدة فقد ورد في الآثار من أطاع الله أطاعه كل شيء (أن ينزل علينا مائدة من السماء) المائدة الخوان الذي عليه الطعام ولا يسمى مائدة إن لم يكن عليه طعام إنما يقال خوان أو طبق وأصلها من ماد يميد إذا تحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام (قال) يعني عيسى مجيبا للحواريين (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) يعني اتقوا الله في هذا السؤال إن كنتم مؤمنين لأنه سؤال تعنت وقيل أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى إن كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم يسأله أحد من الأمم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان (قالوا نريد أن نأكل منها) يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام إنما طلبنا نزول المائدة علينا لأن نأكل منها فإن الجوع قد غلب علينا وقيل معناه نريد أن نأكل منها التبرك بها لا أكل حاجة (وتطمئن قلوبنا) يعني وتسكن قلوبنا بتيقن قدرة الله تعالى لأنا وإن علمنا قدرة الله بالدليل فإذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة (ونعلم أن قد صدقتنا) يعني ونزداد إيمانا ويقينا بأنك رسول الله (ونكون عليها من الشاهدين) يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك عليها من الشاهدين عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم فلما قالوا ذلك أمرهم عيسى أن يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم إنكم إذا صمتم ذلك وأفطرتم فلا تسألون الله شيئا إلا أعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك (قال عيسى ابن مريم اللهم) قيل إنه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وبكى ثم دعا فقال اللهم (ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا

والعيد يوم السرور وأصله من عاد يعود إذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه نحن ومن يجيء من بعدنا نزلت في يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها أول الناس كما يأكل آخرهم (وآية منك) أي تكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وتصديق رسولك (وارزقنا) أي وارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وأنت خير الرازقين) يعني وأنت خير من تفضل ورزق (قال الله) عز وجل مجيبا لعيسى (إني منزلها عليكم) يعني المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعني بعد نزول المائدة (فإني أعذبه عذابا) يعني جنسا من العذاب (لا أعذبه أحدا من العالمين) يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير قال الزجاج ويجوز أن يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز أن يكون مؤخرا إلى الآخرة قال عبد الله بن عمر إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لأن الله تعالى لما أوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم وعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى إني منزلها عليكم يعني إن سألتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين أنها نزلت لأن الله تعالى قال إني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بإنزالها ولا خلف في خبره ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير أخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو أصح وقال ابن عباس إن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقال سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فليكشف عنها وليسم الله فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا وهم شباع وإذا السمكة بحالها حين نزلت ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون إليها حتى توارت ولم يأكل منها زمن أو مريض أو مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت أربعين صباحا تنزل ضحى فإذا نزلت اجتمع إليها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة

شكر بالعامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمتقدمين منا والأتباع (وآية منك) على صحة نبوتي ثم أكد ذلك بقوله (وارزقنا وأنت خير الرازقين) وأعطنا ما سألناك وأنت خير المعطين (قال الله إني منزلها عليكم) بالتشديد مدني وشامي وعاصم ووعد الإنزال وشرط عليهم شرطا بقوله (فمن يكفر بعد منكم) بعد إنزالها (فإني أعذبه عذابا) أي تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير في (لا أعذبه) للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء (أحدا من العالمين) عن الحسن أن المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام إلا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاؤا وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا

وأكل منها ... فأداه ماله طارت وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم وكانت تنزل عليهم ما نزلت
يوماً لا تنزل فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم
ذلك على الأغنياء حتى شكّوا وشككوا الناس فيها وقالوا أترون المائدة حقاً تنزل من السماء فأوحى الله عز
وجل إلى عيسى عليه السلام إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين
فقال عيسى عليه السلام عند ذلك إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فمسخ الله
منهم ثلاثمائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم أصبحوا خنازير يسعون في الطرق يأكلون
العذرة من الكناسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا ولما أبصرت
الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم بأسمائهم فيشيرون
برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وقال كعب الأحبار نزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة
بين السماء والأرض عليها كل شيء إلا اللحم وقال ابن عباس أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال
الكلبي كان عليها خبز ورز وبقل وقال وهب بن منبه أنزل الله أقرصة من شعير وحيتاناً فكان القوم يأكلون
ويخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً
حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل وقال الكلبي ومقاتل أنزل الله سمكاً وخمسة أرغفة فأكلوا منها ما شاء
الله والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهدهم وقالوا ويحكم إنما سحر
أعينكم فمن أراد الله به خيراً ثبته ومن أراد فتنته رجع إلى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة
فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ۞ قوله عز وجل (وإذ قال الله
يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) الآية اختلف المفسرون في وقت هذا
القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه إلى السماء بدليل أن حرف إذ يكون للماضي وقال
سائر المفسرين إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة
وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة وأجيب عن حرف إذ بأنها قد تجيء بمعنى
إذا كقوله ولو ترى إذ فزعوا يعني إذا فزعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عني إذ جزى ٭ جنات عدن في السموات العلى

وإنما الآية في قوله أأنت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الإنكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه
السلام من النصارى لأن عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فإن قلت إذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها
فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بأنه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه وإكذاب لهم في
ادعائهم ذلك عليه وأنه أمرهم به فهو كقول القائل لآخر أفعلت كذا وهو يعلم أنه لم يفعله وإنما أراد تعظيم ذلك
الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف
بالعبودية وأنه ليس بإله كما زعمت وادعت فيه النصارى فإن قلت إن النصارى لم يقولوا بإلهية مريم فكيف
قال اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قلت إن النصارى لما ادعت في عيسى أنه إله ورأوا أن مريم ولدته
لزمهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام (قال سبحانك) يعني
تنزيهاً لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال أبو روق إذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب
وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل
شعرة من جسده عين من دم وقال مجيباً لله تعالى سبحانك (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي كيف
أقول هذا الكلام ولست بأهل ولست أستحق العبادة حتى أدعو الناس إليها ولما بين أنه ليس له أن يقول
هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه أم لا فقال

(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) الجمهور على أن هذا السؤال يكون يوم القيامة بدليل سياق الآية وسباقها وقيل خاطبه به حين رفعه إلى السماء بدليل لفظ إذ (قال سبحانك) من أن يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول ما ليس لي بحق) أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله

(ان كنت قلته فقد علمته) أسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) يعنى تعلم ما علمي ولا أعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما فى غيبي ولا أعلم ما فى غيبك وقيل معناه تعلم ما أخفى ولا أعلم ما تخفى وقيل معناه تعلم ما كان منى فى دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك فى دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشئ يقال نفس الشئ وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشئ وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة أمرى ولا أعلم حقيقة أمرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا أعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال (انك أنت علام الغيوب) يعنى انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك

قوله تعالى اخبارا عن عيسى (ما قلت لهم الا ما أمرتنى به) يعنى ما قلت لهم الا قولا أمرتنى به (أن اعبدوا الله) يعنى قلت لهم اعبدوا الله (ربى وربكم) يعنى وحدوه ولا تشركوا به شيأ (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) يعنى وكنت أشهد ما يفعلون وأحضر ما دمت مقيما فيهم (فلما توفيتنى) يعنى فلما رفعتنى الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت (كنت أنت الرقيب عليهم) يعنى الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم وأحوالهم والرقيب الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ (وأنت على كل شئ شهيد) يعنى أنت شهدت مقالتى التى قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعد مارفعتنى اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز أن يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعنى أنت العالم بكل شئ فلا يعزب عن علمك شئ قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعنى ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وأنت العادل فيهم لانك أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفر لهم) يعنى لمن تاب من كفر منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك (فانك أنت العزيز) يعنى فى الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده (الحكيم) فى أفعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدى لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة أما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففى قوله وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم اشكال وهو أنه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بأن الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه أحدها أنه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك أنت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز فى ملكه الحكيم فى فعله ويجوز فى حكمه وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر أنه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثانى قيل معناه ان تعذبهم يعنى باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعنى لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانبارى لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا أن النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأل له المغفرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية ان

(ان كنت قلته فقد علمته) أى فعلته ولو قلته علمته لانك (تعلم ما فى نفسى) ذاتى (ولا أعلم ما فى نفسك) ذاتك فنفس الشئ ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك (انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهى اليه علم أحد (ما قلت لهم الا ما أمرتنى به) أى ما أمرتهم الا بما أمرتنى به ثم فسر ما أمر به فقال (أن اعبدوا الله ربى وربكم) فان مفسرة بمعنى أى (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا (ما دمت فيهم) مدة كونى فيهم (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) الحفيظ (وأنت على كل شئ شهيد) من قولى وفعلى وقولهم وفعلهم (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) قال الزجاج علم عيسى عليه السلام ان منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال فى جملتهم ان تعذبهم أى ان تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وأنت العادل فى ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر لهم أى لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائي ﴿ قوله عز وجل (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى إن صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لأنه يوم الإثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لأن الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لأنه يقوم فيقول ما قلت لهم إلا ما أمرتني به الآية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه وأما المتكلم الآخر فإبليس فإنه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الأمر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول إلى ظاهر الآية من أن الصدق النافع إنما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول إن هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع إلى السماء والوجه ما ذهب إليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) فهذه إشارة إلى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء (رضي الله عنهم) يعني بطاعتهم له (ورضوا عنه) يعني بما أعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته (ذلك) إشارة إلى ما ذكره من ثوابهم (الفوز العظيم) يعني أنهم فازوا بالجنة ورضوانه عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني أن الذي له ملك السموات والأرض هو الذي يستحق الإلهية لا ما قالت النصارى من إلهية المسيح وأمه لأنهما من جملة من في السموات والأرض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر في الكلام كأنه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السموات والأرض ومن فيهن (وهو على كل شيء قدير)

والله سبحانه وتعالى أعلم
بمراده وأسرار
كتابه

(تم الجزء الأول من تفسير الخازن ويليه الجزء الثاني أوله تفسير سورة الأنعام)

في ذلك أو عزيز قوي قادر على الثواب حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) برفع اليوم والإضافة على أنه خبر هذا أي يقول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر في دنياهم وآخرتهم والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف أي قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم) بالسعي المشكور (ورضوا عنه) بالجزاء الموفور (ذلك الفوز العظيم) لأنه باق بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باق (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) عظم نفسه عما قالت النصارى إن معه إلها آخر (وهو على كل شيء قدير) من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء نسأله أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجنانه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(تم الجزء الأول من تفسير الإمام النسفي ويليه الجزء الثاني وأوله تفسير سورة الأنعام)